

سيرة

الإمام البخاري

(سيّد الفقهاء وإمام المحدثين)

تأليف

العلامة الشيخ عبد السلام المباركفوري

رحمته الله

(١٢٨٩ هـ - ١٣٤٦ هـ)

نقله إلى العربية وحرره

الدكتور عبد العليم بن عبد العظيم البستوي

المجلد الأول

دار عالم الفتاوى

للتبشیر والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيرة
الامير البخاري

سيرة
الإمام البخاري
(سيد الفقهاء وإمام المحدثين)

تأليف
العلامة الشيخ عبد السلام المباركفوري
رحمته الله
(١٢٨٩ هـ - ١٣٤٢ هـ)

نقله إلى العربية وعلّمه عليه
الدكتور عبد العليم بن عبد العظيم البستوي

المجلد الأول

دار عالم الفوائد
للنشر والتوزيع

يُحَقِّقُ الطَّبْعُ مَحْفُوظَةً
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ

دَارُ عَالَمِ الْقَوَائِدِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

مكة المكرمة ص.ب ٢٩٢٨

هاتف ٥٥٠٥٢٠٥ فاكس ٥٥٤٢٣٠٩

الصف والإخراج دَارُ عَالَمِ الْقَوَائِدِ للنشر والتوزيع

«مارأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له
من محمد بن إسماعيل.»

ابن خُزَيْمة

«لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد
أعلم من محمد بن إسماعيل.»

الترمذي

«محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.»

نعيم بن حماد

ويعقوب بن إبراهيم الدورقي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المترجم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ .
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿١﴾
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧٦﴾ .

أما بعد: فلقد كان الإمام البخاري رحمه الله من النوابغ الأفاض الذين تفخر بهم الأمة الإسلامية أبداً الدهر، وحق لها ذلك. فقد كان رحمه الله بفضل ما وهبه الله سبحانه وتعالى من ذاكرة خارقة وفهم ثاقب وفقه دقيق وكمال في الزهد والورع والتقوى والصلاح آية من آيات الله. وكتابه الجامع الصحيح اعتبرته الأمة الإسلامية بحق وصدق «أصح الكتب بعد كتاب الله». ونال من القبول والاهتمام ما لم ينله كتاب على وجه الأرض بعد كتاب الله تعالى.

والحديث عن الإمام البخاري وجامعه لا ينقطع ما بقي المسلمون على وجه المعمورة. وما كتب عنهما في العصور السابقة أو يكتب عنهما في العصر الحاضر وما سيكتب عنهما في الأيام القادمة في مختلف بقاع الأرض وفي مختلف لغات العالم أمر يفوق الحصر والعد. ولا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى.

وقد أفرد كثير من العلماء قديماً وحديثاً كتباً خاصة في ذكر سيرة الإمام البخاري وشمائله وأخباره ولكن معظمها اقتصر على سرد أخباره ومناقبه وما قاله الأئمة والعلماء في الثناء عليه وعلى كتابه وما تعرض له من محن وأذى جراء عقيدته ومنهجه. وقد تناول بعض المعاصرين أيضاً سيرة الإمام البخاري بالتأليف والدراسة، إلا أن الكتابة عن الإمام البخاري ومنهجه في حياته ومؤلفاته وجهوده في نشر العقيدة الإسلامية الخالصة والسنة النبوية الصحيحة والفقه الإسلامي الحر البعيد عن شوائب الرأي والقياس المذموم والدعوة إلى هذه الأمور وتحمل الأذى والمشاق في سبيل ذلك، تحتاج إلى أن تتوفر في الكاتب صفات عدة لا يمكن لأي كاتب - مهما كانت منزلته في البلاغة والأدب - أن يؤدي حق هذا الموضوع بدونها. ولعل من أهمها:

١- التوافق الفكري والمنهجي التام مع الإمام البخاري عقيدةً وفقهاً والاعتناع الكامل بمنهجه بعيداً عن تأثيرات الأفكار الحزبية العقدية أو التعصب المذهبي لهذه المدرسة الفكرية أوتلك.

٢- الحب الخالص لوجه الله تعالى للإمام البخاري والاستعداد التام - عن اقتناع وحجة وبرهان - للدفاع عنه والرد على الشبهات والأباطيل التي تثار ضده بين حين وآخر من قبل بعض المتحاملين عليه خاصة وعلى السنة النبوية عامة.

٣- المعاشية الطويلة مع الإمام البخاري من خلال مؤلفاته وخاصةً مع كتابه «الجامع الصحيح» دراسةً وتدریساً وفقهاً وتفسيراً، والغوص في أعماقه وما ضمنه الإمام رحمه الله من العلوم والمعارف الحديثية والاستنباطات الفقهية الدقيقة التي حَيَّرَت الأفكار والعقول، ليس للبحث العلمي فقط ولكن تديُّناً واحتساباً وتمسكاً واتباعاً.

٤- الاطلاع الواسع على ماكتبه خصوم الإمام البخاري قديماً وحديثاً وما جرت به أقلام بعض المتحاملين والحاquدين على السنة النبوية وحملتها والعاملين بها. والشبهات التي أثاروها ضد السنة النبوية عامة وضد الإمام البخاري وجامعه الصحيح خاصةً. ظناً منهم أنهم سيتمكنون من هدم صرح السنة الغراء إذا تمكنوا من رفع الثقة من أبرز رمز من رموزها.

ويبدو أن هذه الصفات كانت متوفرة على أتم الوجوه في مؤلف هذا الكتاب^(١) الفذ «سيرة الإمام البخاري» الذي أشرَّف بتقديمه إلى الأمة الإسلامية - تحفة علمية ثمينة في حلة عربية قشبية - بعدما بقي حبيساً في اللغة الأردنية زمناً طويلاً.

لقد ألف العلامة المحدث الفقيه الشيخ عبدالسلام المباركفوري رحمه الله هذا الكتاب قبل نحو قرنٍ من اليوم^(٢) خالصاً لوجه الله تعالى^(٣) حباً في نبيه ﷺ وسنته وحملتها وأعلامها، فأتى بالعجب العجاب من تحقیقات علمية نادرة سيطلع عليها القارئ الكريم في ثنايا الكتاب وقد

(١) أنظر نبذة مختصرة عن حياة المؤلف في ص ١٩ من هذا الكتاب.

(٢) صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب باللغة الأردنية سنة ١٣٢٩هـ.

(٣) إنَّ تأليف مثل هذا الكتاب في ذلك الوقت لم يكن لكسب أو تجارة بل كان المؤلفون لا يجدون من المال ما ينفقونه على طبعه ونشره إلا بشق الأنفس. رحمهم الله.

لايجدها مجموعة في كتاب آخر. وقديماً قالوا: «ما خرج من القلب وقع في القلب». وهذا ما نلمسه ونشعر به في هذا السفر المبارك.

لقد ألف المؤلف رحمه الله هذا الكتاب في وقتٍ كانت القارة الهندية بأكملها تئن تحت نير الاستعمار البريطاني الذي تمكن من انتزاع السلطة من الحكام المسلمين. ولم يكن هذا الاستعمار سياسياً أو اقتصادياً فقط. بل كان مع ذلك استعماراً دينياً عقدياً فكرياً اجتماعياً أيضاً. فلقد كان الإنجليز استولوا على السلطة في القارة الهندية بعدما حكم عليها المسلمون قرابة سبعة قرون ولذلك كان الإنجليز يحرصون غاية الحرص على تحطيم معنويات المسلمين وإضعاف العقيدة الإسلامية في قلوبهم وخاصةً أجيالهم الصاعدة. وكانوا يستخدمون لذلك كل وسائل الترغيب والترهيب والتشكيك. فقد كانت الكليات والمعاهد الدراسية التي أنشأها الإنجليز لتخريج الموظفين والكتبة تعمل على قدم وساق في أرجاء القارة وكان خريجوها هم الذين يفوزون بالوظائف والمناصب الحكومية والرواتب المغرية التي كان يحرم منها من لم يدخل تلك المدارس والكليات. ولكن السُّمة الغالبة في تلك الكليات كانت التشكيك في عقائد الإسلام ومبادئه وهذا الذي عبّر عنه الشاعر الهندي المسلم الغيور «أكبر اله آبادي» بما معناه:

«مع الأسف إن فرعون لم يفكر في فتح الكليات وإلاّ لم تكن له حاجة إلى أن يشوه سمعته بقتل الأطفال».

أما في مجال الترهيب والتخويف فقد كان الأمر أشد وأنكى. فقد كان علماء المسلمين وخاصةً أهل الحديث منهم يلقون أنواعاً من الأذى من التقتيل والتعذيب والحبس والنفي والتشريد بتهمة الوهابية، والدعوة

إلى الجهاد. وتقول بعض الدراسات التي قام بها غير المسلمين إن أهل الحديث في الهند قدّموا ما لا يقل عن نصف مليون شهيد في محاربة الاستعمار. وهذا موضوع طويل لا مجال لبسطه هنا. فإن ما نعينه هنا هو الإشارة فقط إلى تلك الحرب الضروس التي شنها الإستعمار البريطاني ضد المسلمين في الهند.

أما في مجال التشكيك والاستفزاز فقد أطلق المستعمر عنان البعثات التنصيرية القادمة من الغرب فصارت تصول وتجول في جميع أنحاء القارة تدعو الناس إلى الديانة النصرانية وتوجه إنتقادات وإهانات علنية إلى القرآن الكريم والعقائد الإسلامية والأحاديث النبوية وشخصية الرسول ﷺ وأزواجه الطاهرات وأصحابه البررة. وغالباً ما كانت توجه هذه الإهانات عبر وسائل الإعلام وندوات ومؤتمرات علنية يحضرها آلاف من الناس من أصحاب الديانات المختلفة وكانت تسمى «بمجالس المناظرة».

وفي ظل الاستعمار وتشجيع منه نبتت نبتة «القاديانية»، ونشطت «الشرعة البريلوية» الداعية إلى التثبث بالقبور، وأصحاب القبور وقامت حركة الإحياء الهندوسية التي كانت تسمى «آرية سماج» أي «المجتمع الآري»، وتحرك الروافض، وترعرع منكرو السنة، والكل يوجه سهامه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويعقد «مجالس المناظرة» ويتحدّى المسلمين للرد على استفزازاتهم وإنتقاداتهم.

وفي هذه الأحوال العصيبة والأيام الحالكة قام علماء المسلمين بالتصدي لكل هذه الحملات والرد على كل الشبهات فنشطوا في إنشاء المدارس الإسلامية وإصدار المجلات والجرائد، وتأليف الكتب والرسائل، والخوض في معارك المناظرات والرد على كل الحركات المعادية وجهاً لوجه.

وكان على رأس هؤلاء المنافحين المدافعين عن الإسلام العالم الرباني الكبير والمناضل الشهير الشيخ ثناء الله الأمرتسري رحمه الله وأصحابه من كبار علماء أهل الحديث في الهند. فقد كان رحمه الله سيفاً مسلولاً مصلتاً على رؤوس كل هذه الفرق الباطلة يرد عليهم بالقلم واللسان فيزلزل كيانهم ويطفئ نيرانهم «كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله» حتى أنه أَلَفَ أكثر من ستة وثلاثين كتاباً في الرد على القاديانية وحدها. بالإضافة إلى مئات المقالات التي كان يكتبها في المجلة الأسبوعية «أهل الحديث» ومجلة «مسلمان» الأسبوعية أيضاً ومجلة «الموقع القادياني» وكان يديرها كلها بنفسه. أما مناظراته الدفاعية عن الإسلام والمسلمين فقد تجاوز عددها ألف مجلس مناظرة اشترك فيها رحمه الله.

ولما كانت السنة النبوية هي تفسير للقرآن العظيم وهي التي بينت تفاصيل العقائد والشرائع الإسلامية، وهي التي تكبح جماح الانحراف وتسد أبواب التحريفات والتأويلات، فقد وجه الأعداء سهام النقد والطعن والتشكيك إليها. ولما كان الإمام البخاري أبرز أعلام السنة النبوية وكتابه الجامع أشهر وأعظم وأصح كتاب في السنة فقد نال نصيب الأسد من الطعن والنقد والاستهزاء والسخرية من قِبَل أعداء الإسلام ومنكري الأحاديث.

وفي هذه الظروف الحالكة والأيام العصيبة كان الواجب أن يتكاتف المسلمون كلهم وينسوا خلافاتهم الداخلية للرد على أعداء الإسلام والدفاع عن سنة المصطفى ﷺ وحماية العقيدة الإسلامية من أدران الوثنية والأعمال الشركية والبدع الدخيلة، ولكن مع الأسف الشديد لقد غلب جانب التعصب المذهبي على بعضهم فبدلاً من أن يقوموا بشد أزر إخوانهم علماء أهل الحديث ودعمهم في الدفاع عن عقيدة الإسلام

والسنة النبوية أصبح هولاء بأنفسهم يوجهون سهام الطعن في أهل الحديث ويصدرون فتاواهم بتكفيرهم وضرورة مقاطعتهم وإخراجهم من المساجد وأنهم وهايون خوارج إلخ. فكان ذلك أكبر دعم معنوي للمستعمر الإنجليزي النصراني الذي كان يفتك بعلماء المسلمين تقتيلاً وتشريداً وتعذيباً وحسباً بتهمة «الوهابية».

كما أن بعضهم قاموا بالتأليف والكتابة في الطعن في الإمام البخاري وصحيحه حتى أن أحدهم ألف كتاباً سماه «الجرح على البخاري» سخر فيه من الإمام البخاري وصحيحه وياليتة وقف عند هذا الحد ولكنه تجاوز ذلك إلى حد السخرية والاستهزاء حتى من بعض الأحاديث النبوية الصحيحة المخرجة في صحيح البخاري. والبسط في هذا الموضوع يطول.^(١)

في هذه الأجواء المشحونة بالصراعات الدينية والخلافات المذهبية والمناظرات القلمية واللسانية تصدَّى كاتبنا العلامة المحدث الشيخ عبدالسلام المباركفوري رحمه الله بتأليف هذا الكتاب في سيرة الإمام البخاري لإبراز مكانته السامية ومنزلته العظيمة، وجهوده في حفظ السنة النبوية وتدوينها وتوثيقها وفقهها، وفضله على الأمة الإسلامية، وتلقى الأمة كتابه بالقبول والتقدير والعناية والاهتمام على مدى القرون الطويلة وعلى اختلاف مذاهبها ومناهجها، فكان من الطبيعي أن تظهر آثار تلك المشاحنات والانتقادات في أسلوبه في بعض الأحيان كرد فعل لما كان يجري في ذلك الوقت في ساحات الصراع الديني والفكري في ظل الاستعمار الغاشم. ولكن المؤلف رحمه الله يستحق كل ثناء وتقدير

(١) وقد رد عليه العلامة الشيخ أبو القاسم سيف البنارسي رحمه الله بكتابه «الكوثر الجاري» المعروف بـ«حل مشكلات البخاري».

على أنه ظل متمسكاً بالموضوعية والتجرد وروح البحث العلمي ولم ينحرف مع تيار الخلافات والالتهامات المتبادلة التي تضيع فيها الحقائق وتظهر المجادلات العقيمة. واستطاع أن يسمو بفكره وعمله وكتابه فوق كل هذه الخلافات والصراعات^(١) وقدم لنا سيرة الإمام البخاري ومكانته وجهوده وفضله في أسلوب إيجابي جذاب مع العمق في البحث والسلامة في الاستنباط والاستنتاج، والسلاسة في التعبير، ومراعاة التبسيط والتسهيل في عرض الموضوعات الحديثة والفقهية وغيرها ليستفيد منه المتخصصون وغير المتخصصين على حد سواء.

ولقد تجلّى في هذا الكتاب جهد المؤلف وسعة اطلاعه وسلامة تفكيره وحسن نيته وحبّه الصادق للنبي ﷺ وسنته الشريفة وحَمَلَتِها ورُؤُوتِها وفقهائها والعاملين بها. وهذا الذي جعل هذا الكتاب يلقي قبولاً حسناً في أوساط المسلمين في الهند وأثنى عليه العلماء والمحققون عند صدوره. وصدرت للكتاب أربع طبعات باللغة الأردية حتى الآن، كما صدرت له طبعة باللغة الإنجليزية.

ولكن قُرَّاء اللغة العربية كانوا محرومين من هذا الكتاب وما تَضَمَّنَهُ من فوائد وتحقيقات وكأن الله سبحانه وتعالى قدَّر لهذا العاجز - كاتب هذه السطور - أن ينال هذا الشرف. وكان ذلك قبل نحو أربعة وعشرين عاماً حينما كنت أحمّض رسالتي لنيل درجة الماجستير من جامعة أم

(١) ومع ذلك اعتذر المؤلف عن ذلك إن صدر منه شيء من هذا القبيل من غير قصد. فقد ذكر عنه نجله في مقدمته قوله أنه لم يقصد من تأليف هذا الكتاب النيل من أحد ولكن إن وجد شيء من النقد أو الاعتراض على أحد في معرض الدفاع عن إمام المحدثين فإنه من باب الإضطرار. أنظر ص ٣١-٣٢.

القرى بمكة المكرمة (فرع جامعة الملك عبدالعزيز بجدة آنذاك) إذ مررت بظروف عائلية ألزمتني الجلوس في البيت فترة من الزمن فانقطعت عن المكتبات والمراجع فاغتنتمت هذه الفرصة وأخذت كتاب «سيرة البخاري» وبدأت أترجمه بالعربية. ثم انتهت تلك الظروف ورجعت إلى عملي في الرسالة وتمت ترجمة الكتاب في فترات. ولكن الترجمة كانت في حاجة إلى المراجعة، وإلى تعليقات وتخريجات للأحاديث والآثار، وإلى توثيق لأخبار الإمام البخاري التي ذكرها المؤلف بالرجوع إلى مصادرها المختلفة. ولكن لم أجد لذلك وقتاً إذ انشغلت مرة أخرى برسالة الدكتوراه و ببعض الأعمال العلمية الأخرى.

ومن جانب آخر كان فضيلة الدكتور مقتدي حسن الأزهرى وكيل الجامعة السلفية في بنارس شديد الاستعجال لإكمال هذا العمل وطبعه. فلما رأيت أنني لا أستطيع أن أتفرغ لإكماله إلا بعد عدة سنوات ورأيت أن من غير المناسب أن أحبس الكتاب عن الطبع طوال هذه المدة كلها سلّمتُ مسودّاتي للدكتور الأزهرى. ولكن لما كان عملي غير مكتمل طلبتُ منه أن يُكلّف من يراه من أساتذة الجامعة السلفية بمراجعة الترجمة وتوثيق النصوص من المصادر الأصلية، وأن لا يذكر اسمي في الكتاب عند طبعه، فاستجاب لذلك مشكوراً.^(١) وكلف أحد المدرسين بالجامعة للقيام بهذا العمل وهو أخونا الشيخ عزيز الرحمن السلفي وفقه الله. وما علمت اسمه إلا مؤخراً حينما اطلعت على مقالته عن العلامة الشيخ عبيد الله المباركفوري رحمه الله في العدد الخاص بحياته لمجلة

(١) وكان الدكتور الأزهرى حفظه الله قدّم للكتاب بمقدّمة طيبة قيّمة لتلك الطبعة، ولأجل تعدد المقدمات اضطررنا إلى حذفها.

«مُحدَّث» الصادرة في الجامعة السلفية بالهند في شهر رمضان ١٤١٧هـ. وقد بذل جزاه الله خيراً جهداً مذكوراً مشكوراً حتى تم طبع الكتاب في مطابع الجامعة السلفية في بنارس عام ١٤٠٦هـ. ثم صدرت له طبعتان أخريان.

وعلى الرغم من مرور هذه السنوات الطوال ما زلت أشعر في قرارة نفسي أن عليّ أن أعود إلى هذا الكتاب المبارك لأعيد النظر فيه وأحققه كما كنت أريده. ولكن الأعمال المتشابكة المتسلسلة لم تترك لي فراغاً لذلك، حتى وجدت نفسي - وقبل نحو سنة من الآن - مشدودة مرة أخرى إلى هذا الكتاب فبدأت أقلب صفحاته وكلما نظرت فيه ازداد شوقي إليه حتى انقطعت إليه لبعض الوقت فراجعت الترجمة مرة أخرى وحسّنت بعض كلماتها وعدّلت بعض جملها وعباراتها قصداً مني التحسين في التعبير والأداء دون أن يتغير من معنى المؤلف شيء. كما رجعت إلى كل ما أمكن الوصول إليه من المصادر والمراجع التي كان استفاد منها المؤلف رحمه الله وكثير غيرها مما طبع بعده من كتب التاريخ والتراجم وغيرها فاجتمعت لديّ فوائد كثيرة لها صلة بمباحث الكتاب فأضفتها في أماكنها في التعليقات والهوامش.

وكان المؤلف رحمه الله ذكر بعض الفوائد في حواشي الكتاب وقد ميّزتها من غيرها من التعليقات بكتابة كلمة «المؤلف» في آخرها. كما أن نجله العلامة الشيخ عبيدالله المباركفوري أيضاً أضاف بعض الحواشي عند صدور الطبعة الثانية الأردنية من الكتاب وكان قد كتب في نهايتها بين قوسين (عبيدالله).

ومن بعدهما كان أخونا الشيخ عزيز الرحمن السلفي مراجع الطبعة العربية الأولى للكتاب أضاف بعض الحواشي والتعليقات وكتب في

آخرها (المراجع) وحفاظاً مني على جهده تركت تعليقاته كما هي إلا في مواضع قليلة جداً رأيت من المناسب حذفها أو تعديلها ففعلت. فما لم يُكتب في آخره من الحواشي شيء، فهو من عندي.

وكان أخونا المراجع خَرَجَ الأحاديث والآثار والأخبار من مصادر عدة ثم أضفت أنا في كثير من الأحيان مصادر أخرى كثيرة ورتبتها على الترتيب الزمني لوفيات مؤلفيها فصعب التمييز بين ما كان ذكره الأخ المراجع وما أضفته أنا، فتركت ذلك. وقد ذكرت فهرس المراجع في آخر الكتاب، ولكن مما يجدر بالذكر أن هناك كتباً أو طبعات لبعض الكتب طبعت قديماً في الهند ولم تتوفر لدي أثناء المراجعة. فالإحالة إليها كما ذكرها الأخ المراجع جزاءه الله خيراً.

كان المؤلف رحمه الله رتب الكتاب على مقدمة وجزئين وخاتمة وخصص الجزء الأول لبيان سيرة الإمام البخاري وأخباره ومناقبه وثناء العلماء عليه. والجزء الثاني لبيان مؤلفات الإمام البخاري وخاصةً الجامع الصحيح وما يتعلق به وكذلك جهود الإمام البخاري وآرائه في بعض أمور العقيدة وعلوم الحديث وتحدث ببراعة وإسهاب عن فقه المحدثين وجهود الإمام البخاري في هذا المجال. أما الخاتمة فقد ذكر فيها المشهورين من تلامذة الإمام البخاري.

ويظهر من إشارات المؤلف رحمه الله في عدة مواضع^(١) أنه كان ينوي تأليف جزء ثالث أيضاً للرد على الشبهات التي أثارها أصحاب الفرق والطوائف المختلفة حول السنة وأعلامها وخاصةً الإمام البخاري. ولكن يبدو أنمنية عاجلته ولم يكمل هذا الجزء.

(١) أنظر ص ٤٨٥، ٥٩٨، ٦٠٤، ٦٦٦

أما الترجمة العربية فقد رأى الإخوة الناشرون للطبعة الأولى منها - وخيراً فعلوا - أن يقسموا الكتاب إلى مقدمة وتسعة أبواب وخاتمة لتسهيل الوصول إلى مباحث الكتاب ولكن دون أي مساس لكلام المؤلف أو ترتيبه^(١). وبذلك أصبح الكتاب الآن كالتالي:

كلمة المترجم

تقديم: بقلم نجل المؤلف العلامة الشيخ عبيدالله المباركفوري رحمه الله .

المقدمة : بقلم المؤلف رحمه الله

الباب الأول: حياة الإمام البخاري

الباب الثاني: مصنفات إمام المحدثين

الباب الثالث: الجامع الصحيح . منزلته وقبوله لدى الأمة

الباب الرابع: الجامع الصحيح . شروحه والتعليقات عليه، ما لها وما عليها

الباب الخامس: شبهات واهية حول صحيح البخاري

الباب السادس: النقد . نظرة أخرى على صحيح البخاري

الباب السابع: العقائد وعلم الكلام

(١) إلا في مواضع قليلة جداً حيث أضفنا كلمة أو كلمتين لإيضاح بعض الأسماء أو وفياتهم أو بعض العناوين الفرعية وقد وضعت بين قوسين أو معقوفين، فليعلم.

الباب الثامن : الحديث وعلومه

الباب التاسع : فقه البخاري

الخاتمة : تلامذة إمام المحدثين .

وختاماً أشكر الله سبحانه وتعالى على أنه شَرَّفَنِي بِإِنجَازِ هَذَا الْعَمَلِ
وَأَسْأَلُهُ جَلَّ وَعَلَا بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَتَقَبَّلَهُ بِقَبُولِ حَسَنِ
وَأَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِ مُؤَلَّفِهِ وَمُتَرَجِّمِهِ وَكُلِّ مَنْ سَاهَمَ فِيهِ
بِأَيِّ صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ وَأَخْصَ بِالذِّكْرِ مِنْهُمْ الْأَخْوِينَ الْفَاضِلِينَ الشَّيْخَ أَبَا
الْأَشْبَالِ شَاغِفَ وَالشَّيْخَ مُحَمَّدَ عَزِيزَ شَمْسِ الَّذِينَ سَاعَدَانِي كَثِيراً فِي
الْحَصُولِ عَلَى بَعْضِ الْمَرَاجِعِ وَبَعْضِ الْمَعْلُومَاتِ وَالْفَوَائِدِ، فَجَزَاهُمَا اللَّهُ
عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ .

كَمَا أَسْأَلُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ طَلِبَةَ الْعِلْمِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ
وَمَغَارِبِهَا وَأَنْ يَعْفُو عَنَّا زَلَّاتِنَا وَأَخْطَاءَنَا وَيُوفِّقَنَا لِاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ
ﷺ وَيَرْزُقَنَا شِفَاعَتَهُ وَيَتَقَبَّلَ شِفَاعَتَهُ فِينَا يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ
أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
أَجْمَعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . آمِينَ

كتبه

عبدالعليم بن عبدالعظيم البستوي

مكة المكرمة

١٤١٩/١١/٢ هـ

ترجمة المؤلف^(١)

عهدت قرية مُبَارَكْفُور عبر العصور بالعلماء الموهوبين والكتاب الإسلاميين في مجال العلم والدين الذين لم يكن عهد بأمثالهم لأى قرية من الهند، ومن هؤلاء النابغين الذين يخلد ذكرهم في تاريخ مباركفور العلامة أبو الهدى عبدالسلام بن الشيخ خان محمد الذي وُلد في أسرة كريمة مؤقرة لدى أهالي مباركفور، ومعروفة بالعلم والدين والعقيدة والعمل سنة ١٢٨٩هـ.

حصل على الحظ الأوفر من العلم النافع الغزير والعمل الصالح المبارك بفضل ملازمته الشيوخ المفطورين على العلم الديني والعمل الإسلامي من بداية دراسته حتى تخرجه أمثال الحافظ عبدالرحيم المباركفوري (١٣٣٠هـ)، والعلامة عبدالرحمن المحدث المباركفوري (١٣٥٢هـ)، والشيخ حسام الدين المئوي (١٣١٠هـ)، والعلامة الحافظ عبدالله الغازيفوري (١٣٣٧هـ)، والشيخ عبدالحق الكابلي (١٣٢١هـ)، وحصل على سند الحديث من شيخ الكل في الكل السيد نذير حسين المحدث الدهلوي (١٣٢٠هـ)، سنة ١٣٠٩هـ، ومن الشيخ القاضي حسين بن محسن اليماني (١٣٢٧هـ)، سنة ١٣٠٩هـ بدلهلي، وأجازه الشيخ محمد المجهلي شهري (١٣٢٠هـ) للحديث المسلسل بالأولية

(١) هذه الترجمة من إعداد الدكتور مقتدى حسن الأزهرى حفظه الله . وقد أضفتُ إليها بعض المعلومات في هذه الطبعة.

سنة ١٣١٣هـ، وأكمل دراسته في علم الطب والحكمة على الحكيم عبدالولي اللكنوي (١٣٣٣هـ).

نذر حياته بعد تخرجه للتدريس والإفادة في المدرسة الأحمدية بآره، وفي مدرسة صادق فور في بتنه ١٥ عامًا، وفي المدرسة العالية مؤ ٣ سنوات، وفي مدرسة سراج العلوم بونديهار كونده ٤ سنوات، وفي دار الحديث الرحمانية بدهلي حتى آخر لحظاته، وتخرج في هذه الفترة التدريسية الطويلة على يده كثير من التلاميذ من أنحاء الهند.

كانت لديه موهبة كافية واستعداد تام للتأليف والتصنيف، بجانب التعليم والتربية، وكتابه تتميز بالأصالة والتحقيق، والبحث والتنقيب، ورصانة الأسلوب ووضوح العبارة، ودقة التحليل ممن سواه من العلماء والكتّاب، فقد كتب العلامة السيد سليمان الندوي (١٣٧٣هـ) معلقاً على كتابه «سيرة البخاري»:

«كانت الحاجة ماسة نظرًا لأهمية الإمام البخاري في العالم الإسلامي، إلى كتاب قيم يبحث عن حياته وآثاره واجتهاداته، وقد سرّنا جدًا أن الشيخ عبدالسلام المباركفوري قد أدّى هذا الواجب على أحسن طريقة ممكنة. والمؤلف يمثل في هذا الكتاب الأدب الأردني الديني خير تمثيل في سلاسة البيان، وطريقة الاستدلال، واستيعاب الوقائع، وتفصيل المطالب، وتحقيق المسائل. وكتابه هذا يوافق ما نمشي عليه في التأليف». (مجلة «معارف» الشهرية (أردو) أعظم كره: مايو ١٩١٨م).

عُدَّ من المدرسين الناجحين لدي خبراء التعليم والتربية في الهند، وقد أشاد العلامة أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري (١٣٦٧هـ) بموهبته التدريسية النادرة، وكفاءته للأمور الدينية الأخرى بألفاظ مؤثرة مليئة

بالإعجاب والتقدير عند موته، (جريدة «أهل الحديث» الأسبوعية (أمرتسر) ٧ مارس ١٩٢٤م).

كان من المساهمين البارزين في المناقشات العلمية التي كانت تتناول المسائل الدينية المعاصرة والمشاكل العصرية الناجمة، في جريدة «أهل الحديث» بأمرتسر، وكان من أعيان الهند الذين تُوجَّه إليهم الأسئلة لمعرفة حلولها في ضوء الكتاب والسنة، وما توقف إلا وقد انهالت عليه الرسائل من القراء مطالبة بإشتراكه في المناقشة. ومقالاته الممتعة النافعة المنشورة حول المواضيع الدينية المختلفة كثيرة في أضاير جريدة أهل الحديث الأسبوعية بأمرتسر.

كان الحب الجم للعلماء والأساتذة متغلغلاً في صميم نفسه، ويشيد بذكرهم في الكتابة والخطابة، وأبرز دليل عليه أنه كتب في فترات مختلفة تراجم زهاء اثنين وثمانين عالماً في جريدة أهل الحديث الأسبوعية بأمرتسر، فيما بين ١٩١٨م إلى ١٩٢٢م وكان يحث الكتاب على كتابتها بحيث أنها تراث أدبي، وقد لعب الشيخ أبو يحيى إمام خان النوشهروي (١٣٨٥هـ) في هذا المجال لتخليد ذكرى الأعلام السلفيين دوراً هاماً لا ينسى، فجزاه الله أحسن الجزاء.

نوه بالتصوف الإسلامي النزيه في كتبه، ورد على التصوف العصري المزعوم رداً مفحماً بأسلوب علمي مؤثر.

كان ممن يرون إقامة مؤسسة علمية مركزية في الهند من متطلبات العصر المتغير لمقاومة التيارات الجارفة، والحركات الهدامة، والأفكار المستوردة من الغرب، ولاستنهاض همم المسلمين وتزويدهم بالعلوم الإسلامية للدفاع عن حوزة الاسلام.

ابتكر من المؤلفات ما لا يضاهي في بابهِ في البحث والدراسة واستيعاب الموضوع، وكتابه «سيرة البخاري» يعد من أهم المصادر لحياة البخاري (٢٥٦هـ) والدفاع عن صحيحه، وفيه ردودٌ كثيرة على الشبهات التي أثارها كتاب «سيرة النعمان» للعلامة شبلي النعماني (١٣٣٢هـ) وغيره من الطاعنين في الإمام البخاري وصحيحه خاصة، وفي السنة النبوية عامة. وقد طبع عدة مرات، ونال الإعجاب والتقدير من الأوساط العلمية. وكتابه «تاريخ المنوال وأهله» كتاب حافل بالحقائق التاريخية والمساواة الإسلامية ضد من يعتد بالفوارق والامتيازات العرقية في الإسلام، وكان هذا الكتاب جرأة علمية وإيمانية في عصر يحتقر فيه الناس الحائكين وأصحاب الحرف الأخرى، وقد ترك أثرًا طيبًا في الأوساط الإسلامية لتحويل نظرياتهم الفاسدة.

ومن مؤلفاته أيضًا «كتاب التمدن» وكتاب آخر في التصوف، غير مطبوعين.

وله مقالات علمية وبحوث نفيسة منشورة في ثنانيا جريدة «أهل الحديث» التي كانت تصدر في مدينة أمرتسر، لو جمعت لصارت مجلدات.

ومعينه العلمي الصّافي لا يزال يفيض في مؤلفاته وتلاميذه، وبفضل ابنه البار سماحة العلامة المحدث عبيدالله الرحماني المباركفوري صاحب مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح - حفظه الله وتولاه ووفر له الصحة والسلامة وعافاه^(١) - الذي يقوم بخدمة الحديث النبوي الشريف - على صاحبه الصلاة والسلام - شرحًا له، ودفاعًا عنه في

(١) وقد توفي رحمه الله في ٢٢ رجب ١٤١٤هـ.

العصر الحاضر المتطور الذي تكثر فيه الحركات التشكيكية لاستئصال الإسلام من هذه المعمورة. تتدفق عين هذه الأسرة العلمية منذ خمسة أجيال حسبما أعرف، ولا تزال إن شاء الله.

راض نفسه على الدرس والإفادة في مختلف المراكز الدينية بالهند من ريعان عمره، وفي الأخير تفضل بالتدريس والتربية في دار الحديث الرحمانية بدلهي.

كان شديد الولوع بالكتب قراءةً وشراءً. وأثناء إقامته في دهلي - عاصمة الهند السياسية والعلمية آنذاك - وبينما كان راجعاً من سوق الكتب وفي يده كتاب جديد اشتراه. كان يعبر الشارع إذ دهمه فرسٌ جامح بعربة ليس فيها ركاب فوق وقع تحت رجله في شارع جانبدني جوك، ومرت العربة من فوقه وأصيب بجراحات خطيرة أعتت المعالجين، وعقب هذا الحادث بقليل فاضت روحه نقية طاهرة في ١٨/ رجب ١٣٤٢هـ. ويذكر حفيده الشيخ عبيد الرحمن المباركفوري أن الكتاب المذكور مازال في مكتبته وعليه آثار من دمائه. رحمه الله^(١).

كان الشيخ المباركفوري يتميز بكفاءاته للاستمرار بوظيفة التصنيف والتأليف ممن سواه من العلماء. كان مدرساً ناجحاً في جانب، ومصنفاً محققاً، وأديباً بارعاً، ومؤرخاً نقاداً في آخر، واحتل الرياسة والصدارة بين علماء مباركفور لاشتغاله بكتابة التاريخ والتراجم بأسلوب أدبي نزيه شيق.

(١) من الشخصيات المشهورة المعاصرة الدكتور زكي مبارك، الأديب والكاتب المصري، أيضاً توفي بصدمة من «عربة خيل» أدت إلى ارتجاج في مخه قلم يعش غير ساعات. وكانت وفاته في القاهرة سنة ١٩٥٢م (الأعلام ٤٧/٣).

نشاطه في مجال الدعوة والتوجيه

لا يخفى على من له إلمام بطبيعة البلاد الهندية ونفسيات السكان المختلفة أنها مازالت في حاجة ماسة لنشر الدعوة الإسلامية، متطلعة إلى الإرشادات والتوجيهات الدينية، ونظرًا إلى هذه الأهمية ركز العلماء السلفيون جهودهم المستمرة في توجيه المسلمين إلى التمسك بالكتاب والسنة.

وكان الشيخ المباركفوري في مقدمة هؤلاء السلفيين الذين لم يألوا جهدًا في توجيه الدعوة والإرشاد، وتزويد المسلمين بالتعاليم الإسلامية الصحيحة والعقيدة الدينية الصافية من أكدار البدعات والخرافات من أقصى الهند إلى أدناها.

كان له إسهام كبير في مجال الدعوة والإرشاد طوال حياته، كان يشترك في مؤتمرات وجلسات جمعية أهل الحديث الهندية التي كانت تعقد في أقطار الهند المختلفة لتوجيه المسلمين كل سنة عدة مرات. وفي جلسة المذاكرة العلمية بآره مع العلماء البارزين في الهند، وقد لعب دورًا كبيرًا في مجال الدعوة والإرشاد في قريته، وفي أنحاء المراكز العلمية التي زاول التعليم والتربية فيها، خصيصًا في قرى مديرية (كونده) من المقاطعة الشمالية التي لم يكن لها عهد بالعقيدة الإسلامية الصحيحة والتوحيد الخالص النقي يومذاك، وأهاليها لا ينسون فضلهم عليهم أبدًا. وهكذا كان من رواد الدعوة السلفية بالهند في الربع الأول من القرن العشرين الميلادي. عاش سعيدًا، وقضى شهيدًا - إن شاء الله -، فخرست بلاد الهند عالمًا عاملاً، وداعية فاضلاً، ومؤلفاً قديرًا.



وقد أنجب المؤلف أولادًا علماء صالحين وهم:

- ١- الشيخ الحافظ عبدالعزيز رحمه الله وقد توفي في حياة والده.
- ٢- الشيخ المحدث العلامة عبيدالله الرحمانى المباركفوري رحمه الله. صاحب «مرعاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح».
- ٣- الدكتور (الطبيب) محمد عزيز رحمه الله.
- ٤- الشيخ عبيدالرحمن طالب المظاهري الرحمانى رحمه الله.
- ٥- والحمد لله فإن أحفاده مازال فيهم من يحمل الأمانة العلمية ويؤديها تدریسًا وتأليفًا ودعوة وعلى رأسهم الشيخ عبدالرحمن بن عبيدالله المباركفوري، والدكتور الشيخ عبدالعزيز عبيدالله المباركفوري، وقد حصل على شهادة الدكتوراة من جامعة أم القرى بمكة المكرمة بتحقيق كتاب «فتح الباب في الكنى والألقاب» لابن منده.
- رحم الله المؤلف وأولاده رحمةً واسعة وأسكنهم فسيح جناته. ووفق أحفاده بنشر ما لم يطبع من مؤلفاته ومقالاته.

سيرة الإمام البخاري

تأليف

العلامة المحدث الفقيه الشيخ عبدالسلام المباركفوري رحمه الله

١٢٨٩هـ - ١٣٤٢هـ

تقديم

نجله العلامة المحدث الفقيه الشيخ

عبيدالله بن عبدالسلام المباركفوري رحمه الله

١٣٢٧هـ - ١٤١٤هـ

تقديم (١)

بقلم: العلامة المحدث الشيخ عبيدالله الرحمانى المباركفوري رحمه الله
لقد مضت ستة وثلاثون عامًا على الطبعة الأولى من سيرة البخاري (١٣٢٩هـ) ولقد توفي الوالد الكريم مؤلف هذا الكتاب بعد مضي ثلاثة عشر عامًا على طبع الكتاب، والآن هذا الكتاب بين يدي أهل العلم مرة أخرى بعد وفاته بثلاث وعشرين سنة.

لقد تلقاه أهل العلم بيدي القبول وقدروه حق قدره، فقد نفذت الطبعة الأولى بعد مدة قصيرة من صدورها. وكان هذا القبول الذي يُغبط عليه نتيجة لما كان يكنه المؤلف رحمه الله في قلبه من إخلاص النية، ثم الحب الجَمِّ والشغف الكامل بأصح الكتب بعد كتاب الله، ولمصنفه رحمه الله. وكان أثرًا من آثار هذه الخدمة العلمية الرصينة التي قام بها المؤلف. و«إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى».

ولقد كان ينبغي - نظرًا لما لقيه الكتاب من القبول والرضا، ونظرًا لمقتضيات رغبات أهل العلم - أن تظهر الطبعة الثانية من الكتاب في حياة المؤلف نفسه، ولكن الأسف أن بعض العوائق والمتاعب العائلية قد حالت دون المؤلف وتحقيق رغبته في إخراج الطبعة الثانية، حتى انتقل إلى الدار الآخرة، وهو يؤدي واجبه في دار الحديث الرحمانية بدهلي، سنة ١٣٤٢هـ.

(١) كتبت هذه المقدمة للطبعة الأردية الثانية للكتاب عام ١٣٦٦هـ.

كان كاتب هذه الأسطر طالبًا آنذاك في السنة الخامسة في دار الحديث الرحمانية، وكان شقيقاه الأصغران محمد عزيز والشيخ عبيد الرحمن رحمه الله يدرسان في مدرسة القرية بعض الكتب الفارسية الأولية.

انتقل الوالد إلى رحمة الله، فانقطعت عن الأولاد تلك الخيوط المتبقية من الأسباب المادية التي كان من الممكن الاستفادة منها في طبع «سيرة البخاري» وغيرها من مؤلفاته، فلم يكن لدينا إلا العَوَز والإعدام. ومنذ أن بلغنا سن الرشد كنا الثلاثة مهتمين جدًا بطبع هذا الكتاب، ولكن الله قد جعل لكل شيء موعداً، فلم نتمكن من تحقيق أمنيّتنا لطبع هذا الكتاب قبل هذا الوقت، «ولِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ».

كان أخي العزيز الشيخ عبيد الرحمن طالب المَظَاهِرِيّ الرَّحْمَانِي حسن الأخلاق، شريف النفس، سليم الطبع. وكان شاعراً مُجِيداً، وعالمًا جيدًا، وقد وهبه الله ذوقًا لطيفًا، وطبعًا أنيقًا، وحِسنًا مُرْهَفًا، فكان على وجه الخصوص مهتمًا باخراج هذا الكتاب في أحسن حلة، وكان يسعى من أجل ذلك، ولكن خالق الموت والحياة قد قضى له بغير هذا، فجاء أجله المسمى، وودّعنا إلى الأبد مصابًا بالسل الرئوي في العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٦٤هـ، رحمه الله. لقد كان في عنفوان شبابه، وكان مدرسًا في دار الحديث الرحمانية. فانتقلت معه أمانيه لإخراج الطبعة الثانية من هذا الكتاب مكتومة في صدره - إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اغفر له وأسكنه الفردوس الأعلى - رب اغفر لي ولأخي، وأدخلنا في رحمتك، وأنت أرحم الراحمين.

وجاءت الحرب^(١) فأرخت بسُدُولِهَا وناءت بكلّكلها، فارتفعت الأسعار، وغلت لوازم الطبع غلاءً فاحشًا، فلم يعد بإمكاننا (أنا وأخي محمد عزيز

(١) يقصد الحرب العالمية الثانية.

سلمه الله) أن نقوم بطبع الكتاب في تلك الأيام الحالكة. والآن وقد مضت سنة على انتهاء تلك الحرب الشيطانية التي خاضها طواغيتُ العالم، وأصبح من السهل نسبيًا إصدار الكتب العلمية، فاستطعنا بتوفيق من الله وكرمه، ثم بتشجيع من بعض الأحاب المخلصين والأكابر المحترمين أن نقدّم هذا الكتاب بين يدي أهل العلم. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.



لا يخفى على أهل العلم ما لكتاب «هدي السّاري» مقدمة فتح الباري - الشرح المعروف لصحيح البخاري - من أهمية بالغة، حتى لو قيل: إنه لا يكاد يمكن معرفة حقائق صحيح البخاري بدون مطالعته، لما كان فيه شيء من المبالغة، ولكان حقًا صحيحًا. فكذلك لو قلنا: إن من اللازم على دارسي صحيح البخاري الاطلاع على كتاب «سيرة البخاري» لكان حقًا وصوابًا، فهذا هو الكتاب الوحيد في موضوعه في اللغة الأردنية بهذا البسط والكمال.

لقد كان إمام المحدثين مجتهدًا مطلقًا، ومن الممكن معرفة كمال اجتهاده معرفةً حقيقيةً من تراجم أبواب الجامع الصحيح. ولكن كانت الحاجة ماسة إلى أن تتم مقارنة فقه أهل الحديث، وطريقة اجتهاد فقهاء المحدثين بفقه أهل الرأي، وطريقة اجتهاد فقهاء أهل العراق، ويُوضّح الفرق بينهما لكي يعرف طلاب الحق فقه أهل الحديث، ولماذا يُحمَد؟ وفقه أهل الرأي، ولماذا يُرد ويُذَم؟ والحمد لله، فقد تكلم المؤلف رحمه الله ببسط وإيضاح في هذا الموضوع في الجزء الثاني، كما ورد بحثٌ لم يسبق له مثيل حول تراجم البخاري حيث يتضح كمال اجتهاد إمام المحدثين. والحقيقة أن الجزء الثاني من الكتاب هو المظهر الأتم لجهود المؤلف وعنائه. شكر الله مساعيه، وجعلها ذخراً له. وكما قال المؤلف رحمه الله: إنه لم يقصد من

هذا الكتاب الثَّيْلَ من أحدٍ، ولكن إن وُجد شيءٌ من النقد، أو الاعتراض على أحدٍ في معرض الدفاع عن إمام المحدثين فإنه من باب الاضطرار. ولذا أرجو عدم اتخاذ أي رأي من قِبَل أحدٍ إلا بعد قراءة الكتاب بكامله.

* * *

لقد بذلنا أقصى ما يمكن من جهد - في حدود الاستطاعة البشرية - في تصحيح الأخطاء المطبعية التي كانت بقيت في الطبعة الأولى. وإن شاء الله ستكون هذه الطبعة خالية من الأخطاء، كما قمنا بإضافة بعض التعليقات، أو ذكر بعض المراجع مما لم يكن يوجد في الطبعة الأولى، ولكن مع مراعاة أن لا تختلط هذه الزيادة بكلام المؤلف، اللهم إلا في موضع أو موضعين قمنا ببعض التغيير في تعليقات المؤلف لمسييس الحاجة إليه. كما وضعنا فهرسًا شاملًا للمباحث والموضوعات، لأنَّ المؤلف رحمه الله كان يضع عنوانًا، ثم يذكر تحته أمورًا كثيرة مما يمكن أن يذكر بعناوين فرعية. ونسأل الله أن يتقبل جهدنا. ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُثْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف].

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم].

﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الاسراء].

عبيدالله الرَّحْمَانِي الْمُبَارَكُفُورِي

دار الحديث الرَّحْمَانِيَّة، دهلي

١٠ محرم الحرام ١٣٦٦هـ

* * *

المَقْدِمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فَإِنَّ الغَايَةَ من تدوين سيرة شخصٍ ما، أو كتابة ترجمته، أو تاريخه على وجه العموم هي أن يطلع القارئ على التحولات التي مر بها في حياته، فتعتبر بها الأجيال القادمة، وتتجنب تلك الأخطاء التي يجب الابتعاد عنها.

ولكن زيادة على هذه الغاية العامة توجد مميزات أخرى تمتاز بها تراجم أولئك الأئمة الذين يقتدى بهم، والذين ألفت سيرهم لحث الناس على تتبع خطواتهم والنسج على منوالهم، ولكي تأتي الأجيال القادمة، فتصبغ أخلاقها وسلوكها بصبغتهم، ولكي تقتبس أعمالها وعاداتها وشيمها وخصائلها من هولاء الهداة الذين بعثهم الله ليكونوا أسوة للعالم، وكان الهدف من خلقهم نشر دعوة التوحيد، وتعليم دين الفطرة، والتنبيه على علاقة العبودية التي توجد بين الخالق والمخلوق، والتذكير بالدار الآخرة حيث يعيش الإنسان حياته الأبدية بعد موته.

وكانت النتيجة اللازمة لهذه الدعوة استتباب الأمن والسلام في العالم، وازدهار الإنسانية، وأن يتوجه الخلق إلى طاعة الخالق بكل إطمئنان، فيرتقى إلى أعلى المدارج في الحياة الدنيا، ثم ينال الدرجات العليا في الحياة الآخرة التي هي الملجأ والمأوى. وباختصار التمتع بجميع النعم الدينية والدنيوية.

وما من شك في أن القرآن هو أول من أرشد إلى تدوين السير والتراجم الصحيحة المفيدة والمعتبرة، وما نراه اليوم من انتشار التراجم الصحيحة المعتمدة وكثرتها، فإن الفضل فيه راجع إلى ذلك التعليم القرآني، وإن أهل الغرب الذين أصبحوا نجومَ هذا الفن إنما هم عالةٌ على هذا القرآن.

فهل يستطيع أحدٌ أن يبرز لنا ترجمةً أو سيرةً يوثق بها، وجمعت وألفت قبل التعليم القرآني؟ وهذا هو السبب في أن كل ما ألف قبل نزول القرآن من السير ملئء بالآلاف الأخطاء، فلا يمكن الاعتماد، ولا الوثوق به.

وهل النصارى لا يؤمنون بالمسيح؟ فلماذا نرى سيرة المسيح عليه السلام مختلطة متناقضة هكذا؟ وهل اليهود لا يوجدون في العالم؟ أو لا يؤمنون بموسى عليه السلام؟ فلماذا ملئت سيرته بالقصص الواهية والأساطير والتخيلات الفارغة؟ لا شك أن السبب في هذا هو أن هذا الفن فرعٌ للتعليم القرآني، وهم لم يُرزقوا حظاً منه.

أنظروا في تلك الأساطير التي كانت شائعة منتشرة عن ذي القرنين وأصحاب الكهف، لقد جاء القرآن فمزق حُجُبَ الأساطير، وأبرز الصورة الصادقة المفيدة.

لم يقتصر التعليم القرآني على تدوين السير والتزام الصدق والوثوق فحسب، بل أرشدنا إلى غايته أيضاً، فعلمنا أن هذا المخلوق الذي لا يعد ولا يحصى ليس كل واحد منه يستحق أن تدون سيرته، أو تؤلف ترجمته، بل الذين يستحقون ذلك هم المُصْطَفَوْنَ من عباد الله آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسحاق، وإسماعيل، ويوسف، وشعيب، ولوط،

وصالح، وذو الكفل، وزكريا، ويحيى، وأيوب، ويونس، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، عليهم صلوات الله وسلامه، كل هؤلاء ممن هم جديرون بأن تدون سيرتهم.

إقرأ سيرة نوح وقصة آدم ويونس، لقد عُلِّمنا فيها أنه ليس من العدل الاقتصار على جانب واحد فقط في تدوين السير، بل توجيه النقد الصادق أيضاً جزء منه.

وفي موضع من القرآن بعد ذكر عدة من الأنبياء أمر الرسول ﷺ ﴿فَبِهْدْيَتِهِمْ اقْتَدِهْ﴾^(١) توجيه رباني إلى الهدف المنشود في كلمات وجيزة.

وُخِطِبَتِ الْأُمَّةُ كَافَّةً، فجاء لفظ العموم:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢)

وهذا أمر عام، أوجب على المسلمين أن يدونوا سيرة النبي ﷺ، ويجمعوا أحواله ووقائع حياته. وانطلاقاً من هذا الأمر الرباني العام تَوَجَّه المحدثون، الذين لا يمكن للمسلمين أن ينسوا فضلهم في أى لحظة إلى يوم القيامة، فبدلوا قصارى جهودهم وسعوا غاية ما يمكن في حدود الطاقة البشرية حتى جمعوا سيرة الرسول ﷺ وسننه في الحياة بأسانيد معتبرة. ولولا ذلك الجهد العظيم الذي بذله المحدثون لحُرِمْنَا معرفة أحوال نبينا الصحيحة والصادقة، ولتعذر علينا الامتثال بقوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب]

(١) الأنعام: ٩٠.

(٢) الأحزاب: ٢١.

ولو حَدَّثَ ذلكَ لاضطررنا إلى المقاييسات، كما فعل أهل العراق، أو لفسرنا القرآن بالأهواء والآراء، كما فعلت فرقة أهل القرآن^(١)، أو صنفنا قصصاً باطلةً وأساطير واهيةً لإثبات أن الرسول ﷺ هو عين الله، أو ابن الله.

لم تقف جهود المحدثين على هذا الحد فقط. بل دوّنوا تراجم صحيحة وصادقة لخلفائه الراشدين أيضاً، عملاً بقوله ﷺ: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين»^(٢).

(١) فرقة ظهرت في الهند، وهي لا تولي أى اهتمام لسنن الرسول ﷺ وأقواله وتعاليمه، وتفسر القرآن على هواها، وإليكم نموذجاً من مجلة «إشاعة القرآن» التي تُصدرها هذه الفرقة. فقد فسرت قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَلَكُمُ الْيَجِينُ﴾ وَنَدَيْتَهُ أَنْ يَتَابِعْهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمَيْنُ ﴿وَقَدَيْتَهُ يَذْنِبُ عَظِيمٍ﴾ [الصفات].

فقالت: «ثم اتفقا فيما بينهما على الإرشاد القرآني، ولم يتنبه إبراهيم على خطئه، أى أنه خطر في باله أن يلقيه على جبينه، فرددنا عليه رؤياه وخياله الباطل، أى أننا قلنا له يا إبراهيم لماذا تُصَدِّقُ هذه الرؤيا والخيال الباطل، وهكذا جعلناه تحت أعيننا، ولا شك أننا دائماً نحفظ ونعصم جميع الرسل والأنبياء، ولهذا رددنا رؤياه، فقد كانت هذه الرؤيا الباطلة خطأً عظيماً وغلطاً كبيراً واضحاً وقع فيه إبراهيم، وفهمناه بدلاً منه أن يضحّي فقط كما أمر في القرآن، وأن تكون الأضحية سالمةً صحيحةً كاملةً العمر طيبة سميحة - انتهى».

وبهذه العبارة يمكن للقراء أن يفهموا سفاهة هذه الفرقة. (المؤلف)

(٢) جزء من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه المشهور: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون إلخ.. وفيه «فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ» الحديث.

أخرجه أبو داود ٢٠١/٤. السنة. باب في لزوم السنة: ح ٤٦٠٧، واللفظ له. =

ثم خطوا خطوة أخرى، فجمعوا تراجم غيرهم من الصحابة بطريقة موجزة. وكتاب «الإصابة»^(١) وكذلك «أسد الغابة»^(٢)، و«الاستيعاب»^(٣)، كتب قيمة جدًا في هذا الموضوع.

= والترمذي ٤٤/٥. العلم. باب جاء بالأخذ بالسنة واجتناب البدع: ح ٢٦٧٦. وابن ماجه ١٥/١ (المقدمة) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين: ح ٤٢ - ٤٤. وآخرون.

وقال الألباني: صحيح. السنة ١٧/١. ح ٢٧. صحيح ابن ماجه ١٣/١. ح ٤٠ - ٤٢. وللتفصيل يمكن الرجوع إلى إرواء الغليل ١٠٧/٦، ح ٢٤٥٥.

(١) للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢هـ في خمس مجلدات. (المؤلف)

(٢) للعلامة عز الدين ابن الأثير الجزري المتوفي سنة ٦٣٠هـ، كتب فيه تراجم سبعة آلاف وخمسمائة من الصحابة، جمع فيه كتبًا كثيرة، وهي كتب ابن مندة، وأبي موسى، وأبي نعيم، وابن عبد البر، وزاد من غيرها أسماء، وضبط وحقق أشياء حسنة على ما فيه من التكرار بحسب الاختلاف في الاسم والكنية. (المؤلف)

(٣) للحافظ أبي عمر ابن عبد البر الأندلسي القرطبي المالكي المتوفي سنة ٤٦٣هـ. في مجلدين، وهو من أحسن كتب المتقدمين في الصحابة، وأكثرها فوائد. (المؤلف) وهذه الحواشي الثلاثة كتبت بالعربية في الأصل وليست من ترجمتي. وقد طبع كتاب «الاستيعاب» على حاشية «الإصابة» ثم طُبع مفردًا بتحقيق علي محمد البجاوي في أربع مجلدات.

ومن الكتب المهمة في تراجم الصحابة والتي طُبعت مؤخرًا:

كتاب «الآحاد والمثاني» للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك المعروف بابن أبي عاصم النبيل (٢٠٦ - ٢٨٧هـ) ويشمل ١٢٥٠ ترجمة. طبع بتحقيق الدكتور باسم فيصل الجوابرة في ست مجلدات. نشر دار الراية. الرياض. ١٤١١هـ.

و«معجم الصحابة» للإمام أبي الحسين عبد الباقي بن قانع (٢٦٥ - ٣٥١هـ) ويضم ١٢٢٦ ترجمة. حققه صلاح بن سالم المصراطي. نشر: مكتبة الغرباء الأثرية. المدينة المنورة: ١٤١٨هـ.

كما طبع قسم من كتاب «معرفة الصحابة» لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٣٣٦ - ٤٣٠هـ) في ثلاث مجلدات بتحقيق الدكتور محمد راضي بن =

ثم تقدموا خطوة أخرى فقيّدوا أحوال التابعين وهلم جرا، واستمرت هذه السلسلة إلى أيامنا هذه، والفضل فيها راجع للمحدثين، حتى كتب الدكتور اسبرنجر:

«يحق للمسلمين أن يفتخروا بعلم الرجال كما شاؤوا، فلم توجد أمة في الماضي ولا في الحاضر دونت تراجم وسير العلماء خلال اثني عشر قرناً، كما فعل المسلمون، فبإمكاننا الحصول على تراجم خمسمائة ألف عالم من المشهورين من كتبهم^(١)».

ومن الذي لا يعرف تلك الخصائص التي يمتاز بها الإمام البخاري من بين جماعة المحدثين؟ إنه هو الرجل الذي التزم بتدوين سيرة رسول الله ﷺ وأصحابه وغيرهم من مشاهير الإسلام بتراجم صحيحة موثوق بها^(٢). وضحت في سبيل ذلك العمل العظيم بكل ما كان يملكه من غالٍ

= جامع عثمان. نشر مكتبة الدار. المدينة المنورة ١٤٠٨هـ. ثم طبع كاملاً. نشر دار الوطن بالرياض. ١٤١٩هـ في سبع مجلدات.

أما «معرفة الصحابة» لابن مندة وهو من مصادر ابن الأثير فلم يطبع منه شيء حتى الآن فيما أعلم.

(١) مقدمة كتاب «الإصابة لابن حجر» للدكتور اسبرنجر؟ ولم اطلع عليها، وما أثبتته هو ترجمة لما أورده المؤلف بالأردية.

وهو ألويس اسبرنجر (ALOYS Sprenger) بن كرستوفر اسبرنجر طبيب ومستشرق نمساوي. حصل على الجنسية الإنجليزية وعاش في الهند فترة. ونشر وهو في كلكتة كتباً عربية عديدة منها الإصابة وغيرها. كان يحسن خمساً وعشرين لغة. مات في ألمانيا سنة ١٣١٠هـ. (الأعلام ٢ / ٨).

(٢) سنذكر فيما بعد حينما يأتي الكلام في شرح ملفوظات الإمام البخاري أنه كان يرى أن المرء لا يكون محدثاً حتى يعرف مع أحاديث رسول الله ﷺ سيرة أصحابه، وعددهم، وتراجم علماء الأمة، ومواليدهم، ووفياتهم، ومعاشهم، وسكنهم.

ومن هنا نعرف مدى أهمية التضلع في السيرة والتراجم للمحدثين. (المؤلف)

ونفيس من مالٍ ومتاع، حتى بذل حياته فيه ونسي راحة نفسه. والنجاح الذي أحرزه في هذا الصدد يعرفه كلٌ صغير أو كبير، ولهذا لقب «بإمام المحدثين» و«أمير المؤمنين في الحديث»^(١). ووثق الناس كل الثقة بالرواة الذين اختبرهم البخاري والأحاديث التي اختارها، حتى لُقِّب كتابه المشهور الجامع الصحيح بـ«أصح الكتب بعد كتاب الله»^(٢).

لقد قدم الإمام البخاري أسوة حسنة وصورة حية في تحمل المشاق، والجهد، وعلو الهمة مع الاستغناء، والحزم، والحذر، والصدق، والتدين، والورع، والانصاف، وخدمة خلق الله، ونشر العلوم، وأعلى من ذلك وأتم أنه قد أفنى نفسه في اتباع سيرة رسول الله ﷺ، فقدَّم للمسلمين نموذجًا رائعًا لما كان يوجد في خلفاء الراشدين والصحابة من الإتياع والتمسك بسيرة المصطفى ﷺ. أما ما ناله فقه الحديث من رواجٍ وكمالٍ بسببه، فهذا أمر ظاهر.

لقد كان من الظلم أن لا تُدَوَّن سيرة مثل هذا الرجل، والحمد لله فقد اعتنى بها أهل القلم في اللغات المختلفة، وذكروا ترجمته فيما يزيد على مائة كتاب ما بين مختصر ومطول في اللغات العربية والفارسية والتركية والإنجليزية والفرنسية، حسب ما علمته حتى الآن.

ولقد كان ظلمًا عظيمًا أن تحرم لغتنا الأردية من هذه النفائس، فهناك خمسة وستون مليونًا من المسلمين الناطقين بالأردو^(٣)، وهم - عدا أناسٍ - يكونون للإمام البخاري كل حب وتقدير. وبالإضافة إلى

(١) الفوائد الدراري في ترجمة محمد بن إسماعيل البخاري. (المؤلف)

(٢) ليس هذا فحسب، بل وصف من لم يعرف منزلته «باتباع غير سبيل المؤمنين». أنظر حجة الله البالغة ١/ ١٣٤. (المؤلف)

(٣) كان هذا عدد الناطقين بالأردو عندما أُلِّف هذا الكتاب. أما الآن فقد زاد كثيرًا على ذلك.

ذلك نلاحظ في هذه الأيام أن بعض من قَصُرَتْ أنظارهم وفسدت قلوبهم وعقولهم بتقليد ما وجدوا عليه آبائهم يتلذذون بالطعن في الإمام البخاري والنيل منه، وينسبون إليه أموراً لا أساس لها، ولا يستطيعون أن يذكروا لها سنداً، ثم يروّجونها، مع أنهم يعرفون «نتيجة ذر الرماد في وجه الشمس».

لقد كان يعتلج في صدري منذ مدة طويلة أن أوّلف في سيرة إمام المحدثين، إلا أن شعوري بقصر باعي وعدم توفر المواد كانا يحولان دون أن أقدم خطواتي في هذا الطريق. وذات مرة أبدت رغبتى هذه للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، فشجعني، ووضع عندي أكواماً من الكتب وكتب إلى بلاد بعيدة للحصول على المواد، ثم لم يزل يرسل إليّ نسخاً مطبوعةً ومخطوطةً. كما كانت مكتبة المرحوم خان بهادر خدابخش (c.i.) الشهيرة غنيمة باردة ونعمة ربانية.

يؤسفني أنني لم أتمكن من الحصول على كل المواد العلمية التي كان يقتضيها هذا العمل الجليل، ولكن مع ذلك ما تيسر فهو غنيمة، والفضل فيه راجع إلى ما كان يتمتع به العلامة أبو الطيب من طبع محب للعلم^(١)، وإلى مكتبة خان بهادر خدابخش. ولا يسعني إلا أن أقدم

(١) إن مكتبة العلامة شمس الحق العظيم آبادي جديرة بأن ترى، لقد جمع فيها العلامة كتباً نافعةً في جميع الفنون، وهي شغله الشاغل ليل نهار. ويوجد فيها من المراجع في العلوم العقلية، والأدب، واللغة والتاريخ، وفي جميع فنون العلوم الإسلامية، وخاصة الحديث، ما لا يكاد يوجد في كثير من المكتبات المشهورة. وفيها نوادر علمية مخطوطة ما لا يوجد في مكاتب أوربا الكبيرة، ومع هذا كله فإنه يرحب بكل حفاوة وحرارة بكل من يريد الاستفادة منها من أهل العلم، ويعير الكتب أيضاً بقلب رحب واسع. (المؤلف)

[مع الأسف لم يبق الآن من خلف المرحوم من يستفيد من هذه المكتبة، أو =

لهما الشكر الجزيل .

أما الكتب المخطوطة التي استفدت منها كثيرًا فيجدر منها بالذكر: كتاب الأنساب للسمعاني، وطبقات الحنابلة، والتمهيد لابن عبد البر، والعقد المذهب، والفوائد الدراري، وتقيد المهمل، والإمام لابن دقيق العيد، والثقات لابن حبان.

لقد أشار الامام الذهبي في تذكرة الحفاظ^(١)، وكذلك الحافظ ابن

= يفيد غيره: إنا لله وإنا إليه راجعون. عبيدالله الرحمانى].

ثم إن ولده الشيخ محمد إدريس قام باهداء قسم من مكتبة والده إلى مكتبة خدابخش في بتنة ومازال موجودًا فيها أمّا الباقي فقد ضاع جزء منه إبان الاضطرابات الطائفية التي وقعت بين المسلمين والهندوس في سنة ١٩٤٦م حيث لجأ عدد من المسلمين آنذاك إلى بيت العلامة العظيم أبادي فأُتلفوا كثيرًا من الكتب. وأما الجزء الآخر والأهم فقد نُقل إلى باكستان الشرقية مع ابن أخ الشيخ محمد إدريس وصهره محمد أبي القاسم وكان هناك ولا يعرف مصيره بعد الاضطرابات الدامية التي وقعت أثناء حركة انفصال باكستان الشرقية وتحولها إلى بنجلاديش عام ١٩٧١م.

وهكذا تضيع كنوز الأجداد الثمينة إذا لم يوجد في خلفهم من يُقدِّرها حق قدرها.

(ينظر: حياة الشيخ المحدث العظيم أبادي باللغة الأردية بقلم أحنينا الأستاذ محمد عزيز شمس وفقه الله. ص ٧٣ - ٧٤).

(١) قال الذهبي في التذكرة: «قد أفردت مناقب هذا الإمام في جزء ضخّم فيها العجب» (٥٥٦/٢). وقال في تاريخ الاسلام عند نهاية ترجمة الإمام البخاري: «ومناقب أبي عبدالله رضي الله عنه كثيرة، وقد أفردتها في مصنف وفيها زيادات كثيرة هناك.» (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ ص ٢٧٤).

وترجمه في سير أعلام النبلاء ترجمة مطولة بلغت ثمانين صفحة (٣٩١/١٢ -

٤٧١). وذكر الدكتور بشار عوّاد في كتابه «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام» =

الملقن^(١) في العقد المذهب^(٢) والعلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليماني في سبل السلام^(٣) إلى تأليفات لهم مستقلة في سيرة إمام المحدثين، ولكن من أين أجد ذلك الحظ العظيم الذي يمكنني من الوصول إلى هذه الدرر والنفائس. ولكن جلالة قدر هؤلاء المحققين (الحافظ الذهبي، والحافظ ابن الملقن، والعلامة محمد بن إسماعيل الأمير) وحدها خير دليل على مدى أهمية تلك الكتب، وشمولها وندرة ما تشتمل عليها من التحقيقات والتدقيقات والبسط في سيرة الإمام البخاري.

نعم لقد حصلت على كتاب ثمين من مكتبة «خان بهادر خدابخش» وهو «الفوائد الدراري» للعلامة إسماعيل العجلوني^(٤)، وهو كتاب جامع

= ص ٢١٠، أن نسخة من كتاب «مناقب البخاري» للذهبي موجودة في دار الكتب المصرية ضمن مجموع برقم ٩٦٥.

(١) سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأندلسي المصري (٧٢٣-٨٠٤هـ) من مؤلفاته: التذكرة في علوم الحديث. والبدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير وغيرها.

انباء الغمر ٤١/٥ وفيات ٨٠٤هـ. الضوء اللامع ١٠٠/٦.

(٢) «العقد المذهب في طبات حملة المذهب» في تراجم علماء الشافعية. وله نسخ مخطوطة في برلين واستانبول والقاهرة وبتة وغيرها. كما ذكر محقق كتابه «تذكرة الأولياء» ص ٦١. ثم طبع في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٣) سبل السلام ٢٨/١. طبعة دار الكتاب العربي. بيروت. ولفظه «وقد أفردت ترجمته بالتأليف».

(٤) إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحى - نسبة إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه - العجلوني مولداً: ولد في ١٠٧٨هـ ونشأ في دمشق، ومات بها سنة ١١٦٢هـ. من أشهر مؤلفاته «كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس». معجم المؤلفين ٢/٢٩٢.

ولكتابيه: الفوائد الدراري. نسخة أخرى أيضاً في جامعة برسلاو. كما ذكر =

حافل في سيرة الإمام البخاري. والحقيقة أنه هو الكتاب الوحيد الذي تمكنت من الإطلاع عليه من الكتب التي أفردت في سيرة الامام البخاري خاصة، وذلك بعد ما أكملت كتابي هذا، ولكن مع ذلك استفدت كثيرًا من هذا المؤلف المبارك.

وقد وجدتُ نسخةً قديمةً من كتاب «طبقات الحنابلة» للقاضي أبي الحسين محمد بن محمد^(١)، الذي ألف في سنة ٥٢٤هـ، في مكتبة بتنة، وقد نسخت في سنة ٦٣٠هـ من نسخة العلامة عبدالدائم، وقد وردت فيه ترجمة مفصلة مبسطة للإمام البخاري.

ووجدتُ نسخة قديمة للإمام^(٢) في مكتبة العلامة أبي الطيب، ووجدتُ فيه أيضًا أحوال الإمام. كما وجدتُ نسخة قديمة مخطوطة من «تقييد المهمل» للعلامة أبي علي الغساني^(٣) في مكتبة العلامة أبي

= بروكلمان (١٦٤/٣) وسزكين (١٧٤/١). وله أيضًا كتاب «إضاءة البدرين في ترجمة الشيخين» (الإمام مسلم ومنهجه في الصحيح ١١/١).

(١) المعروف بابن أبي يعلى، الحنبلي (٤٥١ - ٥٢٦هـ). سير أعلام النبلاء ١٩/٦٠١. معجم المؤلفين ١١/٢١١.

وكتابه «طبقات الحنابلة» مطبوع ومتداول الآن. وترجمة الإمام البخاري فيه في ٢٧١/١ - ٢٧٩.

(٢) «الإمام بأحاديث الأحكام» لابن دقيق العيد، أبي الفتح محمد بن علي بن وهب المصري القشيري (٦٢٥ - ٧٠٢هـ).

وهذا الكتاب طبع في عام ١٣٨٣هـ بتحقيق الأستاذ محمد سعيد المولوي ثم طبع بتحقيق حسين إسماعيل الجمل. نشر دار المعراج الدولية. الرياض. ١٤١٤هـ، عن خمس نسخ مخطوطة. وعندي هذه الطبعة الثانية منه لكن لا توجد فيه ترجمة للإمام البخاري. والله أعلم.

(٣) هو أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني. نسبة إلى مدينة «جَيَّان» =

الطيب أيضاً، وفيه ترجمة مبسطة للإمام البخاري.

ومن الكتب المطبوعة مقدمة «فتح الباري» وهو مصنف جامع وعديم النظير من كل الوجوه، وما يتصف به الحافظ ابن حجر من التبحر العلمي وسعة النظر وكثرة التأليفات، وقبولها، كل هذا خير شاهد لعظمة هذا الكتاب. وقد خصص آخره لسيرة الإمام البخاري. وكذلك كتاب «تهذيب التهذيب» الذي يُفتخر به وبحق، وقد طبع في اثني عشر مجلداً في حيدرآباد، والحقيقة أنها منة عظيمة لمطبعة دائرة المعارف على جميع المسلمين في العالم.

وما عدا هذه الكتب فقد استفدت بكثرة من «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي و«الطبقات الكبرى» للسبكي و«وفيات الأعيان» و«ميزان الاعتدال» و«تاريخ ابن خلدون مع المقدمة» و«تذكرة الحفاظ» و«معجم البلدان» لياقوت الحموي و«فتح المغيث» و«كشف الظنون» و«حجة الله البالغة» و«تاريخ الكامل» و«التاريخ الصغير» للإمام البخاري و«رجال المشكاة» و«كتاب الأم» للإمام الشافعي و«فتح الباري» و«شرح البخاري» للعيني و«تراجم البخاري» للشاه ولي الله. والكتب الأخرى التي استعنت بها ذكرتها في محلها.

والحمد لله. فكل ما كتبت أخذته من تأليفات المحدثين والمؤرخين المحققين الذين أسسوا فن نقد الرجال وتحقيق الروايات، ووضعوا قواعد التمييز بين الصحيح والغلط.

= بالأندلس. ولد ٤٢٧هـ وتوفي ٤٩٨هـ. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٣٣.

وطبع الآن كتابه «تقييد المهمل» كاملاً في ثلاثة مجلدات بتحقيق علي بن محمد العمران ومحمد عزيز شمس. نشرته دار عالم الفوائد بمكة المكرمة ١٤٢١هـ.

والأسلوب سهل وواضح وبريء من التصنعات الإنشائية والتكلفات الأدبية، وكما أن الإمام البخاري عاش عيشة طاهرة ساذجة، فكذلك ينبغي أن تكون سيرته أيضاً بريئة من كل التكلفات الإنشائية والتصنعات الكتابية، قال شاعر أردني ما معناه:

الجمال الأصلي بريء من التصنع

فلا تطرّيز في رداء الأزهار^(١)

قد يعتبر من الكمال للكاتب الإنشائي أن يجعل من الحبة قبة، ومن الخردلة جبلاً، ولكنه ليس من الكمال في حق المؤرخ الذي يتصدى لإبراز الصورة الحقيقية، في أي حال من أحواله.

ومما يجب الإشارة إليه أن هناك بعض المواضيع في الكتاب قد لا تكون ذات صلة بعامة الناس، لأنها في لون فقهي أو حديثي، بعيد عن الموضوع التاريخي، ولكنني كنت مضطراً إلى ذلك، فلم يكن هناك بُدٌّ من إلقاء نظرة على تأليفات الإمام البخاري، وحسن اجتهاده من خلال تدوين سيرته، فكيف يمكن الإعراض عن هذه الأمور؟

وأكرر الاعتراف بقلة بضاعتي وقصر باعي، فإن هذا عمل جليل، وإن مثلي لم يكن كفؤاً له، ولكن كما قال شاعر فارسي ما معناه:

عجزت السماوات عن تحمّل عبء الأمانة

(١) ترجمة بيت في اللغة الأردنية ونصه:

تكلف سى برى هى حسن ذاتي قبائى كل مين كل بوتاهان هى

فاختاروا لذلك مجنوناً مثلي^(١)

وغنى عن البيان أن إنساناً قد طار صيته واشتهر في جميع أكناف العالم في قوة الاجتهاد والتبحر في العلم، وأصبح يُضربُ به المثل في الصدق، والديانة، والذاكرة الخارقة، والنظر الثاقب، والبراعة في إخراج النكت، وأصبح كتابه «أصح الكتب بعد كتاب الله» وأصبح العاملون بكتابه مائتين وعشرين مليوناً^(٢) عدا أناسٍ معدودين، لا شك أن تدوين سيرة مثل هذا الرجل يحتاج إلى عقل عظيم، وقلب كبير، ونظر ثاقب، واطلاع واسع، ورأى سديد. أما أنا، فكما قيل:

«أنا أعلمُ بنفسِي من غيري»^(٣).

وكما قيل:

«أياز اعرف منزلتك»^(٤).

ولا يسعني إلا أن أقدم شكري الجزيل إلى المولوى محمد يعقوب الصادقپوري أحد وجهاء عظيم آباد الذي وفّر لي في بيته من الهدوء والراحة

(١) ترجمة بيت في اللغة الفارسية ونصه:

آسمان بار امانت نتوانست كشيد قرعه فال بنام من ديوانه زدند

(٢) كان هذا قبل تسعين سنة من الآن. أما الآن فعدد المسلمين في العالم يقارب الألف مليون. والحمد لله.

(٣) ترجمة جملة بالفارسية نصها:

من آنم كه من دانم

(٤) ترجمة جملة بالفارسية نصها:

اياز قدر خود بشناس

ما كان يحتاج إليه هذا العمل العظيم، وفتح لي مكتبته المفيدة النافعة. وأدعو الله أن يفتح له ولأولاده أبواب نعمه الدينية والدنيوية، وأن يغفر لوالدي رحمه الله، الذي كان يتمنى أن يرى تمام هذا التأليف ونشره، ولكنه قد ذهب بأمنيته هذه^(١). وأن يرزق القبول لهذا الجهد المتواضع.

العاجز

عبد السلام المباركفوري عفا الله عنه

(١) هو خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين المحمديون. كان تلاءً للقرآن خاشعاً لله، حافظاً للأدعية المأثورة، متبعاً للسنن النبوية شغفاً بها، مشغلاً بمطالعة الكتب الدينية، عارفاً للحلال والحرام، جواداً خادماً للخلق، صابراً شاكراً. مرض مدة طويلة، حتى توفاه الله يوم الأحد تاسع عشر شوال من سنة ألف وثلاثمائة وسبع عشرين بعد غروب الشمس حين نادى المؤذن لأذان المغرب «الله أكبر» فلباه قائلاً: لا إله إلا الله. فإنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم اغفر له. وقد ولد سنة ١٢٥٧هـ. كذا وجدتُ مكتوباً بخطه.

ثم اعلم أن اسم جدي الفاسد (أب أمي) أيضاً كان أمان الله، وكان رئيس القوم، وكان طبيباً مرجعاً للخلائق. توفي سنة ١٢٩٩هـ، وقد تلمذ على الشيخ الشهير في الآفاق الشاه أبي إسحاق اللهراوي، وهو من تلامذة الشاه عبدالعزيز ومحمد ناصح(*)). وكان من العاملين بالحديث. كذا كتب مولانا عبدالله الاله آبادي (جهاؤ) في رسالة، ثم ظفرت في عظيم آباد برسالة(**) لمولانا الشاه أبي إسحاق اللهراوي الأعظم كرهى، اسمها «نور العينين في إثبات رفع اليدين» وإذا فيها: «لما اتبعتُ الرسول ﷺ لم أبال عصيتُ النعمان، أو السفيان، أو الزهريّ». (المؤلف)

قلت: وهذه الحاشية كُتِبَتْ في الأصل باللغة العربية. وليست من ترجمتي.

* وهو من تلامذة الفاخر الزائر الإله آبادي. (المؤلف).

** في مكتبة الشيخ محمد سعيد المغلفوري. (المؤلف).

الباب الأول

حياة الإمام البخاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده وبه نستعين ، ونصلي ونسلم على رسوله محمد وآله وأصحابه
أجمعين إلى يوم الدين .

الباب الأول

حياة الإمام البخاري

* * *

الإمام البخاري : اسمه ونسبه ومولده

الاسم : محمد . والكنية : أبو عبدالله . واللقب : «إمام المحدثين»
أو «أمير المؤمنين في الحديث» . والنسب : محمد بن إسماعيل بن
إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه بن بدذبه .

ويظهر من الاسمين الأخيرين أن الإمام البخاري كان عجمي
النسل ، وهذا أمر مسلم به على وجه العموم . وقد ذكر المحدثون أن
معنى «بردزبه» الزارع ، وذكر العلامة تاج الدين السبكي في الطبقات
الكبرى : أن والد بردزبه هو بدذبه^(١) ، وقد تفرد بهذا . أما سائر مترجميه

(١) ولفظه كذا «بردزبه» . . . بن بدذبه ، بياء موحدة مفتوحة ثم ذال معجمة مكسورة . . .
وقيل بدل «بردزبه» الأحنف ، وقيل غير ذلك . (المؤلف) وانظر الطبقات الكبرى =

قلت: وقد اختلف في ضبط «بردزبه» جدُّ جدِّ الإمام البخاري على أقوال:

١- «بَرْدِزْبَه» قال ابن ماكولا: براء ودالٍ وزاى وباء معجمة بواحدة. (الإكمال ٢٥٩/١). قال النووي: بَرْدِزْبَه بياءً موحدة مفتوحة، ثم راء ساكنة، ثم دالٍ مهملة مكسورة، ثم زاي ساكنة، ثم باء موحدة، ثم هاء. هكذا قيده أبو نصر بن ماكولا. (ما تمس إليه حاجة القارئ ص ٢٣، تهذيب الأسماء واللغات ٦٧/١/١) وكذا ذكره ابن حجر في مقدمة الفتح وتغليق التعليق معزوًا إلى ابن ماكولا. وقال في مقدمة الفتح (ص ٤٧٧): «هذا هو المشهور في ضبطه وبه جزم ابن ماكولا. وقد جاء في ضبطه غير ذلك».

وهذا القول هو الذي ذكره أبو الوليد الباجي في التعديل والتجريح ٣٠٧/١ وابن عبد الهادي في طبقات علماء الحديث ٢٤٤/٢، والذهبي في المشتبه ص ٦٣. وقدمه في سير أعلام النبلاء ٣٩١/١٢، وكذا ابن حجر في تغليق التعليق ٣٨٤/٥ وغيرهم.

٢- «بَدْدِزْبَه» على وزن القول الأول لكن بتبديل الراء ذالاً معجمة. وقد ذكره ابن حجر في التغليق بصيغة التمریض: «وقيل فيه إلخ». وقدمه المزني في تهذيب الكمال ٤٣١/٢٤. وابن ناصر الدين في تحفة الأخباري ص ١٧٧، ثم ذكرا القول الأول بصيغة التمریض: «وقيل بردزبه».

قال ابن ناصر الدين في التوضيح: وقيدته عن بعض المتقنين «بَدْدِزْبَه» بذال معجمة بدل الراء. (٤٤١/١).

٣- «يَزْدِزْبَه» قال ابن ناصر الدين: «ووجدته مقيداً في موضعين يَزْدِزْبَه بخط أبي جعفر بن أحمد بن محمد العبدي فيما قرأه على أبي مروان عبد الملك بن عبد الله بن مدرك العبدي في غرة شهر ربيع الآخر من سنة ست وثمانين وأربعمائة». تحفة الأخباري ص ١٧٨. وقال في التوضيح: «وقيده بعضهم» يَزْدِزْبَه. بفتح المشاة تحت، وسكون الزاي، ثم ذال معجمة مكسورة ثم موحدة مفتوحة، ثم هاء، وهو غريب والمشهور القولان الأولان. (٤٤١/١).

وقدم ابن خلكان هذا القول في وفيات الأعيان ٩٠/٤. ثم ذكر عن ابن ماكولا

فينتهون بنسبه إلى بَرْدَزَبَه فقط .

ولم يذكر لنا التاريخ شيئاً من أحوال «بَرْدَزَبَه» وأبيه «بَذْذَبَه»، وكل ما نعلمه أنهما كانا فارسيين^(١) وكانا يدينان بدين قومهما .

أنه قال: «يزدزبه» بياء مثناة في أوله . وأظنه تصحيفاً فقد تقدم عن ابن ماکولا أنه ضبطه بالباء الموحدة في أوله وهكذا ذكر عنه النووي وابن حجر وغيرهما .

٤- «يَزْدَزَبَه» قول رابع ذكره ابن ناصر الدين بصيغة التمریض وضبطه . «بمثناة تحت في أوله، ثم زای ساكنة: والباقي كالذي قبله» (التوضیح ١/ ٤٤١) . وهو كما حكاه ابن خلکان عن ابن ماکولا .

٥- «بَرْدَزَبَه» هكذا وقع في «أسامي من روى عنهم البخاري» لابن عدي . وذكر محققه أنه ضبط في الأصل بفتح الباء الموحدة سكون الزای وكسر الدال (ص ٥٨) .

٦- وخارجاً عن هذه الأقوال كلها، قال السبكي أنه قيل في اسمه «بدل بَرْدَزَبَه: الأحنف» كما سبق أن ذكره المؤلف رحمه الله . وهو في الطبقات (٢/ ٢١٢) وكذا ذكره المزني أيضاً في تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٣١ .

وهكذا وقع في نسبه عند أبي نصر الكلاباذي (ت ٣٩٨هـ) في مقدمة كتابه في رجال البخاري حيث قال: «عدة من أخرج أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن أحنف الجعفي مولاهم البخاري الحافظ إلخ» (١/ ٢٣) وهو كذلك في أسامي شيوخ البخاري للصَّغاني (ص ١) .

أما والد بَرْدَزَبَه فإن عامة مترجمي البخاري يفتون في نسبه على بردزبه كما قال المصنف رحمه الله . ولكن وقع في تغليق التعليق للحافظ ابن حجر «بردزبه بن الأحنف..» (٥/ ٣٨٤) . وتفرد السبكي فقال: «بَرْدَزَبَه بن بَذْذَبَه - بياء موحدة مفتوحة، ثم ذال معجمة مكسورة، ثم ذال ثانية معجمة ساكنة، ثم باء موحدة مكسورة، ثم هاء» . وقال: «هذا ما كنا نسمعه من الشيخ الإمام الوالد رحمه الله» (طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢١٢) .

(١) قال الحافظ ابن حجر: كان بردزبه فارسياً على دين قومه (مقدمة الفتح ٤٧٧) وعلى هذا فدعوى المحدثين أن قول الرسول ﷺ: «لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس» أو قال: «من أبناء فارس حتى يتناوله» ينطبق ويصدق على الإمام =

= البخاري، أمر واضح تمامًا لا يحتمل أى تردد أو شك، كما أن أحدًا لا يشك في وجود النهار بعد طلوع الشمس. وهل يمكن أن يتجاهل التاريخ أو يستهين بتلك الخدمات الجليلة التي قدمها الإمام البخاري للإسلام، وقد نقشت على صفحات الزمن بخطوط واضحة جليلة. فلم ولن يمكن أن تمحى وتعفى رسومها بصروف الدهر ومرور الأيام والليالي، إن أوراق التاريخ لا يمكن أن تمحى. نعم لا ننكر أن شرذمة من المسلمين وقعت في شرك الغدائر الأوربية السمراء وسخرتها عيون الإلحاد الزرقاء فسخرت من هذا الخبر الصحيح الصادق واعتبرته لغوًا، وليس هذا بغريب فإنها تحتقر أقوال الرسل كلها ومن أساسها. كما لا ننكر أن طائفة من المسلمين لا تقتنع بأن مصداق هذا الخبر هو الإمام البخاري مع أن خدماته الجليلة قد غطت أرجاء العالم ولم يوفق لعشر معشارها أحد من المسلمين الأعاجم. لا ننكر كل هذا لأننا نشاهد أن بعض المخلوقات لا تستطيع أن تبصر في ضحوة النهار، فإذا كانت عيونهم لا تبصر خدمات الإمام البخاري أو أنها قد انبهرت من شدة الضوء فلا غرابة فيه أبدًا. (المؤلف)

قلت: حديث «لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجلٌ من فارس» - أو قال: «من أبناء فارس - حتى يتناوله». أخرجه مسلم ١٩٧٢/٤. فضائل الصحابة: باب فضل فارس. حديث ٢٣٠ (٢٥٤٦) وهذا لفظه. وأخرجه أحمد أيضًا ٣٠٩/٢ وغيره.

وأخرجه البخاري ٦٤٢/٨. التفسير. سورة الجمعة، باب وآخرين منهم لما يلحقوا بهم. حديث ٤٨٩٧، ٤٨٩٨، وفيه: ... وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجالٌ أو رجلٌ من هؤلاء». وهو عند مسلم أيضًا في الموضع المذكور آنفًا. حديث (٢٣١).

وقد ذكر له أبو نعيم طرقًا وألفاظًا في مقدمة كتابه ذكر أخبار أصبهان ٦٢/١. قال ابن حجر: «وقد أطنب أبو نعيم في أول تاريخ أصبهان في تخريج طرق هذا الحديث». فتح الباري ٦٤٣/٨.

وذكر الحافظ عن القرطبي قوله: «وقع ما قاله ﷺ عيانًا، فإنه وُجد منهم من اشتهر ذكره من حفاظ الآثار والعناية بها ما لم يشاركه فيه كثير من أحد غيرهم». (المصدر السابق ٦٤٣/٨).

وقد أسلم أبو جده «المغيرة» على يَدَي «يمان الجُعْفِي»^(١) حاكم بخارى واستوطن بخارى. وكان العرف السائد أن الانسان إذا أسلم على يدي رجل نسب إلى قبيلته وكانت تسمى هذه النسبة نسبة الولاء في الإسلام، ولم يكن المغيرة بمعزلٍ من هذا العرف العام ولذلك نُسب هو وكل من وُلد له من بعده حتى الإمام البخاري «جعفيًا». قال الحافظ ابن حجر:

«فنسب إليه (الجعفي) نسبةً ولأئ عملاً بمذهب من يرى أن من أسلم على يدي شخصٍ كان له ولأئ، وإنما قيل له «الجعفي»^(٢) لذلك»^(٣).

(١) في تحفة الأخباري «اليمان بن أخنس بن خنيس» (ص ١٧٨) وكذا في نسب عبدالله بن جعفر المسندي في تهذيب الكمال (٥٩/١٦).

(٢) «الجُعْفِي» نسبة إلى «جُعْفِي» كما أن «الْكُرْسِي» ينسب إلى «كرسي». قال في القاموس «جُعْفِي - كُكْرَسِي - ابن سعد العشيرة، أبو حَيٍّ باليمن» (ص ١٠٢٩) مادة جعف، وزاد: (النسبة جعفي أيضاً) وزعم بعض المؤرخين أن «جعفي» نسبة إلى موضع كان يسكنه. ولكنه قول ينقصه التحقيق. (المؤلف)

وانظر أيضاً: الأنساب ٢٩١/٣، اللباب ٢٨٤/١، تاج العروس ١١٤/١٢.

(٣) مقدمة الفتح ص ٤٧٧. وانظر أيضاً: أسامي من روى عنهم البخاري ص ٥٩، الكامل لابن عدي ١/١٤٠، تاريخ بغداد ٦/٢. التعديل والتجريح ٣٠٧/١، تاريخ دمشق ٣٩/١٥ ب، تهذيب الأسماء واللغات ٦٧/١/١، ما تمس إليه حاجة القارئ ص ٢٣، وفيات الأعيان ١٨٨/٤، تهذيب الكمال ٤٣١/٢٤، طبقات علماء الحديث ٢/٢٤٤، سير أعلام النبلاء ٣٩٢/١٢، طبقات السبكي ٢/٢١٢، تحفة الأخباري ١٧٨، تعليق التعليق ٣٨٤/٥.

وقال ابن خلكان: نسبة البخاري إلى «سعيد بن جعفر الجعفي» والي خراسان. وكان له عليهم الولاء فنسبوا إليه (وفيات الأعيان ١٩١/٤) وهو خلاف ما ورد في المصادر الأخرى. والله أعلم.

لم يُنسب بيت الإمام البخاري إلى الرّق أبدًا، فلا نتحمل مشقة نفي ذلك كما تحملها معاصرنا شمس العلماء النعماني^(١) عندما كان يؤلف «سيرة النعمان» فسوّد عدة صفحاتٍ لأجل هذا الغرض.

كذلك لم نجد أى اختلاف في سلسلة نسب البخاري حتى نلجأ إلى التكاليف الباردة الركيكة في تأويلها ونضطر إلى التخمينات البعيدة لتحبير كلمات لا طائل تحتها، نعم لقد كتب بعض المؤرخين أن اسم جده كان «الأحنف» بدلًا من «بردزبه»^(٢).

(١) العلامة شبلي بن حبيب الله البندولي المعروف بشبلي النعماني (١٢٧٤هـ - ١٣٣٢هـ) أديب وكاتب هندي معروف. له كتب طيبة معروفة في السيرة والتاريخ وغيرهما، إلا أنه في كتابه «سيرة النعمان» تحامل كثيرًا على الحديث والمحدثين ووجه إليهم طعونًا واهية. وقد رد عليه العلامة عبدالعزيز الرحيم آبادي ردًا بليغًا بكتابه «حسن البيان».

له ترجمة في نزهة الخواطر ٨ / ١٨٩، الأعلام ٣ / ١١٥.

(٢) كان الأحنف رجلًا عاقلًا، ولذلك إذا استعظموا أحدًا في عقله قالوا له الأحنف، كما أن السخي يقال له «حاتم» والظاهر أن بردزبه كان رجلًا عاقلًا فلذلك لقب بالأحنف مع أن اسمه الحقيقي كان بردزبه.

«الأحنف رجل مشهور بالعقل فضرب به مثل» (حاشية الدارمي ٣٧ طبع المطبع النظامي كانفور بالهند). (المؤلف)

قلت: وهو الأحنف بن قيس التميمي، ثقة مخضرم. من رواة الجماعة، ت ٦٧هـ أو ٧٢هـ كما في التقريب ١ / ٤٩. وله ترجمة مفصلة في سير أعلام النبلاء ٩٧-٨٦ / ٤ قال الذهبي فيها: «أحد من يُضرب بحلمه وسؤدده المثل».

وأشار ابن خلكان إلى سبب آخر لتلقيبه بالأحنف، فقال: «ووجدته في موضع آخر عوض يزذه: «الأحنف». ولعل يزذه كان أحنف الرجل، والله أعلم» (وفيات الأعيان ٤ / ١٩٠) وقد سبق أن بعض المصادر سمّت والد بردزبه «الأحنف» والله أعلم.

والده

والد الإمام البخاري هو «إسماعيل» وكنيته «أبو الحسن» كان من كبار المحدثين، من تلاميذ وأصحاب الإمام مالك. ولكننا مع الأسف لم نعرف له حتى الآن أى مصنف. لقد روى الأحاديث عن حماد بن زيد والإمام مالك وأبي معاوية وغيرهم من علماء عصره، لقي عبدالله بن المبارك واستفاد منه.

ومن تلامذته أهل العراق وأحمد بن حفص ونصر بن الحسين وغيرهما.

ذكر الإمام البخاري ترجمة والده في التاريخ الكبير^(١). وكذلك

(١) التاريخ الكبير ١/٣٤٢-٣٤٣. ونصه «إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو الحسن، رأى حماد بن زيد صافح ابن المبارك بكتلتا يديه. وسمع مالكاً». وفي صحيح البخاري في باب المصافحة من كتاب الاستئذان معلقاً: «وصافح حماد بن زيد ابن المبارك بكتلتا يديه».

قال الحافظ: وصله غنجار في تاريخ بخاري من طريق اسحاق بن أحمد بن خلف. قال سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: «سمع أبي من مالك ورأى حماد بن زيد يصافح ابن المبارك بكتلتا يديه». (فتح الباري ١١/٥٦).

وساق الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢/٣٩٢) والحافظ في تغليق التعليق (٥/٣٨٥) هذا الخبر باسناديهما إلى اسحق بن أحمد بن خلف.

ثم قال الحافظ بن حجر: «وذكر البخاري في التاريخ في ترجمة أبيه نحوه. وقال في ترجمة عبدالله بن سلمة المرادي: حدثني أصحابنا يحيى وغيره عن أبي: إسماعيل بن إبراهيم قال: «رأيت حماد بن زيد وجاء ابن المبارك بمكة فصافحه بكتلتا يديه». ويحيى المذكور هو ابن جعفر البيكندي» (فتح الباري ١١/٥٦). =

الحافظ ابن حبان في كتاب الثقات . ونصه :

«إسماعيل بن إبراهيم والد البخاري يروي عن حماد بن زيد ومالك وروى عنه العراقيون^(١)» .

كان العلامة إسماعيل رجلاً تقيًا ورعًا . يذكر أحمد^(٢) بن حفص :

«دخلتُ على إسماعيل والد أبي عبدالله عند موته فقال : لا أعلم من مالي درهمًا من حرام ولا درهمًا من شبهة» .

= الاستئذان ، الأخذ باليد إلخ . ونحوه في تهذيب التهذيب ١/ ٢٧٥ .

وما ذكر عن ترجمة عبدالله بن سلمة المرادي لم أراه في المطبوع من التاريخ الكبير . والله أعلم .

وقد توفي حماد بن زيد عام ١٧٩هـ . وكذلك مالك . وهذا يعني أن والد الإمام البخاري قام برحلة إلى مكة والمدينة - ولعلها للحج - قبل هذه السنة ، وفي تلك الرحلة سمع من الإمام مالك رحمه الله وهو بالمدينة .

ملاحظة : وقع في المطبوع من سير أعلام النبلاء (٣٩٢/١٢) وفي مقدمة الفتح (ص ٤٧٧) وطبقات السبكي (٢/ ٢١٣) «رأى حماد بن زيد (و) صافح ابن المبارك» وزيادة «و» خطأ غيّر المعنى ، لأن الذي صافح ابن المبارك هو حماد وليس والد البخاري . كما تحرف «صافح» في طبقات السبكي إلى «صالح» .

(١) ثقات ابن حبان ٨/ ٩٨ . وقال السبكي أيضًا : حدّث عن أبي معاوية وجماعة الطبقات الكبرى ٢/ ٢١٣ . وفي التهذيب : «روى عن حماد بن زيد وابن المبارك ، روى عنه يحيى بن جعفر اليبكندی وغيره . ذكر ولده عنه ما يدل على أنه كان من الصالحين .» (١/ ٢٧٤) . وقال الذهبي في السير : «وطلب إسماعيل بن إبراهيم العلم» (١٢/ ٣٩٢) وقال في تاريخ الاسلام في ترجمة البخاري : «وكان أبوه من العلماء الورعين .» (ص ٢٣٩) .

(٢) وقع في الأصل تبعًا لمقدمة الفتح (ص ٤٧٩) «أحيد بن حفص» والتصويب من المصادر الأخرى .

قال ابن حفص: «فتصاغر إلي نفسي عند ذلك»^(١).

ومن جملة الفضائل والمزايا التي اتصف بها الإمام البخاري أنه كان هو وأبوه من المحدثين ومن أصحاب الفضل، ولم يحصل هذا الفضل في المسلمين إلا لأناس معدودين مختارين.^(٢)

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (ص ٢٣٩). سير أعلام النبلاء (١٢/٤٤٧). طبقات الشافعية للسبكي (٢/٢١٣). مقدمة القسطلاني ١/ ٢٦. وزاد في السير: ثم قال أبو عبدالله: «أصدق ما يكون الرجل عند الموت». والظاهر أن «أبو عبدالله» هو البخاري نفسه يروي عنه وراقه.

والخبر بدون قوله: «فتصاغر إلخ» في: تحفة الأخباري ص ١٨٠. تغليق التعليق ٣٩٤/٥.

(٢) ومما يدل أيضًا على علم وفضل والد الإمام البخاري ما يلي:
أ:- روى الخطيب بإسناده عن أبي سعيد بكر بن منير عن البخاري قال: «كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب الجامع - جامع سفيان - في كتاب والذي، إلخ» (١١/٢). كما سيأتي في ص ١٦١ (تعليقًا).

وكلمة «كتاب» يمكن أن تقرأ بضم الكاف وتشديد التاء «كُتَّاب» بمعنى المكتب أو المدرسة وهو الأظهر. فهذا يدل على أن والده كانت له مدرسة وأحمد بن حفص كان معلمًا فيها. ويؤيد هذا ما رواه عنه وراقه إذ قال له: «كيف كان بدءُ أمرِك في طلب العلم؟ قال: ألهمتُ حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب. قلتُ: كم كان سنك؟ قال: عشر سنين أو أقل إلخ». (سير أعلام النبلاء ١٢/٣٩٣ وغيره).
ويمكن أن تُقرأ كتاب - بكسر الكاف وفتح التاء - فهذا يدل أن والد البخاري كان يملك نسخة من «جامع سفيان».

وفي كلا الحالين هذه القصة تدل على اهتمام والد الإمام البخاري بالعلم.

ب:- ذكر المستنير بن عتيق في صدد ذكر تاريخ ولادة الإمام البخاري «أخرج لي ذلك محمد بن إسماعيل بخط أبيه» (تحفة الأخباري ص ١٧٨، مقدمة الفتح ص ٤٧٧. تغليق التعليق ٣٨٥/٥) وكذلك رواه عنه وراقه أيضًا (تاريخ الإسلام ص ٢٤٢). =

= وهذا يدل على ثقافة والده واهتمامه بالتاريخ.

جـ:- قال الذهبي في ترجمة أبي حفص أحمد بن حفص - شيخ البخاري في الكُتَّاب -: «قال الشيخ محمد بن أبي رجاء البخاري: سمعتُ أحمد بن حفص يقول: رأيتُ النبي ﷺ في النوم عليه قميصٌ، وامرأةٌ إلى جنبه تبكي، فقال لها: لا تبكي، فإذا مُتُّ فابكي. فلم أجد من يُعَبِّرُها لي، حتى قال لي إسماعيلُ والدُ البخاري: إن السُّنةَ قائمةٌ بعدُ.» (سير أعلام النبلاء ١٥٧/١٠).

فهذه القصة تدل على أن والد الإمام البخاري كانت له مهارة في تعبير الرؤيا أيضًا، وهذا أيضًا دليلٌ على علمه وفضله وصلاحه واهتمامه بسنة النبي ﷺ.

وأحمد بن حفص راوي هذه القصة هو كما قال الذهبي: «الفقيهُ العلامةُ شيخ ما وراء النهر أبو حفص البخاري الحنفي من أصحاب الإمام محمد بن الحسن، وسمع من وكيع بن الجراح وغيره» ولد ١٥٠هـ وتوفي ببخارا سنة ٢١٧هـ، قال الذهبي: الرواية عنه تَعَرُّ، (سير أعلام النبلاء ١٥٧/١٠). وقد تحرف اسمه في بعض المراجع إلى أحميد.

وهذه الأخبار تدل على أنه كان على صلة وثيقة بوالد الإمام البخاري. ويبدو أن هذه العلاقة استمرت مع الإمام البخاري حتى بعد وفاة والده. فقد ذكر الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح أن أبا حفص أحمد بن حفص هذا كان أنفَذَ بضاعةً إلى الإمام البخاري إلخ، كما سيذكر المصنف بعد قليل عند ذكر أخلاق الإمام البخاري وعاداته. (ص: ١٣٧) ويظهر أن أبا حفص هذا كان متسامحًا معتدلاً في مذهبه: فقد ذكر الذهبي في ترجمة محمد بن سلام البيكندي - أحد شيوخ البخاري - نقلًا عن غنجار: «وكان بينه وبين أبي حفص أحمد بن حفص الفقيه مودةً وأخوةً مع تخالفهما في المذهب. (سير أعلام النبلاء ٦٣٠/١٠) وهو في تهذيب الكمال مع فرق في بعض الكلمات. (٣٤٣/٢٥).

ولكن على عكس من هذا كان ولده المعروف بأبي حفص الصغير وهو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن حفص بن الزُّبرقان من ألدِّ أعداء البخاري وهو الذي تولى كُبرَ إخراج الإمام البخاري من بخارا في آخر عمره (سير أعلام النبلاء ١٢/٦١٧) كما سيأتي.

والدته

كانت والدته الإمام البخاري أيضًا عابدةً صاحبة الكرامات، وقد رُزقت حظًا وافراً من الابتهاال إلى الله والدعاء إليه. وكان الإمام البخاري قد ضاع بصره في صغره وفُقد نوره وعجز الأطباء عن العلاج فرأت أمه في المنام إبراهيم عليه السلام يقول لها:

«يا هذه قد ردَّ الله على ابنك بصره بكثرة دُعائك».

فأصبحت من ليلتها التي رأت فيها الرؤيا وإذا ببصر ولدها محمد قد رجع وعاد إليه نوره^(١).

= هذا ولم أعرف تاريخ وفاة والد الإمام البخاري غير أنه من المعلوم أنه توفي والبخاري صغير. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ومات إسماعيل ومحمد صغير» (هدى الساري ص ٤٧٧). وقال ابن ناصر الدين: «ولما توفي نشأ ولده أبو عبدالله يتيمًا في حجر أمه فأسلمته إلى معلّم إلى أن كمل له عشر سنين» (تحفة الأخباري ص ١٨٠).

(١) أخرجه اللالكائي في شرح السنة (كرامات الأولياء) ص ٢٤٧، الأثر ٢٢٩. وعن طريقه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٩٢/١٢، وابن ناصر الدين في تحفة الأخباري ص ١٧٩، وذكره ابن حجر في مقدمة الفتح ص ٤٧٨ نقلًا عن غنجار في تاريخ بخاري، واللالكائي. وكذا في تغليق التعليق ٣٨٨/٥.

وأسنده أيضًا الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٠/٢ وعن طريقه ذكر ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ٢٧٤/١، والمزي في تهذيب الكمال ٤٤٥/٢٤.

وانظر أيضًا: طبقات الشافعية للسبكي ٢١٦/٢، تحفة الأخباري ص ١٧٩-

١٨٠: تغليق التعليق ٣٨٨/٥.

مع الأسف لم نعرف تفاصيل ذهاب بصره ولا أسبابه إلا أنه عاد إليه وبلغ من القوة حيث أنه استطاع أن يؤلف مسودة التاريخ الكبير في الليالي المقمرة. قال أبو علي الغساني:

«كان محمد بن إسماعيل قد ذهبَ بصره في صباه، وكانت له والدته متعبدة فرأت إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليه في المنام فقال لها: إن الله تبارك وتعالى قد رد بصر ابنك بكثرة دعائك وبكائك، قالت: فأصبحت وقد رد الله عليه بصره^(١)».

(١) تقييد المهمل للغساني (١/١٦/ب) وأسامي شيوخ البخاري للصّغاني ص ٣ بشيء من الاختصار.

«ويتبين مما حققه الإمام الشُّبكي أن الإمام البخاري فَقَدَ بصره مرتين. الأولى في صغره وهو ما يذكره المؤرخون عادة في مناقب والدته. والثانية أيام رحلاته العلمية عندما كان يقطع المسافات الشاسعة في وهج الشمس وحر القيظ وكان في خراسان. فنصح به رجلٌ أن يحلق رأسه ويغلفه بالخطمي فنجحت هذه الوصفة وعاد إليه بصره.» (المؤلف) وانظر طبقات الشافعية للشبكي ٢/٢١٦.

وذكره الذهبي أيضًا في سير أعلام النبلاء عن طريق غنجار بسنده عن البخاري. (١٢/٤٥٢). وروى ابن حجر في تغليق التعليق (٥/٣٨٨) رواية أخرى تؤيد هذا.

هذا ومما يدل على فضل والدته الإمام البخاري وقوة إرادتها وعزيمتها ورغبتها في تربية الإمام البخاري تربية علمية أنها اهتمت بإلحاقه إلى الكتاب حتى بلغ عشر سنين من عمره. قال ابن ناصر الدين: «ولما توفي (أى والده) نشأ ولده أبو عبد الله يتيماً في حجر أمه فأسلمته إلى مُعَلِّمٍ إلى أن كمل له عشر سنين» (تحفة الأخباري ص ١٨٠) ولما بلغ ست عشرة سنة خرجت به وبأخيه أحمد إلى الحج ثم رجعت بعد الحج مع أحمد وتركت الإمام البخاري هناك لطلب الحديث. كما سيأتي.

ومن عائلة الإمام البخاري ورد ذكر أخيه «أحمد» أيضاً حيث قال في صدد ذكر رحلته في طلب العلم: «ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت =

= رجع أخي بها وتخلفت في طلب الحديث» (سير أعلام النبلاء ١٢/٣٩٣. وسيأتي تخريج الخبر فيما بعد). وكان أسنَّ منه. (هدى الساري ص ٤٧٧).

كما ورد ذكر زوجة أخيه أيضًا. فقد روى وراقه محمد بن أبي حاتم قال: سمعتُ أبا عبد الله يقول: ما ينبغي للمسلم أن يكون بحالة إذا دعا لم يُستَجَبْ له. فقالت له امرأة أخيه بحضرتي: فهل تبني ذلك أيها الشيخ من نفسك؟ أو جرّبت؟ قال: نعم إلخ (تاريخ بغداد ١١/٢، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤٨ وسيأتي تخريجها أيضًا).

وكان للإمام البخاري قراباتٌ يرأسلنه ويقرئن عليه السلام وهو بنيسابور وكان يكتب إليهن إلى بخارى. (انظر سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٦).

وكان له أقرباء أيضًا في قرية خَرْتَنَك على بعد فرسخين أو ثلاثة من بخارى ومنهم غالب بن جبريل وكان نزل عنده بعد خروجه من بخارى وتوفي هناك كما سيأتي عند ذكر وفاة الإمام إن شاء الله.

وسيأتي كلام المصنف رحمه الله حول زواج الإمام البخاري وهل ترك ذرية أم لا؟ والتعليق عليه. انظر: ص ١٩٧.

مولده

مولد الإمام البخاريّ هو «بخارى» المدينةُ المعروفة في خراسان. وبخارى مدينةٌ قديمةٌ واسعةٌ رائعةٌ من بلدان ما وراء النهر، وكانت عاصمة المُلوك السَّامانيين قبل الفتح الإسلامي^(١). وتقع على أرضٍ مستوية سهلة على بُعد يومين من جِيحُون، ويضم سورُها مساحة ستة وثلاثين ميلاً^(٢)، وعلى بعد فرسخين منها تقع مدينة «يَكْنَد» (بالكسر وفتح الكاف وسكون النون) وعلى بعد سبعة وثلاثين فرسخاً مدينة سَمَرْقَنْد، كما تقع مدينة مرو على بعد اثني عشر منزلاً من بخارى، وخُوارزم^(٣) على بعد خمسة عشر منزلاً.

ونعرف مدى جمال هذه المدينة ورونقها وبهائها من أن «حافظ» الشيرازي اختار هذه المدينة صداقاً لوصال حبيبه، فقال ما معناه بالعربية:

(١) الأسرة السامانية أسرة فارسية عريقة يرجع أصلها إلى بهرام جور. وقد اعتنق «سامان» الإسلام وتولى بعض أولاده إمارة بعض البلدان في عهد الخليفة مأمون، ثم ولّى الخليفة المعتمد نصر بن أحمد بن أسد بن سامان بلاد ماوراء النهر سنة ٢٦١هـ ومن ثم تأسست الدولة السامانية. واستمرت إلى ٣٨٩هـ (٩٩٩م). انظر تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن ٨٠/٣ - ٨٩.

(٢) في معجم البلدان: فأما بخارى... فهي مدينة على أرض مستوية وبنائها خشب مسبّكٌ ويحيط بهذا البناء من القصور والبساتين والمحالّ والسكك المفترشة والقرى المفصلة سورٌ يكون اثني عشر فرسخاً في مثلها. (معجم البلدان ١/٣٥٣).

(٣) أوله بين الضمة والفتحة والألف مسترقة مختلصة ليست بألفٍ صحيحة، هكذا يتلفظون به. (مراصد الإطلاع ١/٤٨٧).

«لو حقق ذلك الحبيب الشيرازي أمنية قلبي لمنحته سمرقند وبخارى بدل خاله الأسود^(١)».

وقد اختلف المؤرخون في تاريخ فتح بخارى^(٢) واستيلاء المسلمين عليها. وقد ذكر الحموي في معجم البلدان عدة أقوال:

ف قيل: إنها فتحت بيد سعيد بن عثمان الخليفة الثالث في سنة ٥٥ هـ في خلافة معاوية وكان حاكم خراسان من قبل معاوية.

وقيل: فتحها قتيبة بن مسلم أيام إمارة الحجاج سنة ٨٨ هـ أو سنة ٩٠ هـ. وقد ذكر هذا القول العلامة ابن الأثير في تاريخه الكامل^(٣).

وعلى كل حال اتفق المؤرخون على أن المسلمين فتحوها في خلافة

(١) والنص الفارسي للبيت هكذا:

أكر آن ترك شيرازى بدست آرد دل ما را بخال هندوش بخشم سمرقند وبخارا را
و«حافظ» هو شاعر فارسي كبير. اسمه شمس الدين بهاء الدين الأصفهاني، عاش في شيراز ومات بها سنة ٧٩١ هـ. كان يلقب نفسه في الشعر بـ«حافظ» على عادة الشعراء في بلاد فارس والهند حيث يختارون لأنفسهم لقبًا شعريًا يسمونه «التخلص» ويتخلصون به من الاسم الحقيقي الطويل، وغالبًا ما يذكرون هذا التخلص في البيت الأخير من قصائدهم ليعرف قائلها.

وهو أحد الشعراء الأربعة الكبار في اللغة الفارسية وهم: سعدي، وفردوسي، وخيام، وحافظ. له ديوان شعري مطبوع باسم «ديوان حافظ».

(٢) مدينة بخارى يضرب بها المثل في الخصبة في بلاد ما وراء النهر، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «ولا شك أنها مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه جيدتها». وقد ذكر قولاً لمصنف كتاب الصُور يدل على روعة هذه المدينة: «وأما نزهة بلاد ما وراء النهر فاني لم أر ولا بلغني في الإسلام بلدًا أحسن خارجًا من بخارى». (انظر معجم البلدان ٣٥٣/١) (المؤلف).

(٣) الكامل لابن الأثير ٥٣٥/٤، ٥٤٢ سنة ٨٩ هـ و ٩٠ هـ.

بني أمية، وما زالت حتى الآن تحت سيطرة المسلمين^(١).

وقد ذكر ياقوت الحموي حديثاً طويلاً من طريق حذيفة بن اليمان الصحابي في فضل بخارى، ولأجل هذا الحديث تمنى الصحابي أن يكون هو الذي فتح بخارى، ونُسب هذا الحديث إلى الرسول ﷺ بسندٍ طويلٍ إلا أنه من الصعب ثبوت هذا الحديث^(٢).

لقد وُلِدَ محمد بن إسماعيل - الذي كان من المقدّر له أن يُلقَّبَ «بإمام المحدثين» و«أمير المؤمنين في الحديث»، و«سيد الفقهاء»، والذي كانت الأقدار قد رشحته لتجديد السنة النبوية وإحيائها - في هذه المدينة بخارى في ١٣ من شهر عيد الفطر سنة ١٩٤هـ - بعد صلاة الجمعة فكأنه قد طلع كهلال العيد.^(٣)

(١) وقد استولى عليها الشيوعيون سنة ١٣٣٩هـ. ثم بعد تفكك ما كان يسمى «بالاتحاد السوفيتي» تقع الآن في جمهورية أوزبكستان.

(٢) معجم البلدان ١/٣٥٤. وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٣٢٢ تحقيق نور الدين شكري، باب فضل بلدان شتى من خراسان) وقال: هذا حديث لا يُشكُّ في وضعه. وانظر أيضاً: اللآلي المصنوعة ١/٤٦٧، الفوائد المجموعة ص ٤٣٤.

(٣) أسامي من روى عنهم البخاري لابن عدي ص ٦٠، الكامل لابن عدي أيضاً ١/١٤٠، تاريخ بغداد ٢/٦، تقييد المهمل ١/١٤/ب، تهذيب الكمال ٢٤/٤٣٨، تحفة الأخباري ص ١٧٨، تغليق التعليق ٥/٣٨٥، مقدمة الفتح ص ٤٧٧.

وقال النووي: «واتفق العلماء على أن البخاري رحمه الله ولد بعد صلاة الجمعة بثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة». ما تمس إليه حاجة القارئ ص ٢٣، تهذيب الأسماء واللغات ١/٦٧-٦٨.

وروى الخليلي في الإرشاد بسنده عن أبي حسان مهيب بن سُليم يقول: سمعت محمد ابن إسماعيل البخاري يقول: وُلِدْتُ يوم الجمعة بعد الصلاة لثنتي عشرة ليلة خلت من شوال إلخ (٣/٩٥٩) وعنه وفيات الأعيان ٤/١٩٠، وتغليق التعليق ٥/٣٨٥.

قال الجامي ما معناه بالعربية: السكة التي ضربت في البطحاء ويشرب قد انتهى ضربها في بخارى^(١).

وذكر البخاري أنه وجد تاريخ ميلاده مكتوبًا بخط والده^(٢).

وقد أنجبت أرض بخارى كثيرًا من أهل الفضل والكمال غير الإمام البخاري، ومنهم أبو علي ابن سينا^(٣) الذي لُقِّب بالمعلِّم الثاني في الفلسفة اليونانية والمنطق والطب، وقد بلغ مرتبة الوزارة، وتوفي سنة ٤٢٨هـ^(٤).

(١) والنص الفارسي للبيت هكذا:

سكه كه در يثرب ويطحاء زدند نوبت آخر به بخارا زدند

«والجامي» هو عبدالرحمن بن محمد، الشيرازي، ولد في قرية جام، بخراسان. عالم وشاعر فارسي، صوفي النزعة. ت ٨٩٨هـ. الفوائد البهية ص ٨٦، معجم المؤلفين ١٢٢/٥.

(٢) قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق: «قال لي أبو عمرو المستنير بن عتيق: سألت أبا عبدالله محمد إسماعيل متى وُلِدْتَ؟ فأخرج إليَّ خط أبيه: ولد محمد بن إسماعيل يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة». تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٤٢، تحفة الأخباري ص ١٧٨ واللفظ له. تغليق التعليق ٣٨٥/٥، مقدمة الفتح ص ٤٧٧ وفيها: «وجاء ذلك عنه من طرق».

(٣) هو حسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ثم البخاري، ويلقب بالشيخ الرئيس، أبو علي، فيلسوف، طبيب شاعر، مشارك في أنواع العلوم. من تصانيفه الكثيرة: القانون في الطب، لسان العرب في اللغة، ولد بخريشن من قرى بخارى ٣٧٠هـ = ٩٨٠م توفي بهمدان ٤٢٨هـ = ١٠٣٧م. الأعلام للزركلي ٢٦١/٢ معجم المؤلفين ٢٠/٤ (المراجع).

(٤) معجم البلدان ٣٥٦/١.

ومن كبار المحدثين والعلماء في بخارى ممن ذكرهم الخليلي في الإرشاد:

- عيسى بن موسى المعروف بغُنْجَار ت ١٨٦هـ.. عبدالله بن محمد المُسْتَنَدِي، من =

= شيوخ الإمام البخاري ت ٢٢٩هـ.

- محمد بن سَلَام البَيْكَنْدِي، من شيوخ الإمام البخاري ت ٢٢٥هـ.

- صالح بن محمد البغدادي، المعروف بِجَزْرَة، انتقل إلى بخارى ومات بها ت ٢٩٣هـ.

- إبراهيم بن معقل النسفي ت ٢٩٥هـ.

- إسحاق بن حمزة البخاري ت بعد ٢٧٠هـ.

- أبو عَصَمَة سَهْل بن الْمُتَوَكِّل البخاري، ثقة مرضي. سمع القعنبى والحوضي وغيرهما.

- محمد بن يوسف البَيْكَنْدِي، ثقة متفق عليه كما قال الخليلي.

- أبو حسان مَهْيَب بن سُلَيْم، ثقة متفق عليه مكث عن البخاري.

- أبو النصر أحمد بن سهل البخاري الفقيه، ثقة متفق عليه. روى عنه حفاظ بخارى.

كما أن هناك عدة كتب أُلِّفَتْ في تاريخ بخارى ومنها:

١- «تاريخ بخارى» لأبي بكر محمد بن جعفر التُّرَشِيخي ت ٣٤٨هـ.

أهداه إلى نوح بن نصر الساماني سنة ٣٣١هـ. وترجمه بالفارسية أبو نصر أحمد بن أحمد بن محمد القبأوي في سنة ٥٢٢هـ، وله نسخ عديدة محفوظة. ومختصر مطبوع، (بروكلمان ٢٩/٣، سزكين ٥٦٨/١).

٢- «تاريخ بخارى» لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن غُنْجَار، (٣٣٧هـ - ٤١٢هـ).

قال السخاوي: «واختصره السلفي، والأصل عندي» (التوبيخ لمن ذم التاريخ ضمن كتاب «علم التاريخ عند المسلمين» لفرانز روزنتال، ترجمه الدكتور صالح أحمد العلي ص ٦٢).

ولا تعرف له نسخ الآن. ولكن استفاد منه الخطيب البغدادي، وابن بشكوال، وابن السمعاني. . . والذهبي وغيرهم.

وعليه ذيل لأحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن مامة ت ٤٣٦هـ، (تاريخ التراث العربي ١/ ٥٧١هـ، موارد الخطيب البغدادي ص ٢٧٧ - ٢٧٨).

٣- وأفاد روزنتال أن البيهقي يذكر في تاريخ بيهق ص ٢١ «تاريخ بخارى وسمرقند لمؤلف اسمه سعد بن جناح. (علم التاريخ عند المسلمين ص ٦٢١).

نشأته وتعلمه وشيوخه

بعد ما عرفنا أحوال أبوي الإمام البخاري ولو بإيجاز نستطيع أن نتوسّم طريقة تربيتهما للإمام البخاري وتعليمه. وقد ذكر الإمام القسطلاني قولاً جامعاً لأحد المحدثين إذ قال:

«فقد ربّي في حِجرِ العلم حتى ربّا وارتضع ثدي الفضل فكان فطامه على هذا اللَّبّ^(١)».

لقد توفي والدّه إسماعيل وكان البخاريّ صغيراً^(٢) فعادت كفالته إلى أمه، ولما بلغ سن التمييز مال قلبه إلى حفظ الأحاديث وتحقيقها والعلوم الإسلامية. وكيف لا وقد ورثه من والده العظيم. قال محمد ابن أبي حاتم الوراق^(٣):

«سمعت البخاري يقول: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب.

قال الوراق قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟

فقال: عشر سنين أو أقل^(٤)».

(١) مقدمة القسطلاني ٢٧/١، واللّبّ هو أول اللبن عند الولادة قبل أن يرق (المعجم الوسيط).

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٧٧. وانظر أيضاً: تاريخ الإسلام ص ٢٣٩، تحفة الأخباري ص ١٨٠. طبقات السبكي ٢/٢١٣. «ونشأ يتيماً».

(٣) هو: أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق، كاتب البخاريّ، وذكر المصنف ترجمة مختصرة له في آخر هذا الكتاب عندما ذكر تلامذته. (المراجع). وله كتاب ضخّم في سيرة البخاري سماه «شمائل البخاري» (سير أعلام النبلاء ١٢/٣٩٢) لا يعرف وجوده الآن ولكن استفاد منه مترجمو الإمام البخاري كالخطيب وغيره كثيراً.

(٤) تاريخ بغداد ٦/٢، تقييد المهمل ٤/١/ب. تاريخ دمشق ٤٧/١٥/أ، تهذيب =

ومن هذه السن المبكرة بدأ يشترك في حلقات المدرسين.^(١)

وقد حدث في بداية طلبه أن العلامة الدّاخلِي - وكان من كبار المحدثين في بخارى في ذلك العصر - وكانت له حلقة رائعة مشهورة^(٢) - كان يُدرّس ذات مرة حسب عادته، وكان البخاريّ أيضًا يسمع فقال الدّاخلِي في إسناد حديث: «سفيان عن أبي الزُّبَيْر عن إبراهيم».

فقال البخاريّ: «إن أبا الزُّبَيْر لم يَرَوْ عن إبراهيم»، وكان يريد أن ينبهه على خطئه في هذا السند، ولكن الدّاخلِي دهشَ لما سمع هذا الصوت وانتهره ولكن البخاريّ قال بكل بهدوء: «ارجع إلى الأصل إن كان عندك».

فدخل الدّاخلِي وراجع الأصل فاعترف بصحة قول البخاريّ وانتبه لخطئه إلا أنه أجل تصحيح السند، وترك من باب الإنصاف أو بإرادة الاختبار تصحيحه إلى الإمام البخاريّ فلما خرج قال له:

«كيف هو يا غلام؟»

= الكمال ٤٣٩/٢٤، تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٣٩. سير أعلام النبلاء ٣٩٣/١٢، تحفة الأخباري ص ١٨٠، تغليق التعليق ٣٨٦/٥، مقدمة الفتح ٤٧٨.

(١) قال الذهبي: «وَحُبِّبَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ مِنَ الصُّغَرِ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ ذِكَاؤُهُ الْمَفْرُطُ» تاريخ الإسلام ٢٣٩.

(٢) يظهر ذلك من القصة التي ذكرها المصنف هنا. ولم أجد له ترجمة مستقلة. وقال الحافظ ابن حجر: «الدّاخلِي المذكور لم أفق على اسمه، ولم يذكر ابن السَّمْعَانِي ولا الرُّشَاطِي هذه النسبة. وأظن أنها نسبة إلى المدينة الدّاخلَة بنيسابور». (تغليق التعليق ٣٨٧/٥).

فأجاب البخاريُّ مرتجلاً هو هكذا «الزبير - وهو ابن عدي - عن إبراهيم»

فأخذ القلم وأصلح كتابه، وقال: صدقت.

قال: فقال له إنسان: «ابن كم كنت حين رددت عليه؟»

فقال: «ابن إحدى عشرة سنة^(١)».

وكما أن البخاري ألهم حفظ الأحاديث منذ العاشرة من عمره، وما زالت هذه الرغبة تنمو وتزداد فيه، كذلك كان حريصاً على تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها، ومعرفة علل الحديث والإطلاع على أحوال رواة الحديث ومعرفة عدالتهم وضبطهم وأمانتهم وصدقهم ومعاشتهم ومسكنهم ومولدهم ووفياتهم ولقائهم فيما بينهم، ومقارنة الأسانيد بعضها ببعض، ومعرفة اتصالها وانقطاعها، والبلوغ بالفنون الحديثية إلى أسمى مكانتها، واستنباط المسائل من الأحاديث وجمعها ومقارنتها بالآيات القرآنية.

وخلاصة القول أن البخاري كان مغرمًا بهذه الأمور كلها منذ البداية ومع مرور الأيام وانقضاء الليل والنهار كانت هذه الأفكار تترسخ في قلبه وتتقوى.

(١) تاريخ بغداد ٧/٢، مقدمة الفتح ٤٧٨، مقدمة القسطلاني ٢٧/١، المنتظم ١٢/١١٥، تاريخ الاسلام ص ٢٤٣، سير أعلام النبلاء ٣٩٣/١٢، تهذيب الكمال ٢٤/٤٣٩، طبقات الشافعية للسبكي ٢/٢١٦، تعليق التعليق ٣٨٦/٥، تحفة الأخباري ص ١٨١.

شيوخه الكبار في بخارى

عندما بدأ الإمام البخاري طلبه لقد كان محمد بن سلام البيكندي ومحمد بن يوسف البيكندي وعبدالله بن محمد المُسندي وإبراهيم بن الأشعث وغيرهم من الشيوخ كانت لهم مجالس مرموقة وكانوا يعتبرون من كبار المحدثين الذين يرجع إليهم، فكان البخاري قد ارتوى من مناهل هؤلاء المشايخ في مبدأ طلبه.

محمد بن سلام البيكندي

عاصر الإمام مالكا، وروى عن عبدالله بن المبارك وابن عيينة، وأنفق ثمانين ألف درهم في طلب العلم ونشره، وقد انكسر قلمه مرة وهو في مجلس شيخه فنادى بأن كل من أتى بقلم يُعطى دينارا، فصار الناس يأتون إليه بالأقلام حتى بلغت المئات واشتراها. قال الإمام أحمد: روي عن ابن سلام البيكندي خمسة آلاف حديث موضوع فقط. توفي في سنة ٢٢٥هـ^(١).

(١) قال عبدالله بن شريح: وكان محمد بن سلام من كبار المحدثين، وله حديث كثير ورحلة، وذكر في الحديث وله مصنفات في كل باب من العلم. (تهذيب الكمال ٣٤٣/٢٥) وهو في سير أعلام النبلاء أيضا لكن عزاه إلى محمد بن أحمد غنجار من قوله (٦٣٠/١٠).

وقد اختلف في تثقيب اللام أو تخفيفها في اسم والده «سلام» حتى ألفت رسائل في هذا الموضوع. وللحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢هـ) أيضا رسالة بعنوان «رفع الملام عن خفف والد شيخ البخاري محمد بن سلام» حققها =

عبدالله بن محمد المُسنَدِيّ

قيل له «المُسْنَدِيّ» لاعتنائه بالأحاديث المسندة وهو من تلامذة فضيل بن عياض وابن عيينة والمُعْتَمِر بن سُلَيْمَانَ. ولد في سنة ١١٢هـ، وتوفي سنة ٢٢٩هـ. قال أحمد بن سيّار: عُرِفَ بالضُّبُطِ والإِتْقَانِ. قال الحاكم: «هو إمامٌ في الحديث في عصره بما وراء النهر بلا مدافعة» وهو حفيدُ اليمان الجعفي الذي أسلم على يديه جدُّ الإمام البخاريّ^(١).

= أخونا الأستاذ محمد عزيز شمس. ونشرت ضمن كتابه «روائع التراث» نشر الدار السلفية بومبائي، الهند. ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

وقال ابن حجر: هو بتخفيف اللام على الصحيح... وقد صنف المنذري جزءًا في ترجيح التشديد ولكن المعتمد خلافه. (فتح الباري ١/ ٧١). والبيكنديّ: «بكسر الموحدة وسكون التحتانية وفتح الكاف وسكون النون» (التقريب ٢/ ١٦٨).

وتاريخ وفاته ٢٢٥هـ هكذا في التاريخ الكبير (١١٠/ ١) والصغير (٣٥٣/ ٢) وتهذيب الكمال (٣٤٤/ ٢٥) وسير أعلام النبلاء (٦٣٠/ ١٠) وغيرهما. ولكن وقع في التهذيب (٢١٣/ ٩) والتقريب (١٦٨/ ٢) ٢٢٧هـ وهو كذلك في رجال صحيح البخاري نقلاً عن البخاري. والله أعلم.

وينظر لترجمته أيضًا: الكنى والأسماء لمسلم ٤٩٦/ ١، الجرح والتعديل ٧/ ٢٧٨، تقات ابن حبان ٧٥/ ٩، أسامي من روى عنهم البخاري لابن عدي ص ١٣٨، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ٣٣٣/ ١، رجال صحيح البخاري ٦٥٣/ ٢، الارشاد للخليلي ٩٥٧/ ٣، الأنساب ٤٠٤/ ٢، تذكرة الحفاظ ٤٢٢/ ٢. وغيرها.

وما ذكره المصنف عن الإمام أحمد: «رويتُ عن ابن سلام البيكندي خمسة آلاف حديث موضوع» لم أجده في هذه المراجع. نعم فيها قوله: «إني لأحفظ نحو خمسة آلاف حديث (سير أعلام النبلاء ٦٣٠/ ١٠، التهذيب ٢١٢/ ٩) والله أعلم.

(١) ثقة حافظ، جمع المسند، من العاشرة. (التقريب ص ٥٤٢، تحقيق أبي الأشبال).

وينظر أيضًا لترجمته: التاريخ الصغير ٣٥٨/ ٢، التاريخ الكبير ١٨٩/ ٥، الجرح =

إبراهيم بن الأشعث

من علماء بخارى، روى عن فضيل بن عياض وابن عيينة، ومن تلاميذه «ابن حميد» صاحب مسند الحميدي^(١) المشهور.

= والتعديل ١٦٢/٥، ثقات ابن حبان ٣٥٤/٨، تاريخ بغداد ٦٤/١٠، تهذيب الكمال ٥٩/١٦، سير أعلام النبلاء ٦٥٨/١٠، التهذيب ٩/٦ وغيرها.

(١) إبراهيم بن الأشعث، هذا له ترجمة في ثقات ابن حبان (٦٦/٨) كما أحال إليه المصنف رحمه الله. وفي لسان الميزان (٣٦/١). وقال فيه ابن حبان: «يُغرب ويتفرد ويخطيء ويخالف».

ولكنه ليس من شيوخ البخاري. إنما شيخ البخاري هو «هارون بن الأشعث، كما في تهذيب الأسماء واللغات (٧١/١/١). وذكر المزي في تهذيب الكمال (٧٩/٣٠) وابن حجر في التهذيب (٣/١١) في ترجمة هارون هذا أنه «روى عنه البخاري». وقال البخاري في التاريخ الأوسط: «حدثنا أبو عمران هارون بن أشعث شيخ لنا ثقة. (تهذيب الكمال ٧٩/٣٠، وهو في المطبوع من التاريخ الأوسط ١٩٨/٢ تحقيق الأستاذ محمد بن إبراهيم اللحيان). وقال الحاكم: محمد بن إسماعيل إمام أهل الحديث، سمع ببخارى هارون بن الأشعث، و... (سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٢).

وإنما وقع المصنف رحمه الله في هذا الخطأ لأنه وقع كذلك في مطبوعة طبقات الشافعية الكبرى. وقد صُحِّحَ ذلك في الطبعة الجديدة منها التي حققها الأستاذان عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي بعد المقارنة بالنسخ المخطوطة وقد نبها على ذلك في الحاشية (٢١٣/٢).

ثم إن هناك خطأ آخر وهو قوله «ومن تلاميذه «ابن حميد» صاحب مسند الحميدي» فالذي روى عن إبراهيم بن الأشعث هو «عبد بن حميد» صاحب المسند المعروف باسمه. ولكن وقع في المطبوع من لسان الميزان (٣٦/١) «عبد بن حميد». ولعل المصنف أدرك بفراسته وخبرته أن كلمة «عبد» محرفة - ومثل هذا التحريف كثير في لسان الميزان طبعة حيدر آباد - ولكنه لم يجد نسخة أخرى =

لقد سمع منهم الإمام البخاري أحاديث كثيرة، ولم يبلغ السادسة عشرة من عمره إلا وقد جمع قدرًا كبيرًا من الأحاديث، وأخذ مرويات مشايخ بلده الثقات الذين كان يؤخذ منهم، وحفظ كتبَ عبد الله بن المبارك التي أعدمتهَا صروف الدهر^(١). وأصبح على علم كامل بأقوال أهل الرأي ومسائلهم الاجتهادية، وعرف أساتذته ومشايخه قدره ومكانته حتى إن كثيرًا من كبار الشيوخ الذين كانوا يُعَدُّون من أئمة الفن في ذلك العصر كانوا يَهَابُون حضورَ البخاري في دروسهم ويترددون في الرواية خوفًا من أن يقع منهم خطأ أو وهمٌ عند البخاري^(٢). وكانوا يعرضون

= صحيحة من لسان الميزان حتى يجزم بذلك. وثقات ابن حبان لم يكن مطبوعًا آنذاك. فاكْتَفَى بذكر «ابن حميد» وظن أنه «الحميدي» منسوبًا إلى أحد أجداده. فالحميدي هو: عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله بن حميد... القرشي، الحميديُّ المكي، وهو صاحب «مسند الحميدي» المعروف. (سير أعلام النبلاء ٦١٦/١٠). رحمهم الله رحمة الأبرار الصالحين.

(١) ونحمد الله على أن ظهر منها كتاب الجهاد، وكتاب الزهد والرقائق. (المراجع) كما طبع «مسند عبد الله بن المبارك» بتحقيق الأستاذ صبحي البدري السامرائي، نشرته مكتبة المعارف، بالرياض ١٤٠٧هـ. وفيه ٢٧٢ حديثًا فقط.

وله طبعة أخرى ومعها كتاب «البر والصلة» أيضًا لابن المبارك نفسه. تحقيق مصطفى عثمان محمد، دار الكتب العلمية. بيروت، ١٤١١هـ.

ويوجد لابن المبارك كتاب «الأربعين في الحديث» أيضًا مازال مخطوطًا.

(٢) مقدمة القسطلاني (؟) (المؤلف).

ومما يدل على ذلك قول محمد بن سلام: «كلما دخل عليَّ هذا الصبي تحيَّرتُ وأُلبِسَ عليَّ أمر الحديث وغيره. ولا أزال خائفًا ما لم يخرج. (سير أعلام النبلاء ٤٧١/١٢، مقدمة الفتح ٤٨٣. وسيأتي).

وكذلك قول فتح بن نوح النيسابوري قال: أتيت علي ابن المديني فرأيت محمد بن إسماعيل جالسًا عن يمينه، وكان إذا حدث التفت إليه مهابةً له. (مقدمة الفتح ص ٤٨٣).

كتبهم عليه للتصحيح^(١)، فقال بعضهم: «بين لنا غلط شعبة^(٢)».

وفي هذه الأيام وقبل أن يبدأ الإمام البخاري رحلاته في طلب الحديث حدثت حادثةٌ يحدثها لنا سُليم بن مُجاهد^(٣)، قال:

«كنت عند محمد بن سَلام البَيْكَنْدِي، فقال لي: لو جئتَ قبلُ لرأيتَ صبيًّا يحفظ سبعينَ ألفَ حديث^(٤)، قال: فخرجتُ في طلبه حتى لقيتهُ، فقلت: أنتَ الذي تقول: أنا أحفظ سبعينَ ألفَ حديث؟ قال: نعم، وأكثرَ منه، ولا أحيثُكَ بِحديثٍ من الصَّحابةِ أو التابعينِ إلا عرفتُ مولدَ أكثرِهِم ووفاتِهِم ومساكنِهِم، ولستُ أدري حديثًا من حديثِ الصَّحابةِ أو التابعينِ إلا وله أصلٌ أحفظ ذلك عن كتابِ الله وسنةِ رسولِ الله ﷺ^(٥)».

وذاَتَ مرَّةٍ وقبلَ رحلته قال له محمد بن سَلام البَيْكَنْدِي:

(١) ومنهم محمد بن سلام هذا وإسماعيل بن أبي أويس كما سيأتي. وعبدالله بن يوسف التنيسي. (مقدمة الفتح ص ٤٨٣).

(٢) وهو سليمان بن حرب الأزدي الواسطي، ثقة إمام حافظ، ت ٢٢٤هـ. وانظر الخبر في سير أعلام النبلاء ١٢/٤١٩، تغليق التعليق ٥/٤٠٠، مقدمة الفتح ص ٤٨٢.

(٣) أبو عمر سُليم بن مجاهد بن بَعِيش - أوله باء معجمة بواحدة - روى عن موسى بن إسماعيل والقعنبي وغيرهما، روى عنه ابنه أبو حسان مَهيب بن سُليم، مات في سنة خمس وخمسين ومائتين. ذكره ابن ماكولا في الإكمال (٧/٤٣٠).

(٤) مقدمة الفتح ص ٤٨٣. وانظر التعليق التالي.

(٥) تاريخ بغداد ٢/٢٤، ٢٥، تاريخ دمشق ١٥/٤٣، أ، تهذيب الكمال ٢٤/٤٦٠، تاريخ الإسلام ص ٢٤٥، سير أعلام النبلاء ١٢/٤١٧، طبقات الشافعية ٢/٢١٨، تحفة الأخباري ص ١٩٠، تغليق التعليق ٥/٤٠٥، مقدمة الفتح ٤٨٧، مقدمة القسطلاني ١/٢٨.

«انظر في كتبي فما وجدتَ فيها من خطأ فاضرب عليه . فقال له بعض أصحابه : من هذا الفتى ؟ - وكان السائلُ يرمي إلى أنَّ البيكُنديَّ إمامَ عصره في فن الحديث كيف يقول لفتى حَدَّثَ أن يُصَحِّحَ أخطاءَ كتابه - فقال البيكُنديُّ : هذا الذي ليس مثله^(١)» .

وكان محمد بن سَلام المذكور يقول :

«كلُّما دخل عليَّ محمد ابن إسماعيل تَحَيَّرْتُ ولا أزال خائفًا منه» . قال الحافظ ابن حجر : «يعني يخشى أن يخطيء بحضرته^(٢)» .

كلُّ هذه الأقوال عن محمد بن سَلام البيكُنديَّ حينما كان البخاريُّ لم يتجاوز علمه شيوخَ بلده بخارى . وذلك لأن الإمام البخاريَّ لم يلق البيكُنديَّ بعد ما رَحَلَ من بخارى^(٣) .

(١) مقدمة القسطلاني (؟) . وانظر أيضًا: تاريخ بغداد ٢/٢٤ ، تهذيب الكمال ٤٥٩/٢٤ ، تغليق التعليق ٥/٤٠٤ . مقدمة الفتح ص ٤٨٣ .

(٢) مقدمة الفتح ٤٨٣ ، وانظر أيضًا: تاريخ الاسلام ص ٢٥٤ ، سير أعلام النبلاء ١٢/٤١٧ ، طبقات الشافعية ٢/٢٢٢ ، تغليق التعليق ٥/٤٠٤ .

(٣) مقدمة الفتح (؟) . وقال السبكي في طبقات الشافعية : «فارق البخاريُّ بخارى وله خمس عشرة سنة ، ولم يره محمد بن سلام البيكُنديُّ بعد ذلك .» (٢/٢٢٢) .

قلت : ولكن روى الذهبي في السَّير عن أبي جعفر - وهو الوراق - قال : «قال لي بعض أصحابي : كنتُ عند محمد بن سلام فدخل عليه محمد بن إسماعيل حين قدم من العراق ، فأخبره بمحنة الناس وما صنع ابنُ حنبل ، وغيره من الأمور . فلما خرج من عنده قال محمد بن سلام لمن حضره : أترونَ البُكَرَ أشدَّ حياءً من هذا؟» (سير أعلام النبلاء ١٢/٤١٨) .

فإن صحت هذه الرواية فإنها تعني أن البخاري رجع من بعض رحلاته إلى العراق ومحمد ابن سلام حيٌّ . غير أننا لا نعرف صاحب الوراق الذي روى هذا الخبر . والله أعلم .

رحلات الإمام البخاري في طلب العلوم الإسلامية وتفصيلها

الرحلة في اصطلاح المحدثين: هو السفر الذي يخرج فيه الإنسان لطلب حديث أو علو إسناد.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم مولعين بهذه الرحلات بما يفوق الوصف والتقدير، فقد كان بعضهم يتجشّم مشقة سفرٍ يستمر شهرًا لأجل طلب حديث واحدٍ فقط، أو لمجرد التثبت منه، وما كان يقرّ لهم القرار حتى يحفظوه بعد ما سمعوه أو يتثبتوا منه.

ولمعرفة ما كان يوجد في ذلك العصر من الحرص والشوق في طلب الحديث أرى من اللازم أن أذكر بعض الوقائع الخاصة بهذه الرحلات:

قال عبد الله بن بُريدة^(١): «إن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رَحَلَ إلى فَصَالَةَ بن عُبيد^(٢) وهو بمصر، فَقَدِمَ عليه وهو يَمُدُّ لِنَاقَةٍ له، فقال: مرحبًا، قال: أما إني لم آتِكَ زائرًا، ولكن سمعتُ أنا وأنت حديثًا من رسول الله ﷺ رجوتُ أن يكونَ عندكَ منه علمٌ. قال: ما هو! قال: كذا وكذا^(٣)».

(١) عبد الله بن بُريدة بن الحُصَيِّب الأسلمي، أبو سهل المروزي، ثقة، مات ١٠٥ هـ أو ١١٥ هـ/ع. التقريب ٤٩٣، التهذيب ١٥٧/٥.

(٢) فَصَالَةَ بن عُبيد الأنصاري الأوسي، صحابي، أول مشاهده أُحُد، شهد فتح مصر، نزل دمشق وولى قضاءها ومات ٥٨ هـ أو قبلها. أسد الغابة ٦٤/٤، التقريب ٧٨١.

(٣) سنن الدارمي ١/١٤٢، طبعة دهمان. واللفظ له، وأخرجه أيضًا أحمد في مسنده ٢٢/٦، وأبو داود ٧٥/٤، الترجل، حديث ٤١٦٠ وعندهما زيادة.

وأخرجه أيضًا الخطيب في كتاب «الرحلة في طلب الحديث» ص ١٢٤: حديث =

وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّحَابِيُّ يَرُوي قِصَّةَ رِحْلَتِهِ . فيقول :

«بلغني حديثٌ عن رسول الله ﷺ لم أسمعْهُ ، فأبتَغْتُ بعيراً فشَدَدْتُ عليه رِحْلي ، وسِرْتُ شهراً ، حتى قَدِمْتُ الشَّامَ ، فَأَتَيْتُ عبدَ الله بنَ أنيسٍ^(١) ، فقلتُ للبَّواب : قل له : جابرٌ على الباب . فَأَتَاهُ ، فقال له : جابر ابن عبد الله ؟ فَأَتَانِي فقال لي ، فقلت : نعم . فرجع فأخبره فقام يُطاطِئُ ثوبه حتى لقيني فاعتنقني فاعتنقته . فقلتُ : حديثٌ بلغني عنك سمعته من رسول الله ﷺ في القِصَاصِ لم أسمعْهُ فخشيتُ أن تموت أو أموتُ قبل أن أسمعْهُ ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقولُ : . . . فذكر الحديث^(٢) .»

= ٣٩ ، عن طريق أبي داود .

وأخرجه النسائي ١٣٢/٨ : الزينة . باب الترجل غباً و ١٨٥/٨ : باب الترجل ، دون ذكر قصة الرحلة .

وقال الألباني : صحيح . صحيح سنن أبي داود ٧٨٤/٢ ، ح ٣٥٠٦ ، وصحيح سنن النسائي ١٠٦٤/٣ ، ح ١٨٣٤ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٩/٢ ، ح ٥٠٢ .
(١) الجهني ، أبو يحيى المدني ، صحابي ، شهد العقبة وأُحدًا : مات بالشام في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ . (التقريب ص ٤٩٢) .

(٢) تدريب الراوي ١٤٢/٢ . والحديث أخرجه أحمد ٣/٣٩٥ ، والبخاري في الأدب المفرد ص ٢٥٢ ، باب المعانقة ، ح ٩٧٠ ، وذكره في صحيحه تعليقاً بصيغة الجزم . فقال : باب الخروج في طلب العلم . ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله ابن أنيس في حديث واحد ، ١٧٣/١ ، كتاب العلم . وفي كتاب التوحيد ٤٥٣/١٣ بصيغة التمریض ، دون ذكر قصة الرحلة ، والهارث بن أبي أسامة كما في بغية الباحث ١٨٨/١ : حديث ٤٤ . وابن أبي عاصم في السنة ١/٢٢٥ ، باب ذكر الكلام والصوت ، ح ٥١٤ ، والطبراني في الكبير (قطعة من الجزء ١٣) ، ص ١٣٢ ، ح ٣٣١ . والحاكم في المستدرک ٤٣٧/٢ ، ٥٧٤/٤ ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ق ٣٤١ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/١٩٦ : حديث ١٣١ ، تحقيق الحاشدي و ٢٩/٢ ، ح ٦٠٠ ، والخطيب في الرحلة في طلب الحديث ص ١٠٩ - ١١٥ ، =

«وعن واهب بن عبد الله المَعافِرِيَّ^(١) قال: قدم رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار على مسلمة بن مُخَلَّد^(٢)، فألفاه نائماً، فقال: أَيْقِظُوهُ، قالوا: بل نتركه حتى يستيقظ، قال: لستُ فاعلاً، فأيقظوا مسلمة له، فرحَّب به وقال: انزل، قال: لا، حتى تُرسلَ إلى عُقْبَةَ بن عامر^(٣) لحاجةٍ لي إليه، فأرسلَ إلى عُقْبَةَ، فأتاه. فقال هل سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ:

«مَنْ وَجَدَ مُسْلِمًا عَلَى عَوْرَةٍ فَسَتَرَهُ، فَكَأَنَّمَا أَحْيَا مُوؤودَةً مِنْ قَبْرِهَا»؟

«فقال عقبة: قد سمعتُ من رسول الله ﷺ يقولُ ذلك^(٤)».

= والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٢٢٥، ح ١٦٨٦، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٣٨٩-٣٩١، ح ٥٦٥، ٥٦٦، وابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة ٢/ ٧٣١، واسنده الحافظ في الفتح (١٧٤/١) عن طريق أبي يعلى، وفي تعليق التعليق (٣٥٥/٥) وقال في الفتح: الإسناد حسن. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وفي إسناده عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب وقد تكلم فيه. وللحديث طريق آخر عن جابر أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ١/ ١٠٤ ح ١٥٦، وتمام في الفوائد ١/ ٣٦٤ ح ٩٢٨ تحقيق حمدي السلفي. وقال الحافظ: إسناده صالح (فتح الباري ١/ ١٧٤).

وطريق ثالث أخرجه الخطيب في الرحلة ص ١١٥، حديث ٣٣، وقال الحافظ: في إسناده ضعف (١/ ١٧٤).

وقال الألباني: الحديث صحيح بمجموع طرقه الثلاثة. (السنة ١/ ٢٢٦).

- (١) أبو عبد الله المصري، ثقة، من الرابعة. ت ١٣٧هـ (التقريب).
- (٢) مُسَلِّمَةُ بن مُخَلَّد - بتشديد اللام - الأنصاري الزرقني، صحابي صغير سكن مصر، ووليها مرة، مات ٦٢هـ (التقريب).
- (٣) الجُهَنِّي، صحابي مشهور، ولي إمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين، وكان فقيهاً فاضلاً، مات في قرب الستين. (التقريب).
- (٤) الحديث بهذا القدر وهذا اللفظ الذي ذكره المصنف نقلاً عن السيوطي (تدريب الراوي ٢/ ١٤٣) أخرجه الخطيب في الأسماء المبهمة ص ٦٣، ح ٣٧، في ترجمة =

وقال أبو العالية^(١): «كنا نسمعُ الروايةَ بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ فما نرضى حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم^(٢)».

وكان إبراهيم بن أدهم - أحدُ كبار الزُّهاد والصوفية -^(٣) يقول:

«إن الله يرفعُ البلاءَ من هذه الأمة بِرَحْلَةِ أصحابِ الحديث^(٤)».

= خالد بن زيد أبي أيوب الأنصاري.

والصحابي المعني في هذا الحديث هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه نفسه. وقد ورد اسمه صريحًا في بعض روايات الحديث، وبدون تصريح في بعضها. فانظر:

مسند الحميدي ١/١٨٩، ح ١٨٤، العلم لابن أبي خيثمة ص ١١٧، ح ٣٣، مسند أحمد ٤/٦٢، ١٥٣، ١٥٩، و ٥/٣٧٥. معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٨٠٧، الرحلة في طلب الحديث ص ١١٨-١٢٢، ح ٣٤-٣٨. جامع بيان العلم وفضله ١/٣٩٢، ح ٥٦٧، الأسماء المبهمة ص ٦٤، بغية الباحث في زوائد مسند الحارث ١/١٩٠، ح ٤٦.

أما النص المرفوع: «من وجد مسلمًا على عورة فستره إلخ»، فقد أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود وغيرهم وهو بهذا اللفظ ضعيفٌ. فلينظر سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣/٤٢٣، ح ١٢٦٥.

ولفظه عند الحميدي وغيره «من ستر مؤمنًا في الدنيا على خزية ستره الله يوم القيامة». وله شواهد فلينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/٤٤٨، ح ٢٣٤١، وصحيح الجامع الصغير ح ٦١٦٣.

(١) أبو العالية هو رُفيع بن مهران الرِّياحي، أحد الأعلام، من كبار التابعين، قال ابن حجر: ثقة كثير الإرسال، مات ٩٠هـ أو ٩٣هـ أو بعد ذلك/ ع (التقريب ١/٢٥٢) وقال الذهبي: أدرك زمن النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودخل عليه. (سير أعلام النبلاء ٤/٢٠٧).

(٢) سنن الدارمي ١/١٤٠. الرحلة في طلب الحديث ص ٩٣.

(٣) توفي ١٦٢هـ، مترجم في سير أعلام النبلاء ٧/٣٨٧.

(٤) الرحلة في طلب الحديث ص ٩٠، علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٢٣، التقييد =

وقال يحيى بن معين وهو من كبار المحدثين :

أربعة لا تأنس منهم رُشدًا، وذكر منهم: رجلاً يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث^(١).

وفوق كل هذه الأقوال نرى القرآن الكريم نفسه يحث على الرحلة لهذه الغاية النبيلة، يقول الله تعالى :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ^(٢) ۚ ۞ ﴾

واشترط المحدثون للرحلة أنه :

«إذا عزم على الرحلة فلا يترك أحدًا في بلده من الرواة إلا ويكتب عنه ما تيسر من الأحاديث وإن قلت^(٣)».

لقد عقد الإمام البخاري عزمه على الرحلة في طلب الحديث، وكان العالم الإسلامي قد أصبح مترامي الأطراف وكانت رقعة البلاد الإسلامية قد توسعت بكثرة الفتوحات، وكان أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم وأتباع أتباعهم قد تفرقوا وانتشروا في البلدان المختلفة

= والإيضاح ص ٢٥١، تدريب الراوي ١٤٤/٢.

(١) أسنده الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ٩ عن ابن معين. والخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» ص ٨٩، وذكره ابن الصلاح في علوم الحديث ص ٢٢٣، والسيوطي في تدريب الراوي ١٤٢/٢.

(٢) التوبة: ١٢٢.

(٣) قاله الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢٢٤/٢ وعنه في فتح المغيث للعراقي ٨٦/٣، تدريب الراوي ١٤٢/٢.

المتباعدة، وكان حَمَلَةُ الأحاديث ينشرون فيوضهم في البلدان والأمصار المتباعدة، ولا شك أنَّ بلادَ الحرمين لها ميزة خاصة لأنها المركز الأصلي ومهبط الوحي، ولكن مع ذلك كان عددٌ كبير من الصحابة والتابعين قد نزلوا وأقاموا في بلاد أخرى، فكان من اللازم على رجل رُزِقَ حبَّ العلوم الإسلامية منذ نُعُومَةِ أظفاره ونشأ وترعرع مُوَلَّعًا بها شغوفًا بحُبِّها أن يستعدَّ لرحلةٍ طويلةٍ غير محدودة، ولا ريب أن مثل هذا العمل يحتاج إلى عزم قويٍّ وهمةٍ عالية وعقلٍ متفتح وقلبٍ واسع، ولقد كان الإمام البخاريُّ قد وهبه الله تعالى كل هذه الأوصاف والميزات.

ليس من اليسير على امرئٍ لم يُعْطَ الحِطُّ الأوفر من سعة العقل والقلب وعلو الهمة والعزم الشامخ أن لا يتضايق من متاعب السفر، ولا يفتُرَّ عزمه بالجوع بعد الجوع، وأن يربط على أقدامه الخِرْق والِرِّقاع، ويقطع مسافاتٍ شاسعةً ماشيًا على قدميه، عند انعدام المركوب، وأن لا تتجعد جبهته على المصائب الشديدة والمِحن القاسية، ولا تخمد جذوة الشوق في قلبه ولو اضطر على الاكتفاء بالحشائش وأوراق الشجر، ولا تنطفئ تلك الشعلة التي تتوقد في القلب من الحنين إلى العلم ولو بعد آلافٍ من المتاعب والمحن، وأن يستريح ويتلذذ من كل هذه المشقات والصعوبات، وأن يضحِّي بكل ما أُعطي من غالٍ ونفيس في هذا السبيل، ولا ييخل حتى بحياته من أجل هذا العمل الجليل.

كل هذه الصفات هي التي جعلت الإمام البخاريَّ يرتفع إلى طبقة كبار الأئمة الذين كانوا قد سبقوه في الزمان، ومن هنا يظهر معنى قوله عليه السلام: «نحن الآخرون السابقون...»^(١).

(١) أخرجه البخاري في تسعة مواضع من صحيحه أولها (٣٤٥ / ١) كتاب الوضوء، باب =

قال قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ :

«لو كان البخاري في الصحابة لكان آية^(١)».

ولكن يرى على وجه العموم أن الإمام البخاريّ حتى لو كان من التابعين لكان من آيات الله تعالى، فإن تضحياته وسيلانَ ذهنه وهِمَّتَه العالية وذاكرته الخارقة، كل هذه الأمور قد جعلته يرتفع إلى مصاف كبار الأئمة.^(٢)

ولذلك نجد الإمام البخاريّ يروى عن عددٍ من الذين هم من طبقة شيوخ الإمام مالك والإمام أبي حنيفة^(٣).

وعلى سبيل المثال :

= البول في الماء الدائم، حديث ٢٣٨. وهوطرف من حديث مشهور في ذكر يوم الجمعة، كما أخرجه مسلم (٥٨٥/٢) كتاب الجمعة. باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث ٨٥٥. قال الحافظ: أي الآخرون زمانًا الأولون منزلة. (فتح الباري ٣٥٤/٢).

(١) سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٢. التعليل ٤٠٢/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٢.

(٢) وقد صرح بذلك الإمام إسحاق بن راهوية فقال: اكتبوا عن هذا الشاب - يعني البخاريّ - فلو كان في زمن الحسن لإحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه. تاريخ بغداد ٢/ ٢٧، سير أعلام النبلاء ٤٢١/١٢. وهو في مقدمة الفتح ٤٨٣ بنحوه.

(٣) وعلى سبيل المثال يعتبر من أعلى أسانيد الإمام أبي حنيفة، وهي سلسلة الذهب في مروياته: الإمام أبو حنيفة: (١) حماد بن أبي سليمان (٢) إبراهيم (٣) علقمة (٤) عبدالله بن مسعود الصحابي. (انظر: مناقب الشافعي للإمام الرازي ص ٤٧). (المؤلف) ولفظه: «وأبو حنيفة مع تقدمه في الزمان لم يتصل برسول الله ﷺ إلا بأربعة» وقد قاله الرازي على سبيل المقارنة بين إسناد الإمام الشافعي وإسناد الإمام أبي حنيفة رحمهما الله تعالى.

١- الإمام البخاري: عن محمد بن عبدالله الأنصاري، عن حميد، عن أنس الصحابي.

٢- الإمام البخاري: عن مكّي بن إبراهيم، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع الصحابي.

٣- الإمام البخاري: عن علي بن عيّاش، عن حريز بن عثمان، عن عبدالله بن بسر الصحابي.

٤- الإمام البخاري: عن أبي نعيم، عن الأعمش، عن الصحابي المخضرم.^(١)

٥- الإمام البخاري: عن عبيدالله بن موسى، عن معروف، عن أبي الطفيل عن علي.

٦- الإمام البخاري: عن خلاد بن يحيى، عن عيسى بن طهمان، عن أنس الصحابي.

٧- الإمام البخاري: عن عصام بن خالد، عن حريز بن عثمان، عن عبدالله بن بسر الصحابي.

وبعد ذكر عدة من هذه السلاسل قال المحدثون:

«كَأَنَّ الْبُخَارِيَّ سَمِعَ شُعْبَةَ وَمَنْ كَانَ فِي طَبَقَتِهِ». أَيْ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ
مَشَايِخِ الْإِمَامِ مَالِكٍ وَالْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ.^(٢)

(١) هو زيد بن وهب الجهني، أسلم في حياة النبي ﷺ وهاجر إليه فقبض النبي وهو في الطريق. (التهذيب ٣ / ٤٢٧).

(٢) وقد قسم الحافظ ابن حجر شيوخ الإمام البخاري على خمس طبقات. والطبقة الأولى منهم «من حدثه عن التابعين مثل: مكّي بن إبراهيم، ومحمد بن عبدالله =

مَكِّيُّ بن إبراهيم^(١): روى عن يزيد بن أبي عُبَيْد وجعفر الصَّادق، ويروي عن سبعة عشر من التابعين. حج ستين مرة، ووُصِف بحافظ الحديث الثقة، وهو شيخ البخاري وابن معين. توفي سنة ٢١٥هـ^(٢).

عليّ بن عِيَّاش: قال فيه المحدثون: أحد الأثبات^(٣)، توفي سنة ٢١٩هـ. روى عن ليث وحرّيز بن عثمان، وعنه البخاري وأحمد وابن معين^(٤).

= الأنصاري، وعبيد الله بن موسى، وأبي عاصم النبيل، وأبي نعيم الملائني، وأبي المغيرة الخولاني، وعلي بن عياش، وخلاد بن يحيى وغيرهم. «تغليق التعليق ٣٩٢/٥، مقدمة الفتح ٤٧٩.

(١) لم يترجم المصنف رحمه الله محمد بن عبد الله الأنصاري. وهو محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري البصري القاضي. ثقة، مات ٢١٥هـ (التقريب ص ٧٦٥).

قال الذهبي: ما في شيوخ البخاري أحد أكبر منه ولا أعلى رواية. بل له عند البخاري نظراء. منهم عبيد الله بن موسى، وأبو عاصم ومكي بن إبراهيم رحمهم الله. (سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٣٧).

(٢) «الإمام الحافظ الصادق مسند خراسان» أبو السكن التميمي الخنظلي، البلخي، وثقه أحمد والعجلي وقال الدارقطني: ثقة مأمون، وقال النسائي: ليس به بأس. قال ابن حجر: ثقة ثبت، مات ٢١٥هـ/ع.

معرفة الثقات ٢/ ٢٩٦، تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٧٦، سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٤٩، التهذيب ١٠/ ٢٩٣، التقريب ٢/ ٢٧٣.

(٣) الخلاصة للخزرجي ص ٢٧٦.

(٤) الألهماني الحمصي. قال الدارقطني: ثقة حجة، وثقه العجلي والنسائي وغيرهما. قال ابن حجر: ثقة ثبت. وتاريخ وفاته وقع في الأصل ٢٠٥هـ ولعله خطأ مطبعي، وما أثبتته من التقريب وغيره. وقيل ٢١٨هـ. تهذيب الكمال ٢١/ ٨١، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٣٨، التقريب ٢/ ٤٢، التهذيب ٧/ ٣٦٨.

أبو نُعَيْم الفضل بن دُكَيْن: الحافظ العلم، ثقةٌ يقظان، عارفٌ بالحديث. روى عن الأعمش. توفي سنة ٢١٩هـ. (١)

عُبَيْدُ اللَّهِ بن موسى: توفي سنة ٢١٣هـ. حافظ الحديث، صاحب المسند، روى عن ابن جريج وهشام بن عروة (٢).

عِصَام بن خالد الحِمَصِيُّ: توفي سنة ٢١٥هـ. روى عن حَرِيز بن عثمان. وثقه النسائي (٣).

خَلَاد بن يحيى السَلَمِيُّ: روى عن مِسْعَرٍ ومالك بن مِغْوَلٍ. توفي سنة ٢١٧هـ. وثقه أحمد وأبو داود (٤).

لم يزل البخاري يأخذ من مشايخ بلده إلى أن بلغ السادسة عشرة

(١) الخلاصة ص ٣٠٩. وانظر أيضًا: تهذيب الكمال ١٩٧/٢٣، سير أعلام النبلاء ١٤٢/١٠، تذكرة الحفاظ ٣٧٢/١، التهذيب ٢٧٠/٨.

(٢) الخلاصة ص ٢٥٣، وانظر أيضًا: تهذيب الكمال ١٦٤/١٩، سير أعلام النبلاء ٥٥٣/٩، التقريب ٥٤٠/١، التهذيب ٥٠/٧.

(٣) الخلاصة ص ٢٦٦. وفيه: «قال النسائي: ليس به بأس». وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن حجر: صدوق، مات ٢١٤هـ، على الصحيح/خ.

ثقات ابن حبان ٣٠١/٧، تهذيب الكمال ٥٧/٢٠، التقريب ٢١/٢، التهذيب ١٩٤/٧.

(٤) الخلاصة ص ١٠٧. ونصه «قال أبو داود: ليس به بأس ووثقه أحمد بن حنبل». وقد وثقه أيضًا العجلي وابن حبان وغيرهما. وقال أبو حاتم: ليس بذلك المعروف، محله الصدق. قال ابن حجر: صدوق رمى بالإرجاء، وهو من كبار شيوخ البخاري. مات ٢١٣هـ وقيل ٢١٧هـ/خ د ت.

تهذيب الكمال ٣٥٩/٨، سير أعلام النبلاء ١٦٤/١٠، التقريب ٢٣٠/١، التهذيب ١٧٤/٣.

من عمره، ولما فرغ من الأخذ عنهم توجه نحو الحجاز مَنع العلوم الإسلامية وموطن الرسول ﷺ ومَهبط الوحي ومُنزل جبريل ومسكن أصحاب رسول الله ﷺ ومركز الإسلام. روى ابن أبي حاتم الورّاق كاتبُ البخاريّ أنه كان يقول:

«فلما طَعَنْتُ في ست عشرة سنةً حفظت كتب ابن المبارك ووَكَيْع وعرفت كلام هؤلاء يعني أصحاب الرأي^(١)». قال: «ثم خرجتُ مع أُمي وأخي إلى الحج^(٢)».

وتبين من رواية الورّاق هذه أن الإمام البخاري خرج في الرحلة

(١) مقدمة الفتح ٤٧٨. وانظر أيضًا تاريخ بغداد ٧/٢، تهذيب الكمال ٤٣٩/٢٤، سير أعلام النبلاء ٣٩٣/١٢، تغليق التعليق ٣٨٦/٥. كان نفوذ أهل الرأي قد عمَّ عراقَ العجم، ولذلك كان من الضروري للمرء أن يتعلم أقوالهم وطريقة اجتهادهم باديء ذي بدء، ولذلك توجه إليه البخاري في مبدأ طلبه، وبرع في معرفة طريقة استدلالهم وتخريجهم، وهو كما يقول: «وعرفت كلام هؤلاء» إلا أن همته العالية كانت تشتاق إلى جوهرة أخرى فصغرت في نظره هذه الأشياء بسبب كتب عبد الله بن المبارك وصحبة المحدثين:

أهل تحقيق كجا مائل رايند وقياس شمسواران نه جنين صيد محقر كيرند (أهل التحقيق لا يميلون إلى الرأي والقياس، فالفرسان لا يقتنعون بمثل هذا الصيد الحقيق).

حتى إن طبيعته العالية قد ابتعدت عن كلام أهل الرأي بحيث أنه لم يحب أن يصرح بذكرهم، وإنما قال: «وعرفت كلام هؤلاء» وكان السبب الأساسي لهذا التنفر أن الإمام كان يرى - وهو الواقع - أن اشتغالهم بالأقيسة قد ألحق بنشر الحديث ضررًا كبيرًا. (المؤلف)

(٢) تاريخ بغداد ٧/٢، تاريخ دمشق ٤١/١٥/أ، تقييد المهمل ٤/١/ب، تهذيب الكمال ٤٣٩/٢٤، سير أعلام النبلاء ٣٩٣/١٢، طبقات السلبكي ٢١٦/٢، تحفة الأخباري ص ١٨١، التغليق ٣٨٦/٥، مقدمة الفتح ٤٧٨.

الأولى سنة ٢١٠هـ^(١). وكان ابتداء سماعه سنة ٢٠٤ أو ٢٠٥هـ.

وفي هذه الأيام القليلة كان الإمام البخاري قد أحرز فضلاً وكمالاً في بلده بحيث اندهش الناس. وبلغ موضعاً من الثقة والاعتماد لدى أهل الكمال ما لم يبلغه كبار الأئمة طيلة حياتهم.

وفي سنة ٢١٠هـ حينما كان في السادسة عشرة من عمره خرج للحج مع أمه ووصل مكة المكرمة وكان معه أخوه أحمد فلما فرغ من الحج رجع أمه وأخوه إلى بلاده، وبقي الإمام البخاري في مكة، فتَحَمَّلَ فراق أمه وأخيه متلهفاً إلى العلوم الإسلامية وبدأ يحضر مجالس الشيوخ في مكة.

وكان بين الأئمة الذين كانت تمتاز مجالسهم آنذاك في مكة المكرمة ويعتبرون أئمة يرجع إليهم في هذا الشأن الإمام أبو الوليد أحمد بن [محمد] الأزرق^(٢)، وعبدالله بن يزيد^(٣)، وإسماعيل بن سالم الصائغ^(٤)، وأبوبكر عبدالله بن الرُّبَيْر العلامة الحميدي.

(١) مقدمة الفتح ص ٤٧٨. وقال الذهبي: رحل مع أمه وأخيه سنة عشر ومائتين بعد أن سمع مرويات بلده (تذكرة الحفاظ ٥٥٥/٢). ونحوه قال السبكي أيضاً: (الطبقات ٢/٢١٣) وقال إسحاق بن أحمد بن خلف: دخل محمد بن إسماعيل إلى العراق في آخر سنة عشر ومائتين (سير أعلام النبلاء ٤٠٣/١٢) ونحوه في تغليق التعليق أيضاً ٣٨٧/٥.

(٢) أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني الأزرق المكي، جد أبي الوليد محمد بن عبدالله الأزرق صاحب تاريخ مكة، وثقه ابن سعد وأبو حاتم وابن حبان وغيرهم، ت ٢١٧هـ أو ٢٢٢هـ. قال البخاري: فارقناه سنة ٢١٢هـ، التاريخ الكبير ٣/٢، تهذيب الكمال ٤٨٠/١، التقريب ص ٩٩، التهذيب ٧٩/١.

(٣) أبو عبدالرحمن المقرئ المكي، أصله من البصرة أو الأهواز، ثقة فاضل، مات ٢١٣هـ وهو من كبار شيوخ البخاري (التقريب).

(٤) روى عنه البخاري في غير الجامع. بغداديّ نزل مكة، ثقة، من العاشرة. (التقريب =

وهناك شيوخ آخرون كان البخاري قد استفاد منهم في مكة المكرمة، ولكن لا تسع هذه العجالة لذكرهم جميعاً.

وبعد مكة توجه الإمام البخاري إلى المدينة حيث كان الناس يرتحلون إليها من أنحاء العالم ويتعلمون العلوم النبوية كما أشير إليه في حديث:

«يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ... الخ»^(١).

ووصل المدينة في سنة ٢١٢هـ وكان إذ ذاك في الثامنة عشرة من عمره، وكان من الأئمة المشهورين فيها آنذاك إبراهيم بن المنذر^(٢)، ومُطَرِّف بن عبدالله^(٣)، وإبراهيم بن حمزة^(٤)، وأبو ثابت محمد بن

= ص ١٣٩، التهذيب ٣٠٣/١.

(١) أخرجه الحميدي ٤٨٥/١، ح ١١٤٧، وأحمد ٢٩٩/٢، والترمذي ٤٧/٥، العلم، باب ما جاء في عالم المدينة، ح ٢٦٨٠، وابن حبان ٢٠/٦، ح ٣٧٢٨، وأبو الشيخ ابن حبان الأصبهاني في جزء أحاديث أبي الزبير عن غير جابر ص ١٣٥، ح ٨٠، والحاكم ٩٠/١، وابن عبد البر في التمهيد ٨٥/١، وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

ولفظه عند الترمذي «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل ويطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة». وقال: هذا حديث حسن. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (١٣٥/١٥) ولكنه من رواية ابن جريح عن أبي الزبير وهما مدلسان وقد عنعنا. ولذلك ضعفه الألباني (المشكاة ٨٢/١، ح ٢٤٦).

(٢) الأسدي الجزامي، صدوق تكلم فيه أحمد لأجل القرآن، ت ٢٣٦هـ/ خ ت س ق. التقريب ١١٦، تهذيب الكمال ٢٠٧/١.

(٣) أبو مصعب المدني، اليساري، ابن أخت مالك. ثقة، لم يصب ابن عدي في تضعيفه، ت ٢٢٠هـ على الصحيح. تهذيب الكمال ٧٠/٢٨، التقريب ٩٤٨.

(٤) الزبيري، المدني، صدوق. مات ٢٣٠هـ (التقريب ١٠٧).

عبيدالله^(١)، وعبدالعزیز بن عبدالله الأویسی^(٢)، وأقرانهم. ولا يتسع لنا المجال هنا أن نحصي جميع مشايخه في المدينة، فإنه يتعلق بمن يؤلف كتابًا خاصًا في مشايخ البخاري.

وفي هذه الرحلة رتّب مسودة كتابه «التاريخ الكبير» في الليالي المُقَمَّرة^(٣). وقد اتفق المؤرخون على أن إقامته في الحجاز (مكة والمدينة والطائف وجدة) ست سنوات، ولكن الواقع أن هذه المدة لم تكن متوالية أي أنه لم يقم هذه المدة كلها في رحلة واحدة^(٤).

ثم توجه إلى البصرة^(٥) وكانت تعد من المراكز العلمية المرموقة من

(١) مولى آل عثمان، ثقة، من العاشرة. روى عنه البخاري ثلاثة عشر حديثًا. التهذيب ٣٢٤/٩، التقريب ٨٧٤.

(٢) ثقة، من كبار العاشرة. (التقريب ٦١٣).

(٣) تاريخ بغداد ٧/٢، تقييد المهمل ٤/١، أسامي شيوخ البخاري ص ٤، تهذيب الكمال ٤٤٠/٢٤، سير أعلام النبلاء ٤٠٠/١٢. طبقات الشافعية للسبكي ٢١٦/٢، تحفة الأخباري ص ١٨١، تغليق التعليق ٣٨٦/٥، مقدمة الفتح ٤٧٨.

(٤) وقد صرح البخاري بذلك بنفسه كما في سير أعلام النبلاء ٤٠٧/١٢ ومنه قول البخاري «أقمتُ المدينة بعد أن حججتُ سنةً حَرْدًا أكتبُ الحديث، قال: وأقمت بالبصرة خمس سنين معي كتبي أصنف وأحج وأرجع من مكة إلى البصرة.» وانظر أيضًا تغليق التعليق ٣٨٨/٥. وَحَرْدًا: أي قصداً.

(٥) مع أن معاصرنا النعماني قد ذكر في كتابه «سيرة النعمان» أن الكوفة والبصرة كانتا تضارعان الحرمين من حيث العلوم الإسلامية، إلا أن هذا من قبيل المستحيل، والوقائع لا تشهد بهذا، والمعاصر قد بالغ في حبه الواله للكوفة بحيث نسي مهمته كمؤرخ وصح فيه قول بعض الأفاضل:

في المثل أر كوفة دلش برده است از دیکران جیست که آزرده است

(لو خلبت الكوفة قلبه فلماذا تنفر عن غيرها)

وسیأتي تفصیل هذا أكثر في القسم الثاني. (المؤلف)

حيث سعة العلم وانتشار الحديث. واستفاد في البصرة من الإمام أبي عاصم التَّبِيل^(١) وَصَفْوَان بن عيسى^(٢) وَبَدَل بن الْمُحَبَّر^(٣) وَحَرَمِي بن عُمَارَة^(٤) وعفان بن مُسْلِم^(٥) ومحمد بن عَرَعَرَة^(٦) وسليمان بن حرب وأبو الوليد الطَّيَالِسِي^(٧) وعارم^(٨) ومحمد بن سنان^(٩) وأقرانهم ومن في

-
- (١) الضَّحَّاك بن مَخْلَد الشَّيْبَانِي، البصري، ثقة ثبت، ت ٢١٢هـ أو بعدها. (التقريب).
- (٢) الزهري، البصري، القسام، ثقة، مات ٢٠٠هـ وقيل قبلها بقليل أو بعدها (التقريب). على هذا فسماع البخاري منه مستبعد لأن البخاري بدأ رحلته في ٢١٠هـ ولكن هكذا ذكره النووي في شيوخ البخاري (تهذيب الأسماء واللغات ٧٢/١/١) فتبعه المصنف على ذلك.
- ولم يذكر المزي (تهذيب الكمال ٢٠٨/١٣) ولا ابن حجر (التهذيب ٤٢٩/٤) البخاري في الرواة عنه. والله أعلم.
- (٣) التميمي، البصري، أصله من واسط، ثقة ثبت إلا في حديثه عن زائدة، مات سنة بضع عشرة. (التقريب).
- (٤) العتكي، البصري، صدوق يهم، مات ٢٠١هـ (التقريب) وقد ذكره النووي في شيوخ البخاري بالبصرة (تهذيب الأسماء واللغات ٧٢/١/١) وفيه بُعد أيضاً لأنه توفي سنة ٢٠١هـ بينما البخاري لم يبدأ رحلته إلا في ٢١٠هـ، كما سبق فالظاهر أن سماع البخاري عنه بواسطة. ولذلك لم يذكر المزي اسم البخاري في الرواة عن حرمي (تهذيب الكمال ٥٥٧/٥). والله أعلم.
- فلعل الصواب «حرمي بن حفص» وقد ذكره ابن عدي (ص ١٠٢) وابن منده (ص ٤٥) في شيوخ البخاري وهو ثقة، ت ٢٢٣هـ أو ٢٢٦هـ (التقريب).
- (٥) الباهلي، أبو عثمان الصفار البصري، ثقة ثبت، قال ابن المديني: كان إذا شك في حرف من الحديث تركه. وربما وهم، وقال ابن معين: أنكرناه في صفر سنة تسع عشرة، ومات بعدها بيسير. / ع (التقريب).
- (٦) ثقة من صغار التاسعة، مات ٢١٣هـ / خ م د (التقريب).
- (٧) هشام بن عبد الملك الباهلي، مولا هم، البصري، ثقة ثبت، مات ٢٢٧هـ / ع (التقريب).
- (٨) عارم لقب. واسمه محمد بن الفضل، أبو النعمان السدوسي البصري، ثقة ثبت، تغير في آخر عمره، مات ٢٢٣هـ أو ٢٢٤هـ (التقريب).
- (٩) أبوبكر الباهلي. ثقة ثبت، مات ٢٢٣هـ (التقريب).

طبقتهم. وقد رحل إلى البصرة أربع مرات، فكان يقول:

«دخلتُ . . . إلى البصرة أربع مرات^(١)».

ثم سافر إلى الكوفة وسافر إليها مرات عديدة. وكذلك رحل إلى بغداد وقد ذكر الوراق قوله في رحلاته إلى بغداد والكوفة:

«ولا أحصي كم دخلتُ إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين^(٢)».

وقد ذكر الإمام النووي بعض مشاهير أساتذته في الكوفة في كتابه تهذيب الأسماء واللغات^(٣)، وهم: عبيدالله بن موسى^(٤)، وأبو نعيم، وأحمد بن يعقوب^(٥)، وإسماعيل بن أبان^(٦) والحسن بن ربيع^(٧) وخالد بن مخلد^(٨)

(١) مقدمة الفتح ص ٤٧٨، تغليق التعليق ٣٨٨/٥، وفي السير: «لقيتُ . . . وأهل البصرة أربع مرات» (٤٠٧/١٢).

(٢) تغليق التعليق ٤٧٨/٥، مقدمة الفتح ٤٧٨ عن سهل بن السري قال البخاري إلخ. وهو في السير (٤٠٧/١٢) عن غنجار باسناده عن عبدالرحمن بن محمد البخاري سمعت محمد بن إسماعيل يقول . . . إلخ. وفيه وفي التغليق «مع محدثي خراسان».

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٧٢/١/١.

(٤) وقع في الأصل تبعاً للمطبوع من تهذيب الأسماء واللغات «عبدالله» والتصويب من تهذيب الكمال وسير أعلام النبلاء وغيرهما من مصادر ترجمته. وقد سبق ذكره.

(٥) المسعودي، الكوفي، من قدماء شيوخ البخاري. ثقة، مات سنة بضع عشرة ومائتين. التقريب ١٠٢، التهذيب ٩١/١.

(٦) الوراق، الأزدي، الكوفي، ثقة، تكلم فيه للتشيع، مات ٢١٦هـ، التقريب ص ١٣٥، التهذيب ٢٦٩/١.

(٧) البجلي، البوراني، مات ٢٢٠هـ أو ٢٢١هـ (التقريب).

(٨) القَطَوَانِي، صدوق يتشيع وله أفراد، ت ٢١٣هـ وقيل بعدها.

وسعيد بن حفص^(١) وطلّح بن غنّام^(٢) وعمر بن حفص^(٣) وعُروة^(٤) وقبيصة بن عُقبة^(٥)، وأبو غسان^(٦). وهؤلاء من مشاهير الكوفة الذين أخذ عنهم البخاري بعد التثبت والثقة بهم وروى عنهم.

كانت بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وبفضل تشجيع الحكومة للعلوم أصبحت مركزًا للعلوم^(٧)، واجتمع فيها أهل الفضل والكمال من

(١) الثُّفَيْلي الحُراني، صدوق تغير في آخر عمره، مات ٢٣٧هـ/س (التقريب) وقد ذكره النووي في شيوخ البخاري من الكوفة. غير أنه حرّاني ولم أجد غيره بهذا الاسم في التقريب والتهذيب. ولم يذكره المزي في شيوخ البخاري، ولا ذكر البخاري في الرواة عنه (تهذيب الكمال ٣٩٠/١٠). والله أعلم.

فلعل الصواب «سعد بن حفص» وقد ذكره ابن عدي في أسامي من روى عنهم البخاري (ص ١١٣) وابن مندة في أسامي مشايخ الإمام البخاري (ص ٥١) وهو أبو محمد الطَّلحي الكوفي، المعروف بالضحيم، ثقة، من كبار العاشرة. (التقريب) مات ٢١٠هـ (التهذيب ٤٦٩/٣).

(٢) النخعي الكوفي، ثقة، مات ٢١١هـ (التقريب).

(٣) النخعي الكوفي، ت ٢٢٢هـ. أسامي من روى عنهم البخاري ص ١٢٨، أسامي مشايخ الإمام البخاري ص ٥٩، التهذيب ٤٣٥/٧. وقد وقع في المطبوع من تهذيب الأسماء واللغات «عمرو» وهو خطأ. والله أعلم.

(٤) كذا في تهذيب الأسماء واللغات (٧٢/١/١) ولكن لم يذكر ابن عدي ولا ابن مندة ولا المزي أحدًا في شيوخ الإمام البخاري اسمه «عروة» ولعل الصواب «فروة» وهو ابن أبي المغراء الكندي الكوفي، ت ٢٢٥هـ. والله أعلم.

أسامي من روى عنهم البخاري (ص ١٣٦). أسامي مشايخ الإمام البخاري ص ٦٥، التهذيب ٢٦٥/٨.

(٥) السُّوَّائي الكوفي، ت ٢١٥هـ.

(٦) مالك بن إسماعيل النهدي الكوفي، ت ٢١٧هـ.

(٧) سنن فصل الكلام فيه فيما بعد. (المؤلف).

كل ناحية، فارتحل إليها الإمام البخاري مرات عديدة^(١). ومن الجدير بالذكر من شيوخه في بغداد الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن عيسى الطَّبَّاع^(٢)، ومحمد بن سابق^(٣) وسُرَّيج بن النُّعْمان^(٤) وغيرهم.

ذكر الإمام أبو علي الغَسَّاني في تقييد المهمل أن الإمام البخاري لما ودَّع بغداد في المرة الأخيرة، وكان ذلك في رحلته الثامنة، وذهب لِيُودَّع الإمام أحمد بن حنبل قال له الإمام في حسرة وألم: «ترك العلم والناس وتصير إلى خراسان»^(٥).

(١) وكان أول رحلة له إلى بغداد في آخر سنة عشر ومائتين (سير أعلام النبلاء ٣٩٤/١٢).

(٢) تحرف في الأصل إلى «الصَّبَّاع». وانظر أسامي من روى عنهم البخاري ص ١٤٧، أسامي مشايخ الإمام البخاري ص ٦٩، التهذيب ٣٩٣/٩، سير أعلام النبلاء ٣٩٤/١٢.

(٣) وقع في الأصل تبعًا للمطبوع من تهذيب الأسماء واللغات (٧٢/١/١) «محمد بن سائق» والتصويب من كتب التراجم. أسامي من روى عنهم البخاري ص ١٥٢، أسامي مشايخ الإمام البخاري ص ٦٨، سير أعلام النبلاء ٣٩٤/١٢ وغيرها وهو فارسيّ سكن الكوفة، ثم سكن بغداد ومات بها سنة ٢١٣هـ أو ٢١٤هـ، تهذيب الكمال ٢٣٣/٢٥، التهذيب ١٧٤/٩.

(٤) الجوهري، البغدادي، أصله من خراسان. ت ٢١٧هـ.

(٥) كانت أراء أهل الكوفة وأقيستهم قد سيطرت على خراسان، وكان مبلغ علمهم تخريج الفروع الفقهية من أقوال الرجال وكأنها هي الأصل والأساس في الدين. وكل من خالف ذلك كان يواجه العداء. ولذلك أخرج الإمام أحمد خراسان من البلاد التي يأوى إليها الناس دون بغداد. (المؤلف)

وانظر هذا الخبر في تقييد المهمل (١/٧/أ) وتاريخ بغداد ٢٢/٢، طبقات الحنابلة ٢٧٧/١، سير أعلام النبلاء ٤٠٣/١٢، طبقات الشافعية للسبكي ٢١٧/٢، تعليق التعليق ٣٩٠/٥.

ولما تأمر عليه أبو طاهر حاكم بخارى^(١) وافترى عليه فريةً محاولاً بذلك طرده من بخارى، كان الإمام البخاري يذكر قول الإمام أحمد ويتأسف، وكان يقول: «الآن أذكره». وثبت من رواية أبي علي الغساني أن الإمام البخاري سافر إلى بغداد ثماني مرات.

رحل إلى الشام وأخذ هناك عن محمد بن يوسف الفريابي^(٢) وأبي النَّضر إسحاق بن إبراهيم^(٣) وآدم بن أبي إياس، وأبي اليمان الحكم بن نافع، وحيوة بن شريح^(٤) وآخرين من أئمة ذلك العصر فيها.

ووصل إلى مصر ودرس على عثمان بن صالح^(٥) وسعيد بن أبي

(١) حاكم بخارى الذي تأمر على الإمام البخاري هو خالد بن أحمد الذهلي. أما عبدالله ابن طاهر ويكنى «أبا العباس» فكان حاكم خراسان وما وراء النهر كله. وهو الذي أدخل عليه إسحاق بن راهويه كتاب التاريخ الكبير وقال له «ألا أريك سحرًا» كما سيذكره المصنف فيما بعد. وكان خالد الذهلي تابعًا له.

(٢) «محمد بن» سقط من الأصل. والتصويب من تهذيب الأسماء واللغات (٧١/١/١) وسير أعلام النبلاء ٣٩٥/١٢ وغيرهما.

ومحمد بن يوسف الفريابي من رجال الجماعة، مترجم في التقريب وأصوله، نزل قيسارية من ساحل الشام (التهذيب ٥٣٥/٩).

(٣) الفراديسي الدمشقي، ت ٢٢٧هـ.

(٤) أبو العباس، الحضرمي الحمصي، ت ٢٢٤هـ (تهذيب الكمال ٤٨٣/٧، التهذيب ٧٠/٣) وهو غير حيوة بن شريح التُّجيبِي المصري المتوفي ١٥٨هـ كما هو واضح وكلاهما مترجمان في التهذيب وغيره.

(٥) تحرف في الأصل إلى «عثمان بن الصائغ» والتصويب من تهذيب الأسماء واللغات (٧٢/١/١) وغيره من مصادر ترجمته.

وهو عثمان بن صالح بن صفوان السهمي، أبو يحيى المصري، ت ٢١٩هـ. مترجم في تهذيب الكمال (٣٩١/١٩) وفروعه.

مريم وعبدالله بن صالح^(١) وأحمد بن صالح وأحمد بن شبيب^(٢) وأصبغ ابن الفرج وسعيد بن عيسى^(٣) وسعيد بن كثير بن عفير ويحيى بن عبدالله بن بكير وأقرانهم.

سافر إلى الجزيرة^(٤) واستفاد من أحمد بن عبد الملك الحراني وأحمد بن يزيد الحراني وعمرو بن خلف^(٥) وإسماعيل بن عبدالله

(١) المصري، كاتب الليث، ت ٢٢٢هـ. (التقريب) وانظر كلام الحافظ ابن حجر حول رواية البخاري عنه.. في التهذيب ٥/ ٢٦٠-٢٦١).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١/ ٧٢. ومن شيوخ البخاري «أحمد بن شبيب الحَبْطِيُّ» ولكنه بصري. فلعل الصواب هنا «أحمد بن إشكاب» كما في سير أعلام النبلاء (٣٩٥/ ١٢) وهو كوفي نزل مصر.

قال البخاري: آخر ما لقيته بمصر سنة ٢١٧هـ (التاريخ الكبير ٤/ ٢) ومات في تلك السنة أو بعدها (التهذيب ١/ ١٦).

(٣) وقع في الأصل «سعيد بن أبي عيسى» بزيادة «أبي». والتصويب من تهذيب الأسماء واللغات (٧٢/ ١/ ١) وكتب التراجم الأخرى.

وهو سعيد بن عيسى بن سعيد بن تليد الرُّعَيْنِيُّ القُتَيْبَانِي، ثقة فقيه، مات ٢١٩هـ. تهذيب الكمال ١١/ ٢٩، التقريب ١/ ٣٠٣.

(٤) «الجزيرة» هي المناطق العليا الواقعة بين نهري دجلة والفرات. وسميت «بالجزيرة» لوقوعها بينهما ومن أهم مدنها حرّان، والرُّها، والرَّقَّة، والمَوْصِل وغيرها. معجم البلدان ٢/ ١٣٤، بلدان الخلافة الشرقية ١٧، ٤٠، ٤١.

(٥) «عمرو بن خلف» هكذا في تهذيب الأسماء واللغات أيضًا (٧٢١/ ١) ومن هناك أخذ المصنف رحمه الله. ولكن لم يذكر ابن عدي ولا ابن منده أحدًا في شيوخ البخاري بهذا الاسم بل لم أجد في التقريب ترجمة بهذا الاسم يروى عنه البخاري فلعل الصواب «عمرو بن خالد» وهو حراني جزري سكن مصر، ومات بها سنة ٢٢٩هـ. روى عنه البخاري ثلاثة وعشرين حديثًا. والله أعلم.

أسامي من روى عنهم البخاري ص ١٢٩، أسامي مشايخ البخاري ص ٦٣، تهذيب الكمال ٢١/ ٦٠٣، التهذيب ٨/ ٢٥. ثم وجدته على الصواب في طبقات =

الرَّقِيّ^(١) وغيرهم.

أما خراسان ونواحيها من مرو وبلخ وهراة، ونيسابور والرّي وجبال خراسان، فكلها من الأمكنة التي كان يرتادها الإمام البخاري منذ زمان قديم، وأما بخارى وما جاورها من سمرقند وطشقند وغيرهما فهي موطنه.

أخذ في مرو من علي بن حسين بن شقيق، وعبدان^(٢)، ومحمد بن مُقاتِل وأقرانهم.

وفي بلخ من مكّي بن إبراهيم، ويحيى بن بشر، ومحمد بن أبان وحسن بن شجاع^(٣)، ويحيى بن موسى، وقتيبة ومعاصريهم، وقد روى عنهم روايات كثيرة.

وفي هراة أخذ من أحمد بن أبي الوليد الحنفي^(٤).

= الشافعية للسبكي ٢١٤/٢ «عمرو بن خالد».

(١) إسماعيل بن عبدالله بن زُرارة الرّقِيّ، أبو الحسن، مات ٢٢٩هـ. اختلف في رواية البخاري عنه. ذكره المزي في تهذيب الكمال ١١٩/٣ للتمييز. وانظر أيضًا تهذيب التهذيب ٣٠٨/١.

(٢) عبدالله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي المروزي، ت ٢٢١هـ. سير أعلام النبلاء ١٠/٢٧٠.

(٣) أبو علي البلخي. من الحادية عشرة، مات ٢٤٤هـ/ت (التقريب) روى عنه البخاري في غير جامعه. تهذيب الكمال ٤٣٣/٢٤، التهذيب ٢٨٢/٢.

(٤) كذا في تهذيب الأسماء واللغات ١/١/٧٢. وما تمس إليه حاجة القارئ ص ٣٤، ولم يذكر المزي أحدًا بهذا الاسم في شيوخ البخاري. فلعل الصواب: أحمد بن أبي رجاء الحنفي، وهو أحمد بن عبدالله بن أيوب الحنفي أبو الوليد بن أبي رجاء الهروي. (تهذيب الكمال ١/٣٦٣) وذكر ابن مندة أن البخاري كتب عنه ببخارى (أسماء مشايخ الإمام البخاري ص ٢٩).

وفي نيسابور من يحيى بن يحيى، وبشر بن الحكم، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن رافع وأقرانهم.

وفي الرّى من إبراهيم بن موسى.

وفي واسط من حسان بن حسان، وحسان بن عبدالله، وسعيد بن عبدالله^(١) وأقرانهم.

وبعد هذا التفصيل قال المحدث الإمام الحاكم:

«فقد رحل البخاري إلى هذه البلاد المذكورة في طلب العلم، وأقام في كل مدينة على مشايخها، قال: وإنما سمّيت من كل ناحية جماعة من المتقدمين ليُستدلّ به على عالي إسناده^(٢)».

وقال الخطيب البغدادي:

«رحل البخاري إلى محدثي الأمصار وكتب بخراسان والجبّال ومدن العراق كلها والحجاز والشام ومصر وورد بغداد دفعات^(٣)».

وقال جعفر بن محمد القطن: سمعت الإمام البخاري يقول:

«كتبْتُ عن ألفِ شيخٍ من العلماء وزيادة، وليس عندي حديثٌ إلا

(١) في تهذيب الأسماء واللغات ٧٢/١/١: «سعيد بن عبدالله بن سليمان». ولم يذكر ابن عدي ولا ابن منده ولا ابن عساكر أحدًا بهذا الاسم في شيوخ البخاري. فلعل «بن عبدالله» مقحم هنا خطأ والصواب «سعيد بن سليمان» وهو الملقب «بسعدويه» الواسطي، نزيل بغداد، ت ٢٢٥هـ.

أسامي من روى عنهم البخاري ص ١٠٩، أسامي مشايخ البخاري ص ٥٠، المعجم المشتمل ص ١٢٧، التهذيب ٤٣/٤.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ٧٢/١/١، طبقات السبكي ٢١٤/٢.

(٣) تاريخ بغداد ٤/٢، وعنه تهذيب الأسماء واللغات ٧٢/١/١.

أذكر اسناده^(١)».

وذكر المؤرخون أن هذه الزيادة بلغت ثمانين شيخاً^(٢). وحسبما ذكره العلامة الكرمانى: يوجد منهم في الصحيح مائتان وتسعة وثمانون شيخاً^(٣). والطبقة الأولى منهم من أئمة اتباع التابعين. ولكن ينبغي لنا

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٧٣/١/١. وانظر أيضاً: تاريخ بغداد ١٠/٢ وفيه «وأكثر» بدل «زيادة»، طبقات الشافعية للسبكي ٢٢٢/٢.

(٢) كما روى محمد بن أبي حاتم عن البخاري أنه قال: كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث. (مقدمة الفتح ٤٧٩) انظر أيضاً: سير أعلام النبلاء ٣٩٥/١٢. ورواه اللالكائي بسند آخر عن البخاري بنحوه ٨٨٩/٥. وذكرنا فيه مسألة الإيمان كما سيذكره المصنف في الباب السابع.

(٣) شرح الكرمانى على الصحيح ١٢/١.

هذا، وقد ألف الإمام أبو أحمد بن عدي الجرجاني صاحب كتاب «الكامل في ضعفاء الرجال» (٢٧٧-٣٦٥هـ) كتاب «أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه الذين ذكرهم في جامعه الصحيح» وذكر فيه ٢٩٥ شخصاً. غير أنه قال في آخر الكتاب «فجميع شيوخه الذين في جامعه مائتان وتسعة وثمانون شيخاً رحمهم الله جميعهم» (ص ١٧٨) وعلق عليه محقق الكتاب قائلاً: «كذا جاء العدد في النسخة الأخرى ولكن العدد يزيد على ذلك بستة رجال أو سبعة على النسخة الأخرى، فإما أن يكون الوهم من المؤلف أو تكون هناك زيادات أدخلت في النسخة. من الناسخ وكانت في حاشية أحد النسخ فالله أعلم». (ص ١٧٨).

حققه بدر بن محمد العماش. ونشرته دار البخاري. المدينة المنورة، ١٤١٥هـ.

كما ألف الإمام محمد بن إسحاق بن مندة الأصبهاني (٣١٠-٣٩٥هـ) كتاب «أسامي مشايخ الإمام البخاري رحمه الله تعالى» وذكر فيه ٣٠٦ أشخاص وجاء في أول المخطوط كما أثبت المحقق صورته «جزء فيه تسمية المشايخ الذين روى عنهم الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في كتاب الجامع الصحيح الذي صنّفه». نشرته مكتبة الكوثر، الرياض ١٤١٢هـ بتحقيق نظر محمد الفاريابي.

وألف العلامة رضى الدين الحسن بن محمد الصّغاني ت ٦٥٠هـ كتاب «أسامي =

أن نذكر أن البخاري كان يقول: إنه أخذ فقط عن أولئك الشيوخ الذين كانوا يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه ويعتبرون الأعمال جزءاً من الإيمان كما هو مذهب الصحابة وعلماء التابعين^(١).

وأما تاج الدين السبكي فإنه ينفي في الطبقات الكبرى رحلته إلى الجزيرة ويرى أن البخاري إنما يروى عن شيوخ الجزيرة بواسطة.

إلا أن قوله هذا يخالف ما وصل إليه تحقيق الإمام النووي والحافظ ابن حجر^(٢).

شيوخ البخاري» وقد طبع مؤخراً مصوراً من مخطوطته بتقديم علي بن محمد العمران، نشر دار عالم الفوائد بمكة المكرمة ١٤١٩هـ.

وهناك كتاب «التعريف بشيوخ البخاري» للغساني ت ٤٩٨ وهو جزء من كتابه تقييد المهمل وخاص بمن حدث عنهم البخاري وأهمل أنسابهم مطبوع. وكتاب «شيوخ البخاري»، للحافظ أبي علي أحمد بن محمد البرداني ت ٤٩٨هـ ولم أطلع عليه حتى الآن.

وسياتي ذكر الكتب التي تناولت رجال البخاري عامة - ومنهم شيوخه - فيما بعد إن شاء الله.

(١) مقدمة الفتح ص ٤٧٩ ولفظه: «لم أكتب إلا عمن قال الإيمان قولاً وعمل». وانظر أيضاً: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٨٨٩/٥، تاريخ ابن عساكر ٤١/١٥ ب، تحفة الأخباري ص ١٨٥، تغليق التعليق ٣٨٨/٥. وسياتي الكلام على صحة هذا اللفظ في مبحث علم الكلام والعقائد ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٢) طبقات الشافعية للسبكي ٢١٤/٢. ونقله عن الحافظ المزي فيما رآه بخطه. ونص كلامه: «وفي تاريخ نيسابور للحاكم أنه سمع بالجزيرة من أحمد بن الوليد بن الورثيني الحراني و...». و:».

«وهذا وهم، فإنه لم يدخل الجزيرة ولم يسمع من أحمد بن الوليد، إنما روى عن رجل عنه. ولا من ابن زرارة، إنما إسماعيل بن عبدالله الذي يروي عنه هو =

= إسماعيل بن أبي أويس . وأما ابن واقد فإنه سمع منه ببغداد . وعمرو بن خالد سمع منه بمصر . نَبّه على هذا شيخنا المزي فيما رأيته بخطه . «أهـ» .

قلت : وقال الذهبي أيضًا : «وروى عن أحمد بن عبد الملك بن واقد الحرّاني ، لقيه بالعراق . ولم يدخل الجزيرة ، (سير أعلام النبلاء ١٢/٣٩٦) .

ولكن كلام النووي وابن حجر يخالف هذا كما ذكر المصنف رحمه الله . وقد روى الحافظ ابن حجر عن أبي حاتم سهل بن السّري قال : قال البخاري دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين وإلى البصرة أربع مرات إلخ (مقدمة الفتح ص ٤٧٨ ، تغليق التعليق ٥/٣٨٨) .

فإن صحت هذه الرواية فهذا نص من البخاري نفسه أنه دخل الجزيرة مرتين . وهذه الرواية ذكرها الذهبي نفسه في سير أعلام النبلاء باسناد آخر لكن ليس فيها تصريح بالدخول . قال : «قال غنّجار : وحدثنا محمد بن عمران الجرجاني ، سمعت عبد الرحمن بن محمد البخاري ، سمعت محمد بن إسماعيل يقول : لقيت أكثر من ألف رجلٍ أهل الحجاز والعراق والشام ومصر لقيتهم مراتٍ أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين ، وأهل البصرة أربع مرات إلخ (١٢/٤٠٧) . والله أعلم .

وانظر كلام النووي في : تهذيب الأسماء واللغات ١/١/٧٢ وما تمس إليه حاجة القارئ ص ٣٥ .

البراعة في معرفة علل الحديث

العلة في اصطلاح المحدثين عبارة عن:

الأسباب الخفية الغامضة التي تقدح في صحة الحديث وقبوله مع كون ظاهره السلامة منها^(١).

ومعرفة العلل تعتبر من أدق وأصعب المباحث في علوم الحديث، وهي تستلزم الإحاطة بالفاظ جميع الطرق بالإضافة إلى البراعة الكاملة في معرفة مواليد الرواة ووفياتهم وسماعهم وألفاظهم، ولذلك قال المحدثون:

«ومعرفة هذا من أغمض أنواع علوم الحديث وأشرفها وأدقها، وإنما يتمكن من التكلم فيه أهل الحفظ التام والفهم الثاقب والخبرة الكاملة ولهذا لم يتصد للتكلم في هذا النوع إلا جمع قليل من المحدثين كعلي بن المديني ويعقوب بن شيبه وأحمد والبخاري وأبي

(١) انظر لتعريف العلل وما يتعلق بها: معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١١٢، علوم الحديث لابن الصلاح ص ٨١، إرشاد طلاب الحقائق للنووي ٢٣٤/١، النكت لابن حجر ٧١٠/٢، التبصرة والتذكرة للعراقي ٢٢٥/١، فتح المغيـث للسخاوي ٢٦٠/١، تدريب الراوي ٢٥٢/١ وغيرها. وللدكتور همام عبدالرحيم سعيد كتاب خاص في هذا الموضوع سماه: العلل في الحديث، نشرته دار العدوي للتوزيع في عمان. الأردن عام ١٤٠٠هـ وقد لخص أخونا الدكتور محفوظ الرحمن زين الله السلفي رحمه الله في مقدمة تحقيقه لكتاب العلل للدارقطني أهم مباحث هذا الموضوع وذكر قائمة بالكتب المؤلفة في هذا الموضوع بلغت خمسين كتابًا. (١/٣٦-٥٦).

حاتم وأبي زرعة والدارقطني ومن هذا حدوهم»^(١).

وقال الحاكم:

«الحجة فيه عندنا الحفظ والفهم والمعرفة لا غير»^(٢).

ويعرف فضل هذا العلم وعلوه وشرفه من بين العلوم الحديثية بما كان يقوله ابن مهدي^(٣):

(١) شرح الجرجاني ص ٢٠٥. (ظفر الأمانى ص ٣٦٣، تحقيق د. تقي الدين الندوي) وأصله في مقدمة ابن الصلاح ص ٨١، والنكت لابن الحجر ٧١١/١، وفتح المغيث ١/ ٢٧٢.

وقال ابن رجب: إن أهله (أى علم العلل) المتحققين به أفراد يسيرة من بين الحفاظ وأهل الحديث. وقد قال أبو عبدالله بن مندة الحافظ: إنما خص الله بمعرفة هذه الأخبار نفرًا يسيرًا من كثير ممن يدعي علم الحديث. فأما شأن الناس ممن يدعى كثرة كتابة الحديث أو متفقه في علم الشافعي وأبي حنيفة أو متبع لكلام الحارث المحاسبي والجنيد وذو النون وأهل الخواطر فليس لهم أن يتكلموا في شيء من علم الحديث إلا من أخذه عن أهله وأهل المعرفة فحيثئذ يتكلم بمعرفته. انتهى. شرح علل الترمذي لابن رجب ص ٦١-٦٢.

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم ١٤٣. فتح المغيث للعراقي ١٠٦/١، تدريب الراوي ١/ ٢٥١.

(٣) في الأصل «علي ابن المديني» والتصويب من معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١١٢، والأباطيل للجورقاني ١/ ١١، وتدريب الراوي ١/ ٢٥٢ وغيرها. ولعل «ابن مهدي» تحرف في نسخة التدريب التي اعتمد عليها المصنف رحمه الله إلى «ابن المديني».

و«ابن مهدي» هو الإمام المعروف «عبدالرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم، البصري، ثقة ثبت حافظ، عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه. مات ١٩٨هـ» التقريب ص ٦٠١. وينظر لترجمته ومصادر =

«لأن أعرف علة حديث هو عندي أحب إليّ من أن أكتب عشرين حديثًا ليس عندي»^(١).

والحقيقة أن معرفة إرسال أو انقطاع حديث ظاهره الإتصال، أو معرفة وقف حديث ظاهره الرفع رفعه أحد الرواة، أو التمييز بين حديث اختلط بغيره، أو الاطلاع على وهم من أحد الرواة أمر صعب جدًا. فمن ليست لديه القدرة الكاملة والمعرفة التامة لمواليد الرواة ووفياتهم وأحوالهم التاريخية وشيوخهم ومن روى عنهم وكذلك رحلات الرواة ومساكنهم ولقائهم من شيوخهم من عدمه والاطلاع على أسانيد متعددة، لا يستطيع أن يدخل في مضمار هذا الفن.

والفن الذي اكتسب فيه البخاريُّ اليد الطولي من فنون العلم هو معرفة علل الحديث. قال الحافظ أحمد بن حمدون^(٢):

= ترجمته: تهذيب الكمال ١٧/٤٣٠، سير أعلام النبلاء ٩/١٩٢.

(١) انظر المصادر المذكورة في أول التعليق السابق. وقوله هذا رواه أبو نعيم أيضًا في الحلية (٥/٩) ولكن يبدو أنه تحرف في المطبوع منها. وهو عند الذهبي في سير أعلام النبلاء بلفظ «لأن أعرف علة حديث أحب إليّ من أستفيد عشرة أحاديث» (٩/٢٠٦).

(٢) في بعض المصادر: أبو حامد الأعمشي، وهي كنيته. وهو: هو أبو حامد أحمد بن حمدون بن أحمد بن عمارة بن رستم النيسابوري الأعمشي. وقيل له الأعمشي لأنه كان يحفظ حديث الأعمش أبي محمد سليمان بن مهران المعروف بالأعمش ويلقب الأعمشي أبا تراب، ووالده حمدون القصار أحد الزهاد الأعلام. تذكرة الحفاظ ٣/٨٠٥، الأنساب ١/٣١٢-٣١٤ (المراجع) وينظر أيضًا لترجمته ومصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٤/٥٥٣. والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر ٢/٧٤٣ ووصفه بأنه من كبار الحفاظ.

«رَأَيْتُ الْبَخَارِيَّ فِي جَنَازَةِ (أَبِي عَثْمَانَ سَعِيدِ بْنِ مَرْوَانَ)»^(١) ومحمد ابن يحيى الذهلي يسأله عن الأسماء والعلل، والبخاري يمر فيه مثل السهم. كأنه يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢).

وقال أبو حامد^(٣) الأعمشي:

«كنا يوماً عند محمد بن إسماعيل البخاري بنيسابور فجاء مسلم ابن الحجاج فسأله عن حديث عبيد الله بن عمر عن أبي الزبير عن جابر قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ... الحديث بطوله»^(٤).

والحديث قد ذكره السائل معلقاً فحذف الرواة الذين هم قبل عبيد الله بن عمر - وهو من التابعين - فكأنه يريد أن يختبر الإمام البخاري

(١) زيادة من تاريخ بغداد والسير. وهو سعيد بن مروان الأزدي، أبو عثمان الرهاوي. ترجمه البخاري في التاريخ الكبير (٥١٥/٣) وسكت عليه. وقال ابن أبي حاتم: سمع منه أبي بالرها. (الجرح والتعديل ٦٧/٤). وذكره ابن حبان في الثقات وقال: روى عنه أهل الجزيرة. (٣٧٣/٦).

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٨٨. وانظر أيضاً: تاريخ بغداد ٣١/٢، تهذيب الأسماء واللغات ٦٩/١/١. تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٦٧، سير أعلام النبلاء ٤٣٢/١٢، ٤٥٥، تغليق التعليق ٤١٩/٥، مقدمة القسطلاني ٣٠/١.

(٣) هو الحافظ أحمد بن حمدون النيسابوري الأعمشي. تقدمت ترجمته تعليقا قبل قليل.

(٤) مقدمة الفتح ٤٨٨، تغليق التعليق ٤٢٨/٥. وقد روى الحافظ هذه القصة فيهما باسناده عن الحافظ أبي بعلی الخليلي. وهي في كتاب الإرشاد للخليلي ٩٥٩/٣-٩٦٠ ورواها الخطيب باسناد آخر عن أحمد بن حمدون الحافظ وهو الأعمشي نفسه (تاريخ بغداد ٢٨/٢) ورواها أيضاً ابن رشيد الفهري في السنن الأبين (ص ١٣٨) باسناده عن الخليلي به.

هل يعرف هذا الحديث أم لا؟ وإن كان يعرف فعنده سنده أم لا؟ وإن كان عنده السند فكيف هو أُمُعَلَّلٌ أم صحيحٌ؟ وإن كان مُعَلَّلًا فهل هو يعرف عِلَّتَهُ أم لا؟ ولكن الإمام البخاري قرأ الحديث بتمامه في تلك اللحظة بسند متصل، فقال:

«حدثنا ابن أبي أويس، حدثني أخي، عن سليمان بن بلال، عن عبيدالله، فذكر الحديث بتمامه^(١)».

(١) الحديث المشار إليه هو حديث جابر المشهور في قصة العنبر الذي رماه البحر فأكله أهل الجيش من أصحاب رسول الله ﷺ ثماني عشرة ليلة وكانوا ثلاثمائة شخص. وكان ذلك في غزوة سيف البحر سنة ثمان من الهجرة كما في فتح الباري (٧٨/٨).

وهذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٨/٥، الشركة. باب الشركة في الطعام، ح ٢٤٨٣. و ١٣٠/٦، الجهاد. باب حمل الزاد على الرقاب، ح ٢٩٨٣ و ٧٧/٨، المغازي. باب غزوة سيف البحر، ح ٤٣٦٠، عن طريق وهب بن كيسان عن جابر.

وأخرجه أيضًا في ٧٧/٨. ح ٤٣٦١ و ٤٣٦٢. و ٦١٥/٩، الذبائح والصيد. باب قول الله تعالى: أحل لكم صيد البحر، ح ٥٤٩٣ و ٥٤٩٤.

وأخرجه مسلم أيضًا ١٥٣٥/٥ - ١٥٣٧: كتاب الصيد والذبائح. باب إباحة ميتات البحر بطرق عن جابر منها زهير عن أبي الزبير عن جابر.

وعبيدالله بن عمر هو العمري. ثقة ثبت، من الخامسة/ع (التقريب ٥٣٧/١ مختصرًا) وقد روى عن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص ولها صحبة. وروى عن التابعين.

وقد روى حديثًا عن أبي الزبير عن جابر في رمي الجمار. أخرجه النسائي (كما في تحفة الأشراف ٣٣٢/٢) ولم يذكر المزي في التحفة رواية أخرى له عن أبي الزبير عن جابر.

أما هذا الحديث الذي سأل مسلم البخاري عنه فلم يخرج حتى مسلم في صحيحه عن طريق عبيدالله بن عمر عن أبي الزبير عن جابر. نعم أخرجه أبو عوانة =

وفي المجلس نفسه قرأ عليه إنسان^(١) حديثاً عن طريق:

«حجاج بن محمد عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن^(٢) سُهَيْل
ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: كَفَّارَةُ الْمَجْلِسِ^(٣)
إِذَا قَامَ الْعَبْدُ أَنْ يَقُولَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ^(٤) اسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

فقال له مسلم:

«في الدنيا أحسن من هذا الحديث؟ ابن جريج عن موسى بن عقبة
عن سُهَيْل بن أبي صالح، تعرف بهذا الإسناد في الدنيا حديثاً؟».

فقال البخاري: «إلا أنه معلول».

فقال مسلم: «لا إله إلا الله وارتعد! أَخْبِرْنِي بِهِ».

= (١٥١/٥) قال: حدثنا محمد بن إسماعيل المكي قثنا إسماعيل بن أبي أويس عن
أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن أبي الزبير عن جابر. وساق له
طريقاً أخرى (١٤٣/٥ - ١٥٤).

ومن هنا يظهر أن سؤال مسلم كان دقيقاً جداً للغاية ولعله بذكر هذا الإسناد
بالذات قصد الإغراب على البخاري لندرة مرويات عبيد الله بن عمر عن أبي الزبير
رغم أن أصل الحديث معروف ومشهور وجواب الإمام البخاري عليه بداهة وبدون
أى تأخير أو تردد دالٌّ على سعة اطلاعه وقوة ذاكرته وحسن استحضاره. رحمهم الله
جميعاً رحمة الأبرار الصالحين.

(١) يظهر من رواية طبقات الحنابلة أن مسلماً نفسه قرأ هذا الحديث.

(٢) في الإرشاد: حدثني.

(٣) في الإرشاد والتعليق: «المجلس واللغو»

(٤) في الإرشاد: «إلا الله».

فقال البخاري: «استر ما ستر الله. هذا حديثٌ جليلٌ، رواه الناس عن حجاج بن محمد عن ابن جُرَيْجٍ.»

«فألح عليه مسلم» وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَكَادَ أَنْ يَبْكِي فَقَالَ: اكْتُبْ إِنْ كَانَ وَلَا بَدَّ^(١). ثم روى هذا الحديث بسنده السالم من العلة هكذا:

«حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وَهَيْبٌ، حدثنا موسى بن عُقْبَةَ، عن عون^(٢) بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: كفارة المجلس...»

«فقال له مسلم: لا ييغضك إلا حاسدٌ، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك^(٣)».

(١) كان من عادة المحدثين أنهم لم يكونوا يخبرون بدقائق علوم الحديث بسهولة إلا إذا بلغ الطالب ذروة الشوق والولع ولا سيما إذا أرادوا اختبار حرص الطالب، وذات مرة حدث محدث حديثاً لطالبه فقال خذهُ لقد أعطيتك بسهولة. كما في صحيح البخاري. (المؤلف) ونصه: قال عامر لتلميذه صالح بن حيّان: أعطيناها بغير شيء قد كان يركب فيما دونها إلى المدينة، وانظر (صحيح البخاري ١/ ١٩٠) ومثله قال الشعبي لتلميذه الخراساني: خذ هذا الحديث بغير شيء فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلى المدينة. (صحيح مسلم ١/ ١٣٥). (المراجع).

(٢) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي سكن الكوفة، وكان يقول بالارجاء ثم رجع وخرج مع ابن الأشعث ثم هرب، وصحب عمر بن عبدالعزيز في خلافته. قال الحافظ: ذكره البخاري فيمن مات بين عشر ومائة إلى عشرين ومائة، تهذيب التهذيب ٨/ ١٧١-١٧٣، الأعلام ٥/ ٢٨٠ (المراجع).

(٣) مقدمة الفتح ٤٨٨. وهي في الإرشاد للخليلي ٣/ ١٦٠، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٩، وعلوم الحديث للحاكم ص ١١٤، وطبقات الحنابلة ٢/ ٢٧٣، وأدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ص ١٣٦، وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٥/ ٤٥/ أ، والسنن الأبين ص ١٣٩-١٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣٧، وعن الحاكم والخطيب =

[وفي سياق آخر لهذه القصة قال أحمد بن حمدون القصار - وهو أبو حامد الأعمشي:

«سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل فقبل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين، وطيب الحديث في عله:

حدثك محمد بن سلام، حدثنا مخلد بن يزيد، أخبرنا ابن جريج، حدثني موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كفارة المجلس أن يقول إذا قام من مجلسه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك.»

«فقال محمد بن إسماعيل: وحدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالوا: حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج قال: حدثني موسى بن عقبة، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: كفارة المجلس أن يقول إذا قام من مجلسه: سبحانك ربنا وبحمدك.»

فقال محمد بن إسماعيل: هذا حديث مليح، ولا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا حديثاً غير هذا، إلا أنه معلول. حدثنا موسى بن إسماعيل،

= ذكرها ابن ناصر الدين في تحفة الأخباري ص ١٩٥ - ١٩٨. وعزاها الحافظ إلى الحاكم في تاريخ نيسابور أيضاً عن طريق أبي محمد المخلدي عن أبي حامد الأعمشي به (مقدمة الفتح ص ٤٨٨، تغليق التعليق، ٤٢٩/٥، وفي رواية الحاكم في علوم الحديث (وعنه الخطيب في تاريخ بغداد ١٠٢/١٣) جملة منكراً سيأتي التنبيه عليها نقلاً عن الحافظ ابن حجر. والجملة الأخيرة ذكرها الصغاني أيضاً (ص ٣)، والنكت لابن حجر ٧١٦/٢ مع اختلاف في بعض الكلمات من مصدر لمصدر. وقال الحافظ في تغليق التعليق ٤٢٩/٥: «إسناد هذه الحكاية صحيح».

حدثنا وهيب، حدثنا سهيل، عن عون بن عبد الله قوله. »

« قال محمد بن إسماعيل: هذا أولى، ولا يذكر لموسى بن عقبة مسنداً عن سهيل. »^(١)

أى أن أحد الرواة أخطأ فيه فرواه مرفوعاً إذ لا يُعرف لموسى بن عقبة حديث مرفوع عن سهيل فالصحيح الثابت أن سهيلاً إنما رواه من قول عون. فوهم فيه بعض الرواة ورفعوه إلى النبي ﷺ.^(٢)

(١) ما بين المعقوفين ليس ترجمة حرفية لكلام المصنف هنا لأن المصنف رحمه الله رواها عن مقدمة الفتح بشيء من الاختصار فرأيت أن أذكرها بنصها كما في مقدمة الفتح (ص ٤٨٨).

وهذا السياق أخرجه ابن نقطه بسنده في التقييد ١٢/١، وعزاه الحافظ في المقدمة إلى البيهقي في المدخل عن الحاكم أبي عبد الله ورواه بسنده عن البيهقي في تعليق التعليق ٤٢٩/٥ (واللفظ له).

وكتاب «المدخل إلى السنن الكبرى» للإمام البيهقي لم يوجد كاملاً حتى الآن وما وجد منه مطبوع بتحقيق أخينا الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي حفظه الله. نشرته دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت عام ١٤٠٦هـ. ولا توجد هذه الرواية في المطبوع منه. والله أعلم. وذكره عن البيهقي ابن ناصر الدين في تحفة الأخباري أيضاً (ص ١٩٥) ولكنه جمع بينه وبين سياق الحاكم في علوم الحديث. أما كلام البخاري فموجود باختصار في تاريخه الصغير أيضاً (٤١/٢ - ٤٢).

(٢) هذا، وأما العلة التي أشار إليها الإمام البخاري رحمه الله فهي في هذا الإسناد فحسب لأن أصل الحديث أى المتن صحيح ثابت عن رسول الله ﷺ. ولفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس في مجلس فكثر فيه لَغَطُهُ فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. إلا غُفِرَ له ما كان في مجلسه ذلك». صحيح سنن الترمذي ١٥٣/٣، ح ٢٧٣٠.

ولذلك لما ورد في رواية الحاكم في علوم الحديث في هذه القصة قول =

ومما يشهد لبراعة البخاري ومهارته في هذا الفن الغامض الدقيق، فن معرفة علل الحديث، ما قاله الترمذي في كتابه القيم «كتاب العلل»:

«وما كان فيه من ذكر العلل في الأحاديث والرجال والتاريخ فهو ما استخرجته من كتاب التاريخ، وأكثر ذلك ما ناظرت به محمد بن إسماعيل، ومنه ما ناظرت عبدالله بن عبدالرحمن وأبا زرعة، وأكثر ذلك عن محمد، وأقل شيء فيه عن عبدالله وأبي زرعة^(١)».

وقال الترمذي:

«لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن إسماعيل البخاري^(٢)».

= البخاري «ولا أعلم في هذا الباب غير هذا الحديث» انتقده الحافظ ابن حجر (مقدمة الفتح ص ٤٨٩) وقال في تغليق التعليق: «كذا وقع في علوم الحديث للحاكم وهو وهم لا يتصور وقوعه من مثل البخاري لأن في الباب جملة أحاديث من غير هذا الوجه» (٤٢٩/٥ - ٤٣٠) وانتقده أيضًا انتقادًا شديدًا في النكت على ابن الصلاح (٧١٨/٢) وبين أنها لفظة منكورة في الحكاية عن البخاري. وأن الصواب أن البخاري إنما قال «لا أعلم في الدنيا بهذا الإسناد غير هذا الحديث» وهو كلام مستقيم (٧٤٥/٢) وفصل الكلام في بيان مراد البخاري وغيره من الأئمة الذين عللوا هذا الإسناد، وذكر طرقًا كثيرة لهذا الحديث عن جماعة من الصحابة وبين درجة كل اسناد من حيث الصحة أو الضعف، (النكت ٧١٨/٢ - ٧٤٥).

وينظر أيضًا: العلل لابن أبي حاتم ١٩٥/٢، والعلل للدارقطني ٢٠١/٨، س ١٥١٣، وفتح الباري ١٣/٥٤٤ - ٥٤٦.

(١) العلل للترمذي مع تحفة الأحوزي: ٤٦٧/١. وشرح علل الترمذي لابن رجب ص ٥٧.

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٨٥، ولفظه في العلل: «ولم أر أحدًا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد كبير أحد أعلم من محمد بن إسماعيل».

العلل للترمذي المطبوع في آخر سنه ٧٣٨/٥، طبعة دار إحياء التراث العربي. بيروت. وشرح علل الترمذي لابن رجب ص ٥٧ - ٥٨، وهذه العبارة موجودة أيضًا =

و ذات مرة كان الإمام البخاري في مجلس الفريابي شيخ زمانه،
فذكر الفريابي حديثاً، قال:

«حدثنا سفيان عن أبي عروة عن أبي الخطاب عن أبي حمزة»

فلم يعرف أحد في المجلس من فوق سفيان، لأنهم كلهم ذكروا
بكناهم، ولكن البخاري قال لهم:

«أبو عروة هو محمد بن راشد، وأبو الخطاب هو قتادة بن دعامة،
وأبو حمزة هو أنس بن مالك، ثم قال: كان الثوري فعولاً لذلك يكني
المشهورين^(١)».

= في حاشية العلل المطبوعة في آخر الطبعة الهندية من سنن الترمذي مع شرحه تحفة
الأحوزي نقلاً عن نسخة (٣٨٥/٤) ولكنها سقطت من الطبعة المصرية، نشر
عبدالمحسن الكتبي (٤٦٧/١٠).

قال ابن رجب: «مع أنه رأى أبا زرعة وعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي
وذاكرهما... وكلامه كالصریح في تفضيل البخاري في هذا العلم على أبي زرعة
والدارمي وغيرهما».

وينظر لكلام الترمذي أيضاً: تاريخ بغداد ٢٧/٢. تهذيب الأسماء واللغات
٧٠/١/١، ما تمس إليه حاجة القارئ ص ٢٨، تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٥٧،
سير أعلام النبلاء ٤٣٢/١٢، طبقات الشافعية للسبكي ٢٢٠/٢، البداية والنهاية
٢٦/١١، تحفة الأخباري ص ٢٠١، تغليق التعليق ٤١٠/٥.

(١) مقدمة الفتح ٤٧٨. وانظر أيضاً: تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٥٢، وسير أعلام
النبلاء ٤١٣/١٢. تغليق التعليق ٣٩١/٥، وذكرنا أيضاً الحديث المروي بهذا
الإسناد.

وقال ابن حجر: «كان موت الفريابي سنة ٢١٢هـ وكان سن البخاري إذ ذاك
نحوًا من ثمانية عشر عامًا أو دونها»، مقدمة الفتح ص ٤٧٨.

الاحتياط في جرح الرواة

إن جرح راوٍ ما من الأمور الصعبة الخطيرة، ولذلك عابه جماعة من الصوفية، إلا أن هذا من سداجتهم^(١)، لأنه لو لم يُبين العيبُ الواقع عند الضرورة بأمانةٍ لذهب من العالم القسطُ والعدلُ، ولامتلأت الدنيا ظلمًا وجورًا، فكما أن من الواجب علينا ستر العيوب كذلك لا غنى عن إظهار العيب الحقيقي عند الضرورة.

والذين تورعوا عن جرح الرواة ونهوا عنه يعتبرونه عيبًا ويحتجون بقوله تعالى:

﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٢)

ويرددون قول القائل:

«أعراض الناس حفرة من حفر النار، وقف على شفيرها طائفتان من الناس، المحدثون والحكام»^(٣).

(١) قال العلامة ابن الجوزي: «ومن التغفيل قول المتزهّد عند سماع القَدْح في الكذابين: هذا غيبة. وإنما هو نصيحة للإسلام. (الموضوعات ٤٢/١).

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) قائله هو الإمام تقى الدين ابن دقيق العيد ت ٧٠٢هـ في كتابه «الاقتراح في بيان الاصلاح ص ٣٤٤». ولكن فيه «أعراض المسلمين... إلخ».

وكذا ذكره عنه السبكي في طبقات الشافعية ١٢/٢ «قاعدة في الجرح والتعديل» والعراقي في التبصرة والتذكرة ٢٦٠/٣ والسخاوي في فتح الغيث ٧٠/٢ وذكريا الأنصاري في فتح الباقي بشرح ألفية العراقي ٢٦٠/٣ بحاشية التبصرة والتذكرة.

ووقع عند ابن حجر في مقدمة لسان الميزان ١٦/١، والصنعاني في توضيح =

وقد يصح هذا إلى حدٍ ما، لكنه إنما يصح إذا كان الكلام بدون حاجة تستدعي ذلك أو في موضع لا تبيحه فيه الشريعة، ولكن إذا دعت الحاجة الشرعية إلى ذلك فإنه محمود وليس بمذموم، وذلك لأننا نرى أن جماعة من المسلمين - بغض النظر عن أولئك الذين يبغضون المسلمين ويعادونهم - ظاهرها التعبد والتصوف تضع أحاديث في الفضائل والترغيب والترهيب وبحسن نية أيضاً^(١) حتى إن عبد الكريم الوضاع مع كونه مسلماً وضع أربعة آلاف حديث كما اعترف بذلك^(٢).

وإذا نزلنا قليلاً عن درجة الوضع فإن هناك التساهل والأخطاء والأوهام والغفلة وسوء الحفظ، فلو لم يبين لنا المحدثون وضع الرواة وتساهلهم وغفلتهم وسوء حفظهم، وكونهم غير عدول أو كذابين أو واهمين لأصبح من المستحيل الآن معرفة الصحيح من أحاديث رسول الله ﷺ وآثار الصحابة والتابعين، وقد بين ذلك المحدثون بنفهم:

«وقد جُوز ذلك... صيانة للشريعة فإنه لو لم يجز لما تميز الصادق من الكاذب، والفاسق من العادل، والمغفل من الضابط، واختلطت

= الأفكار ٢/٢٣٦، «أعراض الناس...» كما ذكر المؤلف هنا.

(١) تدريب الراوي ١/٢٨٣.

(٢) عبدالكريم هو ابن أبي العوجاء الذي قتل وصلب في زمن المهدي. قال ابن عدي: لما أخذ ليضرب عنقه قال: وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام. (تدريب الراوي ١/٢٨٤)، (المراجع) وانظر أيضاً: الموضوعات لابن الجوزي ١/١٨، ميزان الاعتدال ٢/٦٤٤، لسان الميزان ٤/٥١. وقد عده ابن الجوزي من «الزنادقة الذين قصدوا إفساد الشريعة» وقال الذهبي: «زنديق معثر». وكان قتله في خلافة المهدي بعد ١٦٠هـ.

الأحاديث الصحيحة بالسقيمة، وقامت الملاحدة والزنادقة من كل جانب للإفساد في الشريعة^(١)، وقد قال الله تعالى:

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا^(٢)﴾

ولئن كنا أمرنا بقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ^(٣)﴾ في الأمور الدنيوية، فما بالك في الأمور الدينية التي هي أهم وأخطر وتحتاج إلى قدر أكبر من الحذر والحيطه^(٤).

(١) شرح الجرجاني ٢٧٢ (ظفر الأمانى ص ٤٨٤، تحقيق عبدالفتاح أبى غدة).

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) الطلاق: ٢.

(٤) الجرح والتعديل لتمييز الأحاديث الصحيحة من الأخبار الضعيفة ليس جائزاً فحسب بل هو واجب إسلامي نص عليه كثير من الأئمة والعلماء.

قال الإمام الشافعي: «إذا علم الرجل من مُحدثِ الكذب لم يَسَعُهُ السكوت عليه ولا يكون ذلك غيبةً لأن العلماء كالنقاد، فلا يسع الناقد في دينه أن لا يبين الزيف من غيرها.» (الأباطيل للجورقاني ٩/١، الموضوعات لابن الجوزي ٤٣/١).

وقال عبدالرحمن بن مهدي: مررت مع شعبة برجلٍ - يعنى: يحدث - فقال: كذب والله. لولا أنه لا يحل لي أن أسكت عنه لسكتُ. أو كلمة معناها. «(الكفاية: ٩٠) وأخرجه أيضاً ابن حبان في المجروحين (٢١/١) والجورقاني في الأباطيل (٩/١) ولكن عندهما «سفيان الثوري» بدل «شعبة» وكذا ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٤٢/١.

وقال الحاكم: «ولعل قائلًا يقول: إن الكلام في هؤلاء الرواة غيبة والغيبة محرمة في أخبار كثيرة عن رسول الله ﷺ. وقائل هذا يخوض فيما ليس من صناعته. فقد أجمع المسلمون قاطبة بلا خلاف بينهم أنه لا يجوز الاحتجاج في أحكام الشريعة إلا بحديث الصدوق العادل، ففي هذا الإجماع دليل على إباحة جرح من ليس هذا صنعه.»

ومع أن الجرح في الرواة والتثبت في أمرهم قد بدأ منذ عصر الصحابة. (١)

= (المدخل إلى كتاب الإكليل ص ٦٩، طبع دار الدعوة. الأسكندرية بمصر).
وقد عقد الإمام الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية بابًا بعنوان «باب وجوب تعريف المزكي ما عنده من حال المسئول عنه» (ص ٨٧) وذكر فيه كثيرًا مما ورد من الأئمة في هذا الشأن.

وذكر الإمام النووي ستة أسباب تباح فيها الغيبة، منها «الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه: جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة.» (رياض الصالحين ص ٥٣٨ باب ما يباح من الغيبة) وقال في شرح مسلم له «اعلم أن جرح الرواة جائز بل واجب بالاتفاق للضرورة الداعية إليه لصيانة الشريعة المكرمة. (١/١٢٤).
ونصوص الأئمة في هذا الباب كثيرة لا يمكن احصاؤها هنا وقد تحدثت عن أهمية الجرح والتعديل ووجوبه للتمييز بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة في مقدمتي لكتابي «معرفة الثقات للإمام العجلي» و«الشجرة في أحوال الرجال للإمام الجوزجاني» بشيء من التفصيل فمن الممكن الرجوع إليهما.

ومما ينبغي أن يقرأه طالب العلم في هذا الباب «مقدمة كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ومقدمة كتاب المجروحين لابن حبان، ومقدمة كتاب الكامل لابن عدي ومقدمة كتاب الموضوعات لابن الجوزي ومقدمة كتاب الميزان للذهبي ولسان الميزان لابن حجر رحمهم الله فقد تحدثوا في هذا الموضوع بإسهاب. وفي الجزء الأول من كتاب التنكيل للشيخ العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي قواعد وفوائد مهمة في هذا الباب بالاضافة إلى أنه له رسالة في «علم الرجال وأهميته» طبعت مؤخرًا بتحقيق الشيخ علي حسن الحلبي، نشر دار الراية للنشر والتوزيع. الرياض ١٤١٧هـ.

وهناك دراسات وأبحاث عديدة حديثة لا يخلو ذكرها كلها من الإطالة ومن أجودها بحث «النقد عن المحدثين» للدكتور محمد مصطفى الأعظمي وهو مطبوع في مقدمة كتاب التمييز للإمام مسلم بتحقيقه. وكتاب «الوضع في الحديث» للدكتور عمر حسن فلاتة. وكتاب «دراسات في الجرح والتعديل» للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي.

(١) فتح المغيث للعراقي ١٥١/٤، وللسخاوي ١٠٠-١٠١ و ٣٥٦/٤ تحقيق علي حسين علي. طبعة الجامعة السلفية في بنارس، الهند.

ووجدت فرق الشيعة والخوارج، وبدأ الاحتياط في الأخذ بالحديث، وقد ثبت كثير من الجرح عن الصحابة، ولكن لم تكن حاجتهم كبيرة لقرب المسافة الزمنية وقلة الوسائط في نقل الأحاديث.

ولكن لما زادت الوسائط ووجدت فرق أصحاب الأهواء توجه إليه كبار التابعين كالحسن البصري وطاؤوس وأيوب السخثياني وعبدالله بن عون وسليمان التيمي فمن بعدهم كالإمام مالك ويحيى بن سعيد القطان وشعبة وغيرهم من أساطين علم الحديث، وتوالى المحدثون فيما بعدهم، وقد أجمعت الأمة على ورعهم وعدالتهم وديانتهم.^(١)

وكان كل ذلك بنية الذب عن الرسول ﷺ وعن الإسلام ونصيحة

(١) ويُستحسن الرجوع في هذا الموضوع أيضًا إلى المصادر التي سبق أن ذكرتها قبل قليل في التعليق (٤) في ص (١١٦).

وللإمام الذهبي رسالة مستقلة في هذا الموضوع بعنوان «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» ذكر فيها الأئمة الذين تكلموا في الجرح والتعديل منذ عصر التابعين إلى عصره هو وذكر فيها ٧١٥ شخصًا قسمهم على اثنتين وعشرين طبقة. ولخصها الإمام السخاوي في فتح المغيث (٤/٣٥٦-٣٦٠) وفي آخر كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧٠٦-٧٢٣) المطبوع ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لفرانز روزنتال. ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي.

وقد حقق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رسالتي الذهبي والسخاوي وطبعهما ضمن كتاب «أربع رسائل في علوم الحديث» نشر مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب ط الثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

ومن أبرز من اعتنى بهذا العلم من المتأخرين تدوينًا وتهذيبًا وتنقيحًا الأئمة: المزي والذهبي وابن حجر ولهم كتب معروفة ومشهورة في هذا الباب وعليها جُلُّ اعتماد المشتغلين بهذا العلم في الوقت الحاضر. وصدق الإمام السيوطي إذ قال: «إن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر» (طبقات الحفاظ ص ٥١٨، ترجمة الذهبي).

للمسلمين، فنظروا في الرجال بدقة، وأسسوا لذلك أصولاً وقواعد، وعلى سبيل المثال: متى يُقبل جرح الأقران المعاصرين في بعضهم ومتى لا يُقبل. وغير ذلك.

ولا شك في أن القرآن حينما أمر ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١)

أمر أيضاً بقوله: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٢) ويفهم من مجموع الأمرين أنه لا يجوز الجرح إلا عند الضرورة، ولا يجوز الزيادة فيها قدر أنملة.^(٣)

وخلاصة القول أن الجرح أمر صعب، ويحتاج فيه إلى أقصى درجة من التدين والورع والتقوى والاحتياط. قال ابن خلّاد^(٤) للإمام يحيى بن سعيد القطان:

«أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصمائك عند الله يوم القيامة. فقال: لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إليّ من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ يقول: لِمَ حدثت عني حديثاً ترى أنه كذب.»^(٥)

(١) الحجرات: ٦.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) وقد حاول بعضهم حصر هذه الضرورة في «الرواية» فقط. فردّ عليهم الحافظ السخاوي بكلام مقنع، يمكن الرجوع إليه في فتح المغيث (٤/٣٦٣).

(٤) ابن خلّاد: هو أبوبكر محمد بن خلّاد بن كثير الباهلي، البصري، ثقة، مات ٢٤٠هـ على الأصح / م د س ق. التقريب ص ٨٤٢، التهذيب ٩/١٥٢.

(٥) الكفاية ص ٩٠. وهو في مقدمة ابن الصلاح ص ٣٥٠، وعنه في شرح ألفية العراقي ٤/١٥١ (التبصرة والتذكرة ٣/٢٦١) والشذا الفياح ٢/٧٤٠ ولكن آخره عندهم «لِمَ تَذِبُ الكَذِبَ عن حديثي». وانظر أيضاً: الكامل لابن عدي ١/١١٠ =

ومسلك الاحتياط الذي سلكه الإمام البخاري يدل على منزلته العليا من التدين والإخلاص والورع. فطريقته في الجرح أنه يختار كلمات لا يمكن أى شخص أن يؤاخذ بها المجروح، ومن كلماته في الجرح: «تركوه، أنكره الناس، متروك، ساقط، فيه نظر، سكتوا عنه وغيرها».

ومن النادر أن يثبت عن البخاري أنه قال عن رجل بأنه وضاع أو كذاب^(١). ومن أشد كلمات الجرح عند البخاري أن يقول: «منكر الحديث».

= الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٩١/٢.

وقد ذكرتُ في مقدمة تحقيقي لكتاب الشجرة في أحوال الرجال للجوزجاني روايات أخرى من هذا القبيل (ص ٦٦-٦٩) مما يدل أن كلام المحدثين في الجرح والتعديل كان إيمانًا واحتسابًا وأنهم كانوا يتكلمون بغاية الإنصاف والتجرد دون محاباة أو معاداة. رحمهم الله.

(١) قال بكر بن منير: «سمعت أبا عبدالله البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا».

(تاريخ بغداد ١٣/٢، طبقات الحنابلة ٢٧٦/١، تهذيب الأسماء واللغات ٦٨/١/١، تهذيب الكمال ٤٤٦/٢٤، تاريخ الاسلام للذهبي ص ٢٥٩، طبقات الشافعية للسبكي ٢٢٣/٢، مقدمة الفتح ٤٨٠، تغليق التعليق ٣٩٨/٥).

قال الذهبي: صدق رحمه الله، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا.

وقل أن يقول: كذاب، أو كان يضع الحديث، حتى إنه قال: إذا قلت فلان في حديثه نظر فهو متهم وإه. وهذا معنى قوله: «لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدًا» وهذا والله غاية الورع. (سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٢-٤٤١) وقال نحو هذا في تاريخ الاسلام أيضًا (ص ٢٥٩) وعن تاريخ الاسلام ذكره السبكي في الطبقات الكبرى ٢٢٤/٢.

وقال ابن حجر: وللبخاري في كلامه على الرجال توقُّ زائد، وتحَرُّ بليغ، =

ومن اصطلاحه أنه إذا قال عن أحد بأنه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه .

قال ابن القطان^(١) : قال البخاري :

«كل من قلتُ فيه : «منكر الحديث»، لا تحل الرواية عنه^(٢)» .

وذات مرة سئل عن خبر حديث، فقال :

«يا أبا فلان تراني أدلس؟ وقد تركتُ عشرة آلاف حديث لرجلٍ فيه نظر، وتركتُ مثلها أو أكثر منها لغيره لي فيه نظر^(٣)» .

= يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل، فإن أكثر ما يقول: سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا. وقل أن يقول: كذاب، أو وضاع، وإنما يقول: كذبه فلان. رماه فلان يعني بالكذب. (مقدمة الفتح ٤٨٠. ونحوه في التعليق أيضًا ٣٩٧/٥).

(١) هو الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الحميري الفاسي المعروف بابن القَطَّان، ت ٦٢٨ هـ (سير أعلام النبلاء ٣٠٦/٢٢) أشهر مؤلفاته «بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام» انتقد فيه كتاب الأحكام لعبد الحق الأشيلي. وقد طبع مؤخرًا بتحقيق د. الحسين آيت أحمد في ست مجلدات. المجلد الأول هو دراسة عن حياته وكتابه والمجلد السادس خاص بالفهارس.

(٢) بيان الوهم والإيهام ٣٧٧/٣، ح ١١٢٠. وعنه ميزان الاعتدال ٦/١ ترجمة أبان بن جبلة، و٢٠٢/٢ ترجمة سليمان بن داود اليمامي أبي الجمل، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٢٤/٢، ولسان الميزان ٢٠/١، ٨٣/٣.

وذكره ابن حجر في تغليق التعليق ٣٩٧/٥، والسيوطي في تدريب الراوي ٣٤٩/١ والسخاوي في فتح المغيث (١٢٥/٢) بدون ذكر ابن القطان فيه.

ولم يذكر ابن القطان اسناده إلى البخاري لكن قال ابن حجر في ترجمة أبان بن جبلة من لسان الميزان (٢٠/١): «وهذا القول مروى بإسناد صحيح عن عبد السلام ابن أحمد الخفاف عن البخاري». وذكر السخاوي أن في رواية عن البخاري: «لا يحتج به» (فتح المغيث ١٢٥/٢) بدل «لا تحل الرواية عنه».

(٣) مقدمة الفتح ٤٨١. وانظر أيضًا: تاريخ بغداد ٢٥/٢، وفيه في الموضوعين: «لى فيه =

من هذه الحكاية نستطيع أن نتصور مدى اجتنابه وبعده عن مواضع التهم. وقد ذكر العلامة العجلوني قصة تدل على ورع الإمام البخاري وبعده عن مواضع التهم وهي:

أن الإمام البخاري ركب البحر مرة في أيام طلبه، وكان معه ألف دينار، فجاءه رجل من أصحاب السفينة وأظهر له حبه ومودته وأصبح يقاربه ويجالسه، ولما رأى الإمام حبه وولاءه مال إليه وبلغ الأمر أنه بعد المجالسات أخبره عن الدنانير الموجودة عنده.

وذات يوم قام صاحبه من النوم فأصبح يبكي ويُعَوِّل ويُمَزِّق ثيابه ويلطُم وجهه ورأسه، فلما رأى الناس حالته تلك أخذتهم الدهشة والحيرة وأخذوا يسألونه عن السبب وألحوا عليه في السؤال، فقال لهم: كانت عندي صرة فيها ألف دينار وقد ضاعت، فأصبح الناس

= نظر» تاريخ دمشق ١٥/٤٧/ب. تحفة الأخباري ص ١٨٤، تغليق التعليق ٥/٤٠٠ و ١٠/٢.

ومع ذلك تجرأ عليه بعضهم ووصفه بالتدليس. قال ابن حجر: «وصفه بذلك أبو عبدالله ابن مندة في كلام له فقال فيه: أخرج البخاري، قال فلان، وقال لنا فلان. وهو تدليس».

قال ابن حجر: «ولم يوافق ابن مندة على ذلك. والذي يظهر أنه يقول فيما لم يسمع: «قال». وفيما سمع لكن لا يكون على شرطه أو موقوفًا: «قال لي» أو «قال لنا». وقد عرفت ذلك بالاستقراء من صنيعه». تعريف أهل التقديس ص ٤٣-٤٤.

وانظر أيضًا: تغليق التعليق ٩/٢-١٠، النكت على كتاب ابن الصلاح ٦٠١/٢، التبيين في أسماء المدلسين لسبط ابن العجمي ص ١٧٤.

وعزاه سبط ابن العجمي إلى ابن مندة «في جزء له في شروط الأئمة في القراءة والسماع والمناولة والإجازة». ولم أجده في الكتاب الذي طبع مؤخرًا باسم شروط الأئمة. نشر دار المسلم بالرياض سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م فلعله كتاب آخر والله أعلم.

يفتشون ركاب السفينة واحدًا واحدًا، وحينئذ أخرج الإمام البخاري صرة دنانيره خفية فألقاها في البحر، ووصل المفتشون إليه وفتشوه أيضًا حتى انتهوا من جميع ركاب السفينة، ولم يجدوا شيئًا فرجعوا إليه ولا موه ووبَّخوه أشدَّ توبيخ.

ولما نزل الناس من السفينة جاء الرجل إلى الإمام البخاري وسأله عماذا فعل بصرة الدنانير؟ فقال: ألقيتها في البحر. قال: كيف صبرت على ضياع هذا المال العظيم؟ قال له الإمام: يا جاهل، ألا تدري أنني أفنيت حياتي كلها في جمع حديث الرسول ﷺ، وعرف العالم ثقتي، فكيف كان ينبغي لي أن أجعل نفسي عرضة لتهمة السرقة، وهل الدرة الثمينة «الثقة والعدالة» التي حصلت عليها في حياتي أضيعها من أجل دنانير معدودة^(١)؟

كان من شيوخ الإمام البخاري «مُسَدَّد» وكان البخاري يقول:
«مُسَدَّدٌ كاسمه مسدد، لا أبالي أن تكون كتبي عنده أو عندي^(٢)».

-
- (١) تفرد بذكر هذه الرواية العجلوني في الفوائد الدراري. (المؤلف).
قلت: وهذا السياق للقصة هو ترجمة متطابقة لما ذكره المؤلف رحمه الله في كتابه بالأردية. أما كتاب العجلوني فلم اطلع عليه حتى الآن.
- (٢) جاء في صحيح البخاري (٤٣٧/٣)، كتاب الحج، باب من أين يخرج من مكة، ح (١٥٧٦) بعد حديث أخرجه عن شيخه مسدد بن مسرهد البصري: «قال أبو عبدالله: كان يقال هو مُسَدَّدٌ كإسمه. قال أبو عبدالله: سمعت يحيى بن معين يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: لو أن مسدَّدًا أتيت في بيته لاستحق ذلك، وما أبالي كتبي كانت عندي أو عند مُسَدَّدٍ».

وروى البخاري قول يحيى بن سعيد هذا في تاريخه الكبير أيضًا (٧٣/٨) وفي الأوسط (٢٥١/٢) دون الجملة الأخيرة «وما أبالي إلخ». وهذا يؤهم أن هذه =

وتبين من هذا القول أنه كان بالغ الحرص في الحفاظ على كتبه وصيانتها من أيدي الناس تمامًا كما كان يحتاط في أخذ الرواية، فلم يكن يرضى أن تذهب كتبه إلى أيدي كل واحد.^(١)

= الجملة من قول الإمام البخاري نفسه وليس تكملة لكلام يحيى بن سعيد القطان كما ظن المصنف رحمه الله.

ولكن روى ابن محرز عن ابن معين قال: «قال لي يحيى بن سعيد: لو آثرت أن أدع كتبي عند أحد - إذا خرجت إلى مكة - وضعتها عند مسدد». (معرفة الرجال ١/٨٦، ١٣٨/٢).

فدل ذلك على أن هذه الجملة هي من قول يحيى بن سعيد القطان نفسه وليس من قول البخاري. والله أعلم.

(١) ومن شدة ورع الإمام البخاري وبالع احتياطه من الوقوع في المحظور أنه كان يتجنب البيع والشراء.

قال وراق: وسمعت أبا عبد الله يقول: ما تَوَلَّيْتُ شراءَ شيءٍ وبيعه قط. فقلت له: كيف وقد أحل الله البيع؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط فخشيْتُ إن توليت أن أستوي بغيري. فقلت: فمن كان يتولى أمرَكَ في أسفارك ومبايعتِكَ؟ قال: كنتُ أَكْفَى ذلك. (سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤٦).

وقد روى نحوه بكر بن منير أيضًا عن البخاري مختصرًا. (تاريخ بغداد ١١/٢) وينظر أيضًا: تهذيب الأسماء واللغات ١/٦٨، طبقات الشافعية للسبكي ٢/٢٢٧، تغليق التعليق ٥/٣٩٥، مقدمة الفتح ص ٤٧٩.

وصدق رحمه الله فإن التجار كثيرًا ما يقعون في بعض المخالفات إلا من رحم الله ولذلك قال رسول الله ﷺ: «يا معشر التجار، إن الشيطان والإثم يحضران البيع، فشوبوا بيعكم بالصدقة.» (صحيح سنن الترمذي ٤/٢ ح ٩٦٦).

وهذا لا يعني أن الإمام البخاري كان يعيش عالاً على غيره، فقد كان ورث من أبيه أموالاً وكان يستثمرها بالمضاربة، وكانت له قطعة أرض يكرها كل سنة بسبعمئة درهم (السير ١٢/٤٤٩) وكانت له مصادر دخل أخرى كما سيأتي وكان ينفق أمواله في سبل الخير وكان كثير الصدقة والإحسان إلى طلبة العلم والفقراء والمساكين وغيرهم. رحمه الله.

أخلاقه وعاداته ومنهجه في الحياة

لقد ورث الإمام البخاري ثروة كبيرة من أبيه العلامة إسماعيل، ولم يكن إسماعيل في تجارته كسائر الناس من التجار الذين قد لا يتورعون عن بعض الأمور، أو يقع من عمالهم وأعوانهم شيء من التساهل والخطأ فيقعون في أمور يلزم اجتنابها والحذر منها، وهكذا تصبح الأموال المكتسبة منها موضع شك وارتياب، ولكن إسماعيل كان حذراً في تجارته محتاطاً في كسبه فقد كان بعيداً كل البعد من جميع مواضع الشبهات، وقد قال ذلك لأبي حفص^(١)، وكان من أخص تلامذته، عند وفاته:

«لا أعلم من مالي درهماً من حرام ولا درهماً من شبهة^(٢)».

وتعجب أبي حفص من هذا القول^(٣) يدل على أن إسماعيل كان مبالغاً في الاحتياط واتقاء الشبهات، وفي الوقت نفسه كان يريد أن يوضح لوارثه الذي كانت الأقدار تهيئه ليكون إمام الدنيا ويلقب بإمام المحدثين أن لا يقع في قلبه أدنى شك فيجتنبه أو يتنازل عنه بل يستفيد منه في احتياجاته لأنه طاهر وطيب من كل وجه.

(١) أبو حفص هو أحمد بن حفص البخاري، مقدمة ترجمته.

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٧٩. وسبق ذكره وتخريجه في ترجمة والده.

(٣) سبق أن أبا حفص لما سمع هذا قال: «فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك».

وذكر محمد ابن أبي حاتم أنه كان يعطي هذا المال مضاربة^(١)، وهي نوع من أنواع التجارة، لكي يتفرغ لخدمة العلم النبوي. وكان الله سبحانه وتعالى قد أغناه من كل جهة.

وكان سمحاً رحيماً قد أعطي حظاً وافراً منهما، فذات مرة قطع له أحد الغرماء خمسة وعشرين ألفاً. فحاول أصحابه أن يلاحق غريمه ويستنجد على ذلك بالسلطان. وكان ذلك سهلاً، ولكنه أبى وقال لهم: «إن أخذت منهم كتاباً طمعوا ولن أبيع ديني بدنياي^(٢)».

قال محمد بن أبي حاتم:

«وكان لأبي عبدالله غريمٌ قطع عليه مالا كثيراً فبلغه أنه قدم آمل^(٣) ونحن عنده بفربر، وقلنا له: ينبغي أن تعبر وتأخذه بمالك، فقال: ليس لنا أن نرّوّه».

ثم بلغ غريمه مكانه بفربر فخرج إلى خوارزم^(٤) فقلنا: ينبغي أن تقول لأبي سلمة الكُشانيّ عامل آمل ليكتب إلى خوارزم في أخذه، فقال: إن أخذت منهم كتاباً طمعوا مني في كتاب ولست أبيع ديني بدنياي.

(١) المضاربة: نوع من التجارة يدفع فيها أحد الفريقين رأس المال والثاني يعمل فيه ثم يشتركان في الربح بالنصف أو الثلث أو الربع أو غير ذلك حسب الاتفاق. (المؤلف).

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٧٩.

(٣) آمل: بضم الميم. مدينة مشهورة في غربي جيّحون في طريق بخارا من مَرّو، يقابلها في شرق جيحون فَرَبَر. خَرَّبها التتر، (مراصد الاطلاع ٦/١).

(٤) خوارزم: ناحية كبيرة عظيمة قصبته الجرجانية، ولاية متصلة العمارة، متقاربة القرى، على جيحون (المصدر السابق مختصراً).

فجهَدنا فلم يأخذ حتى كلمنا السلطان عن غير أمره، فكتب إلى والي خوارزم، فلما بلغ أبا عبدالله ذلك وَجَدَ وَجْدًا شديدًا، وقال: لا تكونوا أشفق عليَّ من نفسي، وكتب كتابًا، وأردف تلك الكُتُبَ بِكُتُبٍ وكتب إلى بعض أصحابه بخوارزم أن لا يتعرض لغريمه إلا بخير.

فرجع غريمه إلى آمل وقصد إلى ناحية مرو فاجتمع التجار وأُخْبِرَ السلطان بأن أبا عبدالله خرج في طلب غريم له فأراد السلطان التشديد على غريمه وكره ذلك أبو عبدالله، وصالح غريمه على أن يعطيه كل سنة عشرة دراهم شيئًا يسيرًا، وكان المال خمسة وعشرين ألفًا، ولم يصل من ذلك المال إلى درهمٍ ولا إلى أكثر منه^(١).

وكان يهدف الإمام البخاري من تجارته هذه (أى المضاربة) أن ينفع خلق الله، فكان يساعد طلبة العلم والشيوخ والمحدثين^(٢)، وكان ينفق من دخله خمسمائة درهم على الفقراء والمساكين وطلبة العلم وأصحاب الحديث كل شهر^(٣)، فكان يعين طلبة العلم ويشجعهم على الإنهماك في طلب العلوم النبوية، ويحسن إلى أهل العلم كثيرًا، ولم يكن يعرف الترف والبذخ في حياته في المأكل والمشرب، فكان الصبر والاحتمال

(١) سير أعلام النبلاء ٤٤٦/١٢، والسياق له. تاريخ الإسلام للذهبي ص ٣٦١، طبقات الشافعية للسبكي ٢٢٦/٢ - ٢٢٧، وذكره الحافظ في مقدمة الفتح ص ٤٧٩ مختصرًا، وكذا في تغليق التعليق ٣٩٤/٥.

(٢) مرقاة المفاتيح ١٤/١.

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي: وقد بلغنا أن تجارته كان من مالٍ ورثه من أبيه، وكان يعطيه مضاربةً لمن يَجْرُ فيه، وكان يتصدق منه بالكثير وَيَبْرِ الطلبة ويحسن إليهم (تحفة الأخباري ص ٢٠٨).

(٣) مرقاة المفاتيح ١٤/١.

قد أصبحا طبيعة له. (١)

وقال محمد بن أبي حاتم أيضًا:

«سمعتَه يقول: خرجتُ إلى آدم بن أبي إياس^(٢)، فتخلفت عني نفقتي حتى جعلتُ أتناول الحشيشَ ولا أخبرُ بذلك أحدًا [فلما كان اليوم الثالث أتاني آتٍ لم أعرفه فناولني صُرَّةَ دنانير، وقال: أنفق على نفسك^(٣)»].

(١) قال محمد بن أبي حاتم: «وسمعتَه يقول: كنتُ استغلُّ كل شهر خمسمائة درهم فأنفقت كل ذلك في طلب العلم. فقلت: كم بين من ينفق على هذا الوجه وبين من كان خلوًا من المال فجمع وكسب بالعلم حتى اجتمع له. فقال أبو عبدالله: ما عند الله خير وأبقى». (سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤٩، تاريخ الإسلام ص ٢٦٤) وهو في تغليق التعليق ٣٩٥/٥ بشيء من الاختصار.

وقال أيضًا: وكان قليل الأكل جدًّا، كثير الإحسان إلى الطلبة، مفرط الكرم. (مقدمة الفتح ص ٤٨١).

وقال أيضًا: وكان أبو عبدالله ربما يأتي عليه النهار فلا يأكل فيه رُقَاقَةً. (تغليق التعليق ٣٩٨/٥) إنما كان يأكل أحيانًا لوزتين أو ثلاثًا. وكان يجتنب توابل القدور مثل الحمص وغيره. فقال لي يومًا شبه المتفرج بصاحبه: يا أبا جعفر نحتاج في السنة إلى شيء كثير. قلت له: قَدَّرَ كَمْ؟ قال: أحتاج في السنة إلى أربعة آلاف درهم أو خمسة آلاف درهم. قال: وكان يتصدق بالكثير، يأخذ بيد صاحب الحاجة من أهل الحديث فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين، وأقل وأكثر، من غير أن يشعر بذلك أحد، وكان لا يفارقه كيسه. ورأيتُه ناول رجلًا مرارًا صُرَّةً فيها ثلاث مائة درهم - وذلك أن الرجل أخبرني بعدد ما كان فيها من بعد - فأراد أن يدعو، فقال له أبو عبدالله: ارفق واشتغل بحديث آخر كي لا يعلم بذلك أحد (سير أعلام النبلاء ١٢/٤٥٠، تاريخ الإسلام ٢٦٤).

(٢) وهو من شيوخه الشاميين، تقدمت ترجمته.

(٣) الطبقات الكبرى للسبكي ٢/٢٢٧ وما بين المعقوفين زيادة منها ومن غيرها من المراجع لم يذكره المصنف رحمه الله.

وانظر أيضًا: تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٦٣، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤٨، =

وحكى أبو الحسن يوسف بن أبي ذر البخاري: أن محمد بن إسماعيل البخاري مرض، فعرضوا ماءه على الأطباء، فقالوا: إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفة النصارى فإنهم لا يأتدمون فصدّقهم محمد ابن إسماعيل وقال: لم آتدم منذ أربعين سنة، فسألوا عن علاجه؟ فقالوا: علاجه الإدام، فامتنع حتى ألح عليه المشايخ وأهل العلم فأجابهم إلى أن يأكل مع الخبز سكرة^(١).

والحقيقة أن الذي نراه «يومًا بحزوى»^(٢) ويومًا بالعقيق»^(٣) متلهفًا وراء سنن المصطفى ﷺ، أنى له أن يتكلف لمأكله وملبسه، فإننا نراه في جبال خراسان فإذا هو على جبل لبنان، يسافر إلى البصرة حينًا، ونراه يزين مجالس الدرس في الكوفة حينًا آخر، يجلس في المسجد النبوي بين المنبر والمحراب فيؤلف مجموعة الأحاديث الصحيحة، فإذا

= تغليق التعليق ٣٩٥/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٠.

(١) مقدمة الفتح ص ٤٨١، تغليق التعليق ٣٩٨/٥.

(٢) شطر بيت لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن الخازن في مدح صاحب بن عباد جاء فيه:

لا تستقر بأرض أو تسير إلى أخرى بشخص قريب عزمه نائي
يومًا بحزوى ويومًا بالعقيق وبالعذيب يومًا ويومًا بالخليصاء

انظر: يتيمة الدهر للثعالبي ٢٢٨/٣، معجم البلدان ٣٨٦/٢ الخليصاء.

وحزوى - بضم أوله وتسكين ثانيه، مقصور - موضع بنجد في ديار تميم.

(٣) (معجم البلدان ٢٥٥/٢) والعقيق هو مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسّعه. وهناك عدة وديان تسمى بالعقيق منها عقيق المدينة وعقيق عارض اليمامة. (معجم البلدان ١٣٨/٤، مراصد الاطلاع ٩٥٢/٢).

قال أعرابي:

لئن طُلن أيامٌ بحزوى، لقد أتت عليّ ليالٍ بالعقيق قصارُ (معجم البلدان ٢٥٦/٢)

بنا نراه يرتحل إلى شيخ ما فينتهي زاده فيعيش على الخَبَط والأعشاب فيعيد ذكرى أصحاب الرسول ﷺ كما فعلوا في غزوة ذات الخَبَط^(١)، ويغيب أحياناً من مجلس الدروس فيُفْتَقَد فيوجد أنه قد باع جميع ملابسه غير إزار واحد، ولم يخرج من الحجرة، وأحياناً نراه ينقل اللبن والطين أمام البنائين لبناء رباط للمسافرين، وإذا منعه يقول: هذا الذي ينفعني، لأنه يتبع خطوات الرسول ﷺ إذ كان ينقل الحجارة لبناء المسجد النبوي، وما كان يعمل في حفر الخندق أيام غزوة الأحزاب، إذ كان رسول الله ﷺ وأصحابه ينقلون الحجارة والطين، وفي منتهى السرور والحماس كانوا يقولون:

هذا الحِمَالُ لا حِمَال خَيْرُ هذا أبرُّ ربَّنَا وأطهر^(٢)

وأحياناً يتمثل قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ^(٣)﴾ فيتمرن على الرمي وعلى ركوب الخيل، وأحياناً ينشغل بقراءة آية أو سورة في الصلاة فلا يشعر بلسعات الزنبور، وبعد الفراغ من الصلاة يرى فيوجد أن الزنبور قد ورَّمه في سبعة عشر موضعاً^(٤).

(١) غزوة ذات الخَبَط ويقال لها: غزوة سيف البحر أيضاً، وكانت سرية أرسلها الرسول ﷺ نحو الشاطئ تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح و طال سفرهم وانتهى زادهم فأصبحوا يأكلون من أوراق الشجرة. (صحيح البخاري ٧٧/٨) (المؤلف).
وقد سبق ذكر هذه الغزوة تعليقا على قصة سؤال مسلم البخاري عن هذا الحديث.

(٢) صحيح البخاري ٧/٢٤٠، مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ح ٣٩٠٦.

(٣) الأنفال: ٦٠.

(٤) أخرج الخطيب في تاريخ بغداد بإسناده عن أبي سعيد بكر بن منير قال: كان محمد =

= ابن إسماعيل يصلي ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة. فلما قضى صلاته قال: انظروا أيّس هذا الذي آذاني في صلاتي؟ فنظروا فإذا الزنبور قد ورّمه في سبعة عشر موضعًا، ولم يقطع صلاته، (تاريخ بغداد ١٢/٢).

وينظر أيضًا: تاريخ دمشق ٤٨/١٥/أ، طبقات الحنابلة ٢٧٦/١، تهذيب الكمال ٤٤٦/٢٤، تاريخ الإسلام ص ٢٦٠، سير أعلام النبلاء ٤٤١/٢-٤٤٢، طبقات الشافعية للسبكي ٢٢٣/٢، تحفة الأخباري ص ٢٠٤، تغليق التعليق ٣٩٨/٥، مقدمة الفتح ٤٨٠.

وروى وراقه أيضًا قال: دُعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه، فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم ثم قام للتطوع فأطال القيام. فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فقال لبعض من معه: أنظر هل ترى تحت قميصي شيئًا فإذا زنبورٌ قد أبرّه في ستة عشر أو سبعة عشر موضعًا، وقد تورم من ذلك جسده وكان آثار الزنبور في جسده ظاهرة. فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرّك؟ قال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها.

تاريخ بغداد ١٢/٢، تاريخ دمشق ٤٨/١٥/ب، تهذيب الكمال ٤٤٧/٢٤، تاريخ الإسلام ص ٢٦٠ مختصرًا، سير أعلام النبلاء ٤٤٢/١٢، تحفة الأخباري ص ٢٠٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٠، وأشار إليه في تغليق التعليق ٣٩٨/٥.

قلت: وقد ذكر المصنف رحمه الله هنا «أن حادثة مثلها حدثت للصحابي الجليل أسيد بن حُضير في عودته من غزوة تبوك». ولم أتمكن من معرفة من أخرجها ولكن قصة مشابهة وقعت لأحد الصحابة رضي الله عنهم في غزوة ذات الرقاع. قال ابن حجر: «محصلها أن النبي ﷺ نزل بشعب. فقال: من يحرسنا الليلة؟ فقام رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فباتا بقم الشعب فاقتهما الليل للحراسة فنام المهاجري فقام الأنصاري يصلي، فجاء رجل من العدو فرأى الأنصاري فرماه بسهم فأصابه، فنزعه واستمر في صلاته، ثم رماه بثانٍ فصنع كذلك، ثم رماه بثالث فانتزعه وركع وسجد وقضى صلاته، ثم أيقظ رفيقه. فلما رأى ما به من الدماء قال له: لم لا أنبهتني أول ما رمى؟ قال: كنت في سورة فأحببت أن لا أقطعها.

وأخرجه البيهقي في الدلائل من وجه آخر وسمى الأنصاري المذكور عباد بن

كان قلبه مليئاً من مخافة الله تعالى جَيَّاشاً بعواطف الرحمة والعدل فكانها أوصاف طبيعية فيه .

قال عبدالله بن محمد الصيارفي :

«كنت عند محمد بن إسماعيل في منزله فجاءته جاريته وأرادت دخول المنزل فَعَثَرَتْ على مِخْبَرَةٍ بين يديه، فقال لها: كيف تمشين؟ قالت: إذا لم يكن طريقٌ كيف أمشي؟ فبسط يديه، وقال: إذهبي فقد اعتقتك .

قيل له يا أبا عبدالله أَعْضَبَتْكَ . قال: فقد أَرْضَيْتُ نفسي بما فعلتُ^(١)» .

فكان بدل أن ينبه الجارية على ما فعلت أراد أن ينبه نفسه .

«وذات مرة حُمِلَتْ إليه بضاعةٌ أنفذها إليه أبو حفص أحدُ أخصِّ تلامذة أبيه^(٢)، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم .

فقال لهم: انصرفوا الليلة . فجاءه من الغد تجارٌ آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم، فردَّهم وقال: إني نويتُ البارحة أن أدفعها إلى الأولين، فدفعها إليهم وقال: لا أحبُّ أن أنقضَ نيتي^(٣)» .

= بشر، والمهاجري عمار بن ياسر والسورة كهف . (فتح الباري ١/ ٢٨١) . وانظر سنن أبي داود ١/ ٥١، ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٧٨ .

(١) مقدمة الفتح ٤٨٠، مرفاة المفاتيح ١/ ١٤ . وانظر: سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٥٢، تغليق التعليق ٥/ ٣٩٥ .

(٢) وهو أبو حفص أحمد بن حفص البخاري . وقد تقدمت ترجمته في ص ٦٠ .

(٣) مقدمة الفتح ص ٤٧٩، تغليق التعليق ٥/ ٣٩٥ . وهذه القصة رواها الخطيب =

فكان رحمه الله يريد أن يُعوِّدَ نفسه على الإيثار والبعد عن حب المال الذي يعد من الصفات القبيحة. وكما قيل: إن هذا الأصفر يؤدي في النهاية إلى الأسود^(١).

قال عمر بن حفص الأشقر:

«كنا مع محمد بن إسماعيل بالبصرة نكتب الحديث، ففقدناه أيامًا فطلبناه فوجدناه في بيتٍ وهو عُريان، وقد نَقَدَ ما عنده، ولم يبق معه شيءٌ فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم، حتى اشترينا له ثوبًا وكسونا، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث^(٢)».

فلم يرض الإمام البخاري لنفسه أن يَغْرِضَ حاجتهُ على أحد، وحقًا: إن الغنى غنى النفس وليس غنى المال.

وذات يومٍ قال لأبي مَعْشَرٍ الضَّرِيرِ^(٣):

= البغدادي أيضًا. ولكن عنده «أنفذها إليه فلان» دون ذكر أى اسم، تاريخ بغداد ١١/٢ وعنه ابن الجوزي في المنتظم ١١٨/١٢ تحفة الأخباري ص ٢٠٧، وفي سير أعلام النبلاء ٤٤٧/١٢، وتاريخ الإسلام ص ٢٦٢، والسبكي في الطبقات ٢٢٧/٢ «أنفذها إليه ابنه أحمد» وقد يكون ذلك تحريفًا لأن المترجمين لم يذكروا للبخاري أولادًا كما سيأتي. والله أعلم.

وقد رووا هذه القصة عن طريق غنجار في تاريخه باسناده عن بكر بن منير عن البخاري. قال الذهبي: «وقد ذكر معناها محمد بن أبي حاتم، واللفظ لبكر» (سير أعلام النبلاء ٤٤٧/١٢. ومحمد بن أبي حاتم هو وراق البخاري وسيذكر المصنف ترجمته في آخر الكتاب عند ذكره تلامذة البخاري).

(١) ترجمة شطر بيت بالفارسية لفظه «آخر اين صفرا بسودا مي كشد».

(٢) تاريخ بغداد ١٣/٢، تاريخ دمشق ٤١/١٥/أ، سير أعلام النبلاء ٤٤٨/١٢، طبقات الشافعية للسبكي ٢١٧/٢، تحفة الأخباري ص ٢٠٩.

(٣) هو حمدويه بن الخطاب بن إبراهيم البخاري، الحافظ الثقة، مستملي أبي عبدالله =

«اجعلني في حلٍّ يا أبا مَعْشَرٍ، فقال: من أي شيء؟ فقال: رويْتُ حديثًا يومًا فنظرتُ إليك قد أعجبتَ به وأنت تحرّك رأسك ويديك. فتبسمتُ من ذلك. فقال: أنت في حلٍّ يرحمك الله يا أبا عبدالله^(١)». وذات مرّة:

«رفع انسانٌ من لحيته قَذَاةً وطرحها إلى الأرض، قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس فلما غفل الناس رأيتُه مدًّا يده، فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كفه، فلما خرج من المسجد رأيتُه أخرجها وطرحها على الأرض. فكأنه صان المسجد عما تُصان عنه لحيته^(٢)». وكان ورعًا تقيًا بعيدًا عن الغيبة غاية البعد، وكان يقول:

«ما أغتبت أحدًا قط منذ علمت أن الغيبة حرام^(٣)».

وكان يقول:

«لا يكون لي خصمٌ في الآخرة، فقلتُ: إن بعض الناس يَنْقِمُونَ عليك التاريخ، يقولون: فيه اغتياب الناس، فقال: إنما رُويَنا ذلك

= البخاري. (تذكرة الحفاظ ٢/٦٧٤).

- (١) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤٤، تغليق التعليق ٥/٣٩٦، مقدمة الفتح ٤٨٠.
- (٢) مقدمة الفتح ص ٤٨١. وانظر أيضًا: تاريخ بغداد ٢/١٣، تاريخ دمشق ١٥/٤٨/أ، تحفة الأخباري ص ٢٠٤، تغليق التعليق ٥/٣٩٩، دون قوله «فكأنه صان المسجد إلخ». فلعل هذه الجملة تعليق من الحافظ في مقدمة الفتح على القصة المروية. والله أعلم.

وانظر قصة أخرى قريبة منها في سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤٥.

- (٣) مقدمة الفتح ص ٤٨٠، وفي سير أعلام النبلاء (١٢/٤٤١) وتغليق التعليق ٥/٣٩٧ «منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها».

روايةً، ولم نُقله من عند أنفسنا^(١)».

ومن أهم مزايا الإمام البخاريّ أنه بعيدٌ عن كل تعصب، فحينما نطالع صحيح البخاري. وهو كتاب راعى فيه الإمام أقصى ما يمكن من الثبوت والاحتياط، وكان من شدة احتياطه أنه ما كان يُدخل فيه حديثاً حتى بعد التأكد من صحته إلا بعد ما يستخير الله سبحانه وتعالى^(٢) - نجد في أسانيد صحيحه من هذا الكتاب رجالاً ليسوا من أهل السنة ولم يترك الإمام البخاري روايتهم مع أنه كان يخالفهم في مذهبهم.

ولكن من الضروري أن نبين هنا أن هذا التسامح كان محدوداً في ما لا يتطرق الشك من أجله في الرواية، ولذلك فإن من قاعدة المحدثين أنهم يقبلون رواية أهل الأهواء من المتشيعين والخوارج والمعتزلة وغيرهم بشرط أن لا يكون داعياً إلى بدعته وأن لا يكون من الذين يستحلون الكذب ولا يعتقد إباحة الكذب في حال من الأحوال^(٣)،

(١) سير أعلام النبلاء ٤٤١/١٢، تعليق التعليق ٣٩٧/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٠. وزادوا في آخره: «قال النبي ﷺ: بئس أخو العشيرة». وهو حديث متفق عليه وقد أخرجه البخاري في ثلاثة مواضع من كتاب الأدب في صحيحه منها باب ما يجوز من اغتيال أهل الفساد والريب (٤٧١/١٠ ح ٦٠٥٤). واستدل به الإمام البخاري هنا على جواز تجريح الرواة الذين جرحهم في التاريخ أو غيره.

وفي معنى هذا الخبر ما ذكره الذهبي عن ورّاقه قال: «قال له بعض أصحابه: يقولون: إنك تناولت فلاناً. قال: سبحانه الله، ما ذكرت أحداً بسوء إلا أن أقول ساهياً، وما يخرج اسم فلان من صحيفتي يوم القيامة. (سير أعلام النبلاء ٤٤٥/١٢).

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٨٩. وسيأتي تخريجه مفصلاً عن ذكر الجامع الصحيح في باب مؤلفات الإمام البخاري ص ٣٣٥.

(٣) الباعث الحثيث ص ١٠٠، وانظر شرح النووي لمقدمة صحيح مسلم، ومكمل =

وإذا نظرنا إلى رجال البخاري نجد فيهم من قيل فيه «رمى بالتشيع» ومع كونه رمى بالتشيع قَبْلَ الإمام البخاري روايته وأدخله في جامعه الصحيح، وفي الوقت نفسه نرى رجالاً قيل فيهم: إن البخاري تركهم من أجل التشيع أو الرفض، والحقيقة أن جماعة من الشيعة لا تستحل الكذب فقط، بل تعتبره جزءاً من دينها، ولذلك تركهم الإمام البخاري لأنه لا يمكن الاعتماد على رواية هؤلاء^(١).

وحينما نجده يحتاط في الجرح يحتاط في ذكر محاسنهم أيضاً، ولكن لم يكن يتردد في ذكر أوصافهم الحقيقية وعدالتهم إذا صح ذلك.

= إكمال الإكمال (المراجع).

وقد تحدثت في هذا الموضوع بشيء من البسط في آخر كتابي «المهدي المنتظر» وفي مقدمة تحقيقي لكتاب «الشجرة في أحوال الرجال» للإمام الجوزجاني.

(١) هناك فرقة من الشيعة ترى الكذب من الإيمان، ففي أوثق كتاب عندهم وهو «أصول الكافي» نجد روايات يعلم فيها أنهم الكذب بدون أي خوف ولا وجل، بل من أهم أصول التطبيق عندهم إذا وجدت روايات متناقضة عن أنهم أن يقولوا: هذا محمول على التقية، وهذا لا يترك مجالاً للثقة بأي رواية، وكل صاحب هوى إذا وجد رواية يخالف هواه يقول: هذا محمول على التقية، وكثيراً ما تجد في كتاب «الاستبصار» قولهم: هذا محمول على التقية. (المؤلف)

التمسك بالسنن

مصدر السنة هو الرسول الكريم ﷺ وكان أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين إليهم المنتهى في حبهم له ﷺ واتباعهم لسنة ما لا يمكن أن يقاس أو يقدر، وصحبهم التابعون رحمهم الله فاصطبغوا بصبغتهم وتخلقوا بأخلاقهم فكانوا يتفانون في اتباع سنة رسول الله ﷺ قريباً مما وجدوه لدى الصحابة رضي الله عنهم، واستمر الحال على ذلك حتى آل الأمر إلى المحدثين، ولا نستطيع أن ندعي أن جذوة الحب والحماس التي كانت تتوقد في الصحابة بقيت في جميع التابعين أو انتقلت إلى كل المحدثين، ولكن مع ذلك فالحماس الذي كان يوجد لدى المحدثين للتمسك بالسنن والعمل بها يعتبر من الغرائب في يومنا هذا.

قال الإمام أحمد بن حنبل:

«ما كتبتُ حديثاً إلا قد عملتُ به حتى مرَّ بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً، فاحتجمتُ وأعطيتُ الحجاج ديناراً»^(١).

(١) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/١٤٤. وانظر أيضاً: سير أعلام النبلاء ١١/٢١٣، ٢٩٦، التبصرة والتذكرة ٢/٢٢٨، الشذا الفياح ١/٤٠٦، فتح المغيث للسخاوي ٣/٢٨٤، تدريب الراوي ٢/١٤٤.

أما الحديث المرفوع منه: احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً فقد أخرجه الطبراني في الأوسط ٨/٤٠٧ ح ٧٨٣٠. وقال: لا يروى عن ابن عباس من جهة من الجهات أن النبي ﷺ أعطى الحجاج ديناراً إلا بهذا الإسناد، تفرد به عمر بن فروخ.

قلت: وعمر بن فروخ هذا هو البصري، بياع الأقتاب، ويقال له صاحب الساج. قال الحافظ في التقریب: صدوق ربما وهم. من السابعة (ص ٧٢٥).

أما الهيثمي فقد قال: فيه القاسم بن سعيد بن المسيب بن شريك، ولم أجد من ترجمه وبقيته رجاله ثقات (مجمع الزوائد ٤/٩٤).

وكان وكيعُ بنُ الجراح - أحد كبار المحدثين^(١) - يقول :

«إذا أردت أن تحفظَ حديثًا فاعْمَلْ به»^(٢).

وكان العلامة المحدث إبراهيم بن إسماعيل^(٣) يقول :

«كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به»^(٤).

= قلت: ذكره ابن حبان في الثقات (١٨/٩) وقال الخطيب: ثقة (تاريخ بغداد ٤٢٧/١٢) وقال محقق مجمع البحرين الشيخ عبدالقدوس محمد نذير: «إسناده حسن. والقاسم بن سعيد بن المسيب ثقة (٣/٣٧٧، ح ١٩٩٢).

أما أصل الحديث بدون ذكر الدينار، فهو متفق عليه. وأخرجه البخاري في أكثر من موضع في صحيحه، منها البيوع، باب ذكر الحجام ٤/٣٢٤، ح ٢٢١٠ وقد خرجته بتفصيل في تخريجي لأحاديث البيوع من سنن أبي داود (يسر الله طبعه).

(١) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، إمام حافظ، قال الإمام أحمد: ما رأيت أحدًا أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع. ت آخر سنة ١٩٦ هـ أو أول ١٩٧ هـ، (سير أعلام النبلاء ٩/١٤٠، التقريب ١٠٣٧).

(٢) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٢٣، الإرشاد للنووي ١/٥١٥، التبصرة والتذكرة ٢/٢٢٨، الشذ الفياح ١/٤٠١، تدريب الراوي ٢/١٤٤، والظاهر أنهم أخذوه عن ابن الصلاح إذ لم أجده مسندًا عن وكيع بعد البحث في مظانه. وقال محقق كتاب الإرشاد الشيخ عبدالباري فتح الله السلفي أيضًا: «لم أجده هذا القول مرويًا عن وكيع». والله أعلم. نعم رواه ابن عبدالبر عن وكيع بلفظ «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به إلخ» (جامع بيان العلم ١/٧٠٩ ح ١٢٨٦، و ٢/١٠٣١ ح ١٩٧٩. وانظر القول الآتي.

(٣) إبراهيم بن إسماعيل بن مُجَمِّع الأنصاري المدني. من شيوخ وكيع بن الجراح، روى عن الزهري وغيره. ولكنه ضعيف في الرواية. مترجم في تهذيب الكمال ٢/٤٥.

(٤) أخرجه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه ١/٣١١، ح ٥٨٠، والبيهقي في شعب =

ولذلك نجد كتب المصطلح إذا ذكرت آداب طالب الحديث تذكر منها هذا الأدب أيضًا. قال العلامة السيوطي في التدريب:

«ينبغي أن يستعمل ما يسمعه من أحاديث العبادات والآداب وفضائل الأعمال فذلك زكاة الحديث وسبب حفظه»^(١).

ولقد كان هذا الحرص على التمسك بالسنة والعمل بها من الأسباب التي جعلت المحدثين على منأى من القياس والرأى في الأمور الدينية، فكأن قلوبهم قد نُقِشَ فيها «فالرأى ليلٌ والحديث نهارٌ» فإنهم يبحثون عن سنن الرسول ﷺ في كل شأنٍ من شئونهم فإذا ظفروا بسنةٍ صحيحةٍ في أمرٍ من الأمور لا يرضون بها بديلاً.^(٢)

فالرَّمي مع أنه ليس من اختصاص العلماء ولكن لما كانت السنة قد وردت به كان الإمام البخاري يركب إلى الميدان للتدرب على الرمي، وكان من شدة مهارته لا يخطيء الهدف. قال الورَّاق:

«وكان يركب إلى الرمي كثيرًا، فما أعلم أنني رأيته في طول ما

= الإيمان ٣٠٦/٢، ح ١٨٨٤ عن طريق وكيع عنه. والخطيب في الجامع ٢٥٩/٢، ح ١٧٨٩، وفي اقتضاء العلم العمل ص ٢١١، ح ١٤٩، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٧٠٩/١، ح ١٢٨٦، وزاد بعضهم: «وكنا نستعين على طلبه بالصوم». وهذه الزيادة وحدها في آخر كتاب الزهد لوكيع ٨٦٢/٣١، ح ٥٣٩ بدون تسمية شيخه إبراهيم.

وانظر أيضًا: التبصرة والتذكرة ٢٢٨/٢، فتح الباقي ٢٢٧/٢، فتح المغيـث للسخاوي ٢٨٣/٣، تدريب الراوي ١٤٤/٢.

(١) تدريب الراوي ١٤٤/٢.

(٢) قال سفيان الثوري: «إن استطعت أن لا تحكَّ رأسك إلا بأثرٍ فأفعل» (الجامع للخطيب البغدادي ١٤٢/١).

صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، بل كان يُصيب في كل ذلك ولا يُسبق»^(١).

وقال:

«ركبنا يوماً إلى الرمي ونحن بِفَرَبَرٍ، فخرجنا إلى الدرب الذي كان يؤدِّي إلى الفُرْضة»^(٢)، فجعلنا نرمي فأصاب سهم أبي عبدالله وتد القنطرة التي على النهر، فانشقَّ الوتد، فلما رأى ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمي، وقال لنا: ارجعوا، فرجعنا، فقال لي: يا أبا جعفر لي إليك حاجة وهو يتنفس الصُّعداء، فقلت: نعم، قال: تذهب إلى صاحب القنطرة فتقول: إنا أخللنا بالوتد فنجب أن تأذن لنا في إقامة بدله أو تأخذ ثمنه، وتجعلنا في حلٍّ مما كان منا. وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر، فقال لي: أبلغ أبا عبدالله السلام، وقل له: أنت في حلٍّ مما كان منك، فإنَّ جميعَ ملكي لكَّ الفداء، فأبلغته الرسالة فتهلَّل وجهه وأظهر سروراً كثيراً، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث وتصدق بثلاثمائة درهم»^(٣).

وكان قد بنى رباطاً خارج مدينة بخارى، فكان الإمام البخاري يشترك مع العمال ينقل اللبن فيحمله على راسه ويرفعه ويقدم للبنائين. قال ورَّاقه:

(١) تاريخ الإسلام ص ٢٦٠، سير أعلام النبلاء ٤٤٤/١٢، طبقات السبكي ٢/٢٢٦، تغليق التعليق ٣٩٦/٥، مقدمة الفتح ٤٨٠.

(٢) الفُرْضة من النهر: مشرب الماء منه (المعجم الوسيط ص ٦٨٣).

(٣) مقدمة الفتح ص ٤٨١. وانظر أيضاً: سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١٢-٤٤٤، تغليق التعليق ٣٩٦/٥.

«كنا بفربر، وكان أبو عبدالله يبنى رباطًا مما يلي بخارى فاجتمع بشرٌ كثيرٌ يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن، فكنت أقول له: يا أبا عبدالله إنك تُكفَى ذلك، فيقول: هذا الذي ينفعني»^(١).

وكان الرسول ﷺ يحفر الخندق بأيديه المباركة في غزوة الأحزاب، فإذا برزت صخرة صعبةً فكانت أيديه المباركة هي التي تذللها، وكذلك كان ينقل اللبن والحجارة مع أصحابه في بناء المسجد النبوي، وكان عَمَّارٌ رضي الله عنه قويًا، فكان يحمل لِبَتَيْنِ لِبَتَيْنِ، فكان رسول الله ﷺ يعطف عليه عطفًا خاصًا^(٢).

وأثناء هذا الكدِّ والكَدْحِ إذا جاشت أنفسهم ردَّدُوا أبياتًا من الرَّجَزِ، فكان رسول الله ﷺ يقول:

اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَأَغْفِرِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ^(٣)
هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْرُ هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ^(٤)

-
- (١) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٥٠، تغليق التعليق ٥/٣٩٨، مقدمة الفتح ص ٤٨١.
- (٢) قصة عمار أخرجها البخاري ١/٥٤١، الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد ح ٤٤٧ و ٦/٣٠، الجهاد. باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله، ح ٢٨١٢. من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ولفظه «كنا ننقل لبنَ المسجد لِبَنَةً لِبَنَةً وكان عمار ينقل لِبَتَيْنِ لِبَتَيْنِ فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الْغُبَارَ. وقال: ويح عمار تقتله الفئة الباغية إلخ. (اللفظ من الجهاد).
- (٣) صحيح البخاري ٧/١١٨، مناقب الأنصار، باب دعاء النبي ﷺ إلخ، ح ٣٧٩٥-٣٧٩٧. وصحيح مسلم ٣/١٤٣١. الجهاد، باب غزوة الأحزاب ح ١٢٧ (١٨٠٥). واللفظ له. وللرجز عندهما ألفاظ أخرى. وكان ذلك أيام حفر الخندق وقد تمثل به الرسول ﷺ أيام بناء المسجد النبوي أيضًا كما في الحاشية التالية.
- (٤) صحيح البخاري ٧/٢٤٠، مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ إلخ، ح ٣٩٠٦.

وكان الصحابة يقولون:

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا^(١)

وهناك أبياتٌ أخرى من هذا الرّجز، وقد ذكرت كتب الصّحاح هذه الوقائع بتفاصيلها. فكيف يمكن للبخاري أن يترك هذه السنة ولا يطبقها.

وذكر الوراق أنه لما تكامل بناء الرّباطِ دعى الناس إلى المأدبة^(٢).

وذكر الحاكم أبو عبدالله بسنده:

«كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلةٍ من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة^(٣)».

(١) المصدر السابق ٣٩٩/٧، المغازي. باب غزوة الخندق ح ٤١٠٤. ومسلم ١٤٣٠/٣، الجهاد. باب غزوة الأحزاب ح ١٢٥ (١٨٠٣). وتمثل به رسول الله ﷺ بنفسه أيضًا. كما تمثل به بعض الصحابة رضي الله عنهم عند قفولهم من غزوة خيبر، صحيح البخاري ٤٦٣/٧، ح ٤١٩٦، باب غزوة خيبر. وهو من كلام عبدالله بن رواحة رضي الله عنه كما في صحيح البخاري في هذا الموضع (ح ٤١٠٦).

(٢) تاريخ الإسلام ص ٢٦٤، سير أعلام النبلاء ٤٥٠/١٢، مقدمة الفتح ص ٤٨١، تغليق التعليق ٣٩٨/٥. وذكروا تفاصيل هذه المأدبة.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/٢، طبقات الحنابلة ٢٧٥/٢، تاريخ دمشق ٤٨/١٥، تهذيب الكمال ٤٤٦/٢٤، سير أعلام النبلاء ٤٣٨/١٢. ٤٣٩، طبقات الشافعية للسبكي =

ورمضان هو شهر القرآن، قال الله تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(١).

وقد ثبت بالتواتر أيضًا أن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبرئيل في كل رمضان^(٢). ولذلك فإن عباد الله يزدادون شوقًا إلى القرآن واهتمامًا به في شهر رمضان.

ولقد كان من عادة الإمام البخاري أنه كان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة ويوتر منها بواحدة^(٣). وكان يقول: دعوتُ ربِّي مرتين فاستجاب لي يعني في الحال فلن أحب أن أدعوا بعدُ فلعلَّه ينقُصُ حَسَنَاتِي^(٤).

= ٢٢٣/٢ . ٢٢٤ ، تحفة الأخباري ص ٢١٠ ، تغليق التعليق ٣٩٩/٥ ، مقدمة الفتح ص ٤٨١ . وقوله: «عند كل ختمة إلخ» ورد مرفوعًا أيضًا لكن في إسناده كذاب كما في السلسلة الضعيفة، حديث ١٢٢٤ .

(١) البقرة: ١٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه منها كتاب بدء الوحي ٣٠/١ ح ٥ ، كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن إلخ .

وانظر أيضًا: ٤٣/٩ ، كتاب فضائل القرآن . باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ ، وشرحه في فتح الباري ٤٤/٩ .

(٣) تاريخ بغداد ١٣/٢ ، تاريخ دمشق ٤٥/١٥/أ ، تهذيب الأسماء واللغات ٧٥/١/١ ، ماتمس إليه حاجة القاريء ص ٥٧ ، تهذيب الكمال ٤٤٧/٢٤ ، سير أعلام النبلاء ٤٤١/١٢ ، طبقات السبكي ٢٢٠/٢ ، تغليق التعليق ٣٩٩/٥ ، مقدمة الفتح ص ٤٨١ ، تحفة الأخباري ص ٢٠٥ .

(٤) مقدمة الفتح ص ٤٨٠ ، تغليق التعليق ٣٩٦/٥ ، وهو في سير أعلام النبلاء ٤٤٨/١٢ بآتم من هذا .

وكان يقول:

«ما أردت أن أتكلم بكلامٍ فيه ذكر الدنيا إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه»^(١).

وكان يقول:

«ما ينبغي للمسلم أن يكون بحالةٍ، إذا دُعِيَ لم يُسْتَجَبْ له»^(٢).

وهذه كلمة جامعة من أقوال الإمام البخاري يطول شرحها، وملخصه أنه ينبغي للإنسان أن يكون مأكله حلالاً وكلامه صادقاً وقلبه مليئاً من مخافة الله مخلصاً محباً له ولا يصح أن يغفل عن هذا.

ولقد كان من طبيعته تحمل المشاق، والمثابرة في العمل. وكان لا يحب أبداً أن يكلف أحداً بعمل يستطيع هو أن يعمل به.

قال الوراق:

«كان أبو عبدالله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيتٌ واحدٌ إلا في القَيْظِ، فكنت أراه يقوم في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة. في كل ذلك يأخذ القداحة فيؤري ناراً بيده ويُسْرِجُ ويَخْرِجُ أحاديث فيعلِّمُ عليها ثم يضع رأسه، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني، قال: أنت شابٌ فلا أريدُ أن أفسد عليك نومك»^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤٥، طبقات الشافعية للسبكي ٢/٢٢٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤٨، طبقات السبكي ٢/٢٢٧، زاد في السير: «ثم قال: ما حاجة المسلم إلى الكذب والبخل».

(٣) تاريخ بغداد ٢/١٣. ١٤، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/٧٥، ماتمس إليه حاجة =

= القارىء ص ٥٧، تهذيب الكمال ٤٤٧/٢٤، تاريخ الإسلام ص ٢٤٨، سير أعلام النبلاء ٤٠٤/١٢، ٤٤١، طبقات السبكي ٢٢٠/٢، تحفة الأخباري ص ٢٠٥ وفيه «في القيظ» بدون «إلا» قبلها، تغليق التعليق ٣٩٩/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨١.

قلت: ومما يدل على حرص الإمام البخاري على إتباعه للسنن ما رواه الحاكم أبو عبدالله بسنده عن الإمام البخاري قال: اعتلت علة خفيفة، وذلك في شهر رمضان. فعادني إسحاق بن راهويه في نفر من أصحابه، فقال لي: أفطرت يا أبا عبدالله، فقلت: نعم. فقال: خشيت أن تضعف عن قبول الرخصة. فقلت: أخبرنا عبدان، عن ابن المبارك، عن ابن جريح قال: قلت لعطاء: من أى المرض أفطر؟ فقال: من أى مرض كان. كما قال الله عز وجل «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا» (البقرة: ١٨٤).

قال البخاري: ولم يكن هذا عند إسحاق. (تاريخ دمشق ٥٠/١٥/ب، تحفة الأخباري ص ٢٠٦). رواه الحافظ بن حجر أيضًا بسنده عن طريق الحاكم (مقدمة الفتح ص ٤٨٧، وتغليق التعليق ٤١٦/٥-٤١٧). قال ابن حجر في التغليق: هذا رواه عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريح أيضًا، ولعله فات إسحاق.

ففي هذه الحكاية دليل على حرص الإمامين العظيمين إسحاق بن راهويه والبخاري على الأخذ بالسنة حتى في الرخص. وقد ورد في الحديث «إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» (صحيح الجامع الصغير ح ١٨٨١)، وفيه دليل أيضًا على سعة علم الإمام البخاري حيث روى بهذه المناسبة أثرًا عن عطاء لم يكن عند شيخه إسحاق بن راهويه.

ومما يدل على تتبعه للسنة في كل أعماله ما رواه عنه وراقه أبو جعفر بن أبي حاتم قال: «ورأيت استلقى على قفاه يومًا ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث. فقلت له: يا أبا عبدالله سمعتك تقول يومًا إنني ما أتيت شيئًا بغير علم قط منذ عقلت، فأى علم في هذا الاستلقاء؟ فقال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم، فهذا ثغر من الثغور فخشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح فإن غافصنا العدو كان بنا حراك».

تاريخ بغداد ١٤/٢، تاريخ دمشق ١٥/٤٥/ب، تهذيب الأسماء واللغات ٧٦/١/١، ماتمس إليه حاجة القارىء ص ٥٧، تهذيب الكمال ٤٤٨/٢٤، تاريخ

= الإسلام للذهبي ص ٢٦٠، سير أعلام النبلاء ٤٤٤/١٢، طبقات السبكي ٢٢٦/٢،
تغليق التعليق ٣٩٦/٥، مقدمة الفتح ٤٨١. وقوله «ما أتيتُ» في بعضها «ما أثبتُ».
وغافصنا يعني: فاجأنا وأخذنا على غرة.

هذا وقد عدها الإمام النووي «أمدح ما وصف به إنسان» حيث قال في ماتمس
إليه حاجة القاريء (ص ٥٧) «قد ذكرتُ مما يتعلق بالإمام أبي عبدالله البخاري
وصحيحه ما يُستدل به على عظيم محلهما وكبير قدرهما، وها أنا أختتم أحواله
بأمدح ما وصف به إنسانُ» ثم ذكر هذه الرواية ثم قال: «هذه الحكاية وإن اشتملت
على نفائس، فمقصودي التنبيه على قوله «ما أثبت شيئاً بغير علم» وكذا في تهذيب
الأسماء واللغات أيضاً (٧٦/١/١) وفيه: ما أتيتُ شيئاً بغير علم».

الابتعاد عن أبواب الأمراء والسلاطين

كان الإمام البخاري رحمه الله بعيداً كل البعد عن مخالطة الأمراء ومجالستهم، وكان يجتنب أشد الإجتنب تملقهم ومدحهم الذي لا يراعي فيه الحق من الباطل في الغالب، وكان يرى أن من الصعب على المرء أن يستقيم على دينه في صحبة الأمراء، وكم من رجلٍ صالح قد انزلت أقدامه لمداراتهم ولو لم يكن كذلك لما وجدنا كلمة «لا بأس به» بهذه الكثرة التي نراها في بعض كتب الفقه. ولم يكن هذا مجرد اجتهاد من الإمام البخاري ولكنه كان أتباعاً لحديث النبي ﷺ^(١).

وكان الإمام البخاري يرى أن:

في مصاحبة الأمراء إذلالٌ للعلم وفي التزلف إليهم ضررٌ على الدين^(٢).

(١) المشكاة: كتاب العلم. ولعل المصنف رحمه الله يقصد حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي أخرجه ابن ماجه وفيه: «إن أناساً من أمتي سيتفقهون في الدين ويقرؤون القرآن، يقولون: نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا. ولا يكون ذلك، الحديث. (مشكاة المصابيح ٨٧/١، ح ٢٦٢) ولكنه حديث ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ص ٢٠ ح ٥١، سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤٠٤/٣، ح ١٢٥٠) ولكن صح عن النبي ﷺ قوله «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيّد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن.» (صحيح سنن الترمذي ٢٥٥/٢، ح ١٨٤٠).

(٢) الترجمة الحرفية لكلام المصنف هنا «ومن ملفوظات الإمام البخاري إلخ» وأحال إلى مقدمة الفتحة (ص ٤٩٣) ولكنني لم أجد قولاً للإمام البخاري بهذا النص فيها ولا في غيرها من المراجع التي اطلعت عليها. وإنما لفظه فيها كما سيذكر المصنف =

كان خالد بن أحمد الذهلي واليًا على بخارى من قبل الطاهريين^(١)، ولما جلس الإمام البخاري في بخارى واتجه إليه طلبه الحديث أفواجًا طالبين الاستفادة من ينابيعه، وطار صيته في أرجاء العالم، طلب منه خالد بن أحمد الذهلي^(٢) أن يأتي إليه في قصره لكي يدرسه وأبناءه

= نفسه بعد قليل: «إني لا أذلّ العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين» فلعله رحمه الله عبّر هنا بمعناه. والله أعلم.

(١) لقد ضعفت الخلافة العباسية أول ما ضعفت في خراسان، وقامت هناك أسرة من الملوك الطاهريين كانت عاصمتهم نيسابور وبوشنج. وملوك الأسرة الطاهرية يمكن أن يوصفوا بأمرأ متعالين للخلافة العباسية، لأنهم لم يكونوا قد خرجوا على الخلافة إلا أن توليهم الإمارة واحدًا بعد آخر يدل على قوة هذا البيت وشوكته، وهذا يستلزم ضعف الخلفاء العباسيين أمام هذا البيت.

وأول ما أسست إمارة هذه الأسرة من قبل طاهر بن حسين، وهو الذي قتل الأمين أخا الخليفة المأمون، وكان من المخلصين للمأمون في الظاهر، إلا أن المأمون بفضل طبيعته العالية لم يكن يحب قاتل أخيه من قلبه، ولكنه كان يحاول إخفاء هذه العواطف ويكتم أسرار قلبه، إلا أن طاهرًا قد توجس منه ذلك فنجح في أخذ أمر ولاية خراسان وابتعد عن المأمون.

وبعد ما تمكن في خراسان ترك اسم المأمون في الخطبة في يوم من الأيام. وكان هذا أول الخروج. إلا أنه مات في اليوم الثاني وعين بعد ذلك بالتوالي طلحة بن طاهر وعلي بن طلحة وعبدالله بن طاهر وطاهر بن عبدالله ومحمد بن طاهر بن عبدالله خمسة أمراء كلهم بأمر من خلفاء بغداد وكانوا طائعين للخلفاء في بغداد. (المؤلف)

قلت: وعبدالله بن طاهر هو الذي ذهب إليه إسحاق بن راهويه بكتاب التاريخ للبخاري وقال له: «ألا أريك سحرًا» كما سيأتي.

وكان عبدالله بن طاهر تأدب وتفقه وله يد في النظم والنثر، سمع من وكيع ويحيى بن الضريس وغيرهما. وروى عنه ابن راهويه وغيره. مات سنة ٢٣٠هـ وله ٤٨ سنة. (سير أعلام النبلاء ١٠/٦٨٤).

(٢) هو الأمير: أبو الهيثم خالد بن أحمد الذهلي، صاحب ما وراء النهر. قال الحاكم: =

صحيح البخاري والتاريخ، ولكن الإمام البخاري رفض هذا الطلب وأثبت للعالم أنه مازال هناك من يعطي العلم قيمته ويُقدِّره حقَّ قدره كأمثال الإمام مالك، الذين لا يبالون بعداء الناس، ولا يغترُّون بالدراهم والدنانير، ولا يُخدَعون بالجاه والمال.

فقال للرسول:

«إني لا أذلُّ العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين»^(١).

= «له ببخارى آثار محمودة كلها إلا موجدته على البخاري فإنها زلَّةٌ وسبب لزوال ملكه». ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٦٦/١٢ في ترجمة الإمام البخاري. وأفردته بترجمته في ١٣٧/١٣ وقال فيها: له آثار حميدة ببخارى، أكرم بها المحدثين وأعطاهم، وطلب من البخاري أن يحدث بقصره بالصحيح ليسمعه أولاده فأبى، فتألَّم وأخرجه من بخارى.

ذكر في الموضع الأول أنه توفي ٢٦٩هـ وذكر هنا أنه مات سنة ٢٧٠هـ. وكانت له صلة بالعلم والعلماء روى عن إسحاق بن راهويه وغيره. روى عنه ابن أبي حاتم وغيره. وقال ابن أبي حاتم: كتبْتُ عنه بالرى مع أبي وهو صدوق ثقة (الجرح والتعديل ٣/٣٢٢).

وله ترجمة أيضاً في تاريخ بغداد ٣١٤/٨، المنتظم ٢٢٥/١٢ - ٢٢٦ حوادث سنة ٢٦٩هـ، الأنساب ٢٣/٦ «الذهلي»، اللباب ٥٣٦/١.

(١) تاريخ بغداد ٣٣/٢، تاريخ دمشق ٤٨/١٥/أ، تهذيب الأسماء واللغات ٦٨/١/١، ماتمس إليه حاجة القارىء ص ٤٣، تهذيب الكمال ٤٦٤/٢٤، تاريخ الإسلام ص ٢٧١، سير أعلام النبلاء ٤٦٤/١٢، طبقات السبكي ٢٣٢/٢، تحفة الأخباري ص ٢١١، تغليق التعليق ٤٣٩/٥، مقدمة الفتح ٤٩٣. وقوله «أبواب السلاطين» هكذا في المقدمة والتغليق وقد رواه بسنده عن غنجار في تاريخه، ولكنه في المصادر الأخرى «أبواب الناس» وحيث أن المصنف رحمه الله اعتمد على مقدمة الفتح في الرواية فقد أثبت ما فيها.

وكان هذا منهج غير واحد من علماء السلف فقد قال الإمام الزهري: «هوانٌ =

بالعلم وأهله أن يُحمَل العالمُ إلى بيت المُتعلِّم» (مسند الموطأ ص ١٢١، الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٦٩ / ٨٤٩). وقد جاء الأمير أبو أحمد الموفق (ت ٢٧٨هـ) ولي عهد الخليفة العباسي المعتمد على الله ورئيس رؤساء الأمير خالد الذهلي بنفسه إلى الإمام أبي داود السجستاني وطلب منه من ضمن ما طلب أن يفرد مجلساً لأولاده للرواية «فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة» فقال أبو داود: «أما هذه فلا سبيل إليها لأن الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء» فكانوا يحضرون بعد ذلك ويقعدون في كم حيري ويضرب بينهم وبين الناس ستر فيسمعون مع العامة (سير أعلام النبلاء ١٣/٢١٦).

وقد عقد الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع أثناء ذكره لآداب المحدث باباً بعنوان «إعزاز المحدث نفسه وترفعه عن مضيه إلى منزل من يريد السماع منه» (١/٣٦٩) وذكر عدة وقائع من هذا القبيل. وذكر السخاوي أن الخليفة العباسي الرشيد سأل عبدالله بن إدريس الأودي أن يحدث ابنه فقال: إذا جاء مع الجماعة حدثناه. (فتح المغيث ٣/٢٤٤). وهو في ترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/٤٧ في قصة).

أما الابتعاد عن الأمراء والسلاطين فقد كانت عادة الإمام البخاري ولم يكن ذلك خاصاً بالأمير خالد الذهلي فقد تقدم معنا في قصة غريمه الذي قطع من ماله خمسة وعشرين ألفاً أن بعض تلامذته أشار عليه أن يأخذ كتاباً من أبي سلمة الكُشاني عامل أمل ليكتب إلى والي خوارزم فلم يرض بذلك وقال: «إن أخذت منهم كتاباً طمعوا مني في كتاب ولست أبيع ديني بدنياي».

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: كتب إلى أبي عبدالله بعض السلاطين في حاجة له، ودعا له دعاءً كثيراً. فكتب إليه أبو عبدالله: وصل إلى كتابك وفهمته، وفي بيته يؤتى الحكم، والسلام. (سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٦).

وقال عبدالمجيد بن إبراهيم: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كان يُسوِّي بين القوي والضعيف. (المصدر السابق ١٢/٤٤٩).

وقال الحسين بن محمد السمرقندي: «كان محمد بن إسماعيل مخصوصاً بثلاث خصال مع ما كان فيه من الخصال المحموده: كان قليل الكلام، وكان لا يطمع فيما عند الناس، وكان لا يشتغل بأمور الناس وكل شغله كان في العلم.» =

= والمصدر السابق ٤٤٨/١٢، وتغليق التعليق ٤٠٠/٥).

كل هذه الأخبار تدل على أن عدم ذهاب الإمام البخاري إلى منزل الأمير الذهلي للرواية والتحديث كان تدينًا وإكرامًا للعلم والعلماء.

أما خالد الذهلي فقد كان سلوكه مع الإمام البخاري - إمام المحدثين - مغايرًا لسلوكه مع من هم أقل شأنًا منه في علم الحديث. قال الخطيب البغدادي في ترجمة خالد الذهلي:

«ولما استوطن بخاري أقدم إلى حضرته حُفَظَ الحديث مثل محمد بن نصر المروزي، وصالح بن محمد جزرة، ونصر بن أحمد البغداديين، وغيرهم. . . . وكان خالد يختلف مع هؤلاء المسمَّين إلى أبواب المحدثين ليسمع منهم، وكان يمشي برداء ونعل يتواضع بذلك.» (تاريخ بغداد ٨ / ٣١٤).

فالظاهر أن مطالبته الإمام البخاري بالحضور إلى قصره لإستماع «الصحيح وغيره» كان أمرًا مُبَيَّنًا لحاجة في نفس الوالي. فقد استقبل الإمام البخاري استقبالًا حافلًا عندما ورد بخاري، فنصبت له القباب على فرسخ من البلد ونثرت عليه الدراهم والدنانير. ولما ورد بعد ذلك بأيام كتاب محمد بن يحيى الذهلي إلى والي بخارا خالد بن أحمد الذهلي فقرأ كتابه على أهل بخاري رفضوا الانصياع له. وقالوا: «لا نفارقه» (سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٦٣).

وكان هذا الأمر كافيًا ليقض مضجع الوالي الذي كان يميل إلى يعقوب بن الليث الصفار (السير ١٢ / ٤٦٦) ضد رؤسائه الطاهرية أمراء خراسان الذين ولَّوه بخاري. وكان ينوي الخروج عليهم. وكان يعقوب بن الليث هذا استولى على خراسان وأسر متوليها ابن طاهر في ستين نفسًا من آله. وكان يحاول الاستيلاء على الخلافة كلها في بغداد. واستغل لذلك أسوأ الظروف حيث كانت الخلافة مشغولة بالقضاء على فتنة الزنج. فقاتله الخليفة المعتمد وأخوه الموفق حتى هزموه في سنة ٢٦٢هـ. وانسحب يعقوب هذا وذهب من بلد إلى بلد حتى مات بالقولنج سنة ٢٦٥هـ (سير أعلام النبلاء ١٢ / ٥١٣) وأما خالد الذهلي فقد قبض عليه سنة ٢٦٩هـ وسجن ببغداد حتى مات. (المصدر السابق ١٣ / ١٣٧).

وفي ضوء هذا لا يستبعد أن خالد الذهلي خاف من شعبيته البخاري العارمة

فطلب الأمير مرةً أخرى بأنه إن كان لا يحب أن يأتي إلى القصر
الأميريّ فليعين وقتًا خاصًا للأمرء لا يشترك فيه بقية الناس، ولكن
الإمام البخاري أبى ذلك لأن العلم وراثته النبي ﷺ، وكل عام وخاص
له حقوقٌ متساوية في هذه العلوم، وطلب منه أن يحضر دروسه في
الدَّار، أو في المسجد إن كانت له حاجة إليه:

«فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطانٌ فأمنعني من المجلس ليكون لي
عذرٌ عند الله يوم القيامة أني لا أكتم العلم»^(١).

وبعد هذا الجواب الصريح لم يكن من أمير بخارى إلا أن غضب
غضبًا شديدًا وحاول إخراجه من البلد، إلا أن البخاريّ كان يملك
قلوب المسلمين وحبَّهم فلم يستطع أن يخرجهم بقوة الحكم والإمارة
فأوعزَ إلى أناس^(٢) ليتهموه بتهمةٍ تُغضب عامة الناس فافتروا عليه فريةً
فأمر بعد ذلك أن يترك البلد، وسنفصل الكلام في هذا الموضوع فيما
بعد إن شاء الله تعالى.

= فأهل بخارى الذين رفضوا الانصياع لأوامره في الابتعاد عن البخاري كيف
يطاوعونه في الخروج على الخلافة كلها مع الصفار. وكان يعرف من طبع البخاري
أنه عفيف نزه النفس، بعيد عن التزلف والافتتان بالجاه والسلطان فأراد أن يظهره
أمام الناس بمظهر الرفض والخروج عن الطاعة. ولو كان مخلصًا في طلبه نزيهاً في
رغبته لما استعان بحريث وأمثاله ليتهموا البخاري في دينه وفقهه بما ليس فيه، لأن
هذا ينافي أخلاق العلماء وطلبة العلم. والله أعلم.

(١) انظر المصادر المذكورة في أول التعليق السابق.

(٢) هو حُرَيْث بن أبي الوراق وغيره كما سيأتي (ص ١٩٣).

مكانة الإمام البخاريّ ومحبته في قلوب المسلمين

كان الإمام البخاريّ كلما حل مدينةً أو نزل أرضاً كان المسلمون يزدحمون حوله ازدحاماً يفوق الوصف والبيان.

وكان الناس بعد ما سمعوا تلك الأوصاف الخارقة التي وهبها الله لهذا الإمام الجليل من فقهٍ عديم النظير وذاكرةٍ خارقةٍ وتبحُّرٍ في العلم كانوا يتمنون رؤيته . فإذا نزل مكاناً تجمعوا حوله بحيث لا يكاد يوجد موضع قدم .

ولما رجع إلى بخارى عائداً من رحلته الدراسية نُصِبَتْ له القَبَابُ على فرسخٍ من البلد واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكورٌ، ونُثِرَ عليه الدراهم الدنانير^(١).

وجرى معه مثل هذا في نيسابور . قال الإمام مسلم (بن الحجاج):

«لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور ما رأيت والياً ولا عالماً فعَلَّ به أهل نيسابور ما فعلوا به، استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاثٍ^(٢)».

وقال محمد بن منصور:

«كان في الموكب أربعة آلاف خيالة وأما ركاب البغال والحمير والمشاة فلا يسعهم الحصر والعد^(٣)».

(١) مقدمة الفتح ٤٩٣، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٦٣، تغليق التعليق ٥/٤٣٩.

(٢) مقدمة الفتح ٤٩٠، تغليق التعليق ٥/٤٣١.

(٣) أحال المصنف إلى الفوائد الدراري . والخبر في تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٥٨ ، =

وإلى بغداد عاصمة بني العباس ومركز العلوم الإسلامية ذهب الإمام في إحدى رحلاته، وكان صيته وذكره قد سبقاه إليهم فاجتمع أهل بغداد وأعدوا برنامجاً خاصاً لاختبار ذكائه ومواهبه العلمية وذاكرته الخارقة .

أما البصرة فقد ارتجت وخرج إليه الألوف من أهلها لمّا علموا قدومه إليها . قال يوسف بن موسى المروزي^(١) :

«كنت بالبصرة في جامعها إذ سمعت منادياً ينادي يا أهل العلم لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري . فقاموا إليه وكنت معهم فرأينا رجلاً شاباً ليس في لحيته بياضٌ فصلّى خلف الأُسْطُوَانَةِ . فلما فرغ أحدّقوا به وسألوه أن يعقدَ لهم مجلساً للإملاء فأجابهم على ذلك» .

«فقام المنادي ثانياً في جامع البصرة، فقال: يا أهل العلم لقد قدّم محمد بن إسماعيل البخاري فسألناه أن يعقد مجلس الإملاء فأجاب بأن يجلس غداً في موضع كذا . فلما كان الغد حضر المُحدِّثون والحُفَظاء والفقهاء والنظارَةُ حتى اجتمع قريبٌ من كذا ألف نفس» .

= وفي سير أعلام النبلاء ٤٣٧/١٢، وطبقات السبكي ٢٢٥/٢ . وغيرهما: «قال محمد بن يعقوب الأخرم: سمعت أصحابنا يقولون: لما قدم البخاري نيسابور استقبله أربعة آلاف رجل ركباً على الخيل، سوى من ركب بغلاً أو حماراً، وسوى الرِّجَالَةِ» .

(١) هو أبو يعقوب يوسف بن موسى بن عبدالله بن خالد بن حموك المروزي من أعيان محدثي خراسان والمشهور بالطلب والرحلة، حدث بخراسان والعراق والحجاز روى عنه أبو حامد بن الشرقي والأخرم . مات بمرور سنة ست وتسعين ومائتين ٢٩٦هـ (الأنساب ٢٠٣/١٢ - ٢٠٤)، المروزي (بالذال) نسبة إلى «مرو الروذ» وأما المروزي بالزاي فهي نسبة إلى المرو (المراجع) .

«فجلس أبو عبدالله للإملاء، فقال قبل يأخذ في الإملاء:

«يا أهل البصرة. أنا شاب، وقد سألتُموني أن أحدثكم وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدونها يعني ليست عندكم، قال: فتعجب الناس من قوله، فأخذ في الإملاء فقال:

حدثنا عبدالله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي ببلدكم قال حدثني أبي عن شعبة عن منصور وغيره عن سالم بن أبي الجعد عن أنس بن مالك أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله الرجل يحب القوم الحديث.

ثم قال: هذا ليس عندكم عن منصور، إنما هو عندكم عن غير منصور.

قال يوسف بن موسى:

«فأملى عليهم مجلساً من هذا النسق. يقول في كل حديث: روى فلان هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان يعني التي يسوقها فليست عندكم^(١)».

وبالبصرة^(٢) هذه مدينة كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد

(١) مقدمة الفتح ٤٨٦-٤٨٧، وانظر أيضاً: تاريخ بغداد ١٦/٢-١٧، تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٤٦، سير أعلام النبلاء ٢٠٩/١٢، طبقات السبكي ٢١٩/٢، تغليق التعليق ٤١٥/٥، مقدمة القسطلاني ٢٩/١، زاد الذهبي: «قال يوسف: وكان دخولي البصرة أيام محمد بن عبدالملك بن أبي الشوارب».

قلت: وابن أبي الشوارب مات سنة ٢٤٤هـ كما في التقريب (ص ٨٧٣).

(٢) معجم البلدان ٤٣٠/١.

عمَّرها في خلافته، وكانت مدينة عظيمة معروفة في رواج العلم بها وكثرة انتشار السنة بين أهلها، وكانت البصرة والكوفة مدينتان تُعتبران مركزين للعلوم الإسلامية، ولكن من الجرأة أن يقال: أنهما كانتا تساويان مكة والمدينة، ولا يمكن أن تكونا كذلك مع كونهما في القمة من حيث العلم والمعرفة في عصر من العصور. ومن الذين ترجمهم الإمام الذهبيُّ من أهل الطبقة الثانية والثالثة ولقَّبهم بحاملي الحديث، مسروق بن الأجدع^(١)، والحسن البصري^(٢)، وقتادة^(٣)، وشعبة بن الحجاج^(٤)، ومحمد بن سيرين^(٥) - إمام الحديث والتأويل - كانوا من سكان هذه البصرة أو من نزلائها.

[الذكاء والعقل والتدبير]

أما الرأي والتدبير والعقل والفراصة والذاكرة والاستحضار والذكاء فمن صفات الإمام البخاري التي اعترف بها كل مؤيد ومعاند، كان

-
- (١) هو الإمام أبو عائشة الهمداني الكوفي ابن أخت عمرو بن معديكرب ذكره الذهبي في الطبقة الثانية توفي سنة ثلاث وستين (تذكرة الحفاظ ٤٩/١ - ٥٠) (المراجع).
 - (٢) هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري ذكره الذهبي في الثالثة توفي سنة عشر ومائة (تذكرة الحفاظ ٧١/١) (المراجع).
 - (٣) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري توفي ١١٨هـ أو ١١٧هـ بواسط، ذكره الذهبي في الطبقة الرابعة (تذكرة الحفاظ ١٢٢/١ - ١٢٤) (المراجع).
 - (٤) شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بسطام الأزدي العتكي مولاهم الواسطي نزيل بصرة توفي ١٦٠هـ وذكره الذهبي في الطبقة الخامسة، تذكرة الحفاظ ١٩٣/١ - ١٩٧ (المراجع).
 - (٥) محمد بن سيرين الإمام الرباني أبوبكر مولى أنس بن مالك توفي ١١٠هـ ذكره في الثالثة أثبت من الحسن رحمة الله عليهما، تذكرة الحفاظ ٧٧/١ - ٨٧) (المراجع).

الإمام قتيبة بن سعيد يقول:

«جالست الفقهاء والزُّهَّاد والعُبَّادَ، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد ابن إسماعيل. وهو في زمانه كعمر في الصحابة^(١)».

وكانت ذاكرته القوية يُضْرَبُ بها المثل بحيث كلما ذُكر البخاري ذكرت معه هذه الصفة من أوصافه، وقد ترجم له الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ ترجمة مختصرة جدًا. ولكن مع ذلك لم يفتَهُ أن يقول: «وكان رأسًا في الذكاء، رأسًا في العلم [ورأسًا في الورع والعبادة]^(٢)».

ومن الأمور التي درج عليها المؤرخون عامة أنهم في كتب التراجم والرجال إذا ذكروا العلماء ذكروا من أوصافهم سرعة الفهم وقوة الحفظ والذاكرة والاستغناء والتواضع والزهد والورع وغيرها من الأوصاف، ولكنهم غالبًا لا يذكرون العقل والرأي والفراصة والتدبير وكأنها من أوصاف أهل الدنيا، ولا تتجاوزهم إلى غيرهم، وهذا ما ذكره العلامة ابن خلدون بقوله:

«إن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها»^(٣).

(١) مقدمة الفتح ٤٨٢، تغليق التعليق ٤٠٢/٥، والجملة الثانية في سير أعلام النبلاء بإسناد غير اسناد الأولى ولفظها: «مَثَلُ محمد بن إسماعيل عند الصحابة في صدقه وورعه كما كان عمر في الصحابة» (٤٣١/١٢).

(٢) تذكرة الحفاظ ٥٥٥/٢. وقد صرح فيها بأنه أفرد في مناقب الإمام البخاري جزءًا ضخمًا. كما أنه توسع في ترجمة البخاري في كتاب سير أعلام النبلاء حيث جاءت ترجمته فيه في ثمانين صفحة (٣٩١/١٢ - ٤٧١). وما بين المعقوفين زيادة من تذكرة الحفاظ.

(٣) مقدمة ابن خلدون ١٢٤٥/٤.

وهو صادق في هذا، إلا أن الحق أن العلماء في حاجة إلى هذه الأوصاف أكثر من غيرهم، لأن الإسلام - بخلاف غيره من الأديان الأخرى - تشمل شريعته أمور الدين والدنيا كلها.

انظر في سيرة الخلفاء الأولين، من الذي يدانيهم من حكام العالم وسلاطينه وملوكه في سياسة الحكومة وتدبير شئون الملك؟^(١)

ولا شك أن إمام المحدثين يمتاز في هذه الصفة من بين علماء جميع الفرق، فإنه كان ذا معرفة تامة بالأمور الدنيوية مع أسرار الشريعة وشؤونها ومع ابتعاده كل البعد عن الأمراء والسلاطين وكراهيته التقرب منهم والتزلف إليهم استنبط أعلى وأدق القوانين والأنظمة التي تتعلق بشئون الإمارة والحكم من الأحاديث والآثار، وإذا قرأنا بإمعان تلك الأبواب التي تشتمل على المعاملات من صحيح البخاري وحتى كتاب السير نرى أن الحق الذي لا مرية فيه أن النكات والقوانين الشرعية الدقيقة التي ذكرها إمام المحدثين مستخرجةً ومستنبطةً من الأحاديث الصحيحة هي روح الحضارة ولبُّ الحكم والإمارة، ولا شك أنه من فقه الإمام البخاري الذي رزقه الله حظًا وافراً منه^(٢).

(١) أي أنهم مع ذلك كانوا علماء وفقهاء.

(٢) قال توماس وليام بيل في «القاموس الجغرافي الشرقي» طبعة لندن ١٨٩٤م (إن الإمام البخاري مُشَرِّعٌ ماهر، ومجموعة أحاديثه عن الديانة الإسلامية التي تعرف باسم صحيح البخاري تعتبر أوثق مجموعات الحديث) نقلاً عن المصنفين العرب لمؤلفه ف. ف. اربثوت طبعة لندن ١٨٩٠م ص ٣٩.

وتوجد مثل هذه الشهادات عن الإمام البخاري وصحيحه في الكتب التالية:

١- دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٧٨٤ - ٢٠٧٨٥ - دائرة المعارف البريطانية ٣٧٤/ ٤

الطبعة ١٤، وأيضاً ص ٧٧٠/ ٤ - ٧٧١ الطبعة ١١.

ونرى أن الأمم المتحضرة الآن التي تتلأأ في سماء الرقي والازدهار تهتم بالقوانين التي استنبطها الإمام البخاري أكثر من الكبريت الأحمر، وكلما تثبت لهم التجارب صدقها وصلاحياتها يزدادون استفادة منها وتزداد حكومتهم أمناً واستقراراً وحضارتهم رقيّاً وازدهاراً^(١).

ويعتبر الجمع بين المعقول والمنقول ومقارنة القوانين الشرعية والقوانين الوضعية من أعلى درجات الكمال في أيامنا هذه، ونرى أناساً يتخصصون فيه ويشغلون به، وقد ألف الإمام ابن تيمية^(٢) والإمام ابن حزم مؤلفات خاصة في هذا الموضوع، والمجلات الإسلامية تهتم به كل الاهتمام وكأنها قد اختصت به وحُقَّ لها ذلك، فإن هذا الموضوع هو روح علم الكلام، ومن مزايا ومحاسن الإسلام أن شريعته لا تخالف العقل السليم أبداً، ولكن الإمام البخاري قد سبقهم بالتفكير في هذا الموضوع منذ ألف سنة أو أكثر، قال الشاه ولي الله في شرح تراجم أبواب البخاري:

«وكثيراً ما يُخَرِّج الآداب المفهومة بالقول من الكتاب والسنة بنحو

= ٣- موسوعة الأديان والأخلاق ٤٥٥/١١.

٤- مقدمة توري على انتخاب صحيح البخاري.

٥- قاموس الاسلام من تأليف هيوز ص ٤٤ (المؤلف).

(١) لا ينافي هذا ما يوجد في تلك الحكومات من الفراغ الفكري والجرائم الأخلاقية فإن مردها إلى عدم الإيمان بالرسالة والآخرة، فلو وجدت هذه الأوصاف في أمة من الأمم مع تطبيق شريعة الله فلا شك أنها تنعم بالرقي والازدهار (المراجع).

(٢) وللإمام ابن تيمية رحمه الله كتاب موسوعي كبير في هذا الموضوع يسمى «درء تعارض العقل والنقل» أو «موافقة صريح المعقول بصحيح المنقول».

وله أيضاً: «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» وقد ناقش ابن حزم كثيراً من هذه المسائل في كتابه المشهور «الفصل في الملل والنحل» وغيره من الكتب.

من الاستدلال والعادات الكائنة في زمانه عليه السلام، ومثل هذا لا يُدْرِكُ حُسْنَهُ إِلَّا من مارس كُتُبَ الآداب، وأجال عقله في ميدان آداب قومه ثم طلب لها أصلاً من السنة^(١)».

قوة الحفظ والذاكرة

عندما يُترجم المؤرخون وأصحاب السّير إمام المحدثين ويذكرون محاسنه يخصصون بالذكر قوّة حفظه وذاكرته بعناوين خاصة. وهناك وقائع أصبحت مضرب المثل لدى المحدثين في ذاكرته القوية.

ومنذ صغر سن الإمام كان أساتذته يتوسمون فيه هذه القوة الخارقة التي وهبها الله تعالى إياه، فكانوا يقولون إنه سيكون له شأن^(٢).

فقد نظر أحمد بن حفص^(٣) إلى وجهه ذات مرة فقال:
«هذا يكون له صيت»^(٤).

(١) رسالة شرح تراجم أبواب البخاري ص ٦ (ص ١٢، مصورة دار الحديث. بيروت).

(٢) هذه المعلومات مأخوذة من الفوائد الدراري. (المؤلف)

(٣) هو أبو حفص أحمد بن حفص البخاري، تقدمت ترجمته.

(٤) الفوائد الدراري (المؤلف). وانظر أيضاً: سير أعلام النبلاء ٤٢٥/١٢ وقد رواه

الورّاق عن والده قال: «كان محمد بن إسماعيل يختلف إلى أبي حفص أحمد بن حفص البخاري وهو صغير، فسمعت أبا حفص يقول: هذا شابٌ كَيِّسٌ، أرجو أن يكون له صيتٌ وذكرٌ».

وروى الخطيب بسنده عن أبي سعيد بكر بن منير يقول: «سمعت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي يقول: كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب الجامع - جامع سفيان - في كتاب والدي، فمرّ أبو حفص على =

ومثل هذا قال سليمان بن حربٍ أيضًا^(١).

وقال أبو عيسى الترمذي: كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن مُنير^(٢) فقال له لما قام:

«يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة»

قال أبو عيسى: «فاستجاب الله تعالى فيه». ^(٣)

= حرفٍ ولم يكن عندي ما ذكره، فراجعته فقال الثانية كذلك، فراجعته الثانية فقال كذلك، فراجعته الثالثة فسكت سوية ثم قال: من هذا؟ قالوا: هذا ابن إسماعيل بن إبراهيم من بردزية. فقال أبو حفص: هو كما قال، واحفظوا فإن هذا يومًا يصير رجلاً. «تاريخ بغداد ١١/٢، تغليق التعليق ٣٨٧/٥.

(١) سوف يذكر المصنف ترجمة سليمان بن حرب بعد قليل، وقوله هذا في مقدمة الفتح ص ٤٨٢، وتغليق التعليق ٤٤٠/٥، ورواه الذهبي عن طريق الوراق عن حاشد بن إسماعيل قال: لما قدم محمد بن إسماعيل على سليمان بن حرب نظر إليه سليمان فقال: هذا يكون له يومًا صوت. (سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٠).

وروى الوراق أيضًا عن البخاري قال: «كنت اختلف إلى الفقهاء بمرور وأنا صبي، فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم، فقال لي مؤدب من أهلها: كم كتبت اليوم؟ فقلت: اثنين (في التغليق: آيتين) وأردت بذلك حديثين فضحك من حضر المجلس. فقال شيخ منهم: لا تضحكوا، فلعلَّه يضحك منكم يومًا» (سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠١، تغليق التعليق ٣٨٧/٥، تحفة الأخبار ص ١٨٣).

(٢) مُنير: بضم الميم وكسر النون وخفة الياء آخره راء. كذا في مقدمة الفتح. (المؤلف) وهو من شيوخ البخاري، قال ابن حجر: ثقة عابد. مات ٢٤١هـ ويقال بعدها، / خ ت س (التقريب ١/٤٥٤) وقد كتب هو أيضًا عن البخاري وكان يقول: أنا من تلاميذ محمد بن إسماعيل، وهو معلمي. وقد روى عنه البخاري في صحيحه وكان يقول: لم أر مثله. سير أعلام النبلاء ١٢/٤١٤، ٤٢٤، تغليق التعليق ٤٠٧/٥.

(٣) الفوائد الدراري، مقدمة الفتح ص ٤٨٤، وانظر أيضًا: تاريخ بغداد ٢/٢٦، تاريخ =

وقال حاشد بن إسماعيل^(١):

«كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلامٌ فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيامٌ، فلمَنَاهُ بعد ستة عشرَ يومًا، فقال: قد أَكثَرْتُمْ عَلَيَّ فَأَعْرِضُوا عَلَيَّ ما كُتِبْتُمْ، فأخرجناه فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلبٍ حتى جعلنا نُحَكِّمُ كُتَبَنَا من حفظه»^(٢).

وقال محمد بن الأزهري السَّجِسْتَانِيُّ:

«كنت في مجلس سليمان بن حرب والبخاري معنا يسمع ولا يكتب، فقليل لبعضهم: ماله لا يكتب؟ فقال: يرجع إلى بخاري ويكتب من حفظه»^(٣).

= الاسلام ص ٢٥٠، سير أعلام النبلاء ٤٣٣/١٢، طبقات السبكي ٢٢١/٢، البداية والنهاية ٢٦/١١، تحفة الأخباري ص ١٨٦، تغليق التعليق ٤٠٧/٥. وعند بعضهم «فاستجيب له فيه». وعلق عليه ابن ناصرالدين قائلًا: «جعله الله زينًا للأمة وقُدوة للأئمة».

(١) هو حاشد بن إسماعيل بن عيسى الغزال الحافظ محدث الشاش أحمد أئمة الأثر حدث عنه محمد بن يوسف الفريبري وبكر بن منير وغيرهما توفي ٢٦١ هـ تذكرة الحفاظ ٥٦٤/٢. (المراجع).

(٢) الفوائد الدراري، مقدمة الفتح ٤٧٨. وانظر أيضًا: تاريخ بغداد ١٤/٢، طبقات الحنابلة ٢٧٦/١، تاريخ دمشق ٤٢/١٥ ب، المنتظم ١١٦/١٢، تذكرة الحفاظ ٥٥٦/٢، سير أعلام النبلاء ٤٠٨/١٢، طبقات السبكي ٢٢١/٢، تحفة الأخباري ص ١٨٩، تغليق التعليق ٣٩٠/٥ وزادوا: «ثم قال: أثرون أني أختلف هدرًا وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد».

(٣) رواه الخليلي باسناده عن محمد بن الأزهري السَّجِسْتَانِيِّ. (الإرشاد ٩٦١/٣).

وانظر: مقدمة الفتح ص ٤٧٨، تغليق التعليق ٣٩١/٥. وفيه «محب ابن الأزهري» ولعله تحريف.

وكان سليمان بن حرب هذا من كبار أئمة زمانه، كان حافظًا للحديث قاضيًا في مكة^(١) يروى عن الأئمة أمثال شعبة وجريير بن حازم، وروى عنه الأئمة أيضًا من أمثال يحيى القطان ومحمد بن جعفر من أئمة الجرح والتعديل، وكان قوي الذاكرة، روى عشرة آلاف حديث دون أن يمسك الكتاب.

قال أبو حاتم: لقد حضرت مجلس سليمان بن حرب ببغداد فقَدَرُوا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل، توفي سنة ٢٢٤هـ. وهو شيخ الإمام البخاري ومع فضله وكماله. كان يقول للبخاري: «بين لنا غَلَطَ شعبه»^(٢)

وسئل الحافظ أبو العباس الفضل بن العباس المعروف بفضلك الرّازي وكان من كبار المحدثين:

«أيهما أحفظ؟ محمد بن إسماعيل أو أبو زرعة؟ فقال: «لم أكن

= ومحمد بن الأزهر هذا لعله هو الذي ذكره ابن حبان في الثقات فقال: محمد ابن الأزهر، شيخ من أهل الجوزجان، يروى عن يحيى القطان، وابن مهدي روى عنه أحمد بن سيار، كثير الحديث يتعاطى الحفظ، من جلساء أحمد بن حنبل» (١٢٣/٩) والله أعلم.

(١) قال القاضي يحيى بن أكثم: قال لي المأمون: من تركت بالبصرة؟ فوصفت لهم مشايخ منهم سليمان بن حرب وقلت: هو ثقة حافظ للحديث عاقل في نهاية الستر والصيانة، فأمرني بحمله إليه فكتبت إليه في ذلك فقدم وولاه قضاء مكة فخرج إليها. التهذيب ١٧٩/٤ - ١٨٠ (المؤلف).

وينظر لترجمته أيضًا: تهذيب الكمال ٣٨٤/١١، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٢٢/٢، سير أعلام النبلاء ٣٣٠/١٠ وغيرهما.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤١٩/١٢، تغليق التعليق ٤٤٠/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٢.

التقيت مع محمد بن إسماعيل».

ولعله يقصد أنه لا يستطيع أن يحكم على علم أحد وفضله، ولا يمكن أن يقارنه بغيره من أهل العلم من غير أن يلتقي به.

وفضلك هذا من شيوخ الإمام النسائي وتلامذة القعني، عاش إلى سنة ٢٨٠هـ.

قال فضلك:

«فاستقبلني ما بين حُلُوان^(١) وبغداد، قال: فرجعت معه مرحلةً وجهدتُ كل الجهد على أن آتي بحديثٍ لا يعرفه فما أمكنني. وها أنا ذا أُغربُ على أبي زُرعة عدد شعر رأسه»^(٢).

(١) بلدة بالعراق في آخر حدود السواد. مراصد الاطلاع ٤١٨/١.

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٨٥. وانظر أيضًا: تاريخ بغداد ٢٣/٢، التقييد ١٢/١، تهذيب الكمال ٤٥٨/٢٤، تاريخ الإسلام ص ٢٨٥، سير أعلام النبلاء ٤٣٤/١٢، طبقات السبكي ٢٢٥/٢، تغليق التعليق ٤١١/٥، تهذيب التهذيب ٥١/٩.

واسمه في جميع هذه المراجع «الفضل بن عباس الرّازي» ولكنه انقلب في تاريخ الاسلام والسير فأصبح «العباس بن الفضل الرازي» وعنه أخذه السبكي في الطبقات. وزادا «الصائغ» وزاد ابن حجر في المقدمة والتغليق «المعروف بفضلك». وفضلك هذا قال فيه الذهبي: «الإمام الحافظ المحقق أبوبكر الفضل بن عباس الرّازي، صاحب التصانيف» توفي سنة ٢٧٠هـ. قال الخطيب: كان ثقة ثبتاً حافظاً، وسكن ببغداد إلى أن توفي بها. (تاريخ بغداد ٣٦٧/١٢، تذكرة الحفاظ ٦٠٠/٢، سير أعلام النبلاء ٦٣٠/١٢).

ولكن وقعت كنيته في مقدمة الفتح «أبو العباس» وتشابه الاسم واسم الأب فظن المؤلف رحمه الله أنه «أبو العباس الفضل بن عباس البغدادي الحلبي شيخ النسائي والراوي عن القعني وقد ترجمه الخزرجي في الخلاصة (ص ٣٠٩) ومنها أخذ المؤلف رحمه الله ترجمته. وله ترجمة في تهذيب الكمال وفروعه، ولكن =

وكان أبو زرعة من كبار الأئمة ومن شيوخ الترمذي والنسائي وابن ماجه، ومعاصرًا لإمام المحدثين، توفي سنة ٢٦٤هـ. قال الإمام أحمد: ما جاوزَ الجسرَ أحفظُ من أبي زرعة وكان يحفظ عشرة آلاف حديث فيما يتعلق بالقرآن فقط. (١)

وأبو الطيب حاتم بن منصور (٢) وأبو زرعة من الحفاظ الذين يضرب بهم المثل في قوة الحفظ والذاكرة. وكان أبو الطيب يقول:

«كان محمد بن إسماعيل آيةً من آيات الله في بَصَرِهِ وَنَفَاقِهِ في العلم» (٣).

= الصواب أنه غير فضلك الرازي. وذكر الخطيب في تاريخه كلاً منهما في ترجمة مستقلة فترجمة فضلك فيه في ٣٦٧/١٢، الترجمة ٦٨٠٣، وترجمة الحلبي في ١٢/٣٦٩، الترجمة ٦٨٠٧. وليس لفضلك الرازي رواية في الكتب الستة. والله أعلم.

(١) أبو زرعة عبدالله بن عبدالكريم الرازي، الإمام المعروف. ينظر لترجمته ومصادرها تهذيب الكمال ٨٩/١٩، سير أعلام النبلاء ٦٥/١٣، وكتاب «أبو زرعة الرازي» وجهوده في السنة النبوية للدكتور سعدي الهاشمي.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٢٧/١٢، تغليق التعليق ٤١٠/٥، مقدمة الفتح ٤٨٥.

وقال رجاء بن مرجى الحافظ: «فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء فقال له رجل: يا أبا محمد، كل ذلك بمرة؟ فقال: هو آية من آيات الله يمشى على ظهر الأرض». تاريخ بغداد ٢٥/٢، تاريخ دمشق ٥١/١٥، سير أعلام النبلاء ٤٢٧/١٢، تحفة الأخباري ص ١٩٤، تغليق التعليق ٤٠٦/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٥.

ورجاء بن مرجى هذا مروزي سكن بغداد. قال الخطيب: كان ثقة ثباتاً إماماً في علم الحديث وحفظه والمعرفة به. (تاريخ بغداد ٤١١/٨) ت ٥٢٤٩. قال عمر بن حفص الأشقر «قدم علينا رجاء بن مرجى بخاري، يريد الشاش، فسمعنا منه، ودخل على محمد بن إسماعيل البخاري فتذاكرا. (سير أعلام النبلاء ٩٩/١٢).

وكانت المواهب الربانية من الحفظ والذكاء ونفاذ البصر قد جعلت الإمام البخاريّ بحيث أن شيوخه كانوا يُجلُّونه غاية الإجلال، وكانوا يهابون إلقاء الدرس أمامه^(١).

وقد ذكرت المراجع من شروح الألفية وشروح البخاري وكتب التاريخ ومقدمة الفتح وتمييز المشكل وتهذيب الأسماء واللغات والطبقات الكبرى للسبكي وطبقات الحنابلة والمرقاة شرح المشكاة وغيرها من الكتب الكثيرة قصة اختبار جرّت مع إمام المحدثين لمعرفة بصره وحفظه، وقد جرّت هذه القصة في دار الخلافة ببغداد، وكان علماء بغداد قد سمعوا الكثير من الأخبار المدهشة عن الإمام البخاري وقوة حفظه وحدة ذكائه، وكانت تلك الأخبار تروج وتنتشر في العالم الإسلامي وتزداد شهرة يومًا فيومًا، فأرادوا أن يختبروه^(٢).

(١) ومن ذلك ما رواه فتح بن نوح النيسابوري قال: أتيت على ابن المديني فرأيت محمد بن إسماعيل جالسًا عن يمينه وكان إذا حدث التفت إليه مهابة له، مقدمة الفتح ٤٨٣، تاريخ بغداد ١٨/٢، تغليق التعليق ٤٠٦/٥.

وكان محمد بن سلام يقول: «كلما دخل عليّ محمد بن إسماعيل تحيرت ولا أزال خائفًا منه، يعني يخشى أن يخطيء بحضرته» مقدمة الفتح ٤٨٣، سير أعلام النبلاء ٤١٧/١٢، تغليق التعليق ٤٠٤/٥.

وقال أبو عمرو الخفاف: لو دخل من هذا الباب وأنا أحدث لملئت منه رعبًا. مقدمة الفتح: ٤٨٥ (المراجع) تاريخ بغداد ٢٨/٢، تغليق التعليق ٤١٢/٥.

وذكر إبراهيم بن محمد بن سلام عددًا من المحدثين فقال: إن الرُّثُوتَ - أي الرؤساء - من أصحاب الحديث مثل سعيد بن أبي مريم المصري، و... و... وكلهم كانوا يهابون محمد بن إسماعيل، ويقضون له على أنفسهم في النظر والمعرفة. (ماتمس إليه حاجة القاريء ص ٣٠) وسيأتي ذكره وتخريجه بتفصيل.

(٢) هذه القصة رواها ابن عدي في أسامي من روى عنهم البخاري ص ٦٢-٦٣ وعن طريقه الخطيب في تاريخ بغداد ٢٠/٢-٢١، وأبو الوليد الباجي في التعديل =

والأيام التي ورد فيها إمام المحدثين، كانت بغداد عاصمة الخلافة وعاصمة العلم أيضًا بسبب ما كانت تلقاه من تشجيع من الخلفاء العباسيين، ويكفي أن نقول إن أمثال الرشيد والمأمون من أهل الكمال ومحبي العلم كانوا يراعون الحركة العلمية القائمة فيها آنذاك.

قال مسلم بن إبراهيم: «كتبت عن ثمانمائة شيخ ما جُزْتُ الجسر»^(١). وهذا يعني أنه وجد في مدينة بغداد^(٢) وحدها ثمانمائة

= والتجريح ٨٠٨/١، والحميدي في جذوة المقتبس ص ١٣٧ (ترجمة أحمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائي) وابن الجوزي في المنتظم ١١٧/١٢ - ١١٨.

وقد ذكرها العلماء في كتبهم فليُنظر على سبيل المثال: تقييد المهمل ١/١٥ أ، تاريخ دمشق ١٥/٤٤ أ، أسامي شيوخ البخاري للصغاني ص ٥، وفيات الأعيان ٤/١٨٩، تهذيب الكمال ٢٤/٤٥٣، ٤٥٦، تاريخ الاسلام ص ٢٤٦، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٨، طبقات السبكي ٢/٢١٨، تحفة الأخباري ص ١٩٢ - ١٩٣، تغليق التعليق ٥/٤١٤، مقدمة الفتح ص ٤٨٦، النكت على ابن الصلاح ٢/٨٦٧، مرآة الجنان ٢/١٦٧.

ومقدمات شروح البخاري وكذلك كتب المصطلح عامة مما يطول ذكرها. غير أنني لم أرها في طبقات الحنابلة ولا في تهذيب الأسماء واللغات في ترجمة البخاري. فلعلهما ذكراهما في موضع آخر. والله أعلم. ويذكرها أصحاب كتب المصطلح في باب «الحديث المقلوب» في الغالب.

(١) رواه الآجري عن أبي إسماعيل الترمذي عن مسلم بن إبراهيم. سؤالات الآجري ١/٤٤٦ بتحقيقي. وعنه تهذيب الكمال ٢٧/٤٩١، سير أعلام النبلاء ١٠/٣١٥.

وروى الآجري أيضًا عن أبي داود قال: كتب مسلم عن قريب من ألف شيخ (١/٤٤٦، النص ٩٥٠). وقال أبو داود أيضًا: ما رحل مسلم إلى أحد (المصدر السابق، النص ٩٥٣).

(٢) الجسر: هو جسر على الفرات. عبر عليه أبو عبيد الثقفي إلى الفرس في معركة عظيمة وقعت بين المسلمين والفرس سنة ١٣هـ. انظر معجم البلدان ٢/١٤٠، =

أستاذ كانوا قد وصلوا مرتبة المشيخة^(١).

وقد توجه المحدثون والفقهاء والمتكلمون من جميع أنحاء العالم، واجتمعوا في بغداد، بعدما مضت مدة على خلافة بني العباس. ولم تكن بغداد مركزاً للعلوم الإسلامية فحسب بل كانت ملجأ لجميع أهل الكمال وملاذهم.

وذاث مرة عُدَّ الأطباء في بغداد فبلغوا تسعمائة طبيب من الذين أعطيت لهم شهادات في الطب عدا أولئك الذين لم يدخلوا الامتحان لفضلهم وشهرتهم وعدا الأطباء الذين كانوا ذا علاقة بالخليفة، والله أعلم كم كان عددهم ولو جمعوا لارتفع هذا العدد أكثر وأكثر.

ومن هنا نستطيع أن نقدر أن المدينة التي كانت تضم بين جنباتها أكثر من تسعمائة طبيب حاصل على شهادة، كم يكون فيها عدد المحدثين

= مرصد الاطلاع ١/ ٣٣٤.

ولكن مسلم بن إبراهيم وهو الأزدي الفراهيدي - من شيوخ البخاري وأبي داود - بصري، كان يسكن البصرة (معرفة الثقات للعجلي ٢/ ٢٧٦) فالظاهر أنه يقصد في قوله «ما جزتُ الجسر» أي ما خرجت من العراق.

(١) ذكر الذهبي في ترجمة ابن قتيبة - صاحب كتاب المعارف وغيره - أن طلبة الحديث جاءوا إليه وطلبوا منه أن يحدث فقال لهم: «تَسألون أن أحدث وبيغداد ثمان مئة محدث، كلهم مثل مشايخي، لستُ أفعل، فلم يحدث بشيء». انظر القصة بتمامها في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٠٢.

وابن قتيبة هذا من معاصري الإمام البخاري ولد ٢١٣هـ وتوفي ٢٧٦هـ ولكن كان اهتمامه باللغة والأدب أكثر من الحديث ولكن مع ذلك فله كتاب مفيد في «غريب الحديث» مطبوع. وكتابه «تأويل مختلف الحديث» من أنفس ما كتب في بابهِ. وانظر كتاب مختلف الحديث للدكتور أسامة عبدالله خياط ص ٣٩٥ - ٤٠٤.

والأدباء والمهندسين^(١).

ولم يكن دخول الإمام البخاري بغداد مع ارتفاع صيته وانتشار ذكره أمراً هيناً، وهذا الذي جعل ذلك العدد الكبير من المحدثين الموجودين في بغداد يتفقون على اختبار حفظ إمام المحدثين واتقانه وبصيرته وذكائه فدبروا له خطة.

«وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر. ودفعوها إلى عشرة أنفس، لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري وأخذوا عليه الموعد للمجلس. فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم ومن البغداديين.

فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث. فقال البخاري: لا أعرفه. فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحدٍ حتى فرغ والبخاري يقول: لا أعرفه.

وكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: فهم الرجل. ومن كان لم يذُرِ القصة يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الحفظ.

ثم انتدب رجل من العشرة أيضاً فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال: لا أعرفه. فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه.

(١) للتفصيل في معرفة العلماء وأولى الفضل في كل الفنون من علماء بغداد يمكن الرجوع إلى ذلك الكتاب الفذ الذي جمعه الإمام الخطيب البغدادي وأخذ ذكر بغداد في تاريخ العالم، ألا وهو «تاريخ بغداد» في أربعة عشر مجلداً (المراجع).

فلم يزل يلقي عليه واحدًا واحدًا حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول:
لا أعرفه .

ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من
إلقاء تلك الأحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه .

فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول فقال:

أما حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا وحديثك الثاني كذا
وصوابه كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد
كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك .

فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل^(١) .

قال صاحب المرقاة: فبهر الناس وأذعنوا له^(٢) .

ولا شك أن تصحيح الأسانيد المقلوبة من غاية الكمال لدى أهل
الفن والنقاد . ولكن أهم منه وأشدّ عجبًا أنه أعاد كل الأسانيد المائة
مقلوبة كما كان سمعها مع أنه لم يكن سمعها إلا مرة واحدة، ثم أعادها
على الترتيب الذي سمع منه وبين لهم أن الإسناد الفلاني خطأ،
والإسناد الفلاني مع المتن الفلاني والمتن الفلاني مع السند الفلاني^(٣) .

(١) مقدمة الفتح ٤٨٦ واللفظ لها، تاريخ بغداد ٢/ ٢٠-٢١ وقد سبق تخريج القصة في ص ١٦٦ .

قال السخاوي: رويناهما في مشايخ البخاري لأبي أحمد بن عدي قال سمعت
عدة مشايخ يحكون وذكرها... ولا يضر جهالة شيوخ ابن عدي فيها فإنهم عدد
ينجبر به جهالتهم . (فتح المغيث ١/ ٣٢١) .

(٢) المرقاة ١/ ١٤ .

(٣) قال الحافظ ابن حجر تعليقًا على هذه الحادثة: قلت: وهنا يخضع للبخاري، فما =

وقد حدثت معه قصة اختبارٍ أخرى وذلك لما وصل سَمَرْقَنْد، وكان فيها أربعمائة من كبار أهل الفن الذين يُرجع إليهم، وكان قد بلغهم ما يتمتع به الإمام البخاري من البصر والنفاذ في العلم فاجتمعوا له تسعة أيام^(١) وبذلوا جهودهم لمغالطته فلم يظفروا على غلطة واحدة. قال أبو الأزهر^(٢):

«وكان سَمَرْقَنْد أربعمائة محدّثٍ فتجمعوا فأحبوا أن يغالطوا محمد بن إسماعيل فأدخلوا إسناده الشام في إسناده العراق وإسناده العراق في إسناده الشام وإسناده الحرم في إسناده اليمن فما استطاعوا مع ذلك أن يتعلقوا عليه بسقطة^(٣)».

قال القاريء: «فما استطاعوا مع ذلك أن يتعلقوا عليه بسقطة لا في إسناده ولا في متن^(٤)»

= العجب من رده الخطأ إلى الصواب فإنه كان حافظاً، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة. مقدمة الفتح ٤٨٦ (المراجع) وتغليق التعليق ٤١٥/٥. ونحو هذا قال السخاوي أيضاً في فتح المغيبي ٣٢١/١.

(١) كذا في الأصل «تسعة أيام» ولكن لم أجد تحديد الأيام في مقدمة الفتح. وعند الذهبي في التاريخ والسير «سبعة أيام».

(٢) هو أحمد بن الأزهر بن منيع بن سليط الحافظ الثقة العبدي النيسابوري رأى سفيان وسمع ابن نمير ويعلى وعنه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة توفي سنة ٢٦٣هـ تذكرة الحفاظ ٥٤٦/٢، سير أعلام النبلاء ٣٦٣/١٢-٣٦٩ (المراجع).

(٣) مقدمة الفتح ص ٤٨٦ واللفظ منه. وانظر أيضاً: تاريخ الاسلام ص ٢٥٢، سير أعلام النبلاء ٤١١/١٢ وآخره فيهما «فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناده ولا في المتن». تغليق التعليق ٤١٩/٥.

(٤) المرقاة ١٣/١، مقدمة القسطلاني ٢٩/١. البداية والنهاية ٢٥/١١ وهذه الزيادة من الخبر نفسه كما سبق عن الذهبي وقد رواها عن طريق الوراق.

وكان يقول بنفسه: «تذكرتُ يوماً أصحابَ أنسٍ فحضرنِي في ساعةٍ ثلاثمائة نفس»^(١).

وقال الوراقُ: «سمعتُه يقول: ما نمْتُ البارحةَ حتى عَدَدْتُ كم أدخلت في تصانيفي من الحديث فإذا نحواً مائتي ألف حديث مسندة»^(٢).
وقال أيضاً:

لو قيل لي شيءٌ لما قمتُ حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة»^(٣).

وقال ورّاقه: عَمِلَ كتاباً في الهبة فيه نحو خمسمائة حديث. وقال: ليس في كتاب وكيع في الهبة إلا حديثان مسندان أو ثلاثة. وفي كتاب ابن المبارك خمسة أو نحوها^(٤).

وقال أبوبكر الكلؤذاني^(٥):

-
- (١) مقدمة الفتح ص ٤٨٨. سير أعلام النبلاء ٤١١/١٢، تغليق التعليق ٤١٩/٥.
- (٢) تاريخ الإسلام للذهبي ص ٥٢، سير أعلام النبلاء ٤١٢/١٢. البداية والنهاية ٢٥/١١، مقدمة الفتح ص ٤٨٧، تغليق التعليق ٤١٩/٥، بدون كلمة «مُسندة».
- (٣) سير أعلام النبلاء ٤١٢/١٢، تغليق التعليق ٤١٨/٥ والسياق له، مقدمة الفتح ص ٤٨٧. ووقع فيه «تمن» بدل «شيء». وفي السير قصة تبين سبب هذا القول وقد جرت في مجلس يعقوب بن عبدالله والي نيسابور.
- (٤) تاريخ الإسلام ص ٢٥١، سير أعلام النبلاء ٤١٠/١٢، تغليق التعليق ٤١٨/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٨ والسياق لها، مقدمة القسطلاني ٢٩/١.
- (٥) هو أبوبكر محمد بن رزق الله الكلؤذاني من أهل بغداد يروي عن أبي عاصم الضحاك ويزيد بن هارون وغيرهما وعنه أبوبكر محمد بن هارون الروياني وغيره، توفي سنة ٢٤٩هـ الأنساب ١٤٠/١١، تاريخ بغداد ٢٧٧/٥ (المراجع).

«ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كان يأخذ الكتاب من العلم
فَيَطَّلِعُ عليه إطلاعةً فيحفظ أطراف الأحاديث من مرّة واحدة^(١)».

(١) سير أعلام النبلاء ٤١٦/١٢. تغليق التعليق ٤١٥/٥. مقدمة الفتح ص ٤٨٦
والسياق لها. وفي السير «العلماء» بدل «العلم».

الإفتاء والتدريس والحياة العامة

لقد جلس الإمام البخاري مجلس التدريس والإفادة بعد مطالبة شديدة والحاح عظيم من المسلمين، ولم يكن هذا الإصرار منهم إلا لما شاهدوا فيه من مواهب عظيمة نادرة من القوة الإجتهدية العظيمة، والمعرفة الخارقة في علم الرجال، والنبوغ الباهر في فن الحديث، واستنباط نكته، والاطلاع الواسع على العلل الغامضة في الحديث مما لا يكاد يخطر في بال كبار مهرة أهل الفن. وزيادة على هذا فقد كانت ذاكرته الموهوبة وذكاؤه النادر وفقهه العميق قد زاد نوراً على نور، حتى إن الناس كانوا يصححون كتبهم بحفظه. وتراجم أبواب الجامع الصحيح خير شاهد على نبوغه في الفقه والاستنباط. وسنفصل الكلام في هذا الموضوع في القسم الثاني من الكتاب.

قال حاشد بن إسماعيل:

كان أهل المعرفة يَعْدُونَ خلفه في طلب الحديث وهو شابٌ حتى يغلبوه على نفسه ويُجْلِسُوهُ في بعض الطُّرُق فيجتمع عليه ألوفٌ. وأكثرهم ممن يكتبُ عنه. قال: وكان البخاري شاباً لم يخرج وجهه^(١).

(١) تاريخ بغداد ١٥/٢، طبقات الحنابلة ٢٧٧/١، تاريخ دمشق ٤٢/١٥/ب، تهذيب الأسماء ٧٠/١/١، ماتمس إليه حاجة القاريء ص ٢٩، تاريخ الاسلام ص ٢٤٤، سير أعلام النبلاء ٤٠٨/١٢، طبقات السبكي ٢١٧/٢، تحفة الأخباري ص ١٨٩، تغليق التعليق ٣٩١/٥، وعند بعضهم «أهل المعرفة من البصريين» أو «... من أهل البصرة».

وقوله: «لم يخرج وجهه» أي لم ينبت شعر وجهه.

وقال أبوبكر بن أبي عَتَّاب الأَعِين: ^(١)

«كتبنا عن محمد بن إسماعيل على باب محمد بن يوسف الفريابي وما في وجهه شعرة ^(٢)».

قال ابن حجر: كان موت الفريابي سنة ٢١٢هـ، وكان سنُّ البخاري إذ ذاك نحوًا من ثمانية عشر عامًا أو دونها ^(٣).

ومع هذا الصغر كان الناس يجبرونه على التحديث، يلحون

(١) «أبي عَتَّاب» تحرف في الأصل إلى «العباس» وفي مقدمة الفتح إلى «أبي عيَّاش» و«الأعين» تحرف في تهذيب الأسماء واللغات إلى «الأغر» وهو أبوبكر محمد بن أبي عَتَّاب البغدادي الأَعِين، صدوق، مات ٢٤٠هـ (التقريب ص ٨٧٦) وله ترجمة في تهذيب الكمال ٧٨/٢٦، سير أعلام النبلاء ١١٩/١٢، وغيرهما. وفي ترجمته ذكر المزي هذا الخبر.

(٢) تاريخ بغداد ١٥/٢، تاريخ دمشق ٤٢/١٥، تهذيب الأسماء واللغات ٧٠/١/١، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٢٩، تاريخ الإسلام ص ٢٤٤، سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٢، طبقات السبكي ٢١٧/٢، تحفة الأخبار ص ١٨٧، تغليق التعليق ٣٩٠/٥ وفيه «وهو أمرد»، مقدمة الفتح ص ٤٧٨، تهذيب التهذيب ٥٠/٩، مقدمة القسطلاني ٢٧/١.

(٣) مقدمة الفتح ص ٤٧٨. وقد وقع التصريح بذلك في الخبر نفسه حيث زاد في سير أعلام النبلاء: «فقلنا: ابن كم أنت؟ قال: ابن سبع عشرة سنة.» (١٢/ ٤٠١) غير أن المزي ذكر هذا الخبر في ترجمة البخاري (تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٤٩) وفي ترجمة الأَعِين (٧٩/ ٢٦) وفيهما: «فقلت: ابن كم كنت» أي أن الراوي عن أبي بكر الأَعِين سألَه عن عمره هو عندما وقع هذا. فقال: «ابن سبع عشرة سنة» فيكون هذا عمر أبي بكر الأَعِين وقت كتابته عن البخاري. ويبدو أن هذا هو الذي حمل ابن حجر على الاستدلال على عمر البخاري بموت الفريابي. ولكن ذكر المزي أن ولادة الأَعِين في حدود ١٩٦هـ والبخاري أيضًا ولد في تلك السنة فيكونان متقاربين في السن. ولكنه مات قبل البخاري. والله أعلم.

ويعصرون على أن يشرف مجلس التدريس، ولكن البخاري كان يفضل التواضع.

ويروي تلميذه وورّاقه محمد بن أبي حاتم عن إمام المحدثين أنه قال: «ما جلست للتحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت في كتب أهل الرأي، وما تركت بالبصرة حديثاً إلا كتبتة»^(١)

ولا يخفى على أهل الفن أن تمييز الصحيح من السقيم من الحديث أمرٌ بالغٌ من الصعوبة بمكان ويحتاج إلى براعةٍ في عدّة علوم كالتاريخ والأنساب والمواليد والوفيات والمعرفة التامة بالعلل الغامضة، ومعرفة مراتب الجرح والتعديل، والكمال في قوة الاجتهاد، وهذه هي المواهب التي كانت تدعو شيوخ الإمام البخاري إلى أن يحرضوا الناس ويُرشدوهم إلى الأخذ منه. قال الإمام إسحاق بن راهويه:

«يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن البصري لاحتاج إليه لمعرفة الحديث وفقهه»^(٢).

ولما بدأ الإمام البخاري بعقد مجالس التدريس واشتهرت مجالسه انكب عليه الناس انكباباً بحيث لا يكاد يوجد في مجالسه موضع قدم، وقد عقد هذه المجالس في مدنٍ عديدة كالبصرة وبغداد وبخارى،

(١) مقدمة الفتح ص ٤٨٨. تغليق التعليق ٤١٩/٥. وهو في تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٥٤. وسير أعلام النبلاء ٤١٦/١٢ بآتم من هذا.

(٢) تاريخ بغداد ٢٧/٢. تهذيب الأسماء واللغات ٦٩/١/١، سير أعلام النبلاء ٤٢١/١٢، البداية والنهاية ٢٥/١١، تغليق التعليق ٤٠٥/٥، تهذيب التهذيب ٥٣/٩، مقدمة الفتح ص ٤٨٣.

ولكنه استمر في مجالس التدريس في أواخر أيامه في بخارى. (١)

(١) ومن المدن التي تشرفت بمجالس الإمام البخاري - غير بغداد والبصرة وبخارى - هي طرسوس وبلخ أيضًا. تقييد المهمل، طبقات السبكي ٢/٢١٥، مقدمة القسطلاني ١/٢٨ (المؤلف).

وقال السبكي: حدث البخاري بالحجاز والعراق وخراسان وما وراء النهر وكتب عنه المحدثون وما في وجهه شعرة (٢/٢١٥) وهو من كلام الذهبي في تاريخ الاسلام (ص ٢٤١).

قلت: وتحديثه ليس خاصًا بهذه المدن فكان المحدثون عندما يخرجون في الرحلة أو في الحج يَسْمَعُونَ وَيُسْمِعُونَ في آن واحد. وفي مجالس الإمام البخاري في نيسابور أزدحم الناس حتى امتلأ السطح والدار (سير أعلام النبلاء ١٢/٤٥٨) وقال الحاكم: أول ما ورد البخاري نيسابور سنة تسع ومائتين. ووردها في الأخير سنة خمسين ومائتين فأقام بها خمس سنين يحدث على الدوام (المصدر السابق ١٢/٤٠٤) كما عقد الإمام البخاري مجالس للتحديث وحدث بكتبه في فِرَبْر وَيَكْنَد أيضًا (المصدر السابق ١٢/٤٦٥-٤٦٦) وقد سبق ذكر قصة تحديثه في سمرقند وأن علماءها اجتمعوا عليه سبعة أيام فما تعلقوا منه بسقطة لا في الاسناد ولا في المتن (المصدر السابق ١٢/٤١١) وكان بعض مجالسه يحضرها أكثر من عشرين ألف شخص كما سيأتي.

وقول الحاكم أن البخاري «أول ما ورد نيسابور سنة تسع ومائتين» هكذا في السير. ولكنه لا يتفق مع ما سبق ذكره من أن البخاري بدأ رحلته عام ٢١٠هـ. إلا أن يكون ذلك في أواخر سنة ٢٠٩هـ في طريقه إلى الحج مع أمه وأخيه. والله أعلم.

[تلامذته وفتاويه]

أما تلامذة إمام المحدثين فلا يحصيهم الحصر والعد، ولا يوجد مكان في العالم لم يبلغ إليه أثر تلامذته جيلاً عن جيلٍ.

قال الفِرَبْرِيُّ: «سمع صحيح البخاري من مؤلفه تسعون ألف رجل^(١)».

وكثيرٌ من مشايخه كانوا يأتون إليه ويدرسون عليه ويكتبون منه ما يملئ عليهم من الفوائد والعلوم. وقد جمع المؤرخون والمحدثون أسماء شيوخه الذين أخذوا عنه واستفادوا منه وكانوا يحضرون مجالس درسه ويلازمون^(٢). ومنهم عبدالله بن محمد المُسْنَدِي وعبدالله بن مُنِير وإسحاق بن أحمد الشُّرْمَارِي^(٣) ومحمد بن خَلَف بن

(١) تاريخ بغداد ٩/٢، طبقات الحنابلة ٢٧٤/١، تاريخ دمشق ٤٦/١٥/ب، تهذيب الأسماء واللغات ٧٣/١/١، وفيه «سبعون ألفاً» ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٢١، ٣٦، ٤١، وفيات الأعيان ١٩٠/٤، تهذيب الكمال ٤٤٣/٢٤، سير أعلام النبلاء ٣٩٨/١٢، ٤٦٩، تحفة الأخباري ص ١٨٨، تغليق التعليق ٤٣٦/٥، مقدمة الفتح ص ٤٩١، مقدمة القسطلاني ٣٣/١، وزادوا «فما بقي أحد يرويه غيري» وكان ذلك القول من الفربري حسب علمه كما سيأتي.

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٩٢، تغليق التعليق ٤٣٧/٥.

(٣) نسبة إلى شُرْمَارَى من قرى بخارى (اللباب ١١٤/٢) وهو «إسحاق بن أحمد بن خلف الشُّرْمَارِي كما ذكر ابن حجر في المقدمة والتغليق. وذكره المزي في الرواة عن البخاري (تهذيب الكمال ٤٣٤/٢٤) وقال: «البخاري» بدل «الشُّرْمَارِي» وذكر الخليلي في الرواة عن البخاري فقال: «وإسحاق بن أحمد بن خلف الحافظ، وهو أسنُّ منه» (الإرشاد ٩٥٨/٣).

ولكن في الأنساب للسمعاني «أبو إسحاق أحمد بن إسحاق بن الحصين بن جابر... السلمي المطوعى الشُّرْمَارِي الزاهد... روى عنه محمد بن إسماعيل =

قتيبة^(١) وغيرهم، وهؤلاء من أولي الفضل والكمال، ومع ذلك لم يسعهم إلا أن يكتبوا عن البخاري ويستفيدوا منه نكاته الحديثية واستنباطاته الفقهية الدقيقة.

ومن الأئمة الذين كانوا يسامون إمام المحدثين وهم من أقرانه إلا أنهم حضروا مجالس درسه اعترافاً بفضله وكماله: الإمام أبو زرعة الرّازي، وأبو حاتم الرّازي، وإبراهيم الحربي، وأبوبكر بن أبي عاصم، وموسى بن هارون الحمّال^(٢)، ومحمد بن عبدالله مَطِين، وإسحاق بن

= البخاري...» (١٢٦/٧، السرماري). وهذا مترجم في تهذيب الكمال (٢٦١/١) وفروعه روى عنه البخاري وحده من أصحاب الكتب الستة، ت ٢٤٢هـ. وذكره ابن عدي وابن مندة وغيرهما من شيوخ البخاري.

ولم أجد عن «إسحاق بن أحمد بن خلف» سوى ما ذكره الخليلي. والله أعلم. (١) كذا اسمه في مقدمة الفتح وفي تغليق التعليق أيضاً «محمد بن خلف بن قتيبة» (٤٣٧/٥) وذكر المزي في الرواة عن البخاري «محمد بن قتيبة البخاري، قرابته» تهذيب الكمال (٤٣٥/٢٤) بدون ذكر «خلف» في نسبه. وكذا ابن حجر في مقدمة الفتح (ص ٤٩٢).

وقد ذكروا في شيوخ البخاري، محمد بن خلف الحدادي، أبوبكر البغدادي المقرئ، ت ٢٦١هـ وتفرّد عنه البخاري من بين أصحاب الكتب الستة وهو مترجم في تهذيب الكمال وغيره (١٦٢/٢٥) ولكن لم يذكروا في نسبه «قتيبة» فالظاهر أنه شخص آخر. ولكنهم لم يذكروا في شيوخ البخاري «محمد بن خلف» آخر غير الحدادي البغدادي. انظر: أسامي مشايخ الإمام البخاري لابن مندة ص ٦٨، أسامي من روى عنهم البخاري لابن عدي ص ١٥٥، المعجم المشتمل ص ٢٣٨. فلعلهما شخصان محمد بن خلف، ومحمد بن قتيبة، والله أعلم.

(٢) كذا في مقدمة الفتح ص ٤٩٢، ولم يذكره المزي في الرواة عن البخاري. أما صحيح البخاري فلا توجد له رواية فيه ولا في أي من الكتب الستة ولذلك ذكره الحافظ بن حجر في التقريب للتمييز وقال: ثقة حافظ كبير، بغدادي، ت ٢٩٤هـ (التقريب ٩٨٦) وقد ذكر في سير أعلام النبلاء وغيره قوله «لو أن أهل الاسلام =

أحمد زَيْرُك الفارسي^(١) وأبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، والقاسم ابن زكريا^(٢)، ومحمد بن عبدالله الحضرمي^(٣)، وصاحب المعارف محمد ابن قتيبة^(٤)، وأبوبكر الأعين^(٥)، وأمثالهم^(٦). وهؤلاء من أئمة علوم الرجال والتاريخ والحديث والجرح والتعديل. وقد ترجمهم العلامة

= اجتمعوا على أن ينصبوا آخر مثل محمد بن إسماعيل ما قدرُوا عليه» وسيأتي.

(١) ذكره المزي أيضًا في الرواة عن البخاري (تهذيب الكمال ٤٣٤/٢٤). وترجمه السمعاني في الأنساب (٤٩٣/١٣)، اليَزْدِي، وَيَزْدُ مدينة من كوراصطخر فارس) وقال: صنف المسند، وحدث عن محمد بن حميد الرازي وطبقته، روى عنه أبو جعفر أحمد بن يعقوب الأصبهاني. وهكذا ذكره ابن ناصر الدين الدمشقي أيضًا في توضيح المشتبه (٤٤٩/١). وانظر قصة لقائه البخاري في سير أعلام النبلاء ٤٣٣/١٢.

(٢) المعروف بالمُطَرِّز، كان ثقة مأمونًا، صنف المسند والأبواب، ت ٣٠٥هـ. تذكرة الحفاظ ٧١٧/٢، سير أعلام النبلاء ١٤٩/١٤.

(٣) هو محمد بن عبدالله، مُطَيِّن نفسه وقد تقدم ذكره قبل قليل. قال الدارقطني: ثقة جبل، ت ٢٩٧هـ. سير أعلام النبلاء ٤١/١٤.

(٤) قوله «صاحب المعارف محمد بن قتيبة» ويقصد كتاب «المعارف» الشهير ومؤلفه هو «أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدِّيَنَوْرِي وقيل المَرْوَزِي، من تلامذة إسحاق بن راهويه، ومن معاصري الإمام البخاري (ولد ٢١٣هـ وتوفي ٢٧٦هـ) ولكن لم يذكره المزي ولا الذهبي من الرواة عن البخاري. والذي في مقدمة الفتح في هذا المكان «محمد بن قتيبة البخاري» (ص ٤٩٢) وذكره المزي أيضًا في الرواة عن البخاري (تهذيب الكمال ٤٣٥/٢٤) ووصفه بأنه من «قربته» فهو غير «ابن قتيبة» صاحب المعارف. والله أعلم.

أما محمد بن قتيبة البخاري «قربته» فينظر من ترجمه.

(٥) أبوبكر محمد بن أبي عتَّاب الأعين البغدادي. تقدمت ترجمته

(٦) انظر مقدمة الفتح ص ٤٩٢، وتعليق التعليق ٤٣٧/٥-٤٣٨.

الذهبي^(١)، وكلهم كانوا من المولعين بتحقيقات الإمام البخاري، ويحضرون مجالس درسه ويكتبون عنه.

ومن تلامذة إمام المحدثين، الذين بلغوا أوج الشرف وقمة الشهرة وهم من أركان العلوم الإسلامية وعلى روايتهم جُلُّ مدار علم الحديث والفقه الإسلامي، الإمام مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح، والإمام أبو عبد الرحمن النَّسَائِيُّ صاحب السنن، والإمام أبو عيسى التِّرْمِذِيُّ صاحب الجامع، والإمام محمد بن نصير المَرْوَزِيُّ صاحب التأليفات، والإمام الدَّارِمِيُّ، والإمام ابن خُزَيْمة الفقيه صاحب الصحيح. وكل هؤلاء التلامذة من كبار المحدثين والفقهاء، وسنذكر في آخر الكتاب فهرسًا للتلامذة المشهورين، إن شاء الله تعالى.

وكان الإمام البخاري قد اضطرَّ على الإفتاء منذ أيام طلبه حتى إن أساتذته كانوا يتخرجون من الإفتاء أمامه ويشيرون إليه، وإنه منذ جلس للتدريس في بخارى بعد التحصيل أصبح يفتي الناس ويدرس إلا أن تلامذته لم يلتزموا بجمع فتاويه التي كان يصدرها بين حين وآخر^(٢)،

(١) في تذكرة الحفاظ وسير أعلام النبلاء وغيرهما من كتبه. ولكن بعضهم لم أجد لهم ترجمة فيهما.

(٢) ويضاف إلى ذلك أن فقهاء أهل الحديث من أمثال الإمام أحمد وتلامذته وغيرهم ما كانوا يحبذون تدوين آرائهم وفتاويهم. وقد ورد عن الإمام أحمد نهى شديد عن تدوين آرائه وفتاويه (انظر إعلام الموقعين ٢٨/١). وقال الذهبي: «وقد كان أحمد يكره تدوين المسائل ويحض على كتابة الأثر». (سير أعلام النبلاء ٧٥/١٢ ترجمة أبي ثور)، ثم إن فقهاء المحدثين قديمًا وحديثًا إذا أرادوا بيان مسألة فقهية يذكرون الآية أو الحديث لبيان أن تلك الآية وذلك الحديث يتضمن الجواب على المسألة، وسيتناول المصنف منهج المحدثين في الفقه في أواخر الكتاب بالتفصيل.

ولكن من الممكن أن تعتبر تراجم أبواب صحيح البخاري مصنفًا خاصًا بفتاويه. وإن أى مسألة كانت تعرض عليه كان يجب عليها مستندًا إلى القرآن أو السنة أو آثار الصحابة^(١)، وكان استدلاله دقيقًا ولطيفًا بحيث يصعب فهمه للرجل العادي في كثير من الأحيان. فإن لم يجد دليلًا كان يفضل الصمت والسكوت، ولذلك نرى بعض التراجم في صحيح البخاري خالية من أى آية أو حديث أو أثر من آثار الصحابة. وفي بعضها آية قرآنية فقط، وفي بعضها الآثار فقط. ولكن النساخ لم يتركوا البياض وألصقوها بالأبواب اللاحقة^(٢)، وهكذا وُجد بعض الإشكال، ولولا ذلك لكان الأمر سهلًا.

وكان إمام المحدثين قد التزم جمع قضايا الصحابة والتابعين منذ أول أمره، وكان يستفيد منها لأنه كان يرى أن إيراد النقض على الأحاديث النبوية أو قضايا الصحابة بالأقيسة والجمود على رأى خاص في كل مسألة، ذلك هو الأمر الذي كان يكرهه الصحابة.

لقد تقدم أكثر من مرّة أنّ أهل الرأى كانوا قد سيطروا على جميع مناطق خراسان وعراق العجم قبل أن يجلس البخاري للتدريس والإفتاء، وكانوا متشددين جامدين على أقوال شيوخهم وأقيستهم، ولم يكونوا يبالون بأحد أمام مشايخهم حتى بالصحابة، كما سيأتي مفصلاً

(١) روى محمد بن أبي حاتم الوراق عنه أنه قال: «لا أعلم شيئًا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة. فقلت له: يمكن معرفة ذلك كله؟ قال: نعم.» سير أعلام النبلاء (٤١٢/١٢).

(٢) سوف يفصل المصنف رحمه الله الكلام في هذا الموضوع في مبحث تراجم أبواب البخاري.

في القسم الثاني من الكتاب، وكانت مدينة بخارى وغيرها تحت نفوذ قويٍّ لأهل الرأي بحيث كان من الصعب أن يرفع أحد صوته خلافتهم، ولكن الإمام لم يُعر له أى اهتمام لأنه كان مطبوعاً على الصراحة والجهر بالحق، ولا تخفى تلك التعريضات التي توجد في صحيح البخاري بأهل الرأي.

واستمرَّ الإمام البخاري يدرِّس صحيحه في بخارى مدةً طويلةً، وكانت النتيجة في النهاية أن دُبِّرَت ضِدَّه مؤامرةٌ مع أمير البلاد^(١) وأُصدِرَ الأمرُ بأن البخاريَّ ليس أهلاً للإفتاء، وأُشيعت فريئةٌ بأن البخاري قد أفتى بأن طفلين لو رضعا من لبن شاة واحدة ثبتت لهما حرمة الرضاعة^(٢)

(١) يؤيد هذا ما رواه الحاكم بسنده عن سهل بن شاذويه قال: كان محمد بن إسماعيل يسكن سكة الدهقان، وكان جماعة يختلفون إليه، يظهرون شعار أهل الحديث من أفراد الإقامة، ورفع الأيدي في الصلاة وغير ذلك. فقال حُرَيْث بن أبي الوراق وغيره: «هذا رجلٌ مُشَغِب، وهو يُفسد علينا هذه المدينة، وقد أخرج محمد بن يحيى من نيسابور وهو إمام أهل الحديث، فاحتجوا عليه بابن يحيى، واستعانوا عليه بالسلطان في نفيه من البلد، فأُخرج. وكان محمد بن إسماعيل ورعاً يتجَبَّبُ السلطان ولا يدخل عليهم.» سير أعلام النبلاء ٤٦٥/١٢.

(٢) ذكرها أيضاً: عبد القادر القرشي في الجواهر المضئية في طبقات الحنفية في ترجمة أبي حفص الكبير أحمد بن حفص البخاري (١/١٦٦، الترجمة ١٠٤) نقلاً عن السرخسي (ت في حدود ٤٩٠هـ) وكذا تقى الدين التميمي في الطبقات السنية في تراجم الحنفية (١/٣٩٥، الترجمة ١٨٩)، واللكنوي في الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص ١٨) ثم رد عليها كما ذكر المصنف رحمه الله.

ولأبي حفص الكبير هذا ترجمة أيضاً في سير أعلام النبلاء ١٥٧/١٠، وتاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٩٤.

وأبو حفص الكبير هذا ممن درس عليه الإمام البخاري في صغره كما تقدم وكانت له علاقات مع والد الإمام البخاري رحمه الله كما سبق أيضاً. وقد توفي أبو =

=

حفص في محرم عام ٢١٧هـ كما في سير أعلام النبلاء، وكان البخاري إذ ذاك في حدود الثالثة والعشرين من عمره. وهذا يدل على أن أبا حفص الكبير توفي قبل حادثة نفي الإمام البخاري من داره وبلده بسنوات طويلة وهذه أيضًا قرينة لبطلان تلك الفرية من أساسها وأن الذي اختلقها لم يتقن حيكها.

وهذا الذي حمل العالم الحنفي المعروف الشيخ محمد زاهد الكوثري على تبرئته من هذه القصة وحملها على ولده أبي حفص الصغير (انظر تعليق الشيخ عبدالفتاح أبي غدة على كتاب قواعد في علوم الحديث (ص ٣٨٢) وقيل له «الصغير» للتمييز بينه وبين أبيه على ما فصله اللكنوي في الفوائد البهية نقلًا عن الملا على القاري. ولكن هذا التمييز بين أبي حفص الكبير وأبي حفص الصغير لم أره حتى في كتب تراجم الحنفية غير الفوائد البهية.

وأبو حفص الصغير هو «محمد بن أحمد بن حفص بن الزبرقان البخاري» ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء تبعًا لترجمة أبيه. وقال: عاش إلى نحو ٢٧٠هـ (١٥٩/١٠) وترجمه أيضًا في ١٢/٦١٧، ولكنه كناه في الموضعين «أبا عبدالله» ولم يذكر «أبا حفص» وذكر عن أبي القاسم ابن مندة أنه توفي ٢٦٤هـ. وذكر في ترجمته سعيه لإخراج الإمام البخاري من بلده بناء على ما كتبه الذهلي إلى والي بخارى بشأن مسألة اللفظ ولم يشر إلى هذه الفتوى المزورة.

هذا ورغم أن الذهبي ترجمه وأثنى عليه في ترجمته لم أجد له ذكرًا صريحًا فيما اطلعت عليه من كتب تراجم الحنفية سوى ما ذكره اللكنوي في الفوائد البهية (ص ١٩) في ترجمة أبيه نقلًا عن الذهبي نفسه. ومع ذلك بقي الذهبي متهمًا عند الجماعة بالتعصب والتحامل على بعض المذاهب والمشارب. انظر على سبيل المثال: الرفع والتكميل ص ٣١٠، ط الثالثة، قواعد في علوم الحديث ص ١٩٢، ماتمس إليه الحاجة ص ١٨٣ وقبلها. ويرددون في هذا الصدد ما كتبه السبكي في ترجمة أحمد بن صالح المصري في طبقات الشافعية الكبرى تحت عنوان «قاعدة في الجرح والتعديل» (٢/٩ - ٢٢) و«قاعدة في المورخين» (٢/٢٢ - ٢٥). واعتنى بهما الشيخ عبدالفتاح أبو غدة عناية بالغة. فحققهما ونشرهما في رسالة مستقلة تارة وفي ذيل كتب أخرى تاراتٍ لقصد نشرهما على أوسع نطاق ممكن.

وعلى الرغم من أن الهدف من كتابة القاعدتين الدعوة إلى ضرورة الالتزام =

=
بالإنصاف في الجرح والتعديل والتاريخ وعدم الطعن في الشخص والحط منه من أجل خلاف عقدي أو تعصب مذهبي. ولكن الحقيقة أن السبكي نفسه - غفر الله له - قد وقع في هاتين القاعدتين فيما نهى عنه. فقد بالغ فيهما في التشنيع على شيخه الإمام الذهبي والطعن فيه والدعوة إلى عدم الاعتماد عليه في الجرح والتعديل وزعم أن «عنده على أهل السنة تحمُّلٌ مُفرطٌ فلا يجوز الاعتماد عليه» و«وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد يُسخر منه» وأن غالب علماء المسلمين وأئمتهم سيكونون خصماءه يوم القيامة، حتى بلغ به الأمر إلى أن اتهم الذهبي بترويج الكذب عامداً متعمداً، وأنه يُقرطم الكلام ويمزقه، وأنه قليل المعرفة بمدلولات الألفاظ. و«أنه مطبوع على قلبه» والعياذ بالله، بما حمل الأئمة العز الكناني والسخاوي (التوبيخ ص ٥٦-٥٧) والشوكاني (البدر الطالع ١١١/٢-١١٢) على الرد عليه - أي على السبكي - ردّاً شديداً. بل ومحقق القاعدتين الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رغم إعجابه الشديد بهما اضطر على الرد عليه في أكثر من موضع فقال في تعليق له في ص ٤٢ «قلت (أبو غدة) ما عاب به (أي السبكي) شيخه الإمام شمس الدين الذهبي وقال فيه - رحمهما الله تعالى - لا يخلو من مبالغة وتحامل بسبب المخالفة في العقيدة أيضاً. نسأل الله أن يرزقنا العدل في الرضا والغضب» (ص ٤٢ الطبعة الثانية، دار الوعي حلب، و ص ٣٧ ضمن كتاب أربع رسائل في علوم الحديث).

وقال في (ص ٣٩، أربع رسائل) في تعليق على كلام السبكي: «فيه مبالغة طافحة وتحامل مكشوف! ومتى كان هذا الإمام الفذ الفريد (يعني الذهبي) الصاعقة في الحفظ والذكاء والفهم ولمعان الذهن، المذره: «لا يَعْقِلُ ما يَنْطِقُ به»؟! نسأل الله السلامة من الشطط وسوء الأدب».

وقال في ص (٤٠- أربع رسائل): لقد أسرف الشيخ تاج الدين في حق شيخه الإمام شمس الدين الذهبي - لقباً ومعنى - وبالغ حتى أفرط! ومال حتى قَسَطَ! ووقع في الشطط والغلط. وكيف ساغ له التعبير بهذه الكلمة الكبيرة؟! وإنها لكبيرة. وإذا كان الإمام شمس الدين الذهبي «مطبوعاً على قلبه» وحاشاه من ذلك، فمن الذي أعاده الله من «الطبع على قلبه»؟ نسأل الله العدل في الرضا والغضب، والعافية من الإفراط والتفريط».

. وهذه الفتوى لم ينقلها أحد غير أهل الرأي، وتعصبهم الذميمة على غيرهم لا يخفى على أحد، فإنهم يتلذذون بايذاء المحدثين، ولذلك لا يمكن الاعتماد على صحة هذه الحكاية. فأى قرينة تدل على أن البخاري أفتى بمثل هذه الفتوى ولم يخلطها فقهاء أهل الرأي ونسبوها إليه كذباً وزوراً؟ كيف وقد تجرؤا على وضع أحاديث في ذم الإمام الشافعي ثم نسبوها إلى رسول الله ﷺ^(١).

وإذا سلمنا جدلاً للحظة واحدة وعلى سبيل فرض المحال بأن إمام المحدثين قد أفتى بمثل هذه الفتوى فلماذا استعملت قوة السلطة والحكومة لعزله ومنعه عن الإفتاء؟ مع أننا لو نظرنا إلى فتاوى أهل الرأي لوجدنا مسائل وفتاوى يندى لها الجبين ويتحير منها العاقل، ولكنهم مع ذلك لم يُعزلوا ولم يُمنعوا بحجة أن المجتهد يخطئ ويصيب.

= وهناك تعليقات أخرى من هذا القبيل لا يسع المجال هنا لذكرها كلها. قلت: فإذا كانت هذه الرسالة - أو هاتان القاعدتان - قد بلغتا إلى هذه الدرجة من «الشطط والغلط» و«المبالغة الطافحة» و«التحامل المكشوف» و«سوء الأدب» فما الذي دعا إلى الاعتناء بهما وتحقيقهما وتجميلهما وترويجهما بشتى الطرق والوسائل والإشادة بهما في كل مناسبة؟! أولم يكن من الأستر لكاتبهما والأوفر لقرائهما أن تبقى هذه الشطحات مغمورة مطمورة في مكانها في طيات الطبقات؟؟ أما الإمام الذهبي فهو أسمى وأعلى من أن تناله هذه الطعنات فما هي إلا كما قال الشاعر:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
وانظر ما كتبه الدكتور بشار عواد في هذا الصدد في آخر كتابه «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام» ص ٤٥٨ - ٤٦٥.

(١) وقد اعترف أهل الرأي أنفسهم بوضع هذه الأحاديث الموضوعة المكذوبة على رسول الله ﷺ (المؤلف) وانظر كشف الخفاء ٣٤/١، التنكيل ١٩/١ - ٢٠، ٤٤٦ - ٤٤٩، سلسلة الأحاديث الضعيفة ح ٥٧٠.

قال الفاضل اللّكنوي الشيخ عبدالحى في الفوائد البهية:

«وهي حكاية مشهورة في كتب أصحابنا، ذكرها أيضاً صاحب العناية وغيره من شراح الهداية، لكنني استبعد وقوعها بالنسبة إلى جلاله قدر البخاري ودقة فهمه وسعة نظره وغور فكره مما لا يخفى على من انتفع بصحيحه وعلى تقدير صحتها فالبشر يخطئ^(١)».

وهكذا نرى أن الفاضل اللكنوي قد رد على هذه الفرية بثلاثة أمور:

أولاً: إن هذه القصة تُعرف في كتب أصحابنا، أى الحنفية فقط، ولم ينقلها أحد من المؤرخين في العالم، مع أن تراجم الإمام البخاريّ قد وردت في أكثر من مائة كتاب ما بين موجز ومطول.

وثانياً: إن نسبة هذه القصة لا تتفق مع جلاله قدر الإمام البخاري ودقة فهمه وسعة نظره وغور فكره، وهي أمورٌ لا تخفى على من فهم صحيح البخاري واستفاد منه فكيف يتصور من إمام المحدثين أنه يفتي بمثل هذه الفتوى؟.

وثالثاً: حتى لو سلمنا أنه أفتى بهذا فمن الذي لم يخطئ من المجتهدين، المجتهد يخطئ ويصيب.

ولقد تشدق بذكر هذه القصة المكذوبة بعض قصار النظر من عظيم آباد في أيامنا هذه وأثاروها من جديد مع أنها قد تبينت حقيقتها.^(٢)

(١) الفوائد البهية ص ١٣.

(٢) وكذلك فعل مؤلف كتاب «ماتمس إليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجه» (ص ١٠٤) وهذا الكتاب مليء بمثل هذه السموم ضد المحدثين حماة سنن المصطفى ﷺ.

وفاته ليلة عيد الفطر وقت العشاء ٢٥٦هـ

لقد سبق أن ذكرنا أن الإمام البخاري كان رفض طلب أمير بخارى خالد بن أحمد الذهلي، واستشاط الأمير غضبًا برفضه هذا، واعتبره إهانة للأمير والإمارة وآدابها وجلالها، ولكنه خاف من استخدام السلطة بصورة مباشرة فدبر ضده مؤامرة، فأوعز إلى حريث بن أبي الوراق^(١)

(١) كان هذا الرجل من كبار فقهاء أهل الرأي في بخارى [كما جاء بعد هذا الخبر في تاريخ الإسلام ٢٧٢/٢٥، تعليق التعليق ٤٤٠/٥ «كبير أهل الرأي»، والطبقات للسبكي ٢/٢٣٣] وكان هؤلاء الفقهاء الذين لا يتجاوز مبلغ علمهم القياس ويتصورون أقوال أئمتهم وأصولهم كأنها وحي نزل من السماء وينون عليها المسائل ولا يبالون بأحد أمامهم، كانت لهم عداوة خاصة مع المحدثين فأبو حفص الكبير، وهو من كبار علماء الحنفية ومن المعتمدين لديهم ومن معاصري الإمام البخاري، حدث في أيامه أن رجلاً قد ترك المذهب الحنفي المكون من الرأي والقياس وأصبح يقرأ الفاتحة خلف الإمام ويرفع يديه في الصلاة، ولما بلغ خبره إلى الشيخ أبي حفص المذكور غضب عليه غضبًا شديدًا ووبخه أشد توبيخ واشتكى إلى الأمير، فأمر الأمير الجلاد أن يجلدته على مشهد من الناس فلما أشفق عليه بعض الناس أتوا إلى الشيخ المذكور وشفعوا لديه وأحضره في مجلسه فاستتابه الشيخ وأخذ منه العهود والمواثيق ثم تركه. وكأنه أدخله في الإسلام من جديد وهكذا تمكن المسكين من الخلاص. فتاوى حمادية وتاتار خانية ص ١٨٤ (المؤلف).

قلت: ولحريث ابن أبي الوراق ترجمة في الجواهر المضيئة ٣٥/٢، الترجمة ٤٢٣، والطبقات السنية، الترجمة ٦٤٣. ولم يذكروا فيها سوى الإشارة إلى فعلته في إخراج الإمام البخاري. وتعاون مع والي بخارى في هذا الصدد جعلهم يصفونه بـ«أحد الأئمة الكبار... كان كبيرًا مشاركًا إليه في زمن البخاري». فكأن عداوة الشديد للإمام البخاري هو الذي أبقي ذكره إذ لم توجد له منقبة أخرى تذكر.

ولذلك أهمله اللكنوي ولم يترجمه في الفوائد البهية. إذ لم أجد له ذكرًا في فهارسه. =

وأناس آخرين أن يتهموه بتهمة تزيل أثره من قلوب الناس، لأن الإمام كان قوَّى النفوذ والتأثير في قلوب المسلمين بسبب سعة علمه ونزاهة خلقه فحاول هؤلاء أن يصرفوا عنه قلوب الناس بتهمة مزورة فدَبَرُوا وافترُوا عليه بأنه يقول: «إن ألفاظ القرآن مخلوقة» وأشيعت هذه التهمة، ولما اضطربت المدينة على أثر هذه الفرية المكذوبة واستفحلت الفتنة، صدر الأمر إلى الإمام البخاري بأن يترك المدينة، وقال حينما كان يخرج منها:

«اللَّهُمَّ أَرِهِمْ ما قَصَدُونِي به في أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ»^(١).

ولم تمض سوى أيام قليلة وإذا بالدعوة قد استجيبت وظهرت آثارها، وإذا بأمر يصل من الطاهرية حكام خراسان آنئذ لعزل خالد بن أحمد حاكم بخارا وبأن ينادى عليه فنودي عليه وهو على أتانٍ وأُشْخِصَ على إكافٍ ثم صار عاقبة أمره إلى الذلِّ والحبس^(٢) وكانت النتيجة أنه مات في سجنه.

وقد ابتلى كل واحد من هؤلاء المفسدين ببليّة وآفةٍ ومنهم من رأى شرًّا في نفسه، ومنهم من وجدّه في أولاده، وأما حُرَيْث بن أبي الوَرَقَاء فقد ابتلى في أهله فرأى فيها ما يجلب عن الوصف^(٣).

= وحتى اسمه ورد في المصدرين المذكورين على غير الصواب فقالا «ابن أبي الوفاء» بدل «ابن أبي الورقاء» وانظر أيضًا ما سبق تعليقًا في ص ١٨٣ - ١٨٦ وقبله في ص ٦٠ - ٦١.

(١) مقدمة الفتح ص ٤٩٣، تغليق التعليق ٤٤٠/٥. ومراجع أخرى سيأتي ذكرها في آخر القصة.

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٩٣.

(٣) ينظر لتفاصيل هذه القصة: تاريخ بغداد ٣٣/٢ - ٣٤، تاريخ دمشق ٥٤/١٥، تهذيب الكمال ٤٦٥/٢٤، تاريخ الإسلام ص ٢٧٢، سير أعلام النبلاء ٤٦٥/١٢، =

خرج الإمام البخاري من بخارى ووصل إلى بِيكَنْد^(١)، وكان الأعداء لم يدَّخروا وسعاً في إشاعة تلك الفرية التي افترت عليه في بخارى وإذاعتها وتشهيرها، فكان خبرها قد سبقه إلى بِيكَنْد، وكان أهلها قد انقسموا إلى فريقين، فريق منهم كان يبرئ الإمام من هذه التهمة، والفريق الآخر كان يساير المفسدين^(٢)، ولما علم الإمام البخاري هذا الخلاف لم ير من المناسب أن يقيم هناك، وفي هذه الأثناء كان أهل سَمَرْقَنْد^(٣) قد بلغهم الخبر بقدوم الإمام إلى بِيكَنْد فطلبوا أن يُشَرَّفَهم وينزل عندهم ويعقد مجالس الدرس فخرج الإمام البخاري قاصداً إليهم، ونزل في قرية تسمى «خَرْتَنَك»^(٤) على مقربة من سمرقند في منزل أحد أقربائه^(٥).

= البداية والنهاية ٢٧/١١، طبقات السبكي ٢٣٣/٢، تحفة الأخباري ص ٤٩٣، تغليق التعليق ٤٠٠/٥، تهذيب التهذيب ٥٢/٩، مقدمة الفتح ص ٤٩٣.

(١) «بيكند» بلدة على مرحلة من بخارى (معجم البلدان ٥٣٣/١، الأنساب للسمعاني ٤٠٤/٢) على بعد خمسة فراسخ من بخارى (بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٠٦) ضبطها الحموي «بالكسر وفتح الكاف وسكون النون» وضبطت في الأنساب شكلاً بفتح الباء.

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي ص ٢٧١، سير أعلام النبلاء ٤٦٣/١٢.

(٣) «سَمَرْقَنْد» على نحو مائة وخمسين ميلاً شرق بخارى (بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٠٩).

(٤) بينها وبين سمرقند ثلاثة فراسخ (الأنساب ٧٩/٥، معجم البلدان ٣٥٦/٢) وعند ابن عدي في هذا الخبر قرية من قرى سمرقند على بعد فرسخين (أسامي من روى عنهم البخاري ص ٦٧) وذكر الصغاني أنها «سُمِّيَتْ بذلك لأنَّ الناس استأجروا الحَمِيرَ من سمرقند للذهاب إليها والصلاة عليه (أي البخاري) حتى ضاقت الحمر في البلد، فكان يكثرى حمارٌ بِحُمْلَةٍ. و«خَرٌ» بالفارسية الحمار، و«تَنَك» الضيق، وكانت القرية اسمها قبل ذلك «خرماباذ». أسامي شيوخ البخاري (ص ٢).

(٥) تاريخ بغداد ٣٤/٢، سير أعلام النبلاء ٤٦٤/١٢، مقدمة الفتح ص ٤٩٣.

قال عبدالقدوس بن عبدالجبار السمرقندي :

«فسمعتُه ليلةً من الليالي، وقد فرغ من صلاة الليل، ويقول في دعائه: اللهم قد ضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبَتْ فاقبضني إليك. قال فما تم الشهر حتى قبضه الله^(١)».

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعتُ غالب بن جبريل - وهو الذي نزل عليه البخاري بخَرَّتْكَ - يقول:

«إنه أقام أيامًا فمرضَ حتى وُجَّه إليه رسولٌ من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج إليهم فأجاب^(٢)».

ولكنه لما علم أن الفتنة التي أثرت في بخارى قد اشتعلت نيرانها في سمرقند أيضًا، وانقسم الناس إلى فريقين كما كان الحال في بيكند،

(١) أسامي من روى عنهم البخاري لابن عدي ص ٦٧، وعنه تاريخ بغداد ٣٤/٢، تاريخ دمشق ٥٤/١٥ أ، تهذيب الكمال ٤٦٦/٢٤، تاريخ الاسلام للذهبي ص ٢٧٢، سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١٢، ٤٦٦، طبقات السبكي ٢٣٢/٢، تحفة الأخباري ص ٢١٣، تغليق التعليق ٤٤٠/٥، مقدمة الفتح ص ٤٩٣، طبقات المفسرين للداؤدي ١٠٨/٢.

(٢) مقدمة الفتح ٤٩٣، واللفظ له، تاريخ الاسلام ص ٢٧٢، سير أعلام النبلاء ٤٦٦/١٢، تحفة الأخباري ص ٢١٢، تغليق التعليق ٤٤١/٥. وقد وقع في التاريخ والسير «وجه رسولاً إلى سمرقند في إخراج محمد» والظاهر أنه خطأ لأن أهل سمرقند هم الذين أرسلوا الرسول إلى البخاري ليتقل إليهم بدليل ما جاء في المصدرين المذكورين بعد هذه الجمل مباشرة «فلما وافي تهيأ للركوب إلخ» أي لما وصل الرسول إلى البخاري تهيأ للركوب. ثم إن القصة نفسها ذكرها الذهبي بطريق آخر في موضع آخر وفيه «إلى أن كتب إليه أهل سمرقند فسألوه أن يقدّم عليهم إلخ» (٤٦٤/١٢) والله أعلم.

أحدهما موافقٌ ومؤيدٌ، والثاني مخالفٌ ومعادٍ^(١)، فدعا الله: اللهم قد ضاقت عليَّ الأرضُ بما رحبتُ فأقبضني إليك^(٢).

وبعد خلاف في أول الأمر اتفق أهل سمرقند على أنها فرية مكدوبة، وألحوا عليه بالقدوم إلى سمرقند فرضى بالذهاب^(٣)، وكما قال غالب بن جبريل:

«وتهيأ للركوب ولبس خُفَّيه وتَعَمَّم، فلما مشى قدر عشرين خُطوةً أو نحوها إلى الدَّابة ليركبها وأنا آخذٌ بعضُده. وَرَجُلٌ آخِرٌ معي يقوده إلى الدَّابة. قال: «أرسلوني فقد ضَعُفْتُ.» فأرسلنا فدعا بدعواتٍ ثم اضطجع فقضى ثم سال منه عَرَقٌ كثيرٌ^(٤)».

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٦٤.

(٢) قال الإمام ابن كثير في صدد ذكر نزول الإمام البخاري في خرتنك: «فتزل عند أقارب له بها وجعل يدعو الله أن يقبضه إليه حين رأى الفتن في الدين، لما جاء في الحديث «وإذا أردتَ بقوم فتنة فتوفنا إليك غير مفتونين» (البداية والنهاية ١١/٢٧) فهو لا يخالف قول النبي ﷺ «لا يتمنين أحدكم الموت من ضرٍّ أصابه» الحديث (صحيح البخاري ١٠/١٢٧، ح ٥٦٧١) قال ابن حجر: حملة جماعة من السلف على الضر الديني فإن وجد الضر الأخروي بأن خشي فتنة في دينه لم يدخل في النهي (فتح الباري ١٣/١١٢٨).

وقال رسته: سألتُ ابن مَهدي عن الرجل يتمنى الموت مخافة الفتنة على دينه؟ قال: «ما أرى بذلك بأسًا، لكن لا يتمناه من ضرٍّ به أو فاقة. تمنى الموت أبو بكر وعمر ومن دونهما». حلية الأولياء ٩/١٣، سير أعلام النبلاء ٩/٢٠٧ ترجمة ابن مهدي.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٦٤، تاريخ الإسلام ص ٢٧١.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٦٦-٤٦٧، طبقات الشافعية للسبكي ٢/٢٣٣، تغليق التعليق ٥/٤٤١، مقدمة الفتح ص ٤٩٣.

هذه هي الرواية المشهورة في قصة وفاته وهي التي اعتمدها الحافظ ابن حجر =

وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦هـ بعد ما عاش اثنين وستين عاماً إلا ثلاثة عشر يوماً^(١). فإننا لله وإننا إليه راجعون.

وما زال عرقه يخرج ويسيل حتى غُسل وكُفِن^(٢)، وحاول بعض الناس أن يحملوه إلى سمرقند، واختلفوا أين يدفنه، ثم اتفقوا على أن يُدفن في قرية خرتنك التي توفي فيها، فدفن يوم عيد الفطر بعد صلاة الظهر.

= ولم يذكر غيرها لكن جاء في رواية رواها الحاكم عن خلف بن محمد الخيام عن مهيب بن سليم الكرميني أنه قال: «مات عندنا البخاري ليلة عيد الفطر... وكان في بيت وحده فوجدناه لما أصبح وهو ميت.» (تاريخ الإسلام ص ٢٧٣، سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٢، طبقات السبكي ٢/٢٣٢). ورواية غالب بن جبريل أولى لأن البخاري كان نازلاً عنده وذكر أنه كان حاضراً وقت وفاته وأخذاً بعضه ليركب الدابة. والله أعلم.

(١) ثقات ابن حبان ١١٣/٩، أسامي من روى عنه البخاري لابن عدي ص ٦٨، وذكر أنه كان ليلة السبت عند صلاة العشاء ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت مستهل شوال سنة ٢٥٦هـ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر ٥٦٤/٢، تاريخ بغداد ٦/٢، ٣٤، طبقات الحنابلة ٢٧٨/١، الأنساب للسمعاني ٨٩/٥، ترجمة غالب بن جبريل الخرتنكي، تاريخ ابن عساكر ٥٤/١٥/ب، المنتظم ١١٩/١٢، التقييد ١٣/١، أسامي الشيوخ للصغاني ص ٦، تهذيب الأسماء واللغات ١/١، ٦٨، ماتمس إليه حاجة القاريء ص ٢٣، وفيات الأعيان ١٩٠/٤، تهذيب الكمال ٤٣٨/٢٤، ٤٦٧، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٢/٢٤٥، تاريخ الإسلام ص ٢٧٣، تذكرة الحفاظ ٥٥٦/٢، سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٢، الوفيات لابن قنفذ ص ١٨٠، تحفة الأخباري ص ٢١٤، تغليق التعليق ٤٤١/٥، مقدمة الفتح ص ٤٩٣. وذكر الصغاني أنه توفي في دار مسافر بن أسد وقيل في دار أبي منصور غالب بن جبريل. (ص ٦).

(٢) الفوائد الدراري؟ وفي سير أعلام النبلاء ٤٦٧/١٢، وطبقات السبكي ٢/٢٣٣ وغيرهما ما نصه «فسال منه العرق. شيء لا يوصف، فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه».

وهكذا غرُبت تلك الشمس التي أنارت الدنيا بضياؤها الباهر،
ووارى التراب حاملَ العلوم النبوية خادماً أحاديث رسول الله ﷺ الذي
أثقل كواهل أهل الدنيا بإحسانه العظيم إليهم، نعم قد واره التراب
وكان الدنيا قد أظلمت.

وما أحسن ما نظمه بعض الشعراء مبيّناً تاريخ ميلاده ووفاته ومدة
حياته فقال:

كان البخاري حافظاً ومحدثاً جمع الصحيح مكمل التحرير

ميلاده «صدق» ومدة عمره فيها «حميد» وانقضى في «نور»
١٦٤هـ ٦٢ ٢٥٦هـ

وبعد ما دُفن في قبره خرجت منه رائحة زكية شبهها المؤرخون
بالمسك والعنبر واشتهر ذلك حتى إن الناس صاروا يأتون إلى قبره من
مسافات بعيدة للتأكد من هذا الخبر، وبدأوا يأخذون معهم شيئاً من
التراب، حتى خشي أهل القرية أن لا يبقى شيء من التراب فأحاطوا
بقبره (بخشب) حفاظاً عليه وخوفاً من أن ينكشف^(١).

(١) «فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت أياماً، وجعل الناس
يختلفون إلى القبر أياماً، يأخذون منه ترابه، إلى أن جعلنا عليه خشباً مشبكاً» مقدمة
الفتح ص ٤٩٣، تغليق التعليق ١٤١/٥، وانظر أيضاً: أسامي شيوخ البخاري
للصغاني ص ٢، تاريخ الإسلام ص ٢٧٢، سير أعلام النبلاء ٤٦٧/١٢، الوافي
بالوفيات ٢٠٨/٢، طبقات السبكي ٢٣٣/٢، مقدمة القسطلاني ٣٣/١.
وقد ثبت مثل هذا في مواضع أخرى بأسانيد صحيحة، فقد روى البخاري نفسه
في التاريخ الصغير أن عبدالله بن غالب قتل فجعل يوجد من تراب قبره ريح
المسك. قال عطاء فحدثني مالك بن دينار قال: أخذت من تراب قبره فجعلته في =

وذكر الوراق عن غالب بن جبريل مضيف الإمام في خرتنك: أن الإمام كان وصاهم أن يكفونه في ثلاثة أثواب - كما هو السنة - ليس فيها قميص ولا عمامة^(١).

وذكر الخطيب البغدادي بسنده عن عبدالواحد بن آدم الطواويسي^(٢) قال:

«رايتُ النبي ﷺ في النوم ومعه جماعةٌ من أصحابه وهو واقف في موضع، فسلمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام، فقلت ما وقوفك هنا يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري. فلما كان بعد أيام بلغني موته فنظرتُ فإذا هو قد مات في الساعة التي رايتُ فيها النبي ﷺ»^(٣).

= قدح. ثم غسلت القدح بالماء فوجدت منه ريح المسك، التاريخ الصغير ٩١ (المؤلف) التاريخ الأوسط (١/٣١٥-٣١٦، تهذيب التهذيب ٥/٣٥٤).

(١) المصادر السابقة نفسها. وقد ذكر الصغاني والذهبي في التاريخ والسير قصة وفاته ودفنه من رواية الوراق عن غالب بن جبريل كما ذكر المصنف هنا وزادا: «وظهر عند مخالفه أمره بعد وفاته، وخرج بعض مخالفه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب.» أسامي شيوخ البخاري للصغاني ص ٢، تاريخ الإسلام ص ٢٧٣، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٦٧، طبقات السبكي ٢/٢٣٤. وقال ابن ناصر الدين: «ذكر ابن يونس في تاريخ الغرباء أن البخاري مات بمصر بعد الخمسين ومائتين.» قال أبو الفضل ابن العراقي: ولم أره لغيره. والظاهر أنه وهم. أنهى. (تحفة الأخباري ص ٢١٣).

(٢) الطواويسي نسبة إلى طواويس وهي قرية من قرى بخارى على ثمانية فراسخ منها وهي المرحلة الثانية المعروفة للموجه إلى سمرقند من بخارى (الأنساب ٩/٩١).

(٣) تاريخ بغداد ٢/٣٤، تاريخ دمشق ١٥/٥٤ ب، تهذيب الكمال ٢٤/٤٦٦، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٦٨، طبقات السبكي ٢/٢٣٢، تغليق التعليق ٥/٤٤١، مقدمة الفتح ص ٤٩٣، تحفة الأخباري ص ٢١٤، طبقات المفسرين للدواودي ٢/١٠٨.

ومع أن الرؤيا لا يعتمد عليها تاريخياً إلا أن الشريعة اعتبرت الرؤيا الصادقة جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وخاصة الرؤيا التي رؤي فيها النبي ﷺ.

وقد أبدى العلماء أسفهم وحزنهم على هذا الحادث الجليل، وكان يحيى بن جعفر البيكندي^(١) يقول:

«موت^(٢) محمد بن إسماعيل فيه ذهابُ العلم^(٣)».

(١) مقدمة الفتح ص ٤٨٤. ويحيى بن جعفر البيكندي هو أبو زكريا الأزدي البخاري من شيوخ الإمام البخاري وقد روى عنه في صحيحه. مات يحيى قبل الإمام البخاري في سنة ٢٤٣هـ (التهذيب ١١/١٩٣، التقريب ١٠٥١: ثقة، من العاشرة / خ).

(٢) وكان يقول هذا في حياة الإمام البخاري. ونصه «لو قدرتُ أن أزيد من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلتُ، فإن موتي يكون موت رجل، وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم». (مقدمة الفتح ص ٤٨٤). وانظر أيضاً: تاريخ بغداد ٢/٢٤، تهذيب الكمال ٢٤/٦٠، تاريخ الإسلام ص ٢٥٤، سير أعلام النبلاء ١٢/٤١٨، تعليق التعليق.

(٣) وكان الإمام البخاري نحيف الجسم متوسط القامة. قال ابن عدي: سمعت الحسن ابن الحسين البزاز يقول: «رأيتُ محمد بن إسماعيل شيخاً نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير». أسامى من روى عنهم البخاري ص ٦٠، تاريخ بغداد ٢/٦، تهذيب الأسماء واللغات ١/٦٨ / ١، وفيات الأعيان ٤/ ١٩٠، تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٣٨، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٥٢.

[هل ترك البخاري ذرية؟]

لقد ذكر العلامة ولي الدين الخطيب^(١) صاحب مشكاة المصابيح والملا على القاري^(٢) في شرح المشكاة أن الإمام البخاري لم يترك وراءه ذرية من بعده^(٣). وتساءل العلامة العجلوني عن سبب تكتيته بأبي عبدالله إذا؟ ثم أجاب على هذا السؤال بنفسه بأنه لا يشترط للتكنية أن يكون الرجل له أولاد، وقد جرت عادة العرب بأنهم كانوا يكونون أولادهم وبناتهم وهم صغار دون أن يولد لهم، وله أمثلة لا تعد ولا تحصى. والإمام البخاري وإن كان عجمي النسل لكن بلاد خراسان كان فيها أثر كبير لعادات العرب ولا سيما في أهل العلم.

ولكن الأسف أننا لم نجد في هذا الباب قولاً أقدم من قول ولي الدين الخطيب التبريزي وهو من المتأخرين جداً.^(٤) أما العجلوني فإنه

(١) ولي الدين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب العمري التبريزي، صاحب كتاب مشكاة المصابيح، محدث من علماء القرن الثامن للهجرة، انتهى من تأليف كتابه في ٧٣٧هـ كما صرح به في آخر كتابه (٣/١٧٧٢)، لم توجد له ترجمة مفصلة غير أن شراح كتابه وصفوه بالعلم والفضل. وكتابه يشهد بذلك. انظر مقدمة الأستاذ زهير الشاويش لطبعته لمشكاة المصابيح ١/و-هـ.

(٢) علي بن سلطان محمد الهروي القاري الحنفي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، مات بمكة المكرمة سنة ١٠١٤هـ من أشهر مؤلفاته «مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح» معجم المؤلفين ٧/١٠٠.

(٣) قال القاري: فمات عن غير ولد، المرقاة ١/١٥، وقال صاحب الإكمال: ولم يعقب ولداً ذكراً، الإكمال ١٤٩ (المراجع).

(٤) جاء في خبر ذكره الذهبي عن غنجار قال: أنبأنا أبو عمرو أحمد بن محمد =

شك حتى في زواجه، فقد قال: إن الإمام لو كان تزوج لوجدنا له ذكراً. ولكن الأسف أن المؤرخين لا يذكرون عادةً أحوال الزواج والنكاح، فهناك مئات من الأسماء في كتب التاريخ لا يُذكر شيء عن زواجهم أو عدمه، فكيف يسوغ لنا أن نظن لأجل هذه الاحتمالات الضعيفة أن الإمام البخاري حُرِّم من سنة مؤكدة حتى يثبت لنا بسند صحيح أنه ترك ذلك.^(١)

ولو فرضنا أن الإمام البخاري لم يترك ذرية من صلبه فذريته الروحية تتجاوز مائتي مليون ومائتين وأربعة آلاف نسمة^(٢) بغض النظر عن

= المقرئ، سمعت بكر بن منير - وقد ذكر معناها محمد بن أبي حاتم، واللفظ لبكر - قال: كان حُمِلَ إلى البخاري بضاعة أنفذها إليه ابنه أحمد، فاجتمع إليه بعض التجار إلخ، كما سبق (سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤٧، طبقات السبكي ٢/٢٢٧) فورد في هذا الخبر ذكر ابن له كان يسمى «أحمد» فإن كان هذا محفوظاً فثبت وجود ابن له. ولكن الخبر نفسه ذكره الخطيب في تاريخه (١١/٢) وفيه «أنفذها إليه فلان» وذكره الحافظ في التعليق ٥/٣٩٥، ومقدمة الفتح ص ٤٧٩ وفيهما أنفذه إليه أبو حفص».

وقد نص الإمام الحاكم في كتابه علوم الحديث على عدم وجود أولاد ذكور للبخاري ومسلم. فقال في النوع السابع عشر منه: «وأما البخاري ومسلم فإنهما لم يعقبا ذكراً». (ص ٥٢، الحطة ص ٤٤٤).

(١) ولقد صدق ظن المؤلف رحمه الله فقد وجدنا خبراً يفيد أن البخاري كانت له امرأة وجوار. فقد ذكر وراقه قصة مفادها أنه (أي الوراق) كان اشترى منزلاً فأراد الإمام البخاري أن يساعده ببعض المال. واستدل على ذلك بحديث المؤاخاة بين أصحاب النبي ﷺ، وقال لوراقه: «لي جوار وامرأة وأنت عَزَبٌ فالذي يجب علي أن أناصفك لنستوي في المال وغيره وأربح عليك في ذلك. إلخ القصة». (سير أعلام النبلاء ١٢/ تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٦٥).

فهذا نص على أنه كانت له امرأة. وقد ورد في خبر آخر أن جارية له كانت تمشي فعثرت بمحبرة بين يديه إلخ. (السير ١٢/ ٤٥٢).

(٢) هذا هو عدد المسلمين حسب إحصائيات عام ١٨٩٧م (جريدة المؤيد) وأفادت =

أولئك المساكين الذين يشكون حتى في صحة القرآن لمجرد أن الذي جمعه هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويزعمون أن القرآن الصحيح مخفيٌ ومدفونٌ في أحد المغارات أو السرايب، فإن هذا لا يغض شيئاً من أولاد الإمام الروحانيين، والحمد لله فإن عدد أولئك الذين يؤمنون بكونه أصح الكتب بعد كتاب الله يزداد يوماً فيوماً.

= تقارير رابطة الأمم السابقة سنة ١٩٤٢م بأن عدد المسلمين هو ستمائة مليون وثلاثة ملايين (عبيد الله الرحمانى) ويقدر عدد المسلمين اليوم فيما بين ثمانمائة إلى ألف مليون نسمة.

[شعر البخاري]

لم يكن الإمام البخاريُّ شاعرًا، ولكنه كان يتلذذ أحيانًا بالكلام الموزون، ويصدر منه كلام موزون في النصائح والآداب، وهذا لا يُسمى شعرًا، ولا يمكن أن يعتبر من الذين قيل فيهم ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ﴾ (٢٢٥) فالرسول ﷺ نفسه قد صدرت منه كلمات موزونة ورويت في الأحاديث. قال الإمام أبو عبدالله الحاكم: إنه رأى بخط المستملي من أشعار الإمام البخاري (١):

اغتنم في الفراغ فضل رُكوعٍ فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح رأيت من غير سُقمٍ ذهبت نفسه الصَّحيحة فلتة (٢)
ولما نعي إليه تلميذه الحافظ الإمام عبدالله بن عبدالرحمن الدرامي
صاحب السنن أنشد هذا البيت وأطرق رأسه مليًا:
إن عشت تُفجع بالأحبة كلهم وبقاء نفسك لا أباك أفجع (٣)

(١) قال الحافظ ابن حجر: «وكان صاحب فنون ومعرفة باللغة العربية والتصريف» ثم ذكر بعض الأبيات التي ذكرها المصنف هنا. (تغليق التعليق ٤٠٠/٥).

(٢) تغليق التعليق ٤٠٠/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨١، وقال الحافظ فيها: وكان من العجائب أنه هو وقع له ذلك أو قريبًا منه.

(٣) مقدمة الفتح ص ٤٨١، تغليق التعليق ٤٠٠/٥.

والخبر ذكره المزي في تهذيب الكمال في ترجمة الدرامي (٢١٧/١٥) وكذا الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٢٩/١٢) من رواية إسحاق بن خلف البخاري قال: «كنا عند محمد بن إسماعيل فورد عليه كتاب فيه نعي عبدالله بن عبدالرحمن فنكس =

ومن أبياته المليئة بالحكمة والعبرة:

مثلُ البهائم لا ترى آجالها حتى تساق إلى المجازرِ تُنحر

ومن أبيات الحكمة أيضًا:

خالقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ واسعٍ ولا تكن كلبًا على الناسِ تهرّ

وهذه الأبيات ذكرها العلامة تاج الدين السبكي في الطبقات الكبرى^(١).

= رأسه ثم رفع واسترجع وجعل تسيل دموعه على خديه ثم أنشأ يقول:

إن تَبَقَّ تُفْجِعُ بالأحبة كلَّهم وفناء نفسك لا أباك أفجع

قال إسحاق بن أحمد: وما سمعناه ينشد شعرًا إلا ما يجيء في الحديث. «

وانظر أيضًا: التقييد ٤٥/٢، التهذيب ٢٩٦/٥، طبقات المفسرين ٢٤٤/١

وكان موت الدارمي يوم التروية من عام ٢٥٥هـ أى قبل أقل من سنة من وفاة الإمام البخاري.

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٢٣٥/٢.

الإمام البخاري في نظر شيوخه

إن رأى الشيخ في تلميذه يكونُ أصدق وأصح من رأى غيره من الأقران والمعاصرين والتلاميذ، لأنَّ الشيخَ يكون على علم كامل من ذكاء التلميذ وفهمه وسيلان ذهنه وجهده وشوقه وتحمله. والأستاذ كثيرًا ما يجد فُرصًا لاختبار الطالب ومعرفة مواهبه المكتسبة والفطرية، لأنه يحيط علمًا بالتلميذ أثناء إلقاء دروسه. ولذلك رأينا أن ننقل آراء شيوخ الإمام البخاري لمعرفة ما كان يتمتع به من مواهب طبيعية ومكتسبة^(١).

١- سليمان بن حرب:

لقد سبق أن ذكرنا قول سليمان بن حرب، وأنه كان يقول للإمام البخاري:

«بَيَّنْ لَنَا غُلَطَ شُعْبَةٍ»^(٢).

وطلبُ سليمانَ هذا مع مكانته العليا في هذا الشأن ومع كونه من شيوخ الإمام البخاري يدل دلالة واضحة على تبخُّر الإمام في هذا العلم.^(٣)

(١) شهادات الشيوخ وأقوالهم هذه مأخوذة في الغالب من مقدمة الفتح ٤٨٢-٤٨٥ وتقيد المهمل، الطبقات للسبكي ٢١٦/٢-٢٢٧ وتهذيب التهذيب ٤٨/٩-٥٥ (المؤلف) وقد أضفت إليها مصادر أخرى عند ذكر كل قول.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤١٩/١٢، تغليق التعليق ٤٠٠/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٢ وغيرها.

(٣) وسليمان بن حرب يروي عن شعبة مباشرةً بينما البخاري لم يدركه. توفي سليمان سنة ٢٢٤هـ. قال فيه أبو حاتم: إمام من الأئمة، كان لا يدلس، ويتكلم في =

٢- إسماعيل بن أبي أُويس :

من تلامذة الإمام مالك ومن شيوخ الإمام البخاري ومسلم، توفي سنة ٢٢٠هـ. ^(١) وكان الإمام البخاري ينتخب الأحاديث الصحيحة من كتابه فكان إسماعيل ينسخ هذه الأحاديث لنفسه أيضًا وكان يقول باعتزاز:

«هذه الأحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي» ^(٢).

وقال للإمام ذات يوم:

«انظر في كتبي وجميع ما أملك لك وأنا شاكرٌ لك أبدًا ما دمت حيًّا» ^(٣).

واجتمع أصحاب الحديث يومًا فسألوا الإمام البخاري أن يكلم لهم إسماعيل بن أبي أُويس ليزيدهم في القراءة - وذلك لأن ابن أبي أُويس كان يحترم الإمام البخاري أشد الاحترام - فحقق الإمام ما أرادوا، وتقديرًا لهذه الشفاعة دعا الشيخُ الجاريةَ فأمرها أن تُخرجَ صُرَّةَ دنانير، وقال: يا أبا عبدالله فرّقها عليهم. قال: فقلتُ: إنما أرادوا الحديث.

= الرجال وفي الفقه... ولقد حضرتُ مجلسَ سليمان بن حرب ببغداد فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل إلخ. الجرح والتعديل ١٠٨/٤، التهذيب ١٨٧/٤. (١) هو إسماعيل بن عبدالله بن عبدالله بن أُويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي. وتاريخ وفاته كذا ذكره الخزرجي في الخلاصة (ص ٣٥) ومنه أخذه المصنف رحمه الله. ولكن في التقريب «مات سنة ست وعشرين» (ص ١٤١) وكذا في التهذيب وغيره. وقيل ٢٢٧هـ.

(٢) تاريخ بغداد ١٩/٢، تهذيب الكمال ٤٥٥/٢٤، سير أعلام النبلاء ١٢/١٤، تغليق التعليق ٥/٤٠١، تهذيب التهذيب ٥٠/٩، مقدمة الفتح ص ٤٨٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٩، تغليق التعليق ٥/٤٠١، مقدمة الفتح ص ٤٨٢ واللفظ له.

قال: أجبتك إلى ما طلبوا من الزيادة غير أنني أحب أن يُضَمَّ هذا إلى ذاك^(١).

٣- أبو مُصْعَب أحمد بن أبي بكر الزُّهري:

من تلامذة الإمام مالك، وكان قاضيًا على المدينة من قبل الخليفة المأمون، قال الذهبي: كان إمامًا في السُّنة والأحكام، وقال الزُّبير بن بَكَّار: هو فقيه أهل المدينة غير مُدافع، ومن شيوخ أصحاب الستة، توفي سنة ٢٤٢هـ^(٢) وكان يقول:

«محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر بالحديث من أحمد بن حنبل».

فقال له رجلٌ من جلسائه: «جاوزتَ الحدَّ» فقال له أبو مُصْعَب: «لو أدركت مالكا ونظرتَ إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت كلاهما واحدٌ في الحديث والفقه^(٣)».

٤- عَبْدَان بن عثمان المَرْوَزِي^(٤)، قال:

«ما رأيت بعيني شابًا أبصرَ من هذا وأشار إلى محمد بن إسماعيل^(٥)».

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٤١٩، تغليق التعليق ٥/٤٠١، مقدمة الفتح ص ٤٨٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/٤٨٢-٤٨٣.

(٣) تاريخ بغداد ٢/١٩. تاريخ دمشق ١٥/٥٠/ب، تهذيب الكمال ٢٤/٤٥٥، تاريخ الإسلام ص ٢٥٦، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٠، تحفة الأخباري ص ٢٠١، تغليق التعليق ٥/٤٠١، مقدمة الفتح ص ٤٨٢.

(٤) عبدالله بن عثمان بن جبلة بن أبي رَوَّاد العَتَكِي، أبو عبدالرحمن المروزي الملقب «عبدان» ثقة حافظ، مات ٢٢١هـ/خ م دت س (التقريب ١/٤٣٢).

(٥) تاريخ بغداد ٢/٢٤، تاريخ دمشق ١٥/٥٠/ب، تهذيب الكمال ٢٤/٤٥٩، تاريخ =

٥- محمد بن قُتَيْبَةَ البخاري: (١)

«قال: كنت عند أبي عاصم النبيل فرأيتُ عنده غلامًا فقلت له من أين؟ قال: من بخارى. قلت: ابن من؟ قال: ابنُ إسماعيل، فقلت: أنت من قرابتي، فقال لي رجلٌ بحضرة أبي عاصم: هذا الغلام يُنَاطِحُ الكِبَاشَ، يعني يقاوم الشيوخ» (٢).

هذا مع أن أبا عاصم النبيل مرتبته ظاهرة في فن الحديث، وكان شعبة مع فضله وكماله يقول: «والله ما رأيت مثله» وكان كبار الأئمة يفتخرون بتلمذهم عليه. (٣)

٦- قُتَيْبَةُ بن سعيد الثَّقَفِي:

وهو تلميذ الإمام مالك والليث وإسماعيل بن جعفر ومن شيوخ

= الإسلام ص ٢٥٥، سير أعلام النبلاء ١٢/٤١٩، تحفة الأخباري ص ٢٠٠، تغليق التعليق ٥/٤٠١، مقدمة الفتح ص ٤٨٢.

(١) ذكر ابن حجر قوله هذا ضمن أقوال شيوخ الإمام البخاري (تغليق التعليق ٥/٤٠٢ ومقدمة الفتح ٤٨٢) وذكره المزي في الرواة عن البخاري (تهذيب الكمال ٢٤/٤٣٥) ولم أجد له ترجمة، غير أن هذا الخبر يدل على أنه كان أكبر سنًا من البخاري.

(٢) تاريخ بغداد ٢/١٨، تهذيب الكمال ٢٤/٤٥٤، تغليق التعليق ٥/٤٠٢، مقدمة الفتح ص ٤٨٢.

(٣) أبو عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، ثقة ثبت، مات ٢١٢هـ أو بعدها (التقريب ١/٣٧٣).

قال الخليلي: متفق عليه زهدًا وعلمًا وديانةً واثقًا (سير أعلام النبلاء ٩/٤٨٢). والقول الذي ذكره المصنف رحمه الله عن «شعبة» إنما هو لعمر بن شبة. كما في السير والتهذيب وغيرهما. أما «شعبة» فهو من شيوخه ومات قبله بمدة، سنة ١٦٠هـ. وقد تحرف في الخلاصة إلى «ابن شعبة». فلعل المصنف أخذه من هناك.

الإمام مسلم وأبي داود والترمذي والنسائي ومن كبار الأئمة ومن أقران الحميدي والإمام أحمد، توفي سنة ٢٤٠هـ، وكان يقول:

«جالستُ الفقهاء والزُهَّادَ والعُبَّادَ فما رأيتُ منذُ عَقِلْتُ مثلاً محمد ابن إسماعيل. وهو في زمانه كعمر في الصحابة.» أي في العقل والمعرفة والجهر بالحق.

وقال أيضاً: لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة لكان آية^(١).

٧- وقال محمد بن يوسف الهمداني:

«كنا عند قتيبة فجاء رجلٌ شعرانيُّ يقال له أبو يعقوب فسأله عن محمد بن إسماعيل، فقال: يا هولاء! نظرتُ في الحديث ونظرتُ في الرأي وجالستُ الفقهاء والزُهَّادَ والعُبَّادَ فما رأيتُ منذُ عَقِلْتُ مثلاً محمد بن إسماعيل^(٢)».

قال: وسئل قتيبة عن طلاق السكران فدخل محمد بن إسماعيل فقال قتيبة للسائل:

(١) مقدمة الفتح ٤٨٢. ومن الطريف أننا نرى الشيعة يكرهون إمام المحدثين أيما كراهية، فلقد رأينا مجلة «الاصلاح» (وهذا كما يسمون الزنجي كافوراً) شديدة الطعن في الإمام البخاري، وما كنا ندري ما هو السبب. ولكن العلة تبينت بعدما عرفنا قول الإمام الثقفي، وهو تشابهُ البخاريِّ بعمرَ رضي الله عنه في الفهم والفراسة والجهر بالحق. (المؤلف) تغليق التعليق ٤٠٢/٥، سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٢. ولفظه «مثل محمد بن إسماعيل عند الصحابة في صدقه وورعه كما كان عمر في الصحابة».

(٢) مقدمة الفتح ٤٨٢، تغليق التعليق ٤٠٢/٥، وسير أعلام النبلاء ٤٣١/١٢.

«هذا أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وعلي بن المديني قد ساقهم الله إليك وأشار إلى البخاري^(١)».

٨- وقال أبو عمر الكِرْمَانِي^(٢) حَكَيْتُ لِمَهْيَار^(٣) بالبصرة عن قتيبة بن سعيد أنه قال:

لَقَدْ رُحِّلَ إِلَيَّ مِنْ شَرْقِ الْأَرْضِ وَمِنْ غَرْبِهَا، فَمَا رَحَّلَ إِلَيَّ مِثْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ.

فَقَالَ مَهْيَارٌ: صَدَقَ قُتَيْبَةُ، أَنَا رَأَيْتُهُ مَعَ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ، وَهُمَا جَمِيعًا يَخْتَلِفَانِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، فَرَأَيْتُ يَحْيَى مُنْقَادًا لَهُ فِي الْمَعْرِفَةِ^(٤).

٩- وقال إبراهيم بن محمد بن سلام^(٥) كَانَ الرُّتُوتُ^(٦) مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ

(١) مقدمة الفتح ٤٨٢/٥، تغليق التعليق ٤٠٢/٥، وزاد الذهبي في التاريخ ص ٢٥٥، وسير أعلام النبلاء ٤١٨/١٢ والسبكي في الطبقات ٢٢٢/٢ «وكان مذهب محمد أنه إذا كان مغلوب العقل لا يذكر ما يحدث في سكره أنه لا يجوز عليه من أمره شيء».

(٢) أبو عمر حفص بن عمر بن هبيرة البخاري الكِرْمَانِي، من أهل قرية يقال لها كرمينية - بينها وبين بخارا ثمانية عشر فرسخًا - قدم بغداد حاجًا وحدثهم عن أبي شجاع بن شجاع الكشاني، روى عنه أبو القاسم ابن الثلاث (تاريخ بغداد ٢٠٥/٨، الأنساب للسمعاني ٨٦/١١، معجم البلدان ٤٥٦/٤. قلت: وهذا الخبر المذكور هنا رواه عنه محمد بن أبي حاتم وراق البخاري.

(٣) مهيار: ينظر من ترجمه.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤٢٩/١٢، تغليق التعليق ٤٠٢/٥ وفيهما «ينقاد له». مقدمة الفتح ص ٤٨٢.

(٥) البيهقي السُّلَمِي، أبو إسحاق، نزيل بخاري، روى عن أبيه، روى عنه أبو الهيثم خالد بن أحمد البخاري. ذكره ابن أبي حاتم وسكت عليه (الجرح والتعديل ٢٩/٢) أما أبوه فهو من شيوخ الإمام البخاري وقد تقدم ذكره.

(٦) الرتوت: بالراء المهملة والتاء المثناة من فوق وبعد الواو مثناة أخرى. هم الرؤساء. =

مثل سعيد بن أبي مريم وحجاج بن منهال وإسماعيل بن أبي أويس والحُمَيد بن نُعيم بن حماد والعدني يعني محمد بن يحيى بن أبي عمر والخلّال يعني الحسين بن علي الحلواني ومحمد بن ميمون وهو الخياط، وإبراهيم بن المنذر وأبي كريب محمد بن العلاء وأبي سعيد عبدالله بن سعيد الأشج وإبراهيم بن موسى هو الفراء، وأمثالهم يقضون لمحمد بن إسماعيل على أنفسهم في النظر والمعرفة^(١).

١٠- وكان الإمام أحمد بن حنبل، وهو ركن من أركان المذاهب، يقول:

«ما أخرجَت خراسان مثلَ محمد بن إسماعيل^(٢)».

ولما سأله ابنه عبدالله عن الحفاظ فقال: شبابٌ من خُراسان فعَدَّ فيهم فبدأ به^(٣).

= قاله ابن الأعرابي وغيره (مقدمة الفتح ص ٤٨٢).

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/١/٧٠، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٥، تحفة الأخباري ص ٢٠٢، تغليق التعليق ٥/٤٠٣، مقدمة الفتح ص ٤٨٢.

(٢) تاريخ بغداد ٢/٢١، طبقات الحنابلة ١/٢٧٧، تاريخ دمشق ١٥/٤٩/أ، المنتظم ١٢/١١٦، التقييد ١/١٠، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/٦٨، تهذيب الكمال ٢٤/٤٥٦، تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٥٦، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢١، طبقات السبكي ٢/٢٢٣، تحفة الأخباري ص ٢٠٠، تغليق التعليق ٥/٤٠٤، تهذيب التهذيب ٩/٥١، مقدمة الفتح ص ٤٨٢-٤٨٣.

(٣) مقدمة الفتح ٤٨٣. وقال أحمد أيضًا: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبدالله بن عبدالرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي. تاريخ بغداد ٢/٢١، ماتمس إليه حاجة القاري ص ٢٦، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/٦٨، يهذيب الكمال ٢٤/٤٥٦، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٣.

وقال أحمد أيضًا: «لم يجئنا من خراسان مثل محمد بن إسماعيل». تاريخ =

ومن الممكن أن نقدّر منزلة الإمام البخاري الفقهية بأقوال هؤلاء الفقهاء والمحدثين، فهذه الشهادات القوية صدرت من فحول الأئمة من المحدثين وكبار أهل هذا الشأن، وقد أفردت لهم تراجم مستقلة في الكتب، وهاهم يشهدون للإمام البخاري وفقهه بكلمات قوية واضحة، إلا أننا لا نريد أن نجعل هذه الأقوال مقياسًا لمعرفة فقه الإمام البخاري، فلها طريقة أحسن وسنُفرد لها الكلام في الجزء الثاني.

١١، ١٢- وقال يعقوب بن إبراهيم الدورقي^(١) ونعيم بن حماد الخزاعي: «محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة^(٢)».

١٣- وقال محمد بن بشار الملقب ببشار: «هو (محمد بن إسماعيل) أفقه خلق الله في زماننا^(٣)».

وقال حاشد بن إسماعيل:

«كنت بالبصرة فسمعت بقدوم محمد بن إسماعيل فلما قدم قال

= الإسلام ص ٢٥٧، سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٢.

وذكر الصغاني أن أبا حامد الأنماطي قال: «كنت ببغداد ويحيى بن معين وأحمد بن محمد بن حنبل والبخاري يناظرون فلما قام البخاري قال أحمد ليحيى: ترى هذا الخراساني أرجح منا؟ قال: بكثير. (أسامي شيوخ البخاري ص ٣).

(١) ثقة، مات ٢٥٢هـ وكان من الحفاظ. التقريب ص ١٠٨٧.

(٢) تاريخ بغداد ٢/٢٢، ٢٤، تهذيب الكمال ٤٥٧/٢٤، ٤٥٩، تاريخ الإسلام ص ٢٥٧، ٢٥٥، سير أعلام النبلاء ٤١٩/١٢، ٤٢٤، تحفة الأخباري ص ٢٠٠، (قول الدورقي) تغليق التعليق ٤٠٤/٥، طبقات السبكي ٢/٢٢٣، مقدمة الفتح ص ٤٨٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٢٩/١٢، تغليق التعليق ٤٠٤/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٣.

محمد بن بشار: «قدم اليوم سيدُ الفقهاء»^(١).

وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي^(٢) سمعت بشارًا سنة ثمان وعشرين (أى بعد المائتين) يقول: «أنا أفتخر به منذ سنين»^(٣).

هذا مع أن البخاري من تلامذة محمد بن بشار.^(٤)

١٤- علي بن حُجْر: (أحد كبار المحدثين ومن تلاميذ شريك وإسماعيل

(١) تاريخ بغداد ١٦/٢، تهذيب الأسماء واللغات ٦٨/١/١، ماتمس إليه حاجة القارىء ص ٢٦، تهذيب الكمال ٤٤٩/٢٤، تاريخ الإسلام ص ٢٥٦، سير أعلام النبلاء ٤٢٢/١٢، مقدمة الفتح ص ٤٨٣.

(٢) ثقة حافظ فقيه، مات ٢٩٠ أو ٢٩١ هـ (التقريب ٨١٩) نزل نيسابور ومات بها، من شيوخ البخاري ومات بعده. وانظر أيضًا تهذيب الكمال ٣٠٨/٢٤، سير أعلام النبلاء ٥٨١/١٣.

وبُوشَنج - بضم الموحدة وفتح الشين المعجمة وسكون النون والجيم، بلدة نزهة خصيبة في وادٍ مشجر من نواحي هراة، بينهما عشرة فراسخ. معجم البلدان ٥٠٨/١ (المؤلف) وبعضهم يقولها بسين مهملة (سير أعلام النبلاء ٥٨٩/١٣).

(٣) مقدمة الفتح ص ٢٨٣، وفيه قصة فانظر: تاريخ بغداد ١٧/٢، ماتمس إليه حاجة القارىء ص ٢٦، تهذيب الكمال ٤٥٠/٢٤، سير أعلام النبلاء ٤٢٣/١٢.

(٤) وهو الملقب بـ«بُشار» وقد روى عنه البخاري مائتي حديث وخمسة أحاديث كما في التهذيب (٧٣/٩). ومن أقوال محمد بن بشار أيضًا: «ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل». تاريخ بغداد ١٧/٢، تهذيب الكمال ٤٥٠/٢٤، تاريخ الإسلام ص ٢٥٦، سير أعلام النبلاء ٤٢١/١٢، مقدمة الفتح ص ٤٨٣.

وقال محمد بن بشار أيضًا: «حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، والدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، ومسلم بنيسابور». تاريخ بغداد ١٦/٢، تهذيب الأسماء واللغات ٦٨/١/١، ماتمس إليه حاجة القارىء ص ٢٦، تهذيب الكمال ٤٤٩/٢٤، سير أعلام النبلاء ٤٢٣/١٢، تذكرة الحفاظ ٥٨٩/٢، تهذيب التهذيب ١٢٨/١٠.

ابن جعفر، ومن شيوخ الإمام البخاري والنسائي ومسلم والترمذي، توفي ٢٤٤هـ^(١) قال:

«أخرجت خراسان ثلاثة: البخاري، فبدأ به قال: وهو أبصرهم وأعلمهم بالحديث وأفقههم. قال: ولا أعلم أحدا مثله^(٢)».

١٥- أحمد بن إسحاق السُّرمَري: وهو من كبار أهل العلم والزهاد ومن شيوخ إمام المحدثين ومن تلاميذ أمثال يعلى بن عبيد، توفي ٢٤٢هـ^(٣)، وكان يقول:

«من أراد أن ينظر إلى فقيهٍ بحقٍ وصدقٍ فليُنظر إلى محمد بن إسماعيل^(٤)».

١٦، ١٧- قال حاشد بن إسماعيل: رأيت عمر بن زُرارة^(٥) ومحمد بن رافع^(٦) عند محمد بن إسماعيل وهما يسألانه عن علل الحديث فلما قاما قالَا لمن حضر المجلس:

«لا تُخَدَعُوا عن أبي عبد الله فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر^(٧)».

-
- (١) ثقة حافظ / خ م ت س (التقريب ٦٩١).
- (٢) تاريخ بغداد ٢٨/٢، تهذيب الأسماء واللغات ٦٩/١/١، تاريخ الإسلام ٢٥٦، سير أعلام النبلاء ٤٢١/١٢، تغليق التعليق ٤٠٨/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٤.
- (٣) السُّرمَري. بضم أوله وسكون ثانيه وبعد الألف راء نسبة إلى «سرمري» قرية بينها وبين بخارا ثلاثة فراسخ. معجم البلدان ٢١٥/٣ (المؤلف). وقد ترجمه المزي في تهذيب الكمال ٢٦١/١ والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٧/١٣. وغيرهما.
- (٤) مقدمة الفتح ص ٤٨٤، تغليق التعليق ٤٠٨/٥، وينظر أيضاً: سير أعلام النبلاء ٤١٧/١٢ وفيه زيادات.
- (٥) أبو محمد النيسابوري، ثقة ثبت، مات ٢٣٨هـ / خ م ت س. التقريب ٧٣٥.
- (٦) القشيري، النيسابوري، ثقة عابد، مات ٢٤٥هـ / خ م ت س. التقريب ٨٤٤.
- (٧) تاريخ بغداد ٢٧/٢، سير أعلام النبلاء ٤٢٩/١٢، تغليق التعليق ٤٠٨/٥، مقدمة =

١٨- قال عبدالله بن محمد بن سعيد بن جعفر:

لما مات أحمد بن حرب النيسابوري^(١) ركب إسحاق بن راهويه ومحمد بن إسماعيل يُشَيِّعان جنازته، وكنت أسمع أهل المعرفة ينظرون ويقولون: «محمد أفقه من إسحاق»^(٢).

١٩- قال عبدالله بن محمد الفرّهيّاني^(٣): حضرتُ مجلسَ ابنِ إشكاب (كان محدثًا كبيرًا، إمامًا في عصره، يقول عنه الذهبي: الحافظ الإمام، توفي ٢٦١هـ^(٤))، فجاءه رجلٌ ذكر اسمه من الحفاظ، فقال:

«مالنا بمحمد بن إسماعيل من طاقةٍ». فقام ابن إشكاب وترك المجلس غضبًا من التكلم في حقّ محمد بن إسماعيل^(٥).

= الفتح ص ٤٨٤.

(١) وكانت وفاته في ٢٣٤هـ. قال الذهبي: كان من كبار الفقهاء والعباد. سير أعلام النبلاء ٣٢/١١. وانظر أيضًا: تاريخ بغداد ١١٨/٤، المتفق والمفترق للخطيب البغدادي ١٧٠/١، ميزان الاعتدال ٨٩/١ وغيرها.

(٢) تاريخ الإسلام ص ٢٥٥، سير أعلام النبلاء ٤١٨/١٢، طبقات السبكي ٢٢٣/٢، تغليق التعليق ٤٠٩/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٤.

(٣) ويقال «الفرّهاذاني» أيضًا - نسبة إلى «فرهاذان». قال الحموي: أظنها من قرى نسا بخراسان. قال ابن عدي: كان رفيق النسائي، وكان ذا بصر بالرجال، وكان من الأثبات، قال الذهبي: توفي سنة نيف وثلاثمائة. معجم البلدان ٢٥٨/٤، اللباب ٤٢٧/٢، سير أعلام النبلاء ١٤٦/١٤.

(٤) الحافظ الإمام الثقة، أبو جعفر محمد بن الحسين بن إبراهيم البغدادي. وأبوه يلقب بـ«إشكاب»، من شيوخ البخاري. تهذيب الكمال ٧٩/٢٥، تذكرة الحفاظ ٥٧٤/٢، سير أعلام النبلاء ٣٥٢/١٢.

(٥) تاريخ بغداد ٢٣/٢، تغليق التعليق ٤٠٩/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٤.

٢٠- قال موسى بن قُريش^(١): قال عبدالله بن يوسف التَّيْسِي^(٢) للبخاري:

«يا أبا عبدالله انظر في كتبي وأخبرني بما فيها من السَّقَط، فقال: نعم^(٣)».

ومن الجدير بالذكر أن الإمام البخاري كان يُعْتَبَر حَكَمًا في المسائل والمناقشات العلمية التي كانت تجري بين أساتذته، وكانوا يعترفون بحكمه ويسلمون له بلا تردد مع أنهم من أئمة الفن.

٢١- دخل على شيخه الحُمَيْدِي وهو ابن ثمان عشرة سنة فإذا بينه وبين آخر اختلاف في حديث فلما بَصَرَ به الحُمَيْدِي قال:

«جاء من يَفْصِلُ بيننا». فعرضاً عليه الخصومة فقضى البخاري للحميدي لأن الحق كان معه^(٤). وكان الحميدي من كبار أئمة الفن وروايته تعتبر في درجة عالية.

(١) موسى بن قريش بن نافع التميمي البخاري، من شيوخ مسلم. ت ٢٥٤، تهذيب الكمال ١٣٣/٢٩، سير أعلام النبلاء ٤٩/١٣.

(٢) بكسرتين وتشديد النون وياء ساكنة والسين مهملة، نسبة إلى تَيْس، جزيرة في بحر مصر قريبة من البر، ما بين الفرما ودمياط، والفرما في شرقها. معجم البلدان ٥١/٢ (المؤلف)

وعبدالله بن يوسف هذا من شيوخ البخاري، وأحد رواة الموطأ عن الإمام مالك. قال ابن معين: أثبت الناس في الموطأ عبدالله بن يوسف والقعنبي، ت ٢١٨هـ (سير أعلام النبلاء ٣٥٨/١٠) وهذا يعني أن البخاري كان عند وفاته في حدود الرابعة والعشرين من عمره.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤١٩/١٢، تغليق التعليق ٤٠٤/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٣.

(٤) مقدمة الفتح ٤٨٣، تغليق التعليق ٤٠٤/٥.

٢٢- وقال أبوبكر المديني^(١):

«كنا يوماً عند إسحاق بن راهوية ومحمد بن إسماعيل حاضراً، فمر إسحاق بحديثٍ ودون صحابيه عطاء الكيخاراني^(٢)، فقال له إسحاق: يا أبا عبدالله! أيش هي كيخاران؟ قال: قرية باليمن، كان معاوية بعث هذا الرجل الصحابي إلى اليمن فسمع منه عطاء هذه الأحاديث. فقال له إسحاق: يا أبا عبدالله كأنك شهدت القوم^(٣)».

٢٣- قال فتح بن نوح النيسابوري^(٤):

«أتيتُ على ابن المديني فرأيتُ محمد بن إسماعيل جالساً عن يمينه، وكان إذا حدث التفت إليه مهابةً له^(٥)».

وقال البخاري: ما استصغرتُ نفسي عند أحدٍ إلا عند علي بن المديني، وربما كنت أُغربُ عليه^(٦). قال حامد بن أحمد: فذكر هذا

(١) محمد بن عبدالله بن نعيم المديني النيسابوري. ذكره الحاكم في الرواة عن إسحاق ابن راهويه. (انظر تعليق الدكتور بشار عواد على تهذيب الكمال ٢ / ٣٧٧) وكناه أبو أحمد الحاكم في الأسامي والكنى (٢ / ٢٠٦ الترجمة ٦٥٤).

(٢) بفتح الكاف والخاء المعجمة بينهما تحتانية ساكنة. خلاصة تهذيب تهذيب الكمال ٢٦٧، الأنساب ١١ / ١٩٣ (المؤلف).

(٣) تاريخ بغداد ٨ / ٢، تهذيب الكمال ٤٤١ / ٢٤، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤١٥، تعليق التعليق ٥ / ٤٠٦، مقدمة الفتح ص ٤٨٣، تهذيب التهذيب ٩ / ٤٩.

(٤) أبو نصر، روى عن يحيى بن يحيى، روى عنه أحمد بن سلمة النيسابوري (الجرح والتعديل ٧ / ٩٣).

(٥) تاريخ بغداد ١٨ / ٢، تهذيب الكمال ٤٥٤ / ٢٤، تعليق التعليق ٥ / ٤٠٦، مقدمة الفتح ٤٨٣.

(٦) تاريخ بغداد ١٧ / ٢، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤١١، تاريخ الإسلام ص ٢٥٢، =

الكلام لعلي بن المديني، فقال لي: دع قوله، هو ما رأى مثل نفسه^(١).

وقال البخاري: كان علي بن المديني يسألني عن شيوخ خراسان فكنت أذكر له محمد بن سلام فلا يعرفه، إلى أن قال لي يومًا: يا أبا عبدالله! كل من أثنت عليه فهو عندنا الرضى^(٢).

وكلمة «لا أعرفه» يعني أنه مستور الحال، ولا يحتج به وهذا نوع من الجرح^(٣).

٢٤- قال البخاري: ذاكرني أصحاب عمرو بن عليّ الفلاس^(٤) بحديثٍ فقلت: «لا أعرفه» فسُرُّوا بذلك وصاروا إلى عمرو بن عليّ فقالوا له: ذاكرنا محمد بن إسماعيل بحديثٍ فلم يعرفه. فقال عمرو بن عليّ: حديثٌ لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث^(٥).

-
- = تهذيب الكمال ٤٥١/٢٤، الوافي بالوفيات ٢٠٨/٢. وانظر التعليق الآتي بعده.
- (١) تاريخ بغداد ١٨/٢، تهذيب الأسماء واللغات ٦٩/١/١، ماتمس إليه حاجة القارىء ص ٢٦، تهذيب الكمال ٤٥٤/٢٤، تاريخ الإسلام ص ٢٥٥، سير أعلام النبلاء ٤٢٠/١٢، تغليق التعليق ٤٠٦/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٣.
- (٢) تاريخ بغداد ١٧/٢، تهذيب الكمال ٤٥١/٢٤، تغليق التعليق ٤٠٦/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٣.
- (٣) وقد يطلق المحدث كلمة «لا أعرف» على معناها اللغوي وكثيرًا ما يحدث أن أحد الأئمة لم يعرف راويًا من الرواة وقد عرفه غيره كما هو الحال في هذا الخبر. وقد تحدثت في هذا الموضوع في مقدمة تحقيقي لكتاب سؤالات الآجري أبا داود السجستاني ٥٩/١-٦١.

- (٤) إمام من أئمة الجرح والتعديل. قال في التقريب: ثقة حافظ، مات ٢٤٩هـ/ع (ص ٧٤١).
- (٥) تاريخ بغداد ١٨/٢، تهذيب الأسماء واللغات ٦٩/١/١، ماتمس إليه حاجة القارىء ص ٢٦، تهذيب الكمال ٤٥٤/٢٤، تاريخ الإسلام ص ٢٥٦، تغليق التعليق ٤٠٧/٥، التهذيب ٥٠/٩، مقدمة الفتح ص ٤٨٣.

وكان عمرو بن علي الفلاس يقول:

«صديقي أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ليس بخراسان مثله^(١)».

٢٥- الحافظ رجاء بن المرّجاء من كبار المحدثين. وصفه الخطيب^(٢):
بأنه إمام في علم الحديث. ومن أوصافه الجوّال الرّحال المصنف،
توفي سنة ٢٤٩هـ^(٣). وكان يقول:

«فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء».

وقال: «هو آية من آيات الله تمشي على ظهر الأرض^(٤)».

٢٦- الحسين بن حُرَيْث:

هو من شيوخ البخاري ومسلم والترمذي، ومن تلامذة أتباع

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٩، تغليق التعليق ٥/٤٠٧، مقدمة الفتح ص ٤٨٣.

(٢) تاريخ بغداد ٨/٤١٠-٤١١ ونص كلامه: «كان ثقة ثبّتًا، إمامًا في علم الحديث وحفظه والمعرفة به».

(٣) الخلاصة ص ١١٧، وهو من طبقة شيوخ البخاري وذكر الحافظ ابن حجر قوله هذا ضمن أقوال شيوخ الإمام البخاري. ولكن ليس له رواية في صحيحه وإنما أخرج له أبو داود وابن ماجه. انظر: تهذيب الكمال ٩/١٦٨، تذكرة الحفاظ ٢/٥٤٢، سير أعلام النبلاء ١٢/٩٨.

(٤) تاريخ بغداد ٢/٢٥، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٧، تغليق التعليق ٥/٤٠٦، مقدمة الفتح ص ٤٨٣-٤٨٤.

وفي تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٥٣ وسير أعلام النبلاء ١٢/٤١٣ قصة مساجلة علمية جرت بين رجاء الحافظ والإمام البخاري تبين سعة علم البخاري وحفظه وسيلان ذهنه. وانظر أيضًا تاريخ بغداد ٢/٢٦.

التابعين عبدالله بن المبارك والفضل بن موسى والنضر بن شميل، وهو من العظماء، توفي ٢٤٤هـ^(١) وكان يقول:

«لا أعلم أني رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كأنه لم يُخلَق إلا للحديث^(٢)».

٢٧، ٢٨- أبوبكر بن أبي شيبه، ومحمد بن عبدالله بن نمير. منزلتهما غير خافية وكانا يقولان:

«ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل^(٣)».

وكان أبوبكر بن أبي شيبه يسميه البازل يعني الكامل^(٤)».

٢٩- قال الفَرَبْرِي^(٥): رأيت عبدالله بن نمير يكتب عن البخاري وسمعته

(١) ينظر لترجمته ومصادر ترجمته: تهذيب الكمال ٣٥٨/٦، سير أعلام النبلاء ٤٠٠/١١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٢٢/١٢، مقدمة الفتح ص ٤٨٤.

(٣) تاريخ بغداد ١٩/٢، المنتظم ١١٦/١٢، تهذيب الكمال ٤٥٢/٢٤، تاريخ الإسلام ص ٢٥٦، سير أعلام النبلاء ٤٢٢/١٢، تغليق التعليق ٤٠٧/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٤.

(٤) مقدمة الفتح ص ٤٨٤، تغليق التعليق ٤٠٧/٥، تهذيب التهذيب ٥١/٩.

وتمام خبر ابن أبي شيبه ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء عن طريق الوراق قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن سلام يقول: حضرتُ أبا بكر بن أبي شيبه فرأيت رجلاً يقول في مجلسه: ناظر أبوبكر أبا عبدالله في أحاديث سفیان فعرف كلها، ثم أقبل محمد عليه فأغرب عليه مثنى حديث، فكان أبوبكر بعد ذلك يقول: «ذلك الفتى البازل».

وبالبازل: الجمل المُسَنَّ، إلا أنه يريد بها هنا البصير بالعلم، الشجاع، (سير أعلام النبلاء ٤٢٥/١٢).

(٥) هو جعفر محمد الفربري كما وقع ذلك مصرحاً في هذا الخبر في سير أعلام النبلاء =

يقول :

«أنا من تلامذته» .

مع أنه كان «من شيوخ البخاري قد حدث عنه في الجامع الصحيح ، وقال : لم أر مثله . وكانت وفاته سنة مات أحمد بن حنبل^(١)» .

٣٠- قال محمد بن أبي حاتم الوراق : سمعت يحيى بن جعفر اليكندي يقول :

«لو قدرت أن أزيد من عمر محمد بن إسماعيل لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد ، وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم^(٢)» .

وقال أيضا سمعته يقول له : «لولا أنت ما استطب العيش ببخارى^(٣)» .

٣١- وقال عبدالله بن محمد المُنندي :

«محمد بن إسماعيل إمامٌ ، فمن لم يجعله إمامًا فاتهمه»^(٤) .

= ٤٢٤/١٢ . فهو غير محمد بن يوسف الفربري راوي الصحيح .

(١) تغليق التعليق ٤٠٧/٥ ، مقدمة الفتح ص ٤٨٤ . وقوله «كان من شيوخ البخاري إلخ» من تغليق الحافظ ابن حجر على الخبر . وينظر أيضًا : سير أعلام النبلاء ٤١٤/١٢ - ٤١٥ .

(٢) تقدم تخريجه في ص (١٩٦) عند ذكر وفاة الإمام البخاري .

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٥٥ ، سير أعلام النبلاء ٤١٨/١٢ ، تغليق التعليق ٤٠٨/٥ ، مقدمة فتح الباري ص ٤٨٤ .

(٤) تغليق التعليق ٤٠٨/٥ ، مقدمة الفتح ص ٤٨٤ ، تهذيب الأسماء واللغات ٦٩/١/١ ، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٢٧ .

وقال أيضًا: حفاظ زماننا ثلاثة، فبدأ بالبخاري^(١).

٣٢- وقال حاشد: كنا يومًا عند إسحاق بن راهوية، وعمرو بن زرارة، وهو يستملي على أبي عبدالله وأصحاب الحديث يكتبون عنه وإسحاق يقول:

«هو أبصر مني».

وكان أبو عبدالله إذ ذاك شابًا^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٤، تغليق التعليق ٥/٤٠٨، مقدمة الفتح ص ٤٨٤. وعدّ منهم «حاشد بن إسماعيل» أيضًا وهو يروي كثيرًا في مناقب البخاري كما سبق. وقد ترجمه الذهبي في تذكرة الحفاظ فقال: «حاشد بن إسماعيل بن عيسى البخاري الغزال الحافظ محدث الشاش، أحد أئمة الأثر» مات ٢٦١هـ. وذكر في ترجمته أيضًا قول أبي جعفر المسندي هذا. (٢/٥٦٤) وعنه السيوطي في طبقات الحفاظ ص ٢٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٩، تغليق التعليق ٥/٤٠٨، مقدمة الفتح ص ٤٨٤.

الإمام البخاري في نظر أقرانه ومعاصريه

«المعاصرة سبب المنافسة» هذا مثلٌ معروف، ومن الصعب جدًا أن ينجو الإنسان من منافسة المعاصرين. فأهل الفن والكمال الذين يجتمعون في عصرٍ واحدٍ قلما يعترف بعضهم بفضل الآخر كما ينبغي، إلا مَنْ رَحِمَ الله، وإذا بحثنا في سرائر رجلين من أهل الفن والكمال جمعهما القدر في عصرٍ واحدٍ تجد أن كلاً منهما يتجاهل الآخر وينافسه حتى إن الأمر يصل في بعض الأحيان إلى حد الخصومة والتنافر، ونرى أن نسوق هنا أقوال وآراء أقران الإمام البخاري ومعاصريه، وهم ممن يدان لهم بالفضل والكمال، وهم مع معاصرتهم لا يندهشون بمواهب الإمام البخاري فحسب، بل يعترفون بفضلهم وكماله بكلمات تدل على تلك المنزلة التي رفعه الله إليها من الفقه في الدين وقوة الذاكرة والتبحر في العلم، مع أننا في غنى عن كل هذه الشهادات الخارجية مادام الجامع الصحيح في أيدينا.

١- قال أبو حاتم الرّازي :

«لم تُخرج خراسانُ قط أحفظ من محمد بن إسماعيل، ولا قديم منها إلى العراق أعلمُ منه»^(١).

(١) تغليق التعليق ٤٠٩/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٤، وانظر أيضًا: تاريخ بغداد ٢٣/٢، تقييد المهمل ١٠/أ، تاريخ دمشق ٤٣/١٥/ب، تهذيب الكمال ٤٥٩/٢٤، تاريخ الإسلام ص ٢٤٧، ٢٥٨، سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٢، ٤٣٣، طبقات السبكي ٢٢٣/٢، تحفة الأخباري ص ٢٠١، والخبر عند بعضهم بأتم مما هنا.

٢- وقال محمد بن حُرَيْث:

«سألت أبا زرعة عن ابن لهيعة فقال لي: تركه أبو عبدالله يعني البخاري^(١)».

٣- وقال الحسين بن محمد المعروف بعُبَيْدِ الْعِجْلِ^(٢):

«مارأيتُ مثل محمد بن إسماعيل. ومسلمٌ حافظ ولكنه لم يبلغ مبلغَ محمد بن إسماعيل» وقال: «رايتُ أبا زرعة وأبا حاتم يستمعان إليه. وكان أمةً من الأمم دينا فاضلاً يُحسِنُ كُلَّ شيءٍ، وكان أعلم من محمد بن يحيى الذُّهليَّ بكذا وكذا^(٣)».

٤- وقال عبدالله بن عبدالرحمن الدَّارِمِيُّ صاحب السنن:

«قد رأيتُ العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق فما رأيتُ

(١) مقدمة الفتح ص ٤٨٤، تغليق التعليق ٤٠٩/٥، زاد الخطيب: «وسألته عن محمد بن حميد الرازي فقال: تركه أبو عبدالله، قال محمد بن حريث فذكرت ذلك لمحمد بن إسماعيل فقال: برّه لنا قديم. (٢٣/٢) وهو كذلك في تهذيب الكمال ٤٥٨/٢٤، سير أعلام النبلاء ٤٣٤/١٢، تهذيب التهذيب ١٣٠/٩، ترجمة محمد ابن حميد.

(٢) في مقدمة الفتح «الحسين بن محمد بن عبيد المعروف بالعجلي» والتصويب من تغليق التعليق لابن حجر نفسه ومن المصادر الأخرى لهذا الخبر ولترجمته. وهو «الحسين بن محمد بن حاتم البغدادي» الإمام الحافظ المجود. تلميذ يحيى بن معين وهو الذي لقبه «عبيداً العجل» ت ٢٩٤هـ. قال الخطيب: كان ثقة متقناً حافظاً. تاريخ بغداد ٩٣/٨، تذكرة الحفاظ ٦٧٢/٢، سير أعلام النبلاء ٩٠/١٤.

(٣) تغليق التعليق ٤٠٩/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٤، وفيهما شيء من الاختصار. وتماه في تاريخ بغداد ٣٠/٢، سير أعلام النبلاء ٤٣٦/١٢.

فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل»^(١).

وقال أيضًا: «هو أعلمنا وأفقهنا وأكثرنا طلبًا»^(٢).

وسئل الدارمي عن حديث، وقيل له: إن البخاريّ صححه فقال: «محمد بن إسماعيل أبصر مني وهو أكيس خلق الله، عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، إذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه، وتفكر في أمثاله وعرف حلاله من حرامه»^(٣).

(١) تاريخ بغداد ٢/٢٨، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/٦٩، ماتمس إليه حاجة القارىء ص ٢٧، تاريخ الإسلام ص ٢٥٧، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٣٢، تغليق التعليق ٥/٤١٠، مقدمة الفتح ص ٤٨٥. وعند بعضهم «العراقيين». تهذيب التهذيب ٩/٥٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٦ وزاد «وأغوصنا». تغليق التعليق ٥/٤١٠، مقدمة الفتح ص ٤٨٥.

(٣) تغليق التعليق ٥/٤١٠، مقدمة الفتح ٤٨٥، وتمامه في سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٦. وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: وجاء من غير وجه عن عبدالله الدارمي قال: محمد بن إسماعيل أبصر مني ص ٢٥٧.

وفي السير: أن الدارمي سئل عن حديث سالم بن أبي حفصة فقال: كتبناه مع محمد، ومحمد يقول: سالم ضعيف. ف قيل له ما تقول أنت؟ قال: محمد أبصر مني.

وقال الدارمي أيضًا: لم يكن يشبه طلب محمد للحديث طلبنا، كان إذا نظر في حديث رجل أنزفه (سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٧).

وفي خبر آخر سئل الدارمي عن كتاب الأدب المفرد للبخاري: «هل رأيت فيه حشواً أو حديثاً ضعيفاً؟ فقال: ابن إسماعيل لا يقرأ على الناس إلا الحديث الصحيح. وهل ينكر على محمد؟» (المصدر السابق ١٢/٤٢٧) وهذا محمول على الغالب، فالمعروف أن الإمام البخاري لم يلتزم فيه الصحة كما فعل في الجامع الصحيح. وأغلب أحاديث الأدب المفرد صحيحة أو حسنة. لكن فيه بعض الأحاديث الضعيفة أيضًا، وقد حققه العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وطبع في قسمين «صحيح الأدب المفرد» وفيه ٩٩٣ حديثًا. وضعيف الأدب المفرد وفيه =

٥- وقال أبو الطيب حاتم بن منصور:

«كان محمد بن إسماعيل آية من آيات الله في بصره ونفاذه في العلم^(١)».

٦- وقال أبو سهل محمود بن النضر الفقيه:

«دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة، ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضّلوه على أنفسهم^(٢)».

وقال أيضًا: سمعت أكثر من ثلاثين عالمًا من علماء مصر يقولون: حاجتنا في الدنيا النظر إلى محمد بن إسماعيل^(٣).

٧- وقال صالح بن محمد جرّزة^(٤):

«ما رأيتُ خراسانيًا أفهم من محمد بن إسماعيل^(٥)».

= ٢١٧ حديثًا. ولكن ليس فيه ضعيف جدًا أو موضوع. إلا حديث واحد قال فيه الشيخ: ضعيف جدًا (الحديث ٨٩. الشاة في البيت بركة الحديث).

(١) تاريخ الإسلام ص ٢٥٧، سير أعلام النبلاء ٤٢٧/١٢، تغليق التعليق ٤١٠/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٩/٢، تقييد المهمل ٩/ب، تاريخ دمشق ٥١/١٥/ب، تهذيب الأسماء واللغات ٦٩/١/١، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٢٧، تهذيب الكمال ٤٥٢/٢٤، سير أعلام النبلاء ٤٢٢/١٢، تحفة الأخباري ص ٢٠٢، تغليق التعليق ٤١٠/٥، تهذيب التهذيب ٥١/٩، مقدمة الفتح ص ٤٨٥.

(٣) تغليق التعليق ٤١٠/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٥، وفي سير أعلام النبلاء «... النظر إلى تاريخ محمد بن إسماعيل». (٤٢٦/١٢).

(٤) «الإمام الحافظ الكبير الحجة، محدث المشرق، أبو علي الأسدي البغدادي، الملقب بجرّزة، نزيل بخارى» ت ٢٩٣هـ (سير أعلام النبلاء ٢٣/١٤).

(٥) تاريخ بغداد ٢٢/٢، التقييد ١١/١، تهذيب الأسماء واللغات ٦٨/١/١، تهذيب =

وقال أيضًا: «كان أحفظهم للحديث»^(١).

ولما عَقَد الإمام البخاريُّ مجلس الإملاء في عاصمة العلم بغداد كان صالحُ بن محمد هذا يستملي له فقال: «بلغ من حَضَر المجلس عشرين ألفاً»^(٢).

٨- وقال محمد بن عبدالرحمن الدَّغُولِيُّ: ^(٣)

كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخاريّ كتابًا فيه:

= الكمال ٤٥٧/٢٤، تغليق التعليق ٤١١/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٥.

(١) تغليق التعليق ٤١١/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٥، وفي سير أعلام النبلاء أنه سئل عن الدارمي ومحمد بن إسماعيل وأبي زرعة فقال: «أعلمهم بالحديث محمد، وأحفظهم أبو زرعة» (٤٣٣/١٢) وهو في تاريخ بغداد ٢٢/٢، وتهذيب الكمال ٤٥٧/٢٤ بآتم من هذا. وعندهما وكذا في التقييد لابن نقطة (١٠/١): محمد بن إسماعيل وأبو زرعة أحفظهم وأكثرهم حديثًا. تهذيب الأسماء واللغات ٦٨/١/١.

(٢) مقدمة الفتح ٤٨٥، تغليق التعليق ٤١١/٥، وانظر أيضًا: الجامع لأخلاق الراوي ١١٢/٢ تحقيق د. محمد رأفت، أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ص ١٧، تهذيب الأسماء واللغات ٧٠/١/١، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٢٩، تهذيب الكمال ٤٥٢/٢٤، سير أعلام النبلاء ٤٣٣/١٢، تحفة الأخباري ص ١٩٢.

(٣) الإمام العلامة الحافظ المجدد شيخ خراسان، أبو العباس السَّرَخْسِي الدَّغُولِيُّ. ت ٣٢٥هـ قال: أربع مجلدات لا تفارقني سفرًا ولا حضرًا وذكر منها تاريخ البخاري. (طبقات علماء الحديث ١٠/٣، سير أعلام النبلاء ٥٥٧/١٤، طبقات الحفاظ ص ٣٤٣) وحفيده أيضًا يُعرَف بأبي العباس محمد بن عبدالرحمن الدغولي. ت ٣٦٥هـ (الأنساب ٣٥٩/٥) و«الدَّغُولِيُّ» بفتح الدال المهملة وضم الغين المعجمة وفي آخرها اللام بعد الواو. اسم رجل. ويقال للخبز الذي لا يكون رقيقًا بسرخس: دغول. فلعل بعض أجداد المنتسب كان يخبزه. (الأنساب ٣٥٩/٥، اللباب ٥٠٤/١).

المسلمون بخَيْرٍ ما بَقِيَتْ لَهُمْ وَلَيْسَ بَعْدَكَ خَيْرٌ حِينَ تَفْتَقَدُ^(١)

٩- وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة:

«ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل»^(٢).

١٠- وقال أبو عمرو الخفاف^(٣):

«هو أعلم بالحديث من أحمد وإسحاق وغيرهما بعشرين درجة»

(١) تاريخ بغداد ٢/٢٢، تقييد المhemل ٩/ب، تاريخ دمشق ١٥/٥٢/أ، التقييد ١١/١، الصغاني ص ٣، تهذيب الكمال ٢٤/٤٥٨، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٣٤، البداية والنهاية ١١/٢٦، تحفة الأخباري ص ٢٠٣، تغليق التعليق ٥/٤١١، التهذيب ٩/٥١، مقدمة الفتح ص ٤٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ٢/٢٧، التقييد ١/١٠، الصغاني ص ٣، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/٧٠، ماتمس إليه حاجة القاريء ص ٢٩، تاريخ الإسلام ص ٢٤٦، ٢٥٧، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٣١، طبقات السبكي ٢/٢١٨، البداية والنهاية ١١/٢٦، تغليق التعليق ٥/٤١١، تهذيب التهذيب ٩/٥٢، مقدمة الفتح ص ٤٨٥ واللفظ له. وفي السير: «ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من محمد بن إسماعيل».

قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر القدسي: «وحسبك بإمام الأئمة ابن خزيمة يقول فيه هذا القول مع لقيه المشايخ والأئمة شرقاً وغرباً».

وقال أيضاً: «ولا عجب فإن المشايخ قاطبة أجمعوا على قَدَمه وقَدَموه على أنفسهم في عنفوان شبابه. وابن خزيمة رآه عند كبره وتفردته في هذا الشأن». (ذكره النووي في ماتمس إليه حاجة القاريء ص ٢٩، وتهذيب الأسماء واللغات ١/١/٧٠).

(٣) الإمام الحافظ الكبير القدوة شيخ الإسلام أبو عمرو أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري، المعروف بالخفاف. ت ٢٩٩هـ. وهو من أبناء الثمانين (سير اعلام النبلاء ١٣/٥٦٠).

ومن قال فيه شيئاً فعليه مني ألف لعنة^(١).» وقال أيضاً: «لو دخل من هذا الباب وأنا أحدث لمئت منه رُعباً»^(٢).

١١- وقال عبدالله بن حماد الأملي^(٣):

«لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَعْرَةً فِي جَسَدِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ»^(٤).

١٢- وقال سُليمان بن مُجاهد: «ما رأيت منذ ستين سنةً أحداً أفقهَ ولا

(١) تاريخ بغداد ٢/٢٧، تاريخ دمشق ١٥/٤٨/أ، تاريخ الإسلام ص ٢٥٠، ٢٥٨، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٣٥، ٤٣٦، طبقات السبكي ٢٢١، ٢٢٥، تحفة الأخباري ص ٢٠٢، تغليق التعليق ٥/٤١٢، مقدمة الفتح ص ٤٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ٢/٢٨، تاريخ دمشق ١٥/٤٨/أ، طبقات السبكي ٢/٢٢١، ٢٢٥، تحفة الأخباري ص ٢٠٣، تغليق التعليق ٥/٤١٢، مقدمة الفتح ص ٤٨٥، تهذيب التهذيب ٩/٥٤.

وقال أبو عمرو الخفاف أيضاً: «حدثنا محمد بن إسماعيل التقى النقي العالم الذي لم أر مثله».

تاريخ بغداد ٢/٢٨، تاريخ دمشق ١٥/٥١/ب، تهذيب الأسماء واللغات ١/٦٩، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٢٨، تاريخ الإسلام ص ٢٥٨، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٣٦، ٤٤٢، طبقات السبكي ٢٢٥، تغليق التعليق ٥/٤١٢، تهذيب التهذيب ٩/٥٤، مقدمة الفتح ص ٤٨٥.

(٣) الإمام الحافظ البارع الثقة أبو عبدالرحمن الأملي، أمل جيحون، بليدة من أعمال مرو. ت ٢٧٣ وقيل ٢٦٩هـ. قيل روى عنه البخاري، ونفاه الذهبي. تهذيب الكمال ١٤/٤٢٩، سير أعلام النبلاء ١٢/٦١١، التقريب ص ٥٠١ وقد تحرف «الأملي» في الأصل ومقدمة الفتح إلى «الأيلي».

(٤) تاريخ بغداد ٢/٢٨، تاريخ دمشق ١٥/٥١/ب، تهذيب الأسماء واللغات ١/٧٠، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٢٨، تاريخ الإسلام ص ٢٥٨، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٣٧، ٤٤٢، تحفة الأخباري ص ٢٠٣، تغليق التعليق ٥/٤١٢، مقدمة الفتح ص ٤٨٥.

أورَعَ من محمد بن إسماعيل»^(١).

١٣- وقال موسى بن هارون الحمّال الحافظ البغدادي:

«لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن يُنصبُوا آخر مثل محمد بن إسماعيل لما قدرُوا عليه»^(٢).

وهذا غيض من فيض من أقوال مشاهير العلماء الذين اعترف الناس بفضلهم وعلمهم، والذين يفتخر بهم المسلمون في العلم والتحقيق، وقد حاولت فيه الاختصار من تقييد المهمل، ومقدمة فتح الباري، ولا تسع هذه العجالة لأكثر من هذا، فمن أراد التوسع فليرجع إلى طبقات الشافعية الكبرى والفوائد الدراري ومقدمة فتح الباري.

(١) تاريخ الإسلام ص ٢٦٣، سير أعلام النبلاء ٤٤٩/١٢، طبقات السبكي ٢٢٧/٢، تغليق التعليق ٤١٢/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ٢٢/٢، تاريخ دمشق ٤٩/١٥/ب، التقييد ١٠/١، سير أعلام النبلاء ٤٣٤/١٢، تحفة الأخباري ص ٢٠٣، تغليق التعليق ٤١٣/٥، وقوله «ينصبوا» وقع في مقدمة الفتح (ص ٤٨٥) «يصيبوا» وما أثبتته من المصادر الأخرى.

الإمام البخاري في نظر من تأخر عنه

لو أردنا أن نذكر أقوال العلماء المتأخرين التي وردت في مدح الإمام البخاري والثناء عليه لاحتجنا إلى دفاتر وسجلات، ولقد صدق الحافظ ابن حجر إذ قال:

«ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره لفني القرطاسُ ونفدت الأنفاسُ، فذاك بحرٌ لا ساحلَ له، وانما ذكرت كلام ابن عُقْدَةَ^(١) وأبي أحمد^(٢) عنوانًا لذلك. وبعد ما تقدم من ثناء كبار مشايخه عليه لا يحتاج إلى حكاية من تأخر، لأنَّ أولئك إنما أثنوا بما شاهدوا، ووصفوا ما علموا بخلاف من بعدهم، فإنَّ ثناءهم ووصفهم مبنيٌّ على الإعتماد على ما نقل إليهم، وبين المقامين فرقٌ ظاهرٌ، وليس العيانُ كالخبر»^(٣).

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد، الكوفي، الحافظ العلامة أحد أعلام الحديث... على ضعف فيه. ت ٣٣٢هـ (سير أعلام النبلاء ١٥/٣٤٠).

وقوله هو: «لو أن رجلاً كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ محمد ابن إسماعيل». تاريخ بغداد ٨/٢، تغليق التعليق ٥/٤١٣، تهذيب التهذيب ٤٨/٩، مقدمة الفتح ٤٨٥.

(٢) أبو أحمد الحاكم الكبير، محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق. ت ٣٧٨هـ، صاحب كتاب الأسامي والكنى المشهور. وقوله في البخاري هو: «كان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه. ولو قلت: إني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في الحسن والمبالغة لفعلت (مقدمة الفتح ص ٤٨٥) وآخره في التغليق: «رجوت أن أكون صادقاً في قلبي» (١٣/٥).

(٣) مقدمة الفتح ص ٤٨٥.

وقال الإمام النووي: «واعلم أن وصف البخاري رحمه الله بارتفاع المحل =

وكنت قد عقدتُ العزمَ على أن أتوسَّع في ذكر الأقوال التي وردت في مدح الإمام البخاري والثناء عليه من العلماء المتأخرين، وأجعل لأقوال أهل العلم في كل قرن عناوين مستقلة ولكن هذا فيه تطويل لا طائل تحته، وقد ألحَّ عليَّ أصدقاؤني بالإحجام عن هذه الفكرة، ولا شك أن هذا العمل يزيد حجم الكتاب بحيث يصعب تحمل نفقات طبعه، ولذلك اضطررت أن اكتفي بالفقرة التي نقلتها آنفاً، فمن أراد جمعها فليلتقطها من شروح صحيح البخاري وكتب التاريخ والرجال.

ولكن مع ذلك ونظراً إلى أن هذا الكتاب أُلِّف في اللغة الأردنية، وأغلب الفاهمين لهذه اللغة يتقيد باجتهادات العلماء الذين يوافقونهم في مذهبهم. أحببت أن أذكر بعض الأقوال لعلماء مذهبهم لتطمئن قلوبهم.

١- فقد قال العلامة العيني الحنفي:

«الحافظ الحفيظ الشهير المميز الناقد البصير الذي شهدت بحفظه العلماء الثقات، واعترفت بضبطه المشايخ الأثبات، ولم ينكر فضله علماء هذا الشأن ولا تنازعَ في صحة تنقيده اثنان: الإمام الهمام حجةُ الإسلام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري»^(١).

ويقول أيضاً في صحيح البخاري:

= والتقدم في هذا العلم على الأمثال والأقران متفق عليه فيما تأخر وتقدم من الأزمان ويكفي في فضله أن معظم من أثنى عليه ونشر مناقبه شيوخه الأعلام المبرزون والحقاق المتقنون. «تهذيب الأسماء واللغات ٧١/١/١، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٣٠.

(١) عمدة القارئ ٥/١.

اتفق علماء الشرق والغرب على أنه ليس بعد كتاب الله تعالى أصح من صحيح البخاري ومسلم^(١).

وقال أيضًا: «قد أطبق على قبوله بلا خلاف علماء الأسلاف والأخلاف»^(٢).

٢- وقال العلامة ابن عابدين الشامي صاحب رد المحتار شرح الدر المختار:

«الإمام البخاري معجزةٌ للرسول البشير النذير، حيث وجد في أمته مثل هذا الفرد العديم النظير، من كان وجوده من النعم الكبرى على العالم، أمير المؤمنين في الحديث، أحد سلاطين الإسلام الإمام المجتهد: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم، أمير المؤمنين وسلطان المحدثين الحافظ الشهير والناقد البصير. وقد أجمع الثقات على حفظه وإتقانه وجلالة قدره عما عداه من أهل عصره».

وقال أيضًا عن صحيح البخاري:

«وكتابه أصحُّ الكتب بعد كتاب الله ذي الجلال، وأصح من صحيح مسلم على أصح الأقوال»^(٣).

٣- وقال الشيخ نور الحق بن الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي الحنفي:

«هو (الإمام البخاري) ما كان له مثيل في عصره في حفظ

(١) أيضًا ٨/١.

(٢) أيضًا ٥/١.

(٣) عقود اللآلي في مسند العوالي طبعة مصر (المؤلف).

الأحاديث وإتقانها وفهم معاني الكتاب والسنة، وحدة الذهن وجودة القريحة ووفور الفقه وكمال الزهد وغاية الورع، وكثرة الاطلاع على طرق الحديث وعللها، ودقة النظر، وقوة الاجتهاد واستنباط الفروع من الأصول»^(١).

والحق أن الاستدلال على تبهر إمام المحدثين في العلم وذكائه وقوة اجتهاده وسيلان ذهنه بأقوال المتأخرين كرفع السراج أمام الشمس، وما أصدق القائل:

طلوع الشمس دليل على الشمس^(٢)

ومن العبث أن نستدل على علو منزلة الإمام البخاري بأقوال الشيخ عبدالحق المحدث، أو العلامة بحر العلوم اللكنوي وغيرهما من الأفاضل، بل العكس أن هذا نيل من عظمة شأنه. ولقد صدق الإمام السبكي إذ قال:

علا عن المدح حتى ما يُرَانُ به كَأَنَّمَا المَدْحُ مِنْ مِقْدَارِهِ يَضَعُ^(٣)

(١) تيسير القارىء في شرح صحيح البخاري بالفارسية ٣/١.

(٢) والنص الفارسي (آفتاب آمد دليل آفتاب).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/٢١٢. وذكر بعده سبعة أبيات أخرى. ولكنه لم ينسبها إلى نفسه ولا ذكر من القائل. وذكرها السخاوي أيضاً في عمدة القارىء والسماع ص ٥٦. ولم يذكر اسم القائل.

طرائف عن الإمام البخاري من أهل «الأفكار العالية»

بالغ بعض أهل «الأفكار العالية» من المقلدين في سعة تصورهم وبعد طيران أفكارهم حتى جعلوا عيسى عليه السلام والإمام المهدي^(١) من مقلدي أئمتهم، فقال الحنفية: إن إمام آخر الزمان سيكون حنفياً^(٢)، وقال الشافعية: «سيكون شافعيًا».

(١) لمعرفة حقيقة مسألة المهدي المنتظر وما ورد فيها يمكن الرجوع إلى كتابي «المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال أهل العلم وآراء الفرق والمذاهب المختلفة» و«الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة».

(٢) قال في الدر المختار مع حاشية الطحطاوي (ص ٣٤، ٥٥): قد جعل الله الحكم لأصحابه وأتباعه من زمنه إلى هذه الأيام إلى أن يحكم بمذهبه عيسى عليه الصلاة والسلام وقال العلامة الطحطاوي: «ادعى بعض الحنفية أن كلاً من عيسى والمهدي يقلدان مذهب الإمام أبي حنيفة». ثم قال: «إلا أن الشافعية يقولون بموافقة اجتهاده للشافعي (المؤلف)».

وانظر الدر المختار للحصكفي ١/ ٥٦ مع شرحه المعروف بحاشية ابن عابدين ط. مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨٦هـ وقال ابن عابدين في حاشيته «تبع فيه القُهستاني، وكأنه أخذه مما ذكره أهل الكشف أن مذهبه آخر المذاهب انقطاعاً». ثم نقل كلام الشعراني في الميزان وقال: لكن لا دليل في ذلك على أن نبي الله عيسى يحكم بمذهب أبي حنيفة، وإن كان العلماء موجودين في زمنه فلا بد له من دليل. ولهذا قال الحافظ السيوطي في رسالة سماها «الإعلام» ما حاصله أن يقال إنه يحكم بمذهب من المذاهب الأربعة باطل لا أصل له... ثم قال ابن عابدين: «وما يقال إن الإمام المهدي يقلد أبا حنيفة ردّه على القاري في رسالته «المشرب الوردى في مذهب المهدي» وقرر فيها أنه مجتهد مطلق. ورد فيها ما وضعه بعض الكذابين من قصة طويلة...».

حتى إن رجلاً سليم الطبع مثل صوفي وقته العلامة محي الدين ابن عربي^(١) قد تألّم من ذلك ألماً لم يستطع أن يصبر عليه مع سداجة قلبه، وسوّد صفحات في كتابه «الفتوحات المكية» لبحث هذا الموضوع.

فلم يكن من المعقول أن يسكت أصحاب هذه الأفكار البعيدة عن إمام المحدثين.

قال العلامة العجلوني:

«تنبيه: ما تقدم آنفاً من أخذ البخاري عن الكرايسي^(٢)، والزعفراني^(٣)

(١) أبوبكر محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي المُرسي، نزيل دمشق، توفي في ربيع الآخر سنة ثمانٍ وثلاثين وست مائة. من زعماء التصوف والدعاة إلى وحدة الوجود. وله شطحات وانحرافات عقدية كثيرة ولا سيما في كتابه «فصوص الحكم» بينها العلامة برهان الدين البقاعي الشافعي (ت ٨٨٥هـ) في كتابه «تنبيه الغبي» وغيره من الأئمة والعلماء. قال الإمام الذهبي: «من أردّ تواليفه كتاب «الفصوص» فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، فواغوثاه بالله» سير أعلام النبلاء ٤٨/٢٣.

(٢) أبو علي الحسين بن علي بن يزيد البغدادي، صاحب التصانيف، أخذ الفقه من الإمام الشافعي. هجره الإمام أحمد وأصحابه من أجل مسألة اللفظ. قال الذهبي: «وهو أول من فتن اللفظ ولما بلغ يحيى بن معين أنه يتكلم في أحمد قال: ما أحوجه إلى أن يضرب، وشتمه».

سير أعلام النبلاء ٨٠/١٢، ميزان الاعتدال ٥٤٤/١، تهذيب التهذيب ٣٥٩/٢.

(٣) الإمام العلامة شيخ الفقهاء والمحدثين أبو علي الحسن بن محمد بن الصبّاح الزعفراني البغدادي. قال الذهبي: قرأ على الشافعي كتابه القديم وكان مقدماً في الحديث ثقة جليلاً، عالي الرواية. كبير المحل، حدث عنه البخاري وأبو داود =

وأبي ثور^(١) أن^(٢) يكون شافعيًا. وقد اختلف في مذهبه، فقليل: إنه شافعي المذهب^(٣)، وجرى عليه التاج السبكي في طبقاته، فقال:

وذكره أبو عاصم في كتابه طبقات أصحابنا الشافعية، وقال: إنه سمع من الكرابيسي وأبي ثور والزعفراني، وتفقه على الحميدي، وكلهم من أصحاب الشافعي - انتهى^(٤)» وقيل: إنه حنبلي، وذكره أبو الحسن بن العراقي^(٥) في أصحاب الإمام أحمد بن حنبل^(٦). وأسند عن

= والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم، ت ٢٦٠هـ. سير أعلام النبلاء ١٢/٢٦٢.

(١) الإمام الحافظ الحجة المجتهد، مفتي العراق، أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي الفقيه، ت ٢٤٠هـ. حدث عنه أبو داود وابن ماجه ومسلم خارج الصحيح. قال ابن كثير أخذ الفقه عن الشافعي وأحمد بن حنبل وطبقتهما.

تهذيب الكمال ٨٠/٢، سير أعلام النبلاء ٧٢/١٢، طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٩٨/١.

(٢) كذا فيما ذكره المصنف عن العجلوني. ولعل الصواب «يقتضى أن يكون إلخ».

(٣) وقد ورد في صحيح البخاري ردٌ صريح على بعض اجتهادات الإمام الشافعي في بعض المسائل الفقهية: مثل نجاسة غسالة الشعر، وصلاة الجمعة عن الأربعين. (المؤلف)

(٤) ذكره السبكي في طبقات الشافعية ٢/٢١٤.

(٥) كذا فيما ذكره المصنف عن العجلوني بنصه بالعربية. ولم أعرف من هو؟ وقد ذكر الدكتور عبدالرحمن العثيمين في مقدمة تحقيقه لكتاب المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح (ت ٨٨٤) تسعة وثلاثين كتابًا ألفت في تراجم الحنابلة. ولم أجد فيها كتابًا لهذا المصنف. فلعل الصواب: «أبو الحسين بن أبي يعلى». والله أعلم.

أما البخاري فقد ترجمه غير واحد ممن ألف في طبقات الحنابلة. فليُنظر:

١- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ت ٥٢٦هـ ١/٢٧١.

٢- المقصد الأرشد لابن مفلح ت ٨٨٤هـ ٢/٣٧٥.

٣- المنهج الأحمد للعليمي ت ٩٢٨هـ ١/٢٠٤.

(٦) إن كان التلمذ سببًا للتقليد فلماذا يستثنى منه الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي مع =

البخاري أنه قال :

دخلتُ بغداد آخر ثمان مرات ، وكل ذلك أجالسُ أحمد بن حنبل ، فقال لي في آخر ماودعته : «يا أبا عبدالله تترك العلم والناس ، تصير إلى خراسان» قال البخاري : «فأنا الآن أذكر قوله^(١)» .

ولكن الأسف أن أحدًا لم يذكره في الحنفية ، مع أنه إن أمكن أن يقال له «حنبليٌّ» أو «شافعيٌّ» لأجل تفقهه فمن الممكن أن يقال له «حنفيٌّ» أيضًا ، لأنه في بداية أمره قبل رحلته تعلم الفقه الحنفيَّ وأصول تخريجه بل حفظه حفظًا تامًّا ، وقد قال بنفسه :

«عرفتُ كلام هؤلاء يعني أصحاب الرأي^(٢)» .

ولكن الأسف أن أحدًا لم «ينتبه» لهذا ، ولعل ما ورد في صحيحه من «بعض الناس» قد صرفهم عن هذا ، إلا أن الأسف على أولئك الذين تيسر لهم الاطلاع على طبقات الشافعية ومع ذلك يقولون في الإمام البخاري «إنه شافعي المذهب» مع أن أبا عاصم^(٣) والسبكي وابن

= أن كتب علوم الحديث تذكر بصراحة أن الإمام أبا حنيفة تتلمذ على مالك (انظر التدريب ٧٩/١ ، ٨٠) وغني عن البيان تلمذ الشافعي على مالك ، فلماذا لم يكونا مالكيين؟ (المؤلف) .

(١) تاريخ بغداد ٢/٢٢-٢٣ ، الطبقات للسبكي ٢/٢١٧ ، وقد سبق تخريجه . وإلى هنا انتهى ما ذكره المؤلف من العجلوني بلفظه بالعربية ولم اطلع على كتاب العجلوني .

(٢) مقدمة الفتح ٤٧٨ . وقد سبق تخريجه .

(٣) أبو عاصم محمد بن أحمد العبَّادي الهروي ، ت ٤٥٨ هـ ، له كتاب «طبقات الفقهاء» مطبوع . مترجم في سير أعلام النبلاء (١٨٠/١٨) وغيره .

المُلقَّن^(١) وغيرهم قد درجوا على اصطلاح خاص، وهو أنهم يُعدُّون كل من تتلمذ على الإمام الشافعي أو الإمام أحمد في طبقات الشافعية أو الحنابلة، ولو أنه خالفهما في المذهب، أو كان له مذهبٌ مستقل، وكان من أصحاب الاجتهاد، ولذلك ذكر أبو عاصم والسبكي في طبقات الشافعية الإمام أحمد بن حنبل^(٢) وداود الظاهري^(٣) وغيرهما مع أن هؤلاء اصحاب اجتهاد وأصحاب مذاهب مستقلة بلا خلاف.^(٤)

والحقيقة أن أهل التقليد لما ادعوا وجوب تقليد أحد الأئمة، وخاصة الأئمة الأربعة لم يعد بإمكانهم بعد ذلك أن يعترفوا لأحد بأنه من أهل التحقيق، أو يعترفوا بعلمه وقوة اجتهاده أمام تخريجات إمامهم، ولو كان بوسعهم لارتفعوا إلى التابعين والصحابة وجعلوهم مقلدين لأئمتهم، ألا ترى أنهم عدُّوا عيسى عليه السلام - هو من أولى العزم من الرسل - والإمام المهدي حنفياً أو شافعيًا.

وقد ذكر العلامة العجلوني قولاً ثالثاً بعد القولين المذكورين، وهو: «وقيل: كان مجتهداً مطلقاً واختاره السخاوي، قال: وأميل لكونه

(١) سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن المُلقَّن، ت ٨٠٤، له كتاب «العقد الذهب في طبقات حملة المذهب». (معجم المؤلفين ٢٩٧/٧). وكتابه مطبوع أيضاً.

(٢) الطبقات للسبكي ٢٧/٢ - ٦٣.

(٣) الطبقات للسبكي ٢٨٤/٢ - ٢٩٣.

(٤) وقد صرَّح بذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله في كتابه طبقات الفقهاء الشافعيين فقال في أول الطبقة الأولى: «... ثم ليعلم أن فيهم من هو مشهور بأنه من أهل مذهبه، وفيهم من هو دون ذلك في الشهرة، وفيهم من هو مشكوك في كونه من أهل المذهب، وفيهم من هو معروف بأنه من غير مذهبه، وفيهم جماعة من أئمة الحديث أحببنا أن نترجمهم لأجل روايتهم عن الشافعي...» (٩٧/١).

مجتهداً مطلقاً. صرح به تقي الدين ابن تيمية فقال: إنه إمام في الفقه من أهل الاجتهاد^(١).

(١) وهكذا العلامة الشامي والشيخ نور الحق وشيخ الإسلام وآخرون قد صرحوا بأنه كان من أهل الاجتهاد المطلق، وقال صاحب الفيض: إن البخاري مجتهد لا ريب فيه، وما اشتهر أنه شافعي فلموافقه إياه في المسائل المشهورة - انتهى، وقد بسط شيخنا الكلام على مذاهب أصحاب الصحاح الست في مقدمة تحفة الأحوزي ٣٥٥-٣٥٠/١ فارجع إليها. (عبدالله الرحماني).

قلت: ونص قول العجلوني هذا موجود في مقدمة تحفة الأحوزي أيضاً ٣٥٥/١.

وقال السخاوي في «عمدة القارئ والسماع في ختم الصحيح الجامع» في صدد ترجمته للإمام البخاري: «ومن تأمل اختياراته الفقية في جامعه عِلِمَ أنه كان مجتهداً مُؤَفَّقاً مُسَدِّداً، وإن كان كثير الموافقة للشافعي.» وذكر قول السبكي وعده الإمام البخاري في طبقات الشافعية ثم قال: «والميل لما تقدّم من كونه مجتهداً أكثر.» (ص ٥٩-٦٠).

وأما قول شيخ الإسلام ابن تيمية ففي الفتاوي (٤٠/٢٠) حيث سئل عن مذاهب بعض أئمة الحديث. فقال: «أما البخاري وأبو داود وإمامان في الفقه من أهل الاجتهاد.» إلخ.

الإمام البخاري وذكره في طبقات الصوفية

مما يستغرب منه القراء أن المحقق المعروف العلامة الشَّعْرَانِيَّ^(١) ذكر إمام المحدثين في عداد أولئك الصوفية الذين يحتج بهم ويقتدى بهم في التصوف، فقد ذكر في كتابه القيم^(٢) الذي خصصه بذكر أحوال أئمة الصوفية وأولياء الله وذكر فيهم الإمام البخاري^(٣)، وقال في وصف كتابه:

«فهذا الكتاب لخصت فيه طبقات جماعة من الأولياء الذين يقتدى بهم في طريق الله عز وجل من الصحابة والتابعين إلى آخر القرن التاسع وبعض العاشر^(٤)»

هذا الكتاب جزء من كتابه المعروف بالطبقات الكبرى، وقد سمى المصنف هذا الجزء «لواقح الأنوار في طبقات الأخيار^(٥)» وقد ظهر من

(١) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، من علماء المتصوفين، ولد في ٨٩٨هـ بقلقشندة في مصر ومات ٩٧٣هـ في القاهرة. من مصنفاته: الميزان الكبرى، لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، ويعرف بطبقات الشعراني الكبرى، وغيرهما. الأعلام ١٨٠/٤.

(٢) وفيه الكثير من الخرافات. انظر أمثلة منها في كتاب «التصوف بين الحق والخلق» ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) الطبقات الكبرى ص ٩٢. طبعة دار الكتب العلمية. بيروت.

(٤) لواقح الأنوار في طبقات الأخيار ٣/١ (ص ٦. طبعة دار الكتب العلمية. بيروت).

(٥) يبدو من صنيع بعض المترجمين والناشرين أن «الطبقات الكبرى للشعراني» و«لواقح الأنوار في طبقات الأخيار» اسمان لكتاب واحد للشعراني، ولكن المؤلف رحمه الله =

قوله أنه خصص هذا الكتاب بذكر أولياء الله الكاملين ذوي النفوس القدسية، ثم ذكر غاية تصنيفه هذا فقال:

«ومقصودي بتأليفه فقه طريق القوم في التصوف من آداب المقامات والأحوال لا غير^(١)».

ستستغرب وتتعجب طائفتان من الناس من ذكر الإمام البخاري في طبقات الصوفية.

أما أولاهما: فهي جماعة المتصوفة الحاليين، فنظرًا إلى التصوف العملي الشائع في هذا العصر من المستغرب جدًا أن يقال إن الإمام البخاري كان من الصوفية الكاملين المشهود لهم بذلك، فلم يكن هناك عند الإمام البخاري احتفال بالأموات وقبورهم، ولا مجالس الغناء والسمع، ولا تصور الشيخ، ولا تغطية الأعين، ولا الأربعينات، ولا عادة ملء الجرّة، ولا الاستغاثة بالأموات ولا القبور ولا قل، ولا الفاتحة، ولا العيش على نذور المريدين، ولا قرابين القبور، ولا قيام المولد ولا الموالد بما فيها، ولا التعانق مع أهازيج الغزل والتشبيب، ولا رقصات أهل الحال، ولا عقيدة وحدة الوجود، ولا الصلوات الغوثية، ولا مراقبة كشف القبور.

بل كل ما كان عنده هو دروس أحاديث رسول الله ﷺ، والتمسك بها، والمذاكرة بها. وكل هذه الأشياء مما يُقلع التصوف من أساسه ويستأصله من جذوره.

= قد جعل اللواقع جزءًا من الطبقات (المراجع).

(١) لواقع الأنوار في طبقات الأخيار ٣/١ (الطبقات الكبرى ص ٦).

والجماعة الثانية، هي جماعة أهل الحديث، فمعتقد هذه الجماعة أن الإمام البخاري كان مولعًا بسيرة رسول الله ﷺ، وقد بذل حياته كلها في تدوينها ونشرها واتباعها وكان يجتنب البدع كلها، ولذلك كان الإمام يحسب كل الفرق الجديدة من المبتدعة والمحدثة، وقد ردَّ عليها بكل حماس في صحيحه، حتى إنه كان يسمى من لم يقل بزيادة الإيمان ونقصانه مرجئًا لورود ذكره صراحةً في الأحاديث، فبالنظر إلى حياة الإمام البخاري كيف يسوغ أن يُذكر في الصوفية وذلك لأن التصوف أمرٌ محدثٌ، والزعم بأن الإمام البخاري كان من الصوفية وصمة عار على جبينه الطاهر.

ولا شك في أن التصوف الذي أساء إلى سمعة متبعيه إساءة بالغة في هذه الأيام، كان أمرًا محمودًا وذا خير وبركة في يوم من الأيام إذ كان يتميز بالتمسك الشديد بالأحكام الشرعية، والالتزام بالإيثار، والسعى في إصلاح الناس، وحب اتباع سنة الرسول ﷺ، والصبر والإستقامة على المصائب، والاستعداد الكامل للجهاد في سبيل الله، وعدم الثأر للنفس، ونشر مكارم الأخلاق، والزهد في الدنيا، والمواظبة على الورع، واجتناب البدع. وخلاصة القول أن التصوف كان عبارة عن اتباع الكامل للعزائم الشرعية، والمقاصد الأساسية، وتجسيد هذه المعاني والخصال الحميدة، ومن الذي لا يحمّد هذه الأشياء. وقد كانت هذه الخصال هي التي جعلت أصحاب رسول الله ﷺ من التراب تبرًا، ومن النحاس ذهبًا، وتسمية هذه الأشياء بالتصوف لا شك أنه اصطلاحٌ مُحدثٌ، ولكن لا حرج في ذلك إذ اتضح الغرض والمقصود، ولا مشاحة في الاصطلاح.^(١)

(١) سوف يذكر المصنف رحمه الله في السطور القادمة كلامًا جيدًا ومفيدًا عن التصوف =

ومن السنن الكونية في هذا العالم «التغير» وما كان للتصوف أن يُستثنى من هذا القانون، فقد تلوّن بعدة ألوان مع مرور الزمن واختلاط الأقسام والأديان، فإن سمح إخواني الذين يريدون الحفاظ على صفاء دينهم ونقاؤه فمن الممكن أن نقول (وإن كان اصطلاحاً جديداً) إن التصوف في بداية أمره كان عبارة عما جرى عليه الرسول ﷺ، وتبعه عليه أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين. وهو محفوظٌ إلى يومنا هذا بدون نقص أو زيادة في كتب السنة ودواوين الحديث، وكان التصوف على وضعه الأصلي قبل أن تغزو الفلسفة اليونانية أفكار المسلمين، وتختلط بها الكاثوليكية النصرانية، ولكن دخلت الفلسفة وغزت الكثرة، وتأثر بهما التصوف تأثراً شديداً، فوحدة الوجود مسألة مهمة في الفلسفة اليونانية، وقد أصبحت جزءاً لازماً للتصوف. فزعم ابن منصور الحلاج^(١): «أنا الحق» وقول الشاعر الصوفي الآخر:

= ولكن في ما يتعلق بالتفريق بين أصل التصوف وما آل إليه عند المتأخرين أعجبني كلام الأستاذ مسعود الندوي رحمه الله في تعليقه له في كتابه الشهير «محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه» حيث انتقد «هذا الخليط المركب من الفلسفة اليونانية وفيدا الذي أسماه الناس تصوفاً» ثم قال في الحاشية:

«اقترح عليّ بعض الأصدقاء أن لا أخالف التصوف بوجه عام بل استعمل كلمة «صوفية سوء» للمتصوفة المحتالين والمبتدعين كما أن كلمة «علماء سوء» تطلق على العلماء غير العاملين. ولا مانع عندي من قبول هذا الاقتراح لو لم أشاهد تلك المفاسد والويلات التي جرّها التصوف. أما الذين يدعون إلى الإحسان والتزكية على طريقة الاسلام فمن الذي يخالفهم. ولكن الخلاف إنما هو في هذا الاصطلاح المبتدع «التصوف» الذي راجت تحت ستاره أسواق الخداع والدجل في ضحوة النهار. ولا أرى طريقة للتخلص من هذه الفتنة العمياء سوى أن نخلع ونرمي هذه الجبة بالمرّة. (ص ١٣٤)».

(١) في الأصل «منصور» والتصويب من مصادر ترجمته وهو كما قال الإمام الذهبي في =

لقد وضعنا أيدينا في يد الله فكيف نبالي بالمصطفى (ﷺ)؟^(١)

أى لماذا أبالي بالمصطفى؟ نتيجة هذا التصوف. والزعيم بأن الرسول ﷺ وغيره من الأولياء والصالحين موجودون في كل مكان وإدعاء حلول الخالق بالمخلوق، والمخلوق بالخالق كله من أكاذيب هذه التخيلات. وفصوصُ الحكم^(٢) ومؤلفات نصير الدين محمد الطوسي^(٣) وما شاكلها ناتجة من آثار هذا الاختلاط، فقد أخذ التصوف من الفلسفة اليونانية تلك المباحث الدقيقة التي لا يمكن أن تفهمها عقول العامة من الناس. وهكذا أصبح التصوف أمرًا صعب المنال والفهم.

وَادَّعَوْا أَنَّهُ مَنْقُولٌ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَدْرًا عَنْ صَدْرٍ، فَكَلَّمَا بَرَعَ الشَّخْصُ فِي الْفَلَسَفَةِ زَعَمَ النَّاسُ أَنَّهُ كَمَلَ فِي التَّصَوُّفِ وَاعْتَبَرَ التَّصَوُّفُ فَنًّا دَقِيقًا جَدًّا، وَهَذَا هُوَ الدَّورُ الثَّانِي لِلتَّصَوُّفِ، وَهَنَا يَصْبِحُ التَّصَوُّفُ الْفَلَسَفَةُ الْيُونَانِيَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ.

= الميزان: «الحسين بن منصور الحلاج، المقتول على الزندقة، ماروى ولله الحمد شيئاً من العلم. وكانت له بداية جيدة وتأله وتصوف، ثم انسلخ من الدين وتعلم السحر وأراهم المخاريق. أباح العلماء دمه وقُتِلَ سنة ٣١١هـ (الميزان ٥٤٨/١) وله ترجمة مطولة في سير أعلام النبلاء (٣١٣/١١ - ٣٥٤) وغيره من الكتب.

(١) نصه في الفارسية:

بنجه در بنجه خدا داريم ما جه بروائي مصطفى داريم

(٢) كتاب من كتب ابن عربي الحاتمي، سبق ذكره في ترجمته تعليقاً.

(٣) هو محمد بن محمد بن الحسن أبو جعفر نصيرالدين الطوسي، فيلسوف ولد ٥٩٧هـ - ١٢٠١م وتوفي ببغداد سنة ٦٧٢ - ١٢٧٤م (الأعلام ٢٥٧/٧ - ٢٥٨، معجم المؤلفين ٢٠٧/١١هـ) (المراجع).

وبعد هذا أخذ التصوف لونًا ثالثًا^(١)، وذلك بعد الاختلاط بأفكار البراهمة الهندوس والكهان والنسك والمجوس، وأصبح تصوّر الشيخ جزءًا لازمًا في التصوف، الذي ينطبق عليه قول الله تعالى ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾^(٢) وأصبحت الرياضات والعمليات المخترعة هي روح التصوف وقلبه، وما هي إلا تمرينات وتدريبات على الأعمال والرياضات البرهمية النسكية الكهنوتية الكافرة، ويضاف إلى ذلك إقامة الأعياد للموتى، والطواف حول القبور، ودعاء الأموات، ووضع الأكسية على القبور، والاعتقاد بأن الرسول ﷺ وغيره من الأولياء كانوا يعلمون الغيب، والخلوّة الأربعينية^(٣) وغمض الأعين

(١) حسبنا دليلاً على قولنا هذا ما نشره الشيخ النعماني في مجلة الندوة، السنة الثانية، العدد الحادي العشر، حيث قال: «كثير من أفاضل المسلمين تتلمذوا على آذر كيوان (وهو رجل مجوسي) ولما كان صوفيًا موحدًا درجوا في مدارج السلوك على يديه، ومنهم محمد علي الشيرازي، ومحمد سعيد الأصبهاني، وعاشور بك، ومحمود بك، قد ذكر أحوالهم بالتفصيل صاحب دبستان، ويتحير الناس من أن الشيخ بهاء الدين عاملي كان قد استفاد من صحبة آذر كيوان، وتعلم آذر كيوان مدارج السلوك من الموبدان دليل بين على أن هذا التصوف ليس من الاسلام في شيء، ولا نقل بالصدور عن النبي ﷺ من طريق أبي بكر رضي الله عنه أو من طريق علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، ولذلك نرى أناسًا متصوفة في جميع أصحاب الأديان كاليهود والنصارى والمجوس والهندوس». وأضاف الأستاذ النعماني قائلاً: «أن «موبد سروي» كان من سلالة زرادشت، وصدرت منه خوارق عديدة، وكان موبد خوشي المجوسي يتيه في الأرض مدة طويلة في البحث عن الحق، وفي الأخير وصل إلى آذر كيوان وتعلم منه مدارج السلوك». انظر مجلة «الندوة» المجلد ٢ العدد ١١.

هذه هي حقيقة التصوف الذي يُدعى أنه نقل بواسطة الصدور من أبي بكر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. (المؤلف).

(٢) الأنبياء: ٥٢.

(٣) انظر التصوف بين الحق والخلق للأستاذ محمد فخر شقفة ص ١٦٩.

وإطالة الشعور، والوجد والسماع، والمراقبة لكشف القبور وغيرها من عشرات الأمور التي تعتبر روح التصوف في هذه الأيام. ومن لم توجد فيه هذه الأشياء فلا يحسبه الناس من الصوفية، ولا هو يعتبر نفسه في عداد الصوفية، وهذا هو الدور الثالث للتصوف.

وإذا نظرنا إلى هاتين الصورتين الأخيرتين من أدوار التصوف أفليس من الغريب أن يذكر في الصوفية إمامٌ مُحَدَّثٌ متشدد في نقد الرجال، يتقيد بشروط شديدة في نقد الأحاديث، ويُعْتَبَرُ إمام القوم في التاريخ ويلقَّبُ بإمام المحدثين، وينظر إلى أولئك الذين يخالفون أحاديث الرسول ﷺ نظرةً ملؤها الكراهية والنفور؟ ورغم كل هذا فقد قال العلامة المذكور: (١)

«ومنهم محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله تعالى عنه، كان رضي الله تعالى عنه من العلماء العاملين، تستنزل الرحمة عند ذكره، كان صائم الدهر، وجاع حتى انتهى أكله إلى ثمرة أو لوزة ورعًا من الله تعالى في ترده إلى الخلاء. ولد رضي الله عنه في بخارى سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي رضي الله عنه ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، ودفن بخرتنك قرية على فرسخين من سمرقند.

«وكان رضي الله عنه، يقول: المادح والذام من الناس عندي سواء وكان يقول: أرجو أن ألقى الله تعالى ولا يطالبني أنني اغتبت أحدًا. وما اشترى شيئًا ولا باعه قط، وكان ورعًا زاهدًا كان ينام في الظلام، وربما قام في الليل نحو العشرين مرة يقدح الزناد ويسرج ويكتب أحاديث، ثم

(١) يعني «الشعراني».

يضع رأسه، وكان يصلي كل ليلة آخر الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر بواحدة منها، وكان يصلي بأصحابه في ليالي رمضان كل ليلة بثلاث القرآن ويختم كل ثلاث ويقول: عند كل ختم دعوة مجابة، وما وضع حديثاً في الصحيح إلا وصلى عقبه ركعتين شكراً لله عز وجل، وكان رضي الله عنه يأكل من مال أبيه لكونه حلالاً، وكان أبوه يقول: «ما أعلم من مالي درهمًا حرامًا ولا شبهة، ومناقبه كثيرة مشهورة، رضي الله تعالى عنه»^(١).

وقد لخص العلامة الشعراني الأسباب التي دعت به إلى أن يعده من أولياء الله وعباده المصطفين، ولعل قراء كتابي هذا يطلعون على هذه الأمور بالتفصيل، وهي روح التصوف، وعلى سبيل المثال بذل العمر في تحقيق الأحاديث ونقدها وتمحيصها ونشرها والولوع بسيرة رسول الله ﷺ وقضاء الحياة كلها في هذا الشغف، واستعذاب المشقات من أجلها، والنظر بكرهية على كل طريقة تخالف طريقة الرسول ﷺ، والرد عليها والتحمس والنشاط في نشر الأحاديث وفقهها والإستقامة على اتباع السنن وغيرها من الأمور.

ولما كان أحد العلماء المشهورين قد أورد ذكر الإمام البخاري وغيره من أكابر الملة الإسلامية أمثال الصحابة والتابعين وأتباع التابعين والأئمة المجتهدين في طبقات الصوفية، أرى من المناسب أن أُلقي نظرةً على التصوف المُحدث، لكي يظهر أن هؤلاء الأكابر كانوا بعيدين كل البعد عن هذا التصوف بيقين، ولكي يتبين أيضاً أن هؤلاء الأكابر إن كانوا صوفية فلا علاقة لذلك التصوف بهذا التصوف الشائع بل كان أمراً مغايراً لهذا.

(١) لوائح الأنوار في طبقات الأخيار ١/ ٦٢، ٦٣ (ص ٩٢، طبعة بيروت).

ونرى أن سلسلة البيعة تعتبر شرطاً أساسياً للتصوف الآن، وبالخصوص سلسلة القادرية والجشتية، والنقشبندية، والمجددية، والصابرية، والشاذلية، والنظامية، والسهرووردية وغيرها، وقد أحدثت حتى الآن مئات الطرق لهذه البيعة وما زالت في ازدياد مستمر، ولا ندري كم من الطرق ستحدث وتخترع في المستقبل. ولكل طريقة آداب وأوراد وأعمال مستقلة خاصة، ولكننا لا نجد في عصر الرسول ﷺ المبارك وبعده في عصور الخلفاء الراشدين والتابعين وأتباع التابعين وبعد ذلك بقرون، لا نجد في هذه العصور أى سلسلة للبيعة ما عدا بيعة الإمارة وبيعة التوبة، وحتى لهاتين البيعتين لم تكن لها سلاسل في العهد النبوي المبارك ولا بعده في عهود الصحابة والتابعين، وأتباع التابعين، ولا يوجد لها أى دليل أبداً، فلم تكن سلسلة البيعة تعقد عند بيعة الإمارة، ولا توجد لها سلسلة أصلاً، وهكذا عند بيعة التوبة كان المبايع يستيب المبايع، ويأخذ منه عهداً بترك المعاصي والغالب أن الذي يُبَايعُ له في التوبة هو الخليفة أو الإمام، وبمرور الأيام لما تحولت الخلافة إلى السلطنة وقامت طائفتان منفصلتان للأمراء والحكام وأئمة الدين، فانتقلت بيعة التوبة من الحكام إلى أئمة الدين، والناس كانوا يتوجهون إلى أحد أئمة الدين من الأتقياء والورعين ويتوبون على يديه. وكان يأخذ البيعة، ولا يبحث لها سلسلةً بأني بايعت في التوبة فلاناً، وهو بايع فلاناً، وبصروف الدهر ومرور الأيام والليالي قامت التكايا وُئِنِتِ الزوايا، فُبُحِثَ عن سلاسل البيعة. وأغلب المسلمين الآن مولعون بهذا، هذه هي حقيقة البيعة^(١).

(١) للاطلاع على بحث كامل في البيعة يرجع إلى «رسالة البيعة» للشيخ سلامة الله الجيراجفوري وهو كتاب مهم وحيد في موضوعه، محيط بالموضوع، وفي أسلوب سهل ومنهج علمي تحقيقي. (المؤلف).

ولما قامت سلاسل البيعة أصبحت لكل سلسلة أعمال وأوراد
وأذكار مستقلة، وكل صاحب تكية سنَّ حسب هواه ورغبته ما أراد من
مريديه ومحبيه، وقد أصبحت فيما بعد كأنها طرق إلهية.

ولإلقاء مزيد من الضوء على هذا التصوف أحب أن أذكر حديثاً
أورده الدَّارِمِيُّ في سننه، يتبين منه أنه مُحدثٌ ومخالفٌ لسنة الإسلام،
وكان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهونه.

من الذي لا يعرف الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؟
[روى الدَّارِمِيُّ بسنده قال:

«أخبرنا الحكم بن المبارك أنا عمرو بن يحيى قال سمعتُ أبي
يحدثُ عن أبيه قال^(١):] كنا نجلسُ على باب عبدالله بن مسعود قبل
صلاة الغداة، فإذا خرجَ مَشيْنَا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى
الأشعريُّ فقال: أَخْرَجَ إليكم أبو عبدالرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس
معنا حتى خرجَ، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا
عبدالرحمن، إني رأيتُ في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله

(١) ما بين المعقوفين زيادة مني، أخذاً من إسناد الحديث في سنن الدارمي التي أخذ
منها المؤلف هذا الحديث أما الأصل فكان فيه: «قال حبر الأمة عبدالله بن عباس
كنا نجلس إلخ» ولم يرد ذكر ابن عباس في هذا الإسناد فالراوي عمرو بن يحيى
يروي عن أبيه وهو عن أبيه، و«عمرو» كان في المطبوع من سنن الدارمي (٦٨/١)
طبعة دهمان و ٦٠/١ طبعة عبدالله هاشم اليماني) «عمر». ولكن ذكر المزي في
شيوخ الحكم بن مبارك «عمرو بن يحيى بن عمرو بن سلمة بن الحارث الكوفي
(١٣٢/٧) فالظاهر أن الصواب هو «عمرو» وجده «عمرو بن سلمة (بكسر اللام):
توضيح المشتبه ١٣٦/٥) هو القائل: «كنا نجلس على باب إلخ» كما ورد اسمه
صريحاً في آخر الحديث» ثم تأكد ذلك حينما رأيت أن الحافظ ابن حجر ذكره هكذا
في إتحاف المهرة (٣٩٩/١٠) في هذا الحديث معزواً إلى الدارمي نفسه.

إلا خيراً. قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيتُ في المسجد قوماً حُلُقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجلٌ، وفي أيديهم حصًا فيقولون: كَبُرُوا مائةً، فيكَبُّون مائةً، فيقولون: هَلَّلُوا مائةً، فيهللون مائةً، ويقولون: سَبَّحُوا مائةً فيسَبِّحون مائةً، قال: فماذا قلتُ لهم؟ قال: ما قلتُ لهم شيئاً انتظاركَ رأيك أو انتظار أمرِك. قال: أفلا أمرتهم أن يَعُدُّوا سيئاتهم وَضَمِنْتَ لهم أن لا يضيعَ من حسناتهم. ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقةً من تلك الحِلَق، فوقفَ عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الله حصًا نَعُدُّ به التكبيرَ والتهلِيلَ والتسبيحَ، قال: فَعُدُّوا سيئاتكم فأنا ضامنٌ أن لا يضيعَ من حسناتكم شيءٌ، وَيَحْكُمَ يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ما أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ، وآنيته لم تُكسر، والذي نفسي بيده إنكم لَعلى ملةٍ هي أهدى من ملةِ مُحَمَّدٍ أو مُفْتَتِحُوا بابَ ضلالةٍ؟ قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخيرَ، قال: وكم من مُريد للخيرَ لن يُصِيبَهُ [إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَأَيُّمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَةً أَوْلَتْكَ الْحِلَقَ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ^(١)].

(١) سنن الدارمي ١/٦٨ - ٦٩. باب في كراهية أخذ الرأي، وما بين المعقوفين زيادة منها تكملة للحديث.

وقد أخرجه أيضاً الطبراني في الكبير ١٣٦/٩، ح ٨٦٣٦ عن طريق مجالد بن سعيد عن عمرو بن سلمة بنحوه. كما رواه بطرق أخرى مختصراً ١٣٣/٩ - ١٣٧. ح ٨٦٢٨، ٨٦٣٩.

وقد ذكره جمال الدين القاسمي في إصلاح المساجد عن الدارمي وقال الشيخ الألباني في تعليقه عليه: «وإسناده صحيح، كما حققته في الرد على الشيخ الحبشي ص ٤٥، ٤٧». (إصلاح المساجد ص ١١ - ١٢).

وبذلك يمكن أن نتصور مدى كراهية أصحاب رسول الله ﷺ، لو رأوا هذه الأوراد والأعمال والأذكار والطرق المحدثه التي أحدثها أصحاب التكايا الصوفية بعد مئات السنين وروّجوها في أتباعهم ومريديهم، وينبغي للمسلمين عامة وللمتصوفين خاصة أن يعتبروا بهذا الأثر الوارد من هذا الصحابي الجليل.

لقد أحدثت اليوم آلاف من الأوراد والأذكار، «كل من جاء بنى عمارة جديدة»^(١) ومن الملاحظ عامة أن أحدهم لو عُرِضَ عليه ورْدٌ أو سنةٌ ثبتت من النبي ﷺ بطريق صحيحة لا يلتفت إليها، ولكن لو ذكر له ورد من أوراد أحد مشايخ الطرق يستعد للعمل فوراً. ندعوا الله أن يهدي الأمة البيضاء، وينقذ المسلمين من هذه الأحابيل لكي يخرجوا من قعر المذلة والهوان، ويرتقوا إلى درجات المجد والرقي وتظهر فيهم سماتُ القرون الأولى، وما أصدق قوله ﷺ «خير الهدى هدى محمد ﷺ»^(٢).

(١) ترجمة النص الفارسي وهو: هر كه آمد عمار تی نو ساخت.

(٢) صحيح مسلم ٥٩٢/٢.

ولمعرفة المزيد عن التصوف والمتصوفة يمكن مطالعة الكتب التالية:

«مصرع التصوف» تأليف العلامة برهان الدين البقاعي ت ٥٨٨٥ بتحقيق الشيخ عبدالرحمن الوكيل.

«هذه هي الصوفية» تأليف الشيخ عبدالرحمن الوكيل.

«التصوف بين الحق والخلق» للأستاذ محمد فخر شققة.

«الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة» للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق.

«التصوف بين الحق والخلق» للأستاذ محمد فخر شققة.

من أقوال الإمام البخاري

كان القاضي الوليد بن إبراهيم البخاري - من تلامذة الإمام البخاري، وكان قاضياً في الرّي - يقول:

«لما بلغت مبلغ الرجال تأقت نفسي إلى طلب الحديث فقصدت محمد بن إسماعيل البخاري وأعلّمته مرادي، فقال لي: يا بُنَيَّ لا تدخل في أمرٍ إلا بعد معرفة حدوده، والوقوف على مقاديره، واعلم أن الرجل لا يصير مُحدّثاً كاملاً في حديثه إلا بعد أن يكتب أربعاً مع أربع، كأربع مثل أربع، في أربع عند أربع، بأربع على أربع، عن أربع لأربع، وكل هذه الرباعيات لا تتم إلا بأربع مع أربع، فإذا تمت له كلّها هان عليه أربع، وابتلي بأربع، فإذا صبر على ذلك أكرمه الله في الدنيا بأربع، وأثابه في الآخرة بأربع».

قال القاضي الوليد:

قلت له: فسّر لي رَحِمَكَ اللهُ ما ذكرت من أحوال هذه الرباعيات، قال: نعم. أما الأربعة التي يحتاج إلى كتبها هي:

«أخبار الرسول ﷺ وشرائعه، والصحابة ومقاديرهم، والتابعين وأحوالهم، وسائر العلماء وتواريخهم، مع أسماء رجالها وكناهم وأمكنّتهم وأزمّنّتهم كالتحميد مع الخطيب والدعاء مع الترسل والبسملة مع السورة، والتكبير مع الصلوات، مثل المُسنّدت والمُرسلات، والموقوفات والمقطوعات، في صغره وفي إدراكه،

وفي شبابه وفي كهولته، عند شغله وعند فراغه، وعند فقره، وعند غناه، بالجبال والبحار والبلدان والبراري، على الأحجار والأصداف والجلود والأكتاف، إلى الوقت الذي يمكنه نقلها إلى الأوراق، عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه، وعن كتاب أبيه يتيقن أنه بخط أبيه دون غيره. لوجه الله تعالى طالباً لمرضاته، والعمل بما وافق كتاب الله تعالى منها، ونشرها بين طالبها والتأليف في إحياء ذكره بعده».

«ثم لا تتم هذه الأشياء إلا بأربع وهي من كَسْبِ العبد: معرفة الكتابة، واللغة، والصرف، والنحو، مع أربع هن من عطاء الله تعالى: الصحة، والقدرة، والحرص، والحفظ، فإذا صحت له هذه الأشياء هان عليه أربع: الأهل، والولد، والمال، والوطن، وابتلي بأربع: شماتة الأعداء، وملازمة الأصدقاء، وطعن الجهلاء، وحسد العلماء، فإذا صبر على هذه المحن أكرمه الله تعالى في الدنيا بأربع: بعز القناعة، وبهيبة اليقين، وبلذة العلم، وبحياة الأبد^(١)، وأثابه الله في الآخرة بأربع: بالشفاعة لمن أراد من إخوانه، وبظل العرش (حيث لا ظل إلا ظلُّه)، ويسقي من أراد من حوض محمد ﷺ^(٢) وبجوار النبيين في أعلى العليين في الجنة^(٣)».

«فقد أعلمتك يا بُنَيَّ بمُجَمَّلَاتٍ جميع ما كنت سمعت من مشايخي متفرقاً في هذا الباب فأقبل الآن على ما قصدتني له أودع^(٤)».

(١) «فلنحيينه حياة طيبة» النحل: ٩٧ (المؤلف).

(٢) حيث لا ماء إلا ماؤه (المؤلف).

(٣) «... فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين. الآية» النساء ٦٩ (المؤلف).

(٤) إلى هنا ذكره السيوطي في تدريب الراوي (١٥٧/٢ - ١٥٩) ومنه أخذه المؤلف =

قال القاضي أبو العباس سمعت هذا الكلام من الإمام البخاري
فهالني قوله، فسكتُ متفكرًا، وأطرقتُ متأدبًا، وذلك لأنَّ المشاقَّ التي
ذكرها الإمام البخاريُّ في الرُّبَاعِيَّاتِ المذكورة في طلب الحديث لم أكن
أستطيع أن أتحملها، فلما رأى ذلك مني قال:

«فإن لم تُطِقْ حَمَلَ هذه المشاقَّ كلها فعليك بالفقه يمكنك تعلمه
وأنت في بيتك قارٌّ ساكنٌ لا تحتاج إلى بُعْدِ الأسفار، ووَطْئِ الدِّيارِ،
وركوب البحار وهو مع ذا ثمرَةُ الحديث^(١)».

= رحمه الله. وقد ذكره السيوطي بإسناده إلى أبي المظفر محمد بن أحمد بن حامد
البخاري قال: «لما عُزِلَ أبو عباس الوليد بن إبراهيم بن زيد الهمداني عن قضاء
الري، ورد بخارى، فَحَمَلَنِي معلِّمي أبو إبراهيم الحُتْلِي إليه، وقال له: أسألك أن
تحدث هذا الصبي ما سمعتَ من مشايخنا. فقال: مالي سماع. قال: فكيف وأنت
فقيه؟ قال: لأنني لما بلغتُ مبلغَ الرجال إلخ.» وانظر التعليق الآتي بعده.

(١) القسطلاني ١٦/١. (المؤلف)

زاد القاضي عياض والمزي وغيرهما بعده: «وليس ثواب الفقيه بدون ثواب
المحدث في الآخرة، ولا عزُّه بأقل من عز المحدث.

فلما سمعت ذلك نقص عزمي في طلب الحديث، وأقبلتُ على علم ما أمكنني
من علمه بتوفيق الله ومثَّه. فلذلك لم يكن عندي ما أُمليه على هذا الصبي يا أبا
إبراهيم. فقال أبو إبراهيم: إن هذا الحديث الذي لا يوجد عند أحدٍ غيرك خيرٌ من
ألف حديث يوجد مع غيرك». (اللفظ للمزي)

وهذه القصة أسندها القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) في الغنية ص ١٣٦-١٣٩،
ترجمة شيخه أبي بكر بن العربي وفي الإلماع ص ٢٩-٣٤، باب شرف علم
الحديث وشرف أهله، عن طريق أبي المظفر عبدالله بن محمد بن عبدالله بن جبريل
ابن مت الخزرجي، وأبي بكر محمد بن عيسى البخاري.

والمزي (ت ٧٤٢هـ) تهذيب الكمال ٤٦١/٢٤-٤٦٤ ترجمة الإمام البخاري،
عن طريق أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن صالح بن خلف، وأبي الحسن
علي بن أحمد بن خنباغ بن إبراهيم الكاتب، وأبي الحسن علي بن أحمد بن يونس =

= ابن عبيد التميمي .

والسيوطي (ت ٩١١هـ) في تدريب الراوي ١٥٧/٢ - ١٥٩ (كما سبق). النوع الثامن والعشرين، معرفة آداب طالب الحديث. عن طريق أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن صالح بن خلف.

والمقرئ (ت ١٠٤١هـ) في نفح الطيب (٦٢٢/١) في ترجمة أبي حيان الأندلسي عن طريق القاضي عياض وباسناد آخر كلاهما عن القاضي أبي بكر بن العربي باسناده كما هو عند القاضي عياض.

كلهم عن أبي ذر عمار بن محمد بن مخلد التميمي قال: سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد بن إبراهيم بن الفضل البخاري قال: لما عُزل أبو العباس الوليد بن إبراهيم بن زيد الهمداني عن قضاء الري إلخ.

قلت: عمار بن محمد بن مخلد التميمي. ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ٢٥٦/١٢ روى عنه الحاكم وغلجار وغيرهما. مات ٣٨٧هـ ببخارى. ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وذكره الحافظ في لسان الميزان (٢٧٤/٤) وقال: روى عنه الشيرازي في الألقاب حديثاً ثم قال: ولا أظنه إلا وهم فيه ولم يكن من أهل الحديث».

أما شيخه أبو المظفر محمد بن أحمد البخاري وشيخه أبو العباس الوليد بن إبراهيم الهمداني فلم أعثر لهما على ترجمة.

وقد ذكر الحافظ السخاوي في كتابه «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» ضمن تعقبات الحافظ التي كان يسجلها على هوامش بعض الكتب والأجزاء فقال: «ومنه مقابل الحكاية الرباعية المنسوبة للبخاري في آخر جزء اليونارتي» يقول الفقير أحمد بن علي بن حجر: «إنني منذ قرأت هذه الحكاية إلى أن كتبت هذه الأسطر وقلبي نافر من صحتها غير مستعد لقبولها، تلوح أمانة الوضع عليها وتلمع إشارات التلفيق فيها. ولا يقع في قلبي أن محمد بن إسماعيل يقول هذا ولا بعضه، وأما قول القائل الذي في آخره: إن هذا خير من ألف حديث، فكذب لا مزيد عليه» (الجواهر والدرر ٣٠٧/١ - ٣٠٨)، نشر المجلس الأعلى للشتون الإسلامية. القاهرة ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م. ونقله عن السخاوي أيضاً الشيخ عبدالهادي نجا الأبياري في نيل الأمانى توضيح مقدمة القسطلاني مع اختلاف في

ومن ملفوظاته التي نقلها الحافظ ابن حجر:

«لا أعلم شيئاً يُحتاج إليه، إلا وهو في الكتاب والسنة».

فقال له وراقه:

«يمكن معرفة ذلك؟ قال: نعم^(١)».

والخلاصة أن إنزال قواعد اخترعها إمام أو عالم، أو سكوته في مسألة ما منزلة النص، ثم تخريج المسائل العارضة الفرعية على أساس هذه المسائل، واعتبار هذه المسائل المخرّجة كالنص، ثم الاستمرار في التخريج على هذه التخريجات^(٢)، كل هذا لم يأمر به الله ولا رسوله.

وخلاصة حياة إمام المحدثين رحمه الله أنه قدّم نموذجاً حياً لسيرة رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم بالعمل بأحاديثه وبين لأهل الإسلام أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة وكيفية العمل بها، وعدم

= بعض الكلمات (ص ٨٧) كما ذكر الأستاذ السيد أحمد صقر رحمه الله في تعليقه على كتاب الإلماع للقاضي عياض ص ٣٤.

(١) مقدمة الفتح ص ٤٨٨. وانظر أيضاً: تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٥٢، سير أعلام النبلاء ٤١٢/١٢، تغليق التعليق ٤١٩/٥.

قلت: ومن ملفوظاته أيضاً ما تقدم (ص ١٤٤): ما ينبغي للمسلم أن يكون بحالة إذا دعى لم يستجب له.

ومن ملفوظاته أيضاً: «المادحُ والدَّائمُ عندي سواء». تاريخ بغداد ٣٠/٢ وفيه «الحامد» تهذيب الأسماء واللغات ٦٨/١/١، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٢٥.

(٢) سوف يتحدث المؤلف رحمه الله في هذا الموضوع بالتفصيل في الباب السابع عندما يتحدث عن فقه الإمام البخاري. فانظر ص ٦٠٧.

أهمية آراء الرجال بإزائها والإجتناب عنها:

«لا نأكل من كشكول أهل الرأي، فإننا ضيوف على مائدة رسول الله ﷺ»^(١).

* * *

(١) ترجمة بيت بالفارسية نصه:

زائر از كشكول أهل الرأي نتوان لقمه خورد
برسر خوان رسول الله مهمانيم ما

تم الجزء الأول
بتجزئة المؤلف رحمه الله
وهو خاص بحياة الإمام البخاري
ويتلوه الجزء الثاني الخاص
بآثاره العلمية ومنزله في الحديث والفقه،
وفيه تجلت براعة المؤلف
في هذا البحث.

الباب الثاني

مصنفات إمام المحدثين

الباب الثاني

مصنفات إمام المحدثين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

بغض النظر عن التواتر والشهرة تتصل سلسلة أسانيد مؤلفات الإمام البخاري إليه لا بطريق أو طريقين، ولكن بمئات الطرق الجامعة لكل شروط الصحة، وقد التزم علماء المسلمين، على اختلاف مذاهبهم ووجهات نظرهم - ماعدا بعض الفرق - بأن يصلوا سلسلة أسانيدهم بالإمام البخاري إلى يومنا هذا. وصحيح البخاري له ميزة خاصة في هذا المجال، فماذا ترى في تواتر كتاب قرأه تسعون ألف تلميذ على المؤلف في حياته^(١)، وقد ألف الإمام نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد التّسفي الحنفي المتوفى ٥٣٧هـ^(٢) شرحاً لصحيح البخاري سماه «النجاح في أخبار الصحاح» ذكر فيه أن سلسلة سنده تتصل بالإمام البخاري من خمسين طريقاً^(٣).

(١) مقدمة الفتح ص ٤٩١، مقدمة القسطلاني ٣٣/١.

(٢) قال الذهبي: كان صاحب فنون، وألف في الحديث والتفسير والشروط، وله نحو من مائة مصنف. (سير أعلام النبلاء ١٢٦/٢٠) وقد انتقده السمعاني بكثرة وقوع التحريفات والأخطاء والأوهام في مؤلفاته (التحبير ٥٢٨/١) ومن مؤلفاته «القند في ذكر علماء سمرقند» طبع مؤخراً بتحقيق نظر محمد الفاريابي. مكتبة الكوثر، الرياض ١٤١٢هـ / ١٩٩١م عن نسخة فريدة ناقصة من أولها وآخرها.

(٣) انظر: كشف الظنون ٣٧١/١، و ٥٨٦/٢. (١٩٢٩/٢) مصورة دار الفكر ١٤٠٢هـ =

بينما نرى في هذه الأيام مئات من الكتب والمؤلفات تنسب إلى معاصري الإمام البخاري بل إلى من سبقوه إلا أنها لا تعتبر صالحة للاحتجاج لأن سلسلة أسانيدها لا تتصل بمؤلفيها بطرقٍ معتبرة، بل لا توجد لها أسانيد أصلاً، وإن حاول بعض المحبين التنقيب عن أسانيدها وجد فيها أناساً مجهولين ومستورين ممن لا يحتج بهم وتسقط بهم الأسانيد، وعلى سبيل المثال نأخذ مسند الخوارزمي^(١)، فقد قال الأستاذ النعماني^(٢) عن هذا المسند:

= ١٩٨٢م) واسمه فيه «النجاح في شرح أخبار كتاب الصحاح» زاد في هدية العارفين: «أى من البخاري ومسلم» ٧٨٣/١.

(١) أبو المؤيد محمد بن محمود بن محمد بن حسن الخوارزمي الخطيب ولد ٥٩٣هـ وتوفى ٦٥٥هـ ببغداد. قال ابن قطلوينا (ت ٨٧٩هـ): صنف «مسانيد الإمام أبي حنيفة» في مجلدين جمع فيهما بين خمسة عشر مصنفاً. وترجمه أيضاً القرشي في الجواهر المضيئة ٣/٣٦٥، واللكوني في الفوائد البهية ص ٢٠٠. ولم يذكر له مؤلفاً، ووقع تاريخ مولده في الفوائد البهية ٦٠٣هـ، كما وقع تاريخ وفاته في كشف الظنون (٢/١٦٨٠) ٦٦٥هـ. والله أعلم. قال المؤلف: «الأسف والحيرة على أن بعض الناشرين في لکناؤ (بالهند) قد طبع مسند الخوارزمي، ونسبه إلى الإمام أبي حنيفة بلا تردد، ولم يستعمل شيئاً من التحقيق، مع أنه قد يتجاوز الحدود في انتقاده كبار المحققين، فيجْهَل بعضهم ويسفّه آخرين. وكل المسانيد التي تنسب إلى الإمام أبي حنيفة يمكن تحقيق تراجم رجالها ومعرفة أحوالهم من ميزان الاعتدال والفوائد البهية وغيرهما، وهناك تبين حقيقة الأمر». (المؤلف).

(٢) العلامة الشيخ شبلي بن حبيب الله البندولي. المعروف بشبلي النعماني - نسبة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله - عالم محقق حنفي معروف وصاحب مدرسة أدبية في اللغة الأردنية ولد سنة ١٢٧٤هـ وتوفى ١٣٣٢هـ. كان من مؤسسي ندوة العلماء بالهند. له ترجمة مسهبة في نزهة الخواطر للشيخ عبدالحی الحسني (١٨٩/٨ - ١٩١) ذكر فيها أنه في بداية أمره «كان متصلاً في المذهب في ذلك الزمان، صرف برهة من الدهر في المباحثة بأهل الحديث...» ولكنه بعدما التحق =

«إن الذين يرون أن من الضروري لإظهار كمال الإمام أبي حنيفة أن تُوجَدَ له مؤلفاتٌ ومصنفاتٌ، يستشهدون بهذه الكتب المذكورة. ولكن الحق أن إثبات نسبتها إلى الإمام أبي حنيفة أمر صعب جدًا».

ويقول أيضًا بعد قليل:

«إن إطلاق مسند الإمام أبي حنيفة على مسند الخوارزمي إطلاق مجازيٌّ فقد كان الخوارزمي في القرن السابع، والمسانيد التي جمعها أغلبها من القرن الثالث والرابع أو بعده، فحماد والقاضي أبو يوسف وإن كانا معاصرين للإمام أبي حنيفة، ويمكن إطلاق مسند أبي حنيفة على مسنديهما، إلا أن أحدًا لم يذكر هذه المسانيد سوى الخوارزمي مع أن كتاب الحديث إن لم يكن معروفًا بالاستفاضة والأسانيد الصحيحة لا يصح الاحتجاج به، ونرى أن حكم الشاه ولي الله كافٍ بهذا الصدد، فقد قال في حجة الله البالغة:

«والطبقة الرابعة كتبٌ قصد مصنفوها بعد قرون متطاولة جمع ما لم يوجد في الطبقتين الأوليين، كانت في المجاميع والمسانيد المختلفة فنوَّهوا بأمرها وكانت على ألسنة من لم يكتب حديثه المحدثون ككثيرٍ من الوعَّاظ المتشدقين وأهل الأهواء والضعفاء، أو كانت من آثار الصحابة والتابعين، أو من أخبار بني إسرائيل. أو من كلام الحكماء والوعَّاظ خلطها الرواة بحديث النبي ﷺ سهواً أو

= بجامعة عليكرة تغير اتجاهه ومال إلى التاريخ والسيرة وغيرهما وله مؤلفات شهيرة منها «سيرة النعمان». ويجد القارئ في هذا الكتاب - أعني سيرة الإمام البخاري - ردًا على بعض آرائه ومباحثه فيما يتعلق بالإمام البخاري وصحيحه.

عمدًا، أو كانت من محتملات القرآن والحديث الصحيح فرواها بالمعنى قومٌ صالحون لا يعرفون غوامض الرواية فجعلوا المعاني أحاديث مرفوعة، أو كانت معاني مفهومة من إشارات الكتاب والسنة جعلوها أحاديث مستبدة برأسها عمدًا، أو كانت جُملاً شتى في أحاديث مختلفة جعلوها حديثًا واحدًا بنسقي واحد، ومظنة هذه الأحاديث كتابُ الضُّعفاء لابن حبان وكاملُ ابن عدي، وكتبُ الخطيب وأبي نُعيم والجورقاني وابن عساكر وابن النُّجار والديلمي، وكاد مسند الخوارزمي يكون من هذه الطبقة»^(١).

وبعد هذا الحكم قال المعاصر المذكور:

«والحق أن المسانيد التي تنسب إلى تلاميذ الإمام أبي حنيفة لا توجد لها أدلة تاريخية، ولا توجد هي بنفسها، أما المسانيد التي ألفت بعده بمدة طويلة فهي موجودة، ولكن من المشتبه جدًا أن تتصل هذه الأحاديث بالإمام باسانيد صحيحة، وزيادة على ذلك إن هناك أدلة داخلية، تبين أنها لا عبرة بها، فهناك عدة أحاديث في مسند الحصفكي^(٢) نُسبت إلى الإمام أبي حنيفة، ذكر فيها أنه سمعها من الصحابة بنفسه، ورواها عنهم مع أنه لا يمكن حسب

(١) حجة الله البالغة ١/ ٢٨٤ (١/ ٣٠٩، طبعة دار المعرفة، بيروت).

(٢) بفتح الحاء المهملة وسكون الصاد المهملة وفتح الكاف نسبة إلى حَصْكفًا مدينة في ديار بكر أو إلى حصن كيفا، وهو موسى بن زكريا بن إبراهيم الإمام صدرالدين، ولد سنة ٥٨٠هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٦٥٠هـ. انظر الجواهر المضيئة ٢/ ١٨٥، ٢٩٩ (٣/ ٥١٦، ٤/ ١٨٠) والأنساب ٤/ ١٧٤.

وكان في الأصل «الحصفكي» وكذا في أصول الجواهر المضيئة كما ذكر محققه. والصواب ما أثبتته.

قواعد النقد الحديثية إثبات أن الإمام روى عن الصحابة. وأدخل الخوارزمي في مسانيد الإمام أبي حنيفة كتاب الآثار للإمام محمد، ولا شك أن أكثر مرويات هذا الكتاب عن الإمام أبي حنيفة نفسه، فيحق للقراء أن يسموه «مسند الإمام أبي حنيفة» أو «الآثار للإمام محمد» ولكن الجدير بالذكر أن الإمام محمداً روى فيه أحاديث وآثاراً كثيرة عن شيوخ آخرين، ولذلك نسبة هذه المجموعة إلى الإمام محمد أولى وأنسب^(١).

وهناك مؤلفات أخرى للإمام البخاري غير الجامع الصحيح (وسنفضل الكلام فيها فيما بعد) قد لقي كل منها اهتماماً بالغاً وثقة تامة. ذكر الإمام أبو علي الغساني، عن الإمام البخاري أنه لما ألف كتاب التاريخ أخذه إسحاق بن راهويه، فأدخله على عبدالله بن طاهر الأمير بالري، فقال: أيها الأمير ألا أريك سحراً^(٢).

وقال العلامة تاج الدين السبكي عن هذا الكتاب:

«كتاب محمد بن إسماعيل في التاريخ كتاب لم يسبق إليه، ومن ألف بعده شيئاً من التاريخ أو الأسماء أو الكنى لم يستغن عنه، فمنهم من نسبه إلى نفسه، مثل أبي زرعة وأبي حاتم ومسلم،

(١) سيرة النعمان ٦٧-٦٨، وهو باللغة الأردنية.

(٢) تقييد المهمل ٤/أ. وهو أخذه من تاريخ بغداد ٧/٢، وانظر أيضاً: تاريخ دمشق ٤٧/١٥، تهذيب الكمال ٢٤/٤٤٠، تاريخ الإسلام ص ٢٤٩، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٣، طبقات السبكي ٢/٢٢١، تحفة الأخباري ص ١٨٢، تغليق التعليق ٥/٤٠٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٣. وزاد الخطيب والغساني وغيرهما: فنظر فيه عبدالله فتعجب منه وقال: «لست أفهم تصنيفه».

ومنهم من حكاه عنه فالله يرحمه فإنه الذي أصَّل الأصول^(١).

(١) طبقات السبكي ٢/٢٢٥-٢٢٦. وقد ذكره عن أبي أحمد الحاكم الكبير. وهو في كتابه الكنى (٢/٢٧٤) في ترجمة «أبي بشر عبدالله بن الديلمي» رقم ٧٨٦ بآتم منه ولكنه وقع محرِّفاً مشوشاً في المطبوع منه. وذكره باسناده عنه الخليلي في الارشاد ٣/٩٦٢، وذكره الحافظ ابن حجر أيضاً في تغليق التعليق (٥/٤٢٥) باسناده عن الخليلي.

وانظر أيضاً: تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٥٩، المقتنى في سرد الكنى ١/١٠٧، تحفة الأخباري ص ٢٠٠، تهذيب التهذيب ٥/٣٥٨، النكت على ابن الصلاح ١/٢٨٥، مقدمة الفتح ص ٤٩٠.

وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٦/٣٧٣) عن أبي عبدالله الحاكم عن شيخه أبي أحمد الحاكم الكبير قال: «كنت بالري وهم يقرؤون على عبدالرحمن بن أبي حاتم كتاب «الجرح والتعديل» فقلت لابن عبدويه الوراق: هذه ضحكة، أراكم تقرؤون كتاب تاريخ البخاري على شيخكم على الوجه. وقد نسبتموه إلى أبي زرعة وأبي حاتم. فقال: يا أبا أحمد أعلم أن أبا زرعة وأبا حاتم لَمَّا حمل إليهما تاريخ البخاري، قالوا: هذا علم لا يستغنى عنه ولا يحسن بنا أن نذكره عن غيرنا. فأقعدا عبدالرحمن فسألهما عن رجل بعد رجل وزادا فيه ونقصا». وذكره في تذكرة الحفاظ أيضاً (٣/١٩٧٨). وذكره الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق ١/٨.

وقال الخطيب البغدادي أيضاً: «ومن العجب أن ابن أبي حاتم أغار على كتاب البخاري ونقله إلى كتابه في الجرح والتعديل وعمد إلى ما تضمن من الأسماء فسأل عنها أباه وأبا زرعة ودوّن عنهما الجواب في ذلك ثم جمع الأوهام المأخوذة على البخاري وذكرها من غير أن يقدم به العذر لنفسه عند العلماء في أن قصده بتدوين تلك الأوهام بيان الصواب لمن وقعت إليه دون الانتقاص والعيب لمن حفظت عليه ونحن لا نظن أنه قصد غير ذلك فإنه كان بمحل من الدين وأحد الرفعاء من أئمة المسلمين. رحمة الله عليه وعليهم أجمعين، (المصدر السابق ١/٨).

قلت: لا شك أن أبا حاتم وأبا زرعة قد اطلعا على كتاب البخاري واستفادا منه بدليل أنهما كثيراً ما يستدركان على البخاري ولهما كتاب مستقل في «بيان خطأ البخاري في تاريخه». وبغض النظر عن أن الصواب معهما أو مع البخاري فإن هذا =

قال الحافظ أبو العباس أحمد بن عقدة:

«لو أن رجلاً كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ محمد بن إسماعيل^(١)».

وكان يكفي للرجل افتخاراً أن يذكره الإمام البخاري في كتابه، وتبين أهميته في نظر المؤرخين من الكلام التالي للإمام فخر الدين الرازي وصاحب سيرة النعمان. قال صاحب سيرة النعمان:

«وأما الكتب المعتمدة في الرجال والتاريخ التي ورد فيها ذكر الإمام أبي حنيفة فقد اطلعت على معظمها، وذلك مثل التاريخ الصغير للبخاري، والمعارف لابن قتيبة وغيرهما^(٢)».

وأهل العلم يعرفون كيف ذكر الإمام البخاري في كتابه الإمام أبا حنيفة، وفي أي سياق، ولكن مع ذلك يفتخر به صاحب سيرة النعمان.

= يدل على أن كتابهما مؤسَّسٌ على كتاب البخاري. ولكن كما سيذكر المصنف فيما بعد أن الإمام البخاري ركز أساساً في كتابه على بيان السماع والاتصال أو الانقطاع والإرسال ونحو ذلك، أما الجرح والتعديل وبيان درجة الراوي فهذا قليل فيه. وحرص أبو حاتم وأبو زرعة على إضافة هذا الأمر كما أن ابن أبي حاتم بذل غاية الجهد في استيعاب أقوال أئمة الجرح والتعديل ممن سبقوه فأضاف إلى الكتاب فوائد عظيمة لا يستغنى عنها الباحث في علوم الجرح والتعديل. وانظر مقدمة الشيخ عبدالرحمن المعلمي لكتاب الجرح والتعديل (١/مي - يد).

(١) تاريخ بغداد ٨/٢، تقييد المهمل ٤/أ، تاريخ دمشق ٤٧/١٥/أ، تهذيب الكمال ٤٤١/٢٤، تحفة الأخباري ص ١٨٢، تغليق التعليق ٤١٣/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٥، تهذيب التهذيب ٤٨/٩.

(٢) سيرة النعمان ١١.

وترجم البخاري الإمام الشافعي أيضاً في التاريخ الكبير. فيقول صاحب سيرة النعمان:

لقد ذكر الإمام البخاري الإمام الشافعي في التاريخ الكبير، ولكن بدون أي اهتمام ومن هذه الناحية اغتنمه الإمام الرازي بأنه لم يُضعّفه، فقد قال في فضائل الشافعي:

«وأما الإمام محمد بن إسماعيل البخاري فقد ذكر الشافعي في تاريخه الكبير، فقال في باب المحمدين: محمد بن إدريس أبو عبدالله الشافعي القرشي، سكن مصر، مات سنة أربع ومائتين، ثم إنه ما ذكره في باب الضعفاء مع علمه بأنه قد روى شيئاً كثيراً من الحديث، ولو كان من الضعفاء لذكره^(١)».

وقال العلامة تاج الدين السبكي الشافعي في الطبقات الكبرى:

«وذكر الشافعي في موضعين من صحيحه، في «باب في الركاز الخمس» وفي باب «تفسير العرايا من البيوع» ورقم شيخنا المزي في «التهذيب» للشافعي بالتعليق وذكر هذين المكانين^(٢)».

وهكذا اغتنموا إيراد البخاري ترجمته في كتابه. ثم رد العلامة السبكي على التساؤل الذي يُثار وهو: لماذا لم يَرَوِ البخاري عن

(١) سيرة النعمان ص ٨٠ نقلاً عن الإمام الرازي هكذا بنصه العربي. وهو في مناقب الإمام الشافعي للرازي ص ٢٢٣ مع اختلاف في بعض الكلمات وزيادة جملة في آخره. وترجمة الشافعي في تهذيب الكمال ٣٥٥/٢٤ - ٣٨١، وقوله المذكور في آخر ترجمته.

(٢) الطبقات للسبكي ٢/٢١٥. وانظر صحيح البخاري مع الفتح ٣/٣٦٤ و٤/٣٩٠.

الشافعي؟ فقال في الطبقات الكبرى:

«ولم يرو عن الشافعي في الصحيح، لأنه أدرك أقرانه، والشافعي مات مكتهلًا فلا يرويه نازلاً»^(١).

والحقيقة أن مجرد عدم قبول البخاري أو أصحاب الستة لراو ما، أو السكوت عنه أو عدم ذكر روايته في الصحاح أمرٌ يشير كثيرًا من الشكوك والشبهات في مكانته وثقته، ولذلك اضطرب أتباع الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة، وقد وجدوا صعوبات في بيان أسبابه.

أما صاحب سيرة النعمان فقد برأ ذمته بقوله إن الإمام الشافعي أيضًا يشترك مع الإمام أبي حنيفة في هذا الأمر، فقد قال:

«صحيح أن أصحاب الستة لم يرووا عن الإمام أبي حنيفة ما عدا رواية أو روايتين، ولكنه ليس هو الوحيد في هذا الأمر بل شاركه أئمة آخرون، كالإمام الشافعي مثلاً الذي اعتبره كبار الأئمة من معادن الحديث والرواية، أمثال إسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وأبي ثور والحميدي وأبي زرعة الرازي لا توجد من طريقه أي رواية في الصحيحين، بل إن البخاري ومسلمًا لم يخرجوا أي حديث عن الإمام الشافعي في غير صحيحيهما أيضًا، وقد أورد الإمام الرازي تأويلات عديدة لصنيعهما هذا^(٢)، ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يقدم أي توجيه معقول، وهذا ليس خاصًا بالصحيحين بل في الترمذي وأبي داود وابن ماجه والنسائي أيضًا لا توجد إلا أحاديث قليلة جدًا ورد في أسانيدھا

(١) الطبقات للسبكي ٢/٢١٥.

(٢) انظر قول الرازي في مناقب الإمام الشافعي له ص ٢٣٢-٢٣٤.

ذكر الإمام الشافعي^(١).

ومع انتقاده لتوجيه الإمام الرازي قال صاحب سيرة النعمان بصدد بيان سبب عدم رواية البخاري وغيره من مؤلفي الصحاح عن أهل الكوفة:

«الحقيقة أن بعض المحدثين قد حددوا مقاييس للقبول والاحتجاج ما لا تنطبق على أهل النظر بل على كثير من الناس، فقد قال القسطلاني في شرح البخاري: إن البخاري كان يقول: «لم أرو عن أي واحد لا يقول: الإيمان قول وعمل» فإن كان هذا صحيحًا فكيف يُتوقع أن يصل الإمام أبو حنيفة إلى بلاطه^(٢)».

ويذكر سببًا آخر:

«من الطريف أن الأمور التي يمكن أن يفتخر بها المجتهدون مثل دقة النظر، وقوة الاستنباط واستخراج المسائل، وتفریع الأحكام، هي بالذات تُعتبر في عداد العيوب والنقائص عند طائفة من المحدثين، قال العلامة أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في ذكر القاضي أبي يوسف: إن جماعة من أصحاب الحديث تركوا روايته، لأنه قد غلب عليه الرأي^(٣)، وتفریع الأحكام الفرعية، وكان مع ذلك يجالس السلطان، وكان مأمورًا بالقضاء. فإن كان

(١) سيرة النعمان ٧٩-٨٠.

(٢) سيرة النعمان ٨٠.

(٣) الحقيقة أنه كان قلَّت عنايته بالحديث والسنة لغلبة الرأي عليه، وتفریع الأحكام وانشغاله بصحبة الأمراء، وهذا هو السبب الحقيقي لترك المحدثين له، وقول الإمام ابن جرير في غاية الصحة. (المؤلف).

استنباط الفروع وتفریع الأحكام جريمة، فلا شك أن الإمام أبا حنيفة أشد توغلاً في هذه الجريمة من الإمام أبي يوسف^(١).

مما يثير الحيرة والأسف أن مؤرخاً يقول هذا الكلام البعيد عن التحقيق العلمي مما يتحير منه حتى الرجل العادي القصير النظر، فالتوجيهان اللذان قدمهما الأستاذ عن الإمام البخاري ومؤلفي الصحاح لا يمكن أن يصححا في حال من الأحوال، لأنّ تكثير المسائل واستنباط الفروع وتفریع الأحكام، ودقة النظر كل هذه الأشياء من المقاصد الأساسية المهمة لمؤلفي الصحاح الستة أنفسهم، ولا سيما الإمام البخاري، وتراجع أبوابه شواهد بينة واضحة على هذا ولا تترك مجالاً لجاحد أن يجحده، حتى إن الإمام البخاري لا يبالي بتكرار الأحاديث لهذا الغرض، وهذا أمر يعرفه جميع شراح الحديث، والكتب الستة موجودة بين أيدينا، ودقة نظر أصحابها وقوة استنباطهم وتفریع الأحكام وتكثير المسائل واستنباط الفروع كل هذه أمور أوضح من الشمس في ضحوة النهار في كتبهم، وما أجمع ما قال العلامة ابن خلدون:

«ولذلك يحتاج إلى إمعان النظر في التفقه في التراجع»^(٢)

أما ما يتعلق بالتوجيه الأول فكل واحد من الخواص والعوام يعترف بأن من أبرز الأوصاف لدى أصحاب الأمهات الست عدم تعصبهم، فإذا قرأنا سلسلة أسانيدهم نجد مئات من الرواة ممن يخالفونهم في مذهبهم بل يخالفون عامة أهل السنة، فإذا توفرت فيهم شروط العدالة والصدق

(١) سيرة النعمان ٨٠.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣/١١٤١، (١/٤٧٤)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ.

والديانة والضبط وغيرها من الشروط المعروفة فإنهم يقبلون روايتهم بدون أى تردد، حتى إننا نجد في أسانيد صحيح البخاري نفسه من قيل فيهم: «مرجىء» أى من الذين لا يعتبرون الأعمال جزءاً من الإيمان.

وهكذا من رُمي بالتشيع، أو بأمور أخرى يختلف معهم الإمام البخاري في اعتقادهم، ولكن بعد توفر شروط الرواية يقبل روايتهم بدون أى تعصب.

لا شك في أن الإمام البخاري كانت عنده شدة خاصة في مسألة «الإيمان قول وعمل» وتظهر هذه الشدة في كتاب الإيمان من الجامع الصحيح أيضاً، وما ورد من قوله في مقدمة فتح الباري وغيرها أنه قال:

«كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث».

وقال أيضاً: «لم أكتب إلا عمن قال الإيمان قول وعمل»^(١)

كل هذا صحيح ولا مجال لإنكاره^(٢). ولكن ينبغي أن نلاحظ أن

(١) مقدمة الفتح ٤٧٩، الطبقات للسبكي ٢/٢١٧، تاريخ بغداد ٢/ ١٠، القسطلاني ٢٧/١.

(٢) قول الإمام البخاري بشأن روايته عن ألف شيخ أو أكثر ورد عنه على عدة أوجه كالتالي:

١- «كتبتُ عن ألف شيخ وأكثر، عن كل واحد منهم عشرة آلاف فأكثر، ما عندي حديث إلا وأذكر إسناده».

رواه غنجار بإسناده عن جعفر بن محمد القطان إمام الجامع بكرمينية قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: فذكره.

انظر: تاريخ دمشق ١٥/٤١/ب، بإسناده عن غنجار، تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٥١، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٧، طبقات الشافعية للسبكي ٢/٢٢٢، تحفة =

= الأخباري ص ١٨٥ .

٢- «كتبْتُ عن ألف شيخ وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده» رواه غنجار أيضًا بإسناده عن جعفر بن محمد القطان إمام الجامع بكرمينية قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: فذكره.

انظر: تاريخ بغداد ١٠/٢ بإسناده عن غنجار، وعنه: طبقات الحنابلة ٢٧٥/١، تهذيب الكمال ٤٤٥/٢٤، تغليق التعليق ٣٨٩/٥، تهذيب التهذيب ٤٩/٩.

وإسناد هذا القول والقول السابق واحد فلا أدري هل غنجار رواه على الوجهين أم أن الخطيب رواه مختصرًا وعنه أخذه من جاء بعده.

٣- «دخلتُ بلخ فسألني أصحاب الحديث أن أملي عليهم لكل من لقيت حديثًا فأملتُ ألف حديث لألف شيخ ممن كتبْتُ عنهم».

رواه ورّاق البخاري عنه. وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٩٥/١٢، ٤١٤ وهو يروي كتاب الوراق في شمائل البخاري بإسناده إليه. وذكره أيضًا ابن حجر في تغليق التعليق ٣٨٩/٥.

٤- «كتبْتُ عن ألف نفر وزيادة، ولم أكتب إلا عن من قال: الإيمان قول وعمل. ولم أكتب عن من قال: الإيمان قول».

رواه غنجار في تاريخ بخارى وعن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١/١٥ ب، قال غنجار: حدثنا خلف بن محمد قال سمعت الحسن بن الحسن ابن الوضاح، ومكي بن خلف بن عفان قالا: سمعنا محمد بن إسماعيل يقول: فذكره.

ورواه أيضًا اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٨٩/٥). وعن غنجار ذكره ابن ناصر الدين في تحفة الأخباري ص ١٨٥.

وذكره ابن حجر في تغليق التعليق ٣٨٩/٥، ومقدمة الفتح ص ٤٧٩، دون الجملة الأخيرة «ولم أكتب إلخ».

وفي هذا الإسناد: خلف بن محمد هو البخاري الحَيَّام، روى عنه محمد بن أحمد غنجار وأبو سعد الإدريسي وغيرهما ت ٣٦١هـ. ذكره الخليلي في الإرشاد =

= وقال: «كان له حفظ ومعرفة، وهو ضعيفٌ جدًا. روى في الأبواب تراجم لا يتابع عليها وكذلك متونًا لا تُعرف. سمعتُ ابن أبي زرعة والحاكم أبا عبدالله الحافظين يقولان: كتبنا عنه الكثير ونبرأ من عهده، إنما كتبنا عنه للاعتبار. (الإرشاد ٩٧٢/٣).

قال الحاكم: سقط حديثه برواية حديث «نهى عن الوقاع قبل الملاعبة». (لسان الميزان ٤٠٤/٢ - ٤٠٥) قال السمعاني: كان بندارًا لحديث البخاريين وقيل إنه لم يكن بموثوق به. تكلم فيه أبو سعد الإدريسي الحافظ (الأنساب ٢٥١/٥، الخيام) وانظر ترجمته أيضًا: في اللباب ٤٧٥/١، سير أعلام النبلاء ٧٠/١٦، ٢٠٤، ميزان الاعتدال ٦٦٢/١، شذرات الذهب ٦٤/٤ وغيرهما.

أما شيخه: الحسن بن الحسن بن الوضاح، وفي تحفة الأخباري، الحسين بن الحسن بن الوضاح، وعند اللالكائي «الحسين بن محمد بن محمد بن الوضاح». وكذا مكى بن خلف بن عفان، فلم أجد لهما ترجمة.

ومن هنا يتبين أن هذه الرواية ضعيفة جدًا وزيادة «ولم أكتب عن من قال الإيمان قول» زيادة منكورة في هذا الخبر، وما قبلها اختصار مُخلٌ. كما سيأتي.

٥- «كتبت عن ألف وثمانين رجلاً ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص».

رواه أبو جعفر الوراق قال: وسمعتُه (يعني البخاري) قبل موته بشهر يقول: فذكره. ذكره عن الوراق الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٩٥/١٢. وهو في تحفة الأخباري ص ١٨٥ مع اختلاف بعض الألفاظ ودون قوله «ليس فيهم إلا صاحب حديث» وذكره ابن حجر في التخليق ٣٨٩/٥، ومقدمة الفتح ص ٤٧٩ إلى قوله: ... صاحب حديث.

٦- روى اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٧٢/٢) وابن عساكر بسندهما عن غنجار قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن عمران بن موسى الجرجاني قال سمعت أبا محمد عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن البخاري بالشاش يقول: سمعت أبا عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري يقول:

«لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم، أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة =

= والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر. لقيتهم كراتٍ، قرناً بعد قرنٍ، ثم قرناً بعد قرنٍ، أدركتهم وهم متوافرون أكثر من ستة وأربعين سنة، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، والبصرة أربع مرات في سنين ذوي عددٍ، وبالحجاز ستة أعوام. ولم أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي أهل خراسان منهم المكي بن إبراهيم، ويحيى بن يحيى، وعلي بن الحسن بن شقيق إلخ».

وذكر نحواً من خمسة وأربعين شخصاً ثم قال: «واكتفينا بتسمية هؤلاء حتى يكون مختصراً وأن لا يطول. فما رأيت واحداً منهم يختلف في هذه الأشياء إن الدين قول وفعل وذلك لقول الله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾. وإن القرآن كلام الله، قال أبو عبد الله: كلام الله غير مخلوق إلخ في حديث طويل. ذكره ابن عساكر (١٥/٤١، ب، ٤٢/أ) وذكر فيه عدة مسائل. وكذا اللالكائي.

وهذا الخبر ذكره الذهبي أيضاً بالإسناد نفسه مختصراً وفي آخره «فما رأيت واحداً منهم يختلف في هذه الأشياء، إن الدين قول وعمل، وإن القرآن كلام الله.» (سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٧).

وذكره ابن حجر عن طريق أبي حاتم سهل بن السري: قال محمد بن إسماعيل: لقيت أكثر من ألف شيخ إلخ بنحوه إلى قوله: مع محدثي «خراسان» (تغليق التعليق ٥/٣٨٨) وفي مقدمة الفتح (ص ٤٧٨) «مع المحدثين».

وشيوخ غنجار: أبو الحسين محمد بن عمران بن موسى الجرجاني ترجمه السهمي في تاريخ جرجان (ص ٤٣٣) وروى عن طريقه حديثاً ولكن لم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. روى عنه أبو محمد مسلم بن الحسن بن مسلم المروزي أيضاً. وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البخاري، لم أجد له ترجمة. ولكن صحح الحافظ ابن حجر هذا الإسناد في فتح الباري (١/٤٧) فذكر أن أبا القاسم اللالكائي في كتاب السنة «روى بسنده الصحيح عن البخاري قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص».

= كما أن هذه الرواية تعضد أيضاً برواية أبي جعفر الوراق المذكورة قبلها. وفي =

قوله هذا يدل بوضوح على أن شدته هذه كانت تقتصر على شيوخه فقط^(١)، فإنه كان يحترز عن الأخذ من المشايخ الذين توجد عندهم أى مخالفة، أو عدم الاهتمام بالأحاديث الصحيحة، وهذا من كمال ورعه.

أما من فوق شيوخه فإنه لا يشترط هذه الشروط فيهم، ولذلك من الممكن أن نجد في شيوخ شيوخه أو من فوقهم من سلسلة الأسانيد

= كتاب خلق أفعال العباد (ص ٦١) قول قريب من هذا فيما يتعلق بأن القرآن كلام الله.

ويتبين من كل هذا أن الإمام البخاري رحمه الله قصد من قوله هذا بيان أن علماء الإسلام وأئمة الحديث شرقًا وغربًا قد اتفقوا على أن الإيمان قول وعمل إلخ، فقد لقي هو بنفسه أكثر من ألف عالم وإمام في جميع مراكز العلم في العالم الإسلامي وهم أعيان الأمة وفقهاء السنة في عصرهم لم يجد فيهم أحدًا يختلف في هذا الأمر.

أما تلك الرواية التي تقول «ولم أكتب عن من قال الإيمان قول» فيفهم منها أن المحدثين في ذلك الوقت كانوا مختلفين في هذا الأمر والإمام البخاري كتب فقط عن الذين كانوا يقولون: إن الإيمان قول وعمل. وترك من قال: الإيمان قول فقط. فهذا عكس ما أراده الإمام البخاري رحمه الله. وقد سبق أن بينا أنها رواية ضعيفة جدًا لم تثبت عن الإمام البخاري.

ومعذرة للقراء إن أطلت في هذا الموضوع نظرًا لأهميته ولم أر من تناوله من قبل. فإن كنت مصيبًا فالحمد لله وحده وإن كنت مخطئًا فأسأل الله العفو والمغفرة.

هذا ولم ينفرد البخاري بمثل هذا القول. فهذان الإمامان المعاصران له أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان قالوا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا ومصرًا وشامًا ويمنا فكان من مذهبهم: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، إلخ. (أصل السنة واعتقاد الدين لابن أبي حاتم. المطبوع ضمن كتاب روائع التراث ص ٢٠. وذكره عنه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٧٦/٢).

وانظر أقوالاً أخرى في هذا المعنى في كتاب اللالكائي ٩٦٣/٥ - ٩٦٤.

(١) هذا على فرض صحة هذا القول عنه. وقد سبق أن بينت أنه لم يثبت عن الإمام البخاري.

ممن لا يقولون: أن الإيمان قول وعمل^(١)، فيمكن أن يصح هذا التأويل في شيوخ البخاري المباشرين. أما من فوقهم فلا يصح فيهم هذا التأويل أبدًا، ويدخل في نطاق «توجيه القول بما لا يرضى به قائله» ولا تجد لأى ذكر لهذا في شروط الإمام البخاري. وهكذا نرى أن كلا التوجيهين بعيدان عن التحقيق.

والحق أن أصحاب الأمهات الست والإمام البخاري كانوا يحترزون عن روايات أهل الكوفة لسبب آخر، وهو السبب الحقيقي، وهو أن أئمة الكوفة قد توغلوا في تخريج المسائل وتفريع الأحكام حتى أصبحوا يتعدون من العلوم الإسلامية الأخرى يومًا فيومًا، وبلغ بهم الأمر إلى أن أهل الكوفة بأنفسهم أصبحوا لا يهتمون برواية أئمتهم ولا نقدهم وتحقيقهم، ولذلك اضطر الإمام محمد أن يسافر إلى المدينة ويدرس الحديث على الإمام مالك، ولازمه أكثر من ثلاث سنوات^(٢). ولما عاد إلى الكوفة جلس للدرس، فاطمئن إليه أهل الكوفة غاية الاطمئنان، فإذا كان اليوم الذي يروي فيه الإمام محمد عن شيخه الإمام مالك كان الناس يأتون إليه أفواجًا حتى يمتلىء بيته، ولكن إذا كان اليوم الذي

(١) وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في مقدمة الفتح (ص ٤٥٩) أسماء من رموا ببدعة من رجال البخاري، وفيهم عدد ممن رمي بالإرجاء مثل:

إبراهيم بن طهمان، رمي بالإرجاء / خ م (من السابعة)، أيوب بن عائذ الطائي يرمى بالإرجاء (خ م من السادسة)، ذر بن عبدالله المرهبي رمي بالإرجاء (خ م، من السادسة) شبابة بن سوار، رمي بالإرجاء (خ، من التاسعة) وغيرهم أحصاهم الحافظ هناك.

(٢) الإمام محمد بن الحسن الشيباني، ت ١٨٩هـ. قال الشافعي: قال محمد بن الحسن: أقمْتُ عند مالك ثلاث سنين وكسرًا وسمعت من لفظه سبع مائة حديث. سير أعلام النبلاء ١٣٤/٩.

يروى فيه عن أئمة الكوفة لا يحضر درسه إلا القليل، وذلك أيضاً متكارهين، حتى أثار هذا غضب الإمام محمد فتألم ألماً شديداً، وقال:

«ما أعلم أحداً أسوأ ثناءً على أصحابه منكم، إذا حدثتكم عن مالك ملأتم عليّ الموضع، وإذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتون متكارهين»^(١)

والحقيقة أن أهل الكوفة كانوا معذورين في هذا فهم ما كانوا يقصدون إساءة سمعة أئمتهم، ولكن أئمة الكوفة كانوا فقدوا اهتمامهم بعلم الحديث والرواية، مع أنه كان موجوداً في الأول، ولكنهم حينما اتكلوا على القواعد التي استنبطها أساتذتهم، وغلوا فيها إلى حد لم يعودوا يهتمون بالحديث في جنبها، وأصبح شغلهم الشاغل هو التخريج على تخريجات أقوال الأساتذة والشيخ، أصبح أهل الكوفة بنفسهم لا يعتمدون على أئمتهم ولا يطمئنون إليهم في الحديث وروايته وتحقيقه، وكان عدم اهتمامهم هذا هو الذي جعل إسناده أهل الكوفة يوصف «بإسناد مشرقى»^(٢) وهذا الذي جعل الإمام أبا داود يذكر قول الإمام أحمد:

«ليس لحديث أهل الكوفة نور»^(٣) وقد أصبح مثلاً يضرب، وهو

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٨١/١/١ ورواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه بإسناده عن الإمام الشافعي بلفظ متقارب (ص ١٧٤) ورواه أيضاً أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٣٠ ترجمة الإمام مالك، وابن عبد البر في الانتقاء (ص ٢٥) والبيهقي في مناقب الشافعي (١/١٨٣).

(٢) الجامع للترمذي مع تحفة الأحوزي ١/١٩٣.

(٣) سنن أبي داود ١٨/١٤ (٤/ ٣٣٠، كتاب الأدب، باب في الرجل ينتمي إلى غير مواليه).

الذي أشار إليه الشاه ولي الله في المصنفى بشرح الموطأ فقد قال:

«لم يلقَ عصرَ أتباع التابعين إلا الإمام أبا حنيفة^(١) والإمام مالك.

والإمام أبو حنيفة رجلٌ لم يروِ رؤوس المحدثين مثل أحمد
والبخاري ومسلم والترمذي وأبي داود، والنسائي، وابن ماجه،
والدارمي في كتبهم الأحاديث الواردة من طريقه، ولم تجر منه سلسلة
الرواية عن طريق الثقات.

والثاني (الإمام مالك) رجلٌ قد اتفق أهل النقل على أن الحديث
الوارد من روايته في أعلى درجات الصحة.»^(٢)

(١) لقد ادعى الأستاذ النعماني دعاوى عريضة وبكلمات حماسية رنانة عن طلب الإمام
أبي حنيفة للحديث ولكن الأسف أنه لم يستطع أن يقدم شيئاً من الأدلة، اللهم إلا
ما كتب بين حين لآخر أخذاً من عقود الجمان، ولكنه بنفسه سبق أن قال عن هذا
الكتاب أنه لا يمكن الاحتجاج به، وهو في نظر المحققين كما قال، وإن كنت تريد
أن تطلع على بحث كون الإمام أبي حنيفة قليل الحديث بتفصيل، فارجع إلى كتاب
الإرشاد من ص ١٢٠ - ١٤٠، وقد ذكر فيه أسباباً عديدة لقلّة الإمام أبي حنيفة في
الحديث، وأثبت بأن جميع توجيهات الأستاذ النعماني لا تسمن ولا تغني في جوع،
وما هي إلا تكلفات باردة، وكل هذا بانصاف وعدل كاملين، وكل من يرى الكلام
المذكور يستطيع أن يعرف قيمة كلام الأستاذ النعماني، ونحن مع الأسف لا نستطيع
أن ننقل للقارئ الكريم عشرين صفحة كاملة خوفاً من التطويل. (المؤلف).

(٢) المصنفى بشرح الموطأ ص ٦ - ٧. وهو باللغة الفارسية.

فهرس إجمالي وكلام موجز عن مؤلفات إمام المحدثين

١- التاريخ الكبير:

هذا هو التاريخ الذي ألفه الإمام البخاري حينما كان في الثامنة عشرة من عمره، وذلك في الليالي المقمرة في المسجد النبوي^(١) بين قبر الرسول ﷺ^(٢) ومنبره، وهو الذي لما رآه الإمام إسحاق بن راهويه قدّمه من شدة الفرح إلى الأمير عبدالله بن طاهر الخراساني، وقال له: «ألا أريك سحرًا^(٣)».

وهو الذي قال عنه ابن عقدة:

«لو أن رجلاً كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ محمد ابن إسماعيل^(٤)» وهو كتاب فرد في كتب أسماء الرجال من حيث الشمول

(١) قال الإمام البخاري: «فلما طعنتُ في ثماني عشرة سنة جعلتُ أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاولهم... وصنفتُ كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر رسول الله ﷺ في الليالي المقمرة...».

تاريخ بغداد ٧/٢، تقييد المهمل ٤/أ، تاريخ دمشق ٤١/١٥ أ وغيرها وقد سبق تخريجه (ص ٩٤).

(٢) كان الإمام البخاري يقول: «لا أجيء بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم» (مقدمة الفتح ٤٨٧).

وقال: «قل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة، إلا أنني كرهتُ أن يطول الكتاب» (المؤلف) (مقدمة الفتح ٤٧٨، الطبقات للسبكي ٢/٢١٧، تاريخ بغداد ٧/٢).

(٣) مقدمة الفتح ٤٨٣، الطبقات للسبكي ٢/٢٢١، تاريخ بغداد ٧/٢ وقد سبق تخريجه في ص ٢٦٥.

(٤) مقدمة الفتح ٤٨٥، تاريخ بغداد ٨/٢ وقد سبق تخريجه.

والجمع^(١). قد روى هذا التاريخ عن البخاريّ أبو أحمد محمد بن سليمان ابن فارس، وأبو الحسن محمد بن سهل الفسوي وغيرهما من المحدثين^(٢).

- (١) يوجد وصف هذا الكتاب الجليل القدر في الطبقات للسبكي ٢/٢٢٥-٢٢٦ (المؤلف). ويشير إلى ما سبق ذكره من كلام «أبي أحمد الحاكم الكبير في أهمية كتاب التاريخ للبخاري واستفادة مسلم وأبي حاتم وأبي زرعة عنه في مؤلفاتهم (انظر ص: ٢٧٢).
- (٢) انظر تغليق التعليق ٥/٤٣٦، مقدمة الفتح ص ٤٩٢، طبقات المفسرين للداودي ٢/١٠٧. وكان في الأصل تبعاً لما وقع في كشف الظنون ١/٢٨٧ «اللغوي» وفي الحاشية عن نسخة أخرى «الفسوي» وهو الصواب كما سيأتي في ترجمته.
- وابن فارس: هو أبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس الدّلال النّيسابوري.
- روى عن: محمد بن يحيى وأحمد بن يوسف، وأبي الأزهر، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومحمد بن رافع، وأبي سعيد الأشج، ومحمد بن علي بن الحسن بن شقيق، والحسين بن عيسى البسطامي، وعمر بن شبة وغيرهم.
- روى عنه أبو بكر بن علي الحافظ (من شيوخ الحاكم) ومحمد بن عطية بن خالد القزويني (روى عنه التاريخ الكبير للبخاري).
- وروى عنه (أى عن ابن فارس الدلال) أيضاً أبو الحسن علي بن إبراهيم المستملي المعروف بالنجار، وهو من تلاميذ ابن خزيمة ومن شيوخ الدارقطني وغيره ت ٣٥٣. قال الخطيب: كان ثقة. (تاريخ بغداد ١١/٣٣٨-٣٣٩).
- ويروي الإمام الدارقطني كتاب التاريخ الكبير عن علي بن إبراهيم هذا: حدثنا ابن فارس، حدثنا البخاري.
- قال محقق كتاب المؤتلف والمختلف للدارقطني: «ولقد أكثر الدارقطني الاقتباس من التاريخ الكبير للبخاري وغرف منه غرقاً، فقد اقتبس من التاريخ الكبير أبواباً كاملة أتى على معظم ما فيها من تراجم. وزاد في مرات كثيرة على تراجم هذه الأبواب حتى يمكننا أن نعتبر كتاب المؤتلف والمختلف ذيلًا على كتاب التاريخ. ولا عجب في ذلك فقد تقدم في مصنفات الدارقطني أن له كتاباً بعنوان «الذيل على التاريخ الكبير» (١/١٠١).

وعن طريق المستملي هذا عن محمد بن سليمان بن فارس روى الخطيب البغدادي ١٦٥ نصاً من التاريخ الكبير للبخاري (موارد الخطيب البغدادي ص ٣٤٧- =

= (٣٤٨) وذكر بهذا الاسناد نفسه في موضح أوهام الجمع والتفريق مصرحًا بأنه من تاريخ البخاري (الموضح ٢٨٨/١) وروى نصًا آخر في السابق واللاحق ص ١١٥ .
وروى الحاكم أبو عبدالله عن رجل عنه كتاب التاريخ . ويروي ابن خير الإشبيلي كتاب التاريخ الكبير بثلاثة طرق عن البخاري منها طريق عن المستملي وعن أبي الحسن علي بن إسماعيل الطوسي كلاهما عن أبي أحمد ابن فارس هذا عن البخاري (انظر: فهرسته ص ٢٠٥) .

وروى الحافظ ابن حجر كتاب التاريخ الكبير للبخاري باسناده عن أبي بكر محمد بن سهل الشيرازي عنه عن البخاري (المجمع المؤسس ٥٥/٢ ، المعجم المفهرس ص ١٦٦) .

وله - أي لابن فارس - ترجمة في الأنساب للسمعاني وجاء فيها:
كانت له ثروة ظاهرة وتجارة واسعة، فاشتغل بالدلالة بعد أن كان أقام ببغداد على التجارة سنين، وقد كان أنفق على العلم الأموال الكثيرة، وكان التمس من محمد بن إسماعيل البخاري نزول داره فنزل عنده مدة، وقرأ عليه كتاب التاريخ من أوله إلى باب فضيل.

«وسئل أبو عبدالله محمد بن يعقوب بن الأخرم الحافظ عن محمد بن سليمان ابن فارس فقال: ما أنكرنا عليه إلا لسانه، فإنه كان فحاشًا» .
وقال الذهبي في العبر: «أنفق أموالاً جلية في طلب العلم . وأنزل البخاري عنده لما قدم بنيسابور . . . وكان يفهم ويذاكر» .

قال الخليلي: مات قبل ٣١٠هـ وفي الأنساب . مات ٣١٢هـ بنيسابور وهو ما جزم به الذهبي في التذكرة والسير والعبر .

قلت: ويروي أبو أحمد الحاكم في كتابه «الأسامي والكنى» كثيرًا من النصوص عن طريق أبي أحمد الدلال هذا عن البخاري .

انظر: الإرشاد للخليلي ٨٥٨/٣ ، الترجمة ٧٦٧ ، الأنساب ٤٣١/٥ «الدلائل» تذكرة الحفاظ ٧٨٧/٣ ، سير أعلام النبلاء ٣٨٨/١٤ ، العبر ٤٦٤/١ ، شذرات الذهب ٢٦٥/٢ ، المجمع المؤسس ٥٥/٢ ، المعجم المفهرس ص ١٦٦ رقم ٦٣٠ ، مقدمة كتاب الأسامي والكنى لأبي أحمد الحاكم ١١٣/١ - ١١٤ .

وأحال محقق كتاب الإرشاد إلى مختصر تاريخ نيسابور ص ٥٥ .

أما: «أبو الحسن محمد بن سهل الفسوي» فقد ذكره المزي في تهذيب الكمال في الرواة عن البخاري (٤٣٥/٢٤) وعن طريقه وردت النسخة المطبوعة من التاريخ الكبير واسمه فيها «أبو الحسن محمد بن سهل بن كردي البصري المقرئ الفسوي» قال: حدثنا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي بالبصرة سنة ست وأربعين ومائتين . (٣٠٢/١) .

وقد روى عنه: «أبوبكر أحمد بن عبدان بن محمد بن الفرّج الحافظ الشيرازي . قال: قرأه عليه بفسا من بلاد فارس» كما في النسخة المطبوعة من التاريخ الكبير (٣/١) . وعن طريقه روى أيضًا ابن عطية الأندلسي (فهرسته ص ١٠٠) والقاضي عياض (الغنية ص ١٩٩) وابن خير الأشبيلي (فهرسته ص ٢٠٥) وكذا ابن حجر كما في تغليق التعليق (٤٥٩/٥) ولكن فيه «محمد بن سهل» فقط دون ذكر كنيته أو نسبته .

ولكن جاء في إسناد ابن حجر في المعجم المفهرس ص ١٦٦ ، والمجمع المؤسس ٥٥/٢ «أبوبكر محمد بن سهل» زاد في المعجم «الشيرازي» حدثنا (في المعجم: أنبأنا) محمد بن سليمان بن فارس عنه . فلا أدري هل «أبوبكر محمد بن سهل الشيرازي» هو نفسه «أبو الحسن محمد بن سهل الفسوي» وذكر «ابن فارس» مقحم في الإسناد أم أن الشيرازي غير الفسوي اشتركا في الاسم فقط . ولكن إسناد ابن حجر يتفق مع إسناد مطبوعة التاريخ بعد ثلاثة من الشيوخ فقط، فالله أعلم .

وروى التاريخ الكبير عن مؤلفه الحافظ الفضل بن عباس الصائغ أيضًا . ونسخته هي التي أطلع عليها الحافظ أبو زرعة الرازي وبنى عليها انتقاداته للبخاري (انظر مقدمة المحقق لكتاب بيان خطأ البخاري) .

وروى أبو أحمد الحاكم بعض نصوص التاريخ عن أبي إسحاق محمد بن إسحاق الثقفي عن البخاري . انظر مثلاً كتابه الأسامي والكنى ٦٨/٤ ترجمه بشر بن حاتم الرقي .

وبالإضافة إلى الإسنادين المذكورين سابقًا لابن خير الإشبيلي له اسناد ثالث أيضًا عن طريق أبي محمد عبدالرحمن بن الفضل بن عبدالله بن محمد الفسوي عن البخاري . (فهرسة ابن خير ص ٢٠٥) .

وعرفنا من تحقيقات صاحب كشف الظنون أن أبا القاسم مسلمة بن قاسم (وهو من معاصري الإمام الدارقطني) قد كتب ذيلًا عليه^(١). وهناك ذيل آخر ألفه سعد بن جناح أيضًا^(٢).

والأسف أن هذا الكتاب لم يطبع إلى الآن^(٣)، وتوجد بعض أجزاءه في مكتبة حيدرآباد، ويبتدىء من حرف (ق) إلى آخر الكتاب، إلا أنه

= وانظر كلامًا مفيدًا للعلامة المعلمي عن التاريخ الكبير وروايته وما يوجد في كل رواية من فروق واختلافات في مقدمته لكتاب موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي (١/ ١٠-١٢).

(١) مسلمة بن قاسم، أبو القاسم الأندلسي القرطبي، ت ٣٥٣هـ، محدث رحال لكنه ضعيف. قال الذهبي في الميزان: «ضعيف، وقيل كان من المشبهة».

قال أبو جعفر المالقي: «جمع تاريخًا في الرجال شرط فيه أن لا يذكر إلا من أغفله البخاري في تاريخه. وهو كثير الفوائد».

تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ١٢٨/٢، سير أعلام النبلاء ١١٠/١٦، ميزان الاعتدال ١١٢/٤، لسان الميزان ٣٥/٦.

(٢) سعد بن جناح، هكذا في كشف الظنون ٢٨٧/١. ولم أجد له ترجمة.

وقد سبق قبل قليل تعليقًا أن الدارقطني أيضًا له «الذيل على التاريخ الكبير» على المحمدين منه خاصة (مقدمته تحقيق المؤلف والمختلف للدارقطني ١/ ٤٦).

(٣) قد بدأ طبع هذا الكتاب العظيم تحت رعاية دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند سنة ١٣٦٠هـ. وطبعت حتى الآن عدة مجلدات، يسر الله إتمامه (عبيد الله الرحمانى).

ولقد تم طبع هذا الكتاب الكريم في حيدرآباد في ٨ أجزاء (٤ مجلدات) فيما بين ١٩٤١-١٩٦٣م. بتحقيق وتصحيح العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رحمه الله.

ثم صدرت له طبعات أخرى مصورة من طبعة حيدرآباد. وألحق بها جزء تاسع أيضًا يشتمل على كتاب الكنى للبخاري وكتاب «بيان خطأ البخاري في تاريخه» لابن أبي حاتم الرازي.

وللكتاب نسخ عديدة مخطوطة في مختلف مكتبات العالم. فلينظر تاريخ الأدب العربي للبروكلمان ١٧٨/٣، وتاريخ التراث العربي لسزكين ٢٠٤/١.

ليس فيه ذكر للمحمدين، ولعله ذكرهم في أول الكتاب.

واستوعب كتاب التاريخ الكبير مَنْ رُوي عنهم الحديث من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين مرتبة أسماءهم على حروف الهجاء، فإن وجدت أسماء مشتركة روعي ترتيب حروف الهجاء في أسماء آبائهم، فإن لم تُعرف أسماء آبائهم كالموالى وغيرهم كتبهم تحت عنوان «من أفناء الناس» عند انتهاء الرديف. والأسماء التي لا تشترك جمعها تحت «باب الواحد» والغالب فيه ذكرُ السماع والشيوخ والتلامذة، ويوجد الجرح والتعديل أيضًا في كثير من الحيان، ولكن بدون استيعاب، وقد استنسخت بعض أجزائه من حيدرآباد.

٢- التاريخ الأوسط^(١):

قد روى هذا الكتاب عن الإمام البخاريّ عبدالله بن عبدالسلام

(١) ورد ذكره في: فهرسة ابن النديم ص ٣٢٢، وفهرسة ابن خير ص ٢٠٥، وقال «سبعة أجزاء»، تحفة الأخباري ص ١٨٢، تغليق التعليق ٤٣٦/٥، مقدمة الفتح ٤٩٢، طبقات المفسرين ١٠٧/٢، كشف الظنون ٢٢٠/١ (٢٨٧/١).

وذكره الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح ضمن تصانيف البخاري الموجودة والمروية له بالسماع أو بالاجازة. (ص ٤٩٢)، ولم أجد له ذكرًا في فهرس الكتب الذي أثبته محقق كتابه «المجمع المؤسس» في آخر الكتاب، فلعل الحافظ لم يذكر إسناده فيه، كما لم يذكره في آخر كتابه تغليق التعليق حيث ذكر إسناده للتاريخ الكبير والصغير. (٤٥٩/٥) ولكنه ذكر ذلك في المعجم المفهرس (ص ١٦٦، رقم ٦٣١) وهو يرويه عن طريقي عبدالله الخفاف وابن زنجويه عن البخاري ولكن وقع الاسم الأخير في إسناده «أبو محمد بن زنجويه» بزيادة كلمة «بن» وقال الحافظ في آخر إسناده «وهذا التاريخ مرتب على السنين، ورواية ابن زنجويه مخالفة لرواية الخفاف في شيء كثير.» (المعجم المفهرس ص ١٦٦).

الخفاف^(١) وزنجويه بن محمد اللبّاد^(٢). ولم أجد سبيلاً لمعرفة أحواله المفصلة، ولا علمت عن وجود نسخة له^(٣).

(١) الحافظ العالم الثقة، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن عبدالسلام النيسابوري الخفاف نزيل مصر. حدث عن محمد بن إسماعيل البخاري وطبقته ولازم البخاري، حدث عنه أبو عبدالرحمن النسائي في الكنى، وأبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي وغيرهما. توفي بمصر في ٢٩٤هـ وكان من البصريين بهذا الشأن. (سير أعلام النبلاء ٨٨/١٤ ملخصاً).

(٢) الشيخ القدوة، الزاهد العابد، الثقة، أبو محمد زنجويه بن محمد بن الحسن النيسابوري اللبّاد. كان أحد المجتهدين في العبادة. قال الحاكم: عهدت الحفاظ من مشايخنا كلهم يشنون على زنجويه غير أبي الحسين الحجاجي إلخ. توفي ٣١٨هـ. الأنساب للسمعاني ١٩٨/١١، سير أعلام النبلاء ٥٢٢/١٤.

قلت: وعن طريق هذين الإمامين الجليلين كان ابن خير الاشيلي يروي كتاب التاريخ الأوسط كما ذكر في فهرسته (ص ٢٠٥).

(٣) كانت نسخة خطية كاملة للتاريخ الأوسط توجد في المكتبة الحكومية في ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية. (عبيد الله الرحمانى).

وذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ١٧٨/٣، وسزكين في تاريخ التراث العربي ٢٠٤/١ أن نسخة ناقصة منه موجودة في مكتبة بانكيبور بالهند.

هذا وقد طبع «التاريخ الأوسط» حديثاً في مجلدين بتحقيق الأستاذ محمد بن إبراهيم اللحيان، نشر دار الصميعي. الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

وقد اعتمد محققه على نسختين خطيتين إحداهما كاملة وهي برواية عبدالله بن أحمد بن عبدالسلام الخفاف النيسابوري عن الإمام البخاري. موجودة بالمكتبة الظاهرية في دمشق كتب عنوانها في المخطوطة «الجزء الأول من التاريخ تأليف محمد بن إسماعيل البخاري إلخ».

والنسخة الثانية ناقصة وهي موجودة بمكتبة الشيخ سليمان البسام بعينزة وهي من رواية زنجويه بن محمد النيسابوري عن البخاري وكتب عنوانها في المخطوطة «التاريخ الأوسط تصنيف الإمام الحافظ... البخاري رحمه الله» وبين الروايتين اختلاف في بعض الأحيان.

وأفاد محققه الفاضل في مقدمته بناء على دراسات علمية حديثة أن ما هو =

= مطبوع ومتداول منذ نحو قرن من الزمان باسم «التاريخ الصغير» إنما هو «التاريخ الأوسط» بعينه ولكن ناشره الأول وجد مخطوطه بدون تسمية فظن أنه «التاريخ الصغير» فنشره بهذا الاسم واشتهر ذلك بين الناس.

ويؤيده في هذا أن المطبوع باسم التاريخ الصغير هو من رواية زنجويه بن محمد النيسابوري نفسه عن البخاري. ولم يشر ابن حجر إلى رواية للتاريخ الصغير عن طريق زنجويه هذا وإنما هو معروف عن طريق عبد الله الأشقر كما سيذكر المصنف بعد قليل.

ويعكر عليه أن ابن رُشيد الفهرى (ت ٧٢١هـ) ذكر حديثاً في كتابه السنن الأبين (ص ١٤٠) عزاه إلى «البخاري في تاريخه الصغير» ثم رواه باسناده عن زنجويه بن محمد النيسابوري قال لي محمد بن إسماعيل البخاري إلخ. وهذا النص موجود بمثله في المطبوع من التاريخ الصغير (٤١/٢ - ٤٢).

وذكر ناشر المطبوع باسم «التاريخ الصغير» في سنة ١٣٢٤هـ الشيخ محمد محي الدين الجعفري رحمه الله أنه اعتمد في طبعه على أربع نسخ خطية وراجعها قبل الطبع العلامة المحدث الشيخ شمس الحق العظيم آبادي صاحب عون المعبود، رحمه الله. وبعد مراجعة تاريخ التراث العربي لسزكين تبين أنه توجد فعلاً أربع نسخ خطية لكتاب التاريخ الصغير في مختلف مدن الهند بالإضافة إلى نسخة خامسة في برلين بألمانيا وسادسة في الظاهرية بدمشق. فهل كل هذه النسخ خالية من أية تسمية؟ وقبل أن نجزم بأن ناشر الطبعة الأولى هو الذي اختار هذه التسمية، لابد من الحصول على كل هذه النسخ ثم دراستها والمقارنة بينها للوصول إلى رأى جازم في الموضوع. لا سيما وأن نسخة عنيزة التي انفردت بتسمية «التاريخ الأوسط» لم يعرف ناسخها ولا تاريخ نسخها وقد تكون نسخة حديثة. والله أعلم.

ويبقى السؤال بعد هذا: ما هو التاريخ الصغير إذن؟ وأين هو؟ لقد ذكر ابن خير الإشيلي أن كتاب الضعفاء والمتروكين للبخاري هو التاريخ الصغير له، (القهرسة ص ٢٠٦) ولكن يعكر عليه أن ابن النديم قبله ذكر «التاريخ الكبير» و«التاريخ الصغير» و«التاريخ الأوسط» و«الضعفاء» ككتب مستقلة للإمام البخاري (فهرست ابن النديم ص ٣٢١ - ٣٢٢) وأن ابن حجر كذلك ذكر التاريخ الكبير، والأوسط، والصغير، والضعفاء كلها من كتبه الموجودة المروية له بالسمع أو بالاجازة (مقدمة الفتح ص ٤٩٢، وذكر أسانيده إلى كل منها في المعجم المفهرس) فلو كان

٣- التاريخ الصغير^(١):

وهو أيضًا كتاب منقطع النظير في التاريخ من كتب الإمام البخاري، وإن علاقة علم الرجال بعلم الحديث كالعلاقة بين الروح والجسد، ولذلك كان للإمام البخاري شغف خاص بهذا العلم.

روى هذا الكتاب عن الإمام البخاري عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الأشقر^(٢).

= الضعفاء هو «التاريخ الصغير» نفسه لما فرق بينهما لا سيما وقد اطلع على كل منهما.

وقد ذكر الروداني في صلة الخلف (ص ١٥٥) أن «التاريخ الصغير خاص بالصحابة وهو أول مصنف في ذلك». كما ذكر محقق التاريخ الأوسط. والله أعلم. (١) طبع التاريخ الصغير في إله آباد. (المؤلف) بالهند سنة ١٣٢٤هـ بتحقيق الشيخ محمد محي الدين الجعفري الإله آبادي وإفادات العلامة المحدث الشيخ شمس الحق العظيم آبادي صاحب عون المعبود.

ثم صدرت له طبعات أخرى. وذكر بروكلمان (١٧٨/٣ - ١٧٩) وسزكين (٢٠٤/١ - ٢٠٥) نسخًا مخطوطة له.

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٩٢، تغليق التعليق ٤٣٦/٥، المعجم المفهرس لابن حجر ص ١٦٦، رقم ٦٣٢، وهو «الشيخ العالم الصدوق، أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الخليل بن الأشقر»، روى التاريخ الصغير للبخاري عن مؤلفه.

روى أيضًا عن محمد بن سليمان لوين، والحسن بن عرفة وغيرهما، روى عنه أبو حفص بن شاهين، وأبو العباس أحمد بن زنبيل وآخرون.

قال الذهبي: كان محدثًا معمرًا، إمامًا مفتيًا، ولي قضاء كرخ بغداد... توفي سنة بضع عشرة وثلاثمائة.

ذكر أخبار أصبهان ٧٢/٢، تاريخ بغداد ١١٧/١٠، الإكمال لابن ماكولا ٩٥/١، الأنساب للسمعاني ٢٦٩/١، الأشقر، الباب ٦٥/١، سير أعلام النبلاء ٣٠٣/١٤.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر اسناده إليه في تغليق التعليق ٤٥٩/٥. وفي المعجم المفهرس ص ١٦٦.

وقال الذهبي في ترجمة خطيب مشكان أبي الحسن علي بن محمد المشكاني: =

والنسخة المطبوعة هي برواية أبي محمد زنجوية بن محمد النيسابوري^(١)، وقد ذكر فيه الإمام البخاري مشاهير الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وسني وفياتهم ونسبهم ولقاءهم، ويذكر في الغالب الجرح والتعديل أيضًا، ورتب تأليفه على السنوات، فإذا انتهى من سنة وذكر وفيات مشاهيرها وغيرها من الأمور المهمة بدأ لسنة أخرى، وقال في خطبة الكتاب:

«كتابٌ مختصر من تاريخ النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، وطبقات التابعين لهم بإحسان، ومن بعدهم ووفاتهم، وبعض نسبهم وكناهم ومن يُرغب في حديثه^(٢)».

= «ولد سنة ٤٦٠ هـ بمشكان. فقدم عليهم الشيخ المعمر أبو منصور محمد بن الحسن ابن محمد بن يونس النهاوندي سنة نيف وسبعين فسمع منه هذا «التاريخ الصغير» للبخاري بسماعه من القاضي أبي العباس بن زنبيل النهاوندي عن القاضي عبدالله بن محمد بن الأشقر عن البخاري، فتفرد الخطيب بعلو هذا الكتاب مدة، ولكن قل من سمعه منه لبعده الديار». وسمعه منه أبو سعد السمعاني وابن عساكر أيضًا. (سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٣١٢، وانظر أيضًا ١٧ / ٩٩).

(١) تقدمت ترجمته وإنه راوي التاريخ الأوسط عن البخاري.

وقد ذكر ابن عدي كثيرًا من نصوص هذا الكتاب عن محمد بن عبدالله الجنيدي (ت ٣٤٧ هـ، سير أعلام النبلاء ١٦ / ١٧) عن البخاري انظر: ابن عدي ومنهجه في كتاب الكامل ١ / ٣٠٣.

وذكر الإمام الدارقطني نصوصًا عدة عن الإمام البخاري بروايته عن أبي بكر محمد بن الحسن النقاش، حدثنا محمد بن شاذان النيسابوري، حدثنا البخاري.

وذكر محقق كتاب المؤتلف والمختلف أنها من التاريخ الصغير للبخاري وذكر مواضعها فيه (انظر مقدمة المحقق ١ / ١٠٢، والفهرس ٥ / ٢٥٦٠).

(٢) التاريخ الصغير ص ٣، طبعة الهند، و١ / ١ طبعة محمود زايد. والتاريخ الأوسط ١ / ٦٨ وفيه «ومن يرغب عن حديثه».

وانظر التعليق على «التاريخ الأوسط» وقد مضى قبل قليل.

٤- الجامع الكبير:

ذكره ابن طاهر^(١) ولم نطلع على تفاصيله أيضًا، ولم أعرف وجود أى نسخة منه^(٢)، واكتفى صاحب كشف الظنون أيضًا بذكر هذا القدر.^(٣)

٥- خلق أفعال العباد^(٤):

كان الصحابة والتابعون يردون على الفرق الباطلة بالآيات والأحاديث، وسلك الإمام البخاري مسلكهم في هذا الكتاب، وهذا هو علم الكلام القديم. وقد رواه عن الإمام البخاري يوسف بن ربحان بن عبد الصمد والعلامة الفربري^(٥)، وفيه رد على الفرق الباطلة الجهمية والمعتلة،

(١) كما ذكره عنه الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح ص ٤٩٢.

(٢) كانت نسخة قلمية كاملة بخط الحافظ ابن كثير للجامع الكبير في مكتبة المخطوطات في دار العلوم بألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية، ندعو الله أن تكون هذه المكتبة محفوظة. (عبد الله الرحماني).

(٣) كشف الظنون ٥٧١/١.

(٤) وقد طبع كل من خلق أفعال العباد، وكتاب الضعفاء الصغير. (المؤلف) وذكره الذهبي في ثلاثة مواضع في سير أعلام النبلاء باسم «أفعال العباد» ٥٠٧/١٠، ٤٠٥/١١، ١١٣/١٢.

(٥) تغليق التعليق ٤٣٦/٥، مقدمة الفتح ٤٩٢، كشف الظنون ٤٧٣/١.

والفربري: هو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح الفربري راوي الكتاب الجامع الصحيح للبخاري. ولادته سنة ٢٣١هـ، وتوفي سنة ٣٢٠هـ، وذكر المؤلف ترجمته في آخر الكتاب في تلامذة الإمام البخاري. وانظر أيضًا تذكرة الحفاظ ٧٩٨/٣، الأنساب ١٧٠/١٠، ١٧١ (المراجع).

وأما يوسف بن ربحان بن عبد الصمد، فلم أجد له ترجمة حتى الآن.

ولكن روى الخطيب البغدادي (١٧/٢) وعنه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/١٥ ب) والمزي في تهذيب الكمال (٤٥١/٢٤) بإسناده عن محمد بن نعيم

الضبي قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن يوسف بن ربحان الأمير ببخارى قال: =

وَجُمِعَتْ آثَارُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَيْضًا مَعَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ. ^(١)

٦- كتاب الضعفاء الصغير:

وقد ذُكرت فيه أسماءُ الرواة الضعفاء مرتبة على حروف الهجاء، ويبين في غالب الأحيان أسباب الضعف مع ذكر شيوخ الراوي. وبإمعان النظر في هذا الكتاب يتبين مدى ما كان يراعيه الإمام البخاري من الاحتياط البالغ والحذر الكامل في جرح الرواة وتضعيفهم.

كما أن كلمة «الصغير» تشير إلى أنه ألف كتاب «الضعفاء الكبير» أيضًا ^(٢)، أو على الأقل أراد تأليفه.

= حدثني أبي يوسف بن ربحان قال سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان علي بن المديني يسألني عن شيوخ خراسان... إلخ وفيه قول ابن المديني: «يا أبا عبد الله كل من أثنت عليه فهو عندنا الرضا».

فهذا يدل على أن أسرته كانت ذا مكانة في بخارى. والله أعلم.

(١) ذكر بروكلمان (١٧٩/٣) وسزكين (٢٠٦/١) وجود ثلاث نسخ من كتاب خلق أفعال العباد في مكتبات العالم. وطبع بتحقيق العلامة الشيخ شمس الحق العظيم آبادي في دهلي ١٣٠٦هـ ثم صدرت له طبعات أخرى.

(٢) ولكن ذكره ابن النديم (ص ٣٢٢) والمالكي في تسمية ما ورد به الخطيب دمشق من الكتب (ص ٢٩٠) وابن حجر (التغليق ٤٣٧/٥)، مقدمة الفتح ص ٤٩٢، المعجم المفهرس ص ١٧٣) باسم «الضعفاء» فقط. دون كلمة «الصغير». وذكره ابن خير الإشبيلي باسم «الضعفاء والمتروكين» (الفهرسة ص ٢٠٦). ولكن جاء في آخر مطبوعة الضعفاء «آخر كتاب الضعفاء الصغير للإمام البخاري رحمه الله».

وذكر السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص ١٠٩، الصغير والكبير كليهما. وكذا ابن ناصر الدين في تحفة الأخباري ص ١٨٢ وأشار المزي في مقدمة تهذيب الكمال إلى «كتابي الضعفاء» للبخاري (١/١٥١).

وتوجد في سير أعلام النبلاء نصوص عزائها الذهبي إلى كتاب «الضعفاء» للبخاري ولم أجدها في الضعفاء الصغير المطبوع. انظر سير أعلام النبلاء ٤/١٥٥، =

= ٣٢٢/٦، ٤٢٧/٩ وذكر حديثاً في ترجمة ابن ميلة، عن طريق ثابت بن محمد الزاهد ثم قال: «هذا حديث منكر مع قوة إسناده، والعجب من البخاري حدث عن ثابت بن محمد الزاهد في صحيحه وذكره في كتاب الضعفاء». (٢٩٩/١٧).

ولا يوجد ذكر ثابت بن محمد الزاهد في الضعفاء الصغير المطبوع. وقال الذهبي في آخر ترجمة البخاري من السير: «تاريخ البخاري يشتمل على نحو من أربعين ألفاً وزيادة، وكتابه في الضعفاء دون السبع مائة نفس» (٤٧٠/١٢) ولكن في المطبوع من الضعفاء الصغير ٤١٨ ترجمة فقط.

وكل هذا يدل على أن للبخاري كتاباً آخر في «الضعفاء» غير الضعفاء الصغير المطبوع. وهذا ما صرح به الذهبي في ترجمة أبي تميلة من السير حيث قال:

«ووهم أبو حاتم حيث حكى أن البخاري تكلم في أبي تميلة، ومشى على ذلك أبو الفرج ابن الجوزي، ولم أر ذكرًا لأبي تميلة في كتاب «الضعفاء» للبخاري، لا في الكبير ولا الصغير ثم إن البخاري قد احتج بأبي تميلة.» (سير أعلام النبلاء ٢١١/٩).

وقال في ترجمة عبدالله بن أبي الخوارزمي «وقد روى البخاري عن ابن أبي في كتاب «الضعفاء» أحاديث روايةً وتعليقاً، فإنه مر بخوارزم فتزل على هذا الرجل» (سير أعلام النبلاء ٥٠٣/١٣).

وصرح في ترجمة سليمان بن بنت شرحبيل أن المقصود من قوله هذا هو الضعفاء الكبير فقال: «وقد روى البخاري أيضاً عن عبدالله عنه، وعبدالله هذا هو عندي عبدالله بن أبي الخوارزمي القاضي. فإن البخاري نزل عنده مدة ونظر في كتبه وعلق عنه أماكن في كتاب «الضعفاء الكبير» له. (السير ١٣٩/١١).

فهذا تصريح من إمام مثل الذهبي أن البخاري له كتاب «الضعفاء الصغير» وآخر كتاب «الضعفاء الكبير» وأن الذهبي اطلع عليهما واستفاد منهما.

وذكره الذهبي في الميزان أيضاً، فقال في ترجمة عبدالرحمن بن يزيد بن جابر الدمشقي: «لم أر أحداً ذكره في الضعفاء غير أبي عبدالله البخاري فإنه ذكره في الكتاب الكبير في الضعفاء إلخ (الميزان ٥٩٨/٢).

ويظهر أن الإمام البخاري في كتابه «الضعفاء الكبير» كان يذكر بعض مرويات المترجمين أيضاً. فقد قال الذهبي:

وقد روى هذا الكتاب عن البخاري أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدُّولابي^(١)، وأبو جعفر مُسَبِّح بن سَعِيد^(٢)، وآدم بن موسى

= «وخرَّج البخاري في كتاب «الضعفاء»... عن الحارث عن علي عن النبي ﷺ «أنين المريض تسبيحة إلخ» ثم قال: فهذا حديث منكر جدًّا وما أظن أن إسرائيل حدَّث بهذا. (السير ٤/١٥٥، ترجمة الحارث الأعور).

وذكر الذهبي أيضًا في ترجمة أبي الفتح محمد بن الحسين الأزدي حديث «ما من عشرين متحابين يستقبل أحدهما صاحبه فيصافحه إلخ» ثم قال: هذا حديث غريب منكر، أخرجه البخاري في كتاب الضعفاء عن خليفة في ترجمة درست. (السير ١٦/٣٤٩). وهذا قليل جدًّا في الضعفاء الصغير. وذكر الذهبي في الميزان في ترجمة عبدالله بن جرير حديثًا عزاه إلى البخاري في «الضعفاء الكبير له» (الميزان ٢/٤٠٠، وعنه اللسان ٣/٢٦٧).

(١) الإمام الحافظ البارع أبو بشر محمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدُّولابي الرّازي الورّاق. ولد ٢٢٤هـ وسمع الجوزجاني، ومحمد بن بشار وغيرهم. روى عنه ابن أبي حاتم، وابن عدي، والطبراني وآخرون. ت ٣١٠هـ. وهو صاحب كتاب الكنى المشهور. ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٢/٧٥٩، سير أعلام النبلاء ١٤/٣٠٩، ميزان الاعتدال ٣/٤٥٩، لسان الميزان ٥/٤١، وغيرها.

وقد كاد ابن عدي يستوعب كتاب الضعفاء الصغير للبخاري في كتابه الكامل عن طريق الدولابي هذا. ما عدا تراجم قليلة ذكر أرقامها صاحب كتاب ابن عدي ومنهجه في كتاب الكامل (١/٢٢٠).

وعلى سبيل المثال ذكر البخاري في باب من اسمه إبراهيم اثنتي عشرة ترجمة، ذكرها كلها ابن عدي في الكامل ماعدا ترجمة واحدة وهي ترجمة «إبراهيم بن محمد أراه ابن أبي عطاء» وقيل فيه هو إبراهيم بن أبي يحيى نفسه. وعلى هذا فهو مكرر في الضعفاء الصغير ولعل ابن عدي لم يفرد له ترجمة من أجل هذا. وذكر في هذه التراجم أقوال البخاري عن طريق الدولابي نفسه ماعدا ترجمة واحدة ذكرها عن طريق الجنيدي عن البخاري.

وزاد عليها ابن عدي تراجم أخرى ذكر فيها أقوال البخاري ولعلها من التاريخ الصغير، أو الضعفاء الكبير. والله أعلم.

(٢) وقع في الأصل تبعًا لمقدمة الفتح «شيخ بن سعيد» وما أثبتته من تهذيب الكمال =

الخُوارِي^(١) وغيرهم^(٢).

= حيث ذكره في الرواة عن البخاري (٤٣٦/٢٤) وهكذا وقع اسمه في سير أعلام النبلاء في أكثر من موضع في أخبار البخاري (٤٣٢/١٢، ٤٣٨). وكذا في طبقات المفسرين للداودي (١٠٧/٢) ولم أجد له ترجمة مفردة.

ومن الذين رووا عن البخاري «المسيح بن داود النخشي، ومسيح بن عصمة أبو يوسف». وقيل فيهما أيضًا «مسيح» وهو ما رجحه ابن نقطة. انظر: تكملة الإكمال ٣٣٩/٥ - ٣٤٠، وتوضيح المشتبه ١٥٧/٨.

(١) آدم بن موسى الخُوارِي. ذكره ابن نقطة في تكملة الإكمال وقال: حدث عن سعيد بن عنبسه، ومحمد بن إسماعيل البخاري الإمام، حدث عنه أبو أحمد محمد بن أحمد بن الغطريف والعقيلي أيضًا. (٢/٥١٧، الترجمة ٢١٣٦) وذكره أيضًا ابن حجر في تبصير المنتبه ٥٥٣/٢.

والنسخة المطبوعة من كتاب الضعفاء الصغير هي من رواية آدم بن موسى الخُوارِي هذا، رواها عنه أبو أحمد محمد ابن الغطريف. كما أن العقيلي يروي كثيرًا من أقوال البخاري برواية آدم بن موسى هذا من كتابه الضعفاء الصغير، فعلى سبيل المثال ذكر البخاري في باب من اسمه إبراهيم اثنتي عشرة ترجمة، اقتبس العقيلي عشرة منها. (انظر التراجم: ٢٧، ٢٨، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٦٤، ٦٥، ٧١، ٧٢ في ضعفاء العقيلي).

والنصوص التي ذكرها العقيلي متطابقة تمامًا لما في الضعفاء سوى اختلاف قليل جدًا في تقديم أو تأخير بعض الكلمات في بعض التراجم رغم أن المطبوع مروي من طريق غير الطريق التي يروي عنها العقيلي.

غير أن العقيلي ذكر أقوال البخاري أيضًا في ثماني تراجم أخرى في الباب نفسه وبالإسناد نفسه ولم يرد ذكرهم في الضعفاء الصغير. (انظر التراجم: ٣٠، ٣٦، ٤٢، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦٨ من ضعفاء العقيلي). وهذه النصوص موجودة في التاريخ الكبير للبخاري مع شيء من الاختلاف في الألفاظ. فإما أن العقيلي يروي التاريخ الكبير أيضًا بالإسناد نفسه وذكر تلك الأقوال بشيء من الاختصار. أو أن البخاري نفسه اختصرها في الضعفاء الكبير له ومنه أخذها العقيلي. العلم عند الله تعالى.

(٢) روى الخطيب البغدادي أربعة وأربعين نصًا من الضعفاء الصغير في كتابه تاريخ =

٧-٨- المسند الكبير والتفسير الكبير:

وقد ذكر هذين الكتابين الفَرَبَرِيُّ، تلميذُ البخاريِّ. ولم نعرف أحوالهما المفصلة ولا اطلعنا على وجود أي نسخة منهما^(١) ولا رواتهما^(٢).

= بغداد. (موارد الخطيب ٣١٩) من طريقين عن محمد بن إبراهيم بن شعيب الغازي عن البخاري. (المصدر السابق ص ٥٥٩). وعن طريق الغازي هذا كان ابن حجر يروي كتاب الضعفاء للبخاري وذكر اسناده إليه في المعجم المفهرس ص ١٧٣ رقم ٦٧٦.

وهو «الإمام الثقة الحافظ، أبو الحسين محمد بن إبراهيم بن شعيب الجرجاني الغازي» - نسبة إلى الغزو والجهاد مع الكفار - السَّرَوِي - نسبة إلى مدينة سارية - بطبرستان. سمع عمرو بن علي الفلاس، والبخاري، وأبا حاتم وأبا زرعة وغيرهم. روى عنه ابن عدي، وأبو أحمد والحاكم وأبو بكر الإسماعيلي وغيرهم. توفي سنة نيف وعشرة وثلاثمائة. انظر: معجم الإسماعيلي ٤٧٧/١، الأنساب ٤/١٠، الغازي، الباب ٣٧٢/٢، تذكرة الحفاظ ٧٦٠/٢، وفيه «أبو الحسن»، سير أعلام النبلاء ٤٠٧/١٤، توضيح المشتبه ٩٠/٥، وكنيته فيه «أبو الخير» طبقات الحفاظ ص ٣٢٠.

قلت: ومحمد إبراهيم الغازي هو راوي كتاب الكنى أيضًا عن البخاري كما جاء في أوله (التاريخ الكبير ٣/٩).

(١) مقدمة الفتح ص ٤٩٢، طبقات المفسرين للداودي ١٠٧/٢، وذكر التفسير وراق البخاري أيضًا. (تاريخ بغداد ١٤/٢، سير أعلام النبلاء ٤٤٤/١٢، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/٧٥، طبقات السبكي ٢/٢٢٦).

وذكر بروكلمان في تاريخ الأدب ١٧٩/٣، وجود نسخة للتفسير في باريس وقطعة منه في الجزائر. ولكن أسقطه سزكين. والله أعلم.

(٢) كانت نسخة كاملة مخطوطة من المسند الكبير بخط الإمام ابن تيمية في مكتبة المخطوطات في دار العلوم بألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية (عبد الله الرحمانى).

٩- كتاب الهبة :

وقد ذكره ورآق الإمام البخاري^(١) محمد بن أبي حاتم فقد قال :

«وعمل كتابًا في الهبة فيه نحو خمس مائة حديث، وقال : ليس في كتاب وكيع في الهبة إلا حديثان مسندان أو ثلاثة، وفي كتاب ابن المبارك خمسة أو نحوها^(٢)».

وهكذا فلا مقارنة بين كتاب البخاري وكتابي وكيع وابن المبارك لأنّ في كتاب وكيع حديثين أو ثلاثة، وفي كتاب ابن المبارك خمسة، بينما كتاب البخاريّ يشمل خمسمائة حديث، ولم نطلع على أى نسخة لهذا الكتاب أيضًا.

١٠- أسامي الصحابة :

ذكره أبو القاسم بن مندة^(٣)، وهو يرويه عن طريق ابن

(١) مقدمة الفتح ٤٩٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/٤١٠، تغليق التعليق ٥/٤١٨، مقدمة الفتح ص ٤٨٨.

(٣) هو أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم العبدي الأصبهاني يعرف بابن مندة وهو لقب جدّه الأعلى إبراهيم، محدث حافظ توفى سنة ٤٧٠هـ، (المنتظم ٨/٣١٥، شذرات الذهب ٣/٣٣٧-٣٣٨، معجم المؤلفين ٥/١٧١) (المراجع).

قلت: وقوله «أبو القاسم بن مندة» هكذا في مقدمة الفتح أيضًا (ص ٤٩٢) وعنه في مقدمة القسطلاني ٣٦/١.

ولكن المعروف أن كتاب «معرفة الصحابة» هو لوالده أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن مندة المتوفى ٣٩٥هـ. وإليه عزاه الحافظ في مقدمة الاصابة (٣/١) وقبله ابن الأثير في أسد الغابة (١٠/١) - وهو أحد أهم مصادر ابن الأثير - والذهبي =

الفارس^(١) عنه، وينقل عنه كثيرًا، وكذلك أبو القاسم البغوي^(٢) في كتابه «معجم الصحابة»^(٣) ولا نعرف أحدًا أفرد تصنيفًا في هذا الموضوع (أسامي الصحابة) قبل هذا^(٤)، وقد كتب بعده ابن مندة

= في سير أعلام النبلاء (٣٣/١٧) في ترجمته وغيرهم.

وله نسخ مخطوطة ذكرها سزكين في تاريخ التراث ٣٥٤/١.

(١) هو أبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس الدَّلَّال، تقدمت ترجمته عند ذكر التاريخ الكبير.

(٢) هو أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن المرزبان بن شابور بن شاهنشاه البغوي ابن بنت أحمد بن منيع البغوي، وإنما قيل له البغوي لأن جده أحمد بن منيع أصله من بغ، وهو ولد ببغداد وبها نشأ، عمر العمر الطويل حتى رحل الناس إليه، وكتب عنه الأجداد والأحفاد والآباء والأولاد. سمع أحمد بن حنبل وعلي ابن المدني من شيوخ البخاري ومسلم. صنف المعجم الكبير للصحابة، كانت ولادته سنة ٢١٣هـ وتوفي سنة ٧١٣هـ، (الأنساب ٢/٢٧٤، ٢٧٥) (المراجع) وقطعة من كتابه مازالت موجودة ومخطوطة كما ذكرها سزكين (٢٨٠/١).

(٣) مقدمة الفتح ٤٩٢. وينقل عنه أبو نعيم أيضًا في معرفة الصحابة ٢/٢٤٨، ٢٨٩، ٢٦/٣، تحقيق د. راضي عثمان.

(٤) قال الحافظ ابن حجر: «أول من عرفته صنف في ذلك أبو عبدالله البخاري، أفرد في ذلك تصنيفًا، فنقل منه أبو القاسم البغوي وغيره، وجمع أسماء الصحابة مضمومة إلى من بعدهم جماعة من طبقة مشايخه كخليفة بن خياط ومحمد بن سعد، ومن قرنائه كيعقوب بن سفيان وأبي بكر بن أبي خيثمة، وصنف في ذلك جمع بعدهم...» (الاصابة ٣/١، طبعة الزيني)

قلت: وقد ذكر السخاوي وغيره للإمام علي بن المدني ت ٢٣٤هـ كتابًا باسم «معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان» (الإعلان بالتويخ ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين ص ٥٤٠ وقد ذكره نقلًا عن الخطيب. وذكره أيضًا الحاكم في علوم الحديث ص ٧١).

وابن المدني أقدم وفاة من البخاري ولكن سبق أن البخاري بدأ يؤلف التاريخ وقضايا الصحابة والتابعين وهو في الثامنة عشرة من عمره فالظاهر أنه أسبق تأليفًا =

وابن عبد البر وابن الأثير والحافظ ابن حجر وغيرهم في أسماء الصحابة وسيرهم وتاريخهم، وهذا موضوع مهم جداً لا تخفى أهميته^(١).

١١- كتاب الوجدان:

ينقل ابن مندة من هذا الكتاب كثيراً. وقد ذكر الإمام البخاري في كتاب الوجدان أولئك الصحابة الذين روي عنهم حديث واحد فقط^(٢).

وقد ألف الإمام النسائي أيضاً كتاب الوجدان، وقد طبع كتابه في آغره بالهند^(٣)، وكذلك ألف الإمام مسلم كتاب الوجدان، وقد طبع أيضاً في آغره^(٤)، والغالب أن أحداً لم يؤلف في هذا

= في هذا الموضوع من شيخه ابن المديني أيضاً. والله أعلم.

(١) كانت نسخة خطية كاملة من هذا الكتاب موجودة في دار العلوم بألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية. (عبيد الله الحماني).

قلت: وقد ذكره ابن ناصر الدين الدمشقي باسم: كتاب «أصحاب النبي ﷺ». وقال: وأشار إليه في التاريخ الكبير. (تحفة الأخبار ص ١٨٣).

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٩٢.

(٣) لعله يعني كتاب «تسمية من لم يرو عنه إلا واحد» للنسائي وقد ذكر سزكين وجود نسختين مخطوطتين منه في تركيا إحداهما في أربع أوراق والأخرى في ١٤ ورقة. (تاريخ التراث ٢٦٨/١) وهو مطبوع في آخر كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي في أكثر من طبعة. كما طبع أيضاً ضمن «مجموعة رسائل في علوم الحديث للنسائي» نشر مؤسسة الكتب الثقافية في بيروت عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٠م وتشتمل على «٢٦» ترجمة فقط. ليس فيهم أي واحد من الصحابة.

هذا ولم يذكر سزكين كتاباً للنسائي باسم «الوجدان».

(٤) سنة ١٣٢٣هـ كما ذكر سزكين (٢٢٢/١). وطبع أيضاً في بيروت عام ١٤٠٨هـ =

الموضوع قبل الإمام البخاري .

١٢- كتاب المبسوط :

ذكره الخليلي في الإرشاد^(١) وقد رواه عن البخاري مَهيب^(٢) بن سُلَيْم، ولم نعرف شيئاً عن موضوع هذا الكتاب، ولكن الظاهر أنه بسط في هذا الكتاب تلك المسائل الفقهية^(٣) التي استنبطت من الأحاديث.^(٤)

= ١٩٨٨م نشر دار الكتب العلمية باسم «المنفردات والوحدان» هو أيضاً في ذكر من لم يرو عنه إلا راوٍ واحد من الصحابة وغيرهم . وهكذا فموضوع كتاب مسلم والنسائي يختلف عن موضوع كتاب البخاري . والله أعلم .

(١) الإرشاد ٩٧٣/٣، الترجمة (٩٠٢) وهي ترجمة أبي حسان مَهيب بن سُلَيْم البخاري وقال فيه الخليلي: «بخاري ثقة متفق عليه، مكث عن محمد بن إسماعيل البخاري، روى عنه المبسوط وكتباً أخرى لم يروها غيره» .

وقد وُلد مَهيب هذا سنة ٢٣٣هـ التي مات فيها ابن معين . (سير أعلام النبلاء ٩١ / ١١ ترجمة ابن معين) .

(٢) كذا في مقدمة الفتح ٤٩٢، وتاريخ بغداد ٣٤/٢، بالميم بعدها هاء ثم تحتية، ووقع في كشف الظنون ٢٧٢/٢، وهب بالواو بعدها هاء . (المؤلف) وهو تحريف . وقد تقدمت ترجمته .

(٣) ذكره ابن ناصر الدين الدمشقي ضمن مؤلفات الإمام البخاري فقال: «وكتاب «المبسوط» الذي جمع فيه كتبه على الأبواب فيما قيل .» تحفة الأخبار ص ١٨٢ . وقال الحافظ أبو الفضل بن طاهر: كان البخاري عمل قبل كتاب الصحيح كتاباً يقال له «المبسوط» وجمع فيه جميع حديثه على الأبواب، ثم نظر إلى أصح الحديث على ما يرسمه فأخرجه بجميع طرقه إلخ (تغليق التعليق ٤٢٠/٥) .

(٤) كانت توجد له نسخة خطية كاملة مكتوبة بخط الحافظ ابن مندة في مكتبة ألمانيا إلى الحرب العالمية الثانية (عبيد الله الرحمانى) .

١٣- كتاب العلل :

ذكره أبو القاسم بن مندة، وهو يرويه عن محمد بن عبدالله بن حمدون عن أبي محمد عبدالله بن الشرقي^(١) عن الإمام البخاري^(٢)، وهذا فن دقيق وشريف، وقد بينا في القسم الأول ما يحتاج إليه هذا الفن الجليل من سعة المعلومات وطول الباع، ولعل هذا هو الكتاب الأول في هذا الموضوع.^(٣)

١٤- كتاب الكنى :

ذكره أبو أحمد الحاكم، وهو ينقل منه أيضًا في تصانيفه^(٤)، والمحدثون في أمس الحاجة إلى هذا الفن، ويقصد منه بيان كنى رواة الحديث لكي لا يختلط راوٍ بغيره، وبسبب عدم معرفة هذا

(١) أبو محمد عبدالله بن محمد بن الحسن بن الشرقي النيسابوري ت ٣٢٨هـ. قال الحاكم: «كان متقدمًا في صناعة الطب، ولم يدع الشراب إلى أن مات، وهو الذي نقموا عليه، وهو في الحديث ثقة مأمون.» الأنساب ٨/٨٥، الاكمال لابن ماكولا ٥٢/٥، سير أعلام النبلاء ١٥/٤٠، الميزان ٢/٤٩٤، اللسان ٣/٣٤١.

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٩٢، وعنه مقدمة القسطلاني ١/٣٧، فتح المغيث ٣/٣١١ وذكر الحافظ ابن حجر إسناده إليه في المعجم المفهرس ١/٤٦٧-٤٦٨ (مقدمة علل الدارقطني ١/٥٠).

(٣) انظر مقدمة تحقيق كتاب العلل للدارقطني للدكتور محفوظ الرحمان السلفي رحمه الله (١/٤٧-٥٦) وقد ذكر فيها قائمة طويلة للكتب المؤلفة في العلل.

(٤) انظر على سبيل المثال كتابه «الأسامي والكنى» ١/١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، وهلم جرا. وذكره أيضًا ابن النديم في فهرسته ص ٣٢٢، وينقل ابن مندة أيضًا في كتابه فتح الباب في الكنى والألقاب كثيرًا من أقوال البخاري خرجها المحقق من التاريخ الكبير ومن كتاب الكنى للبخاري.

الفن قد يقع حتى بعض كبار المحدثين في الخطأ^(١) أحياناً. ^(٢)

١٥- كتاب الفوائد:

ذكره الإمام الترمذي في أثناء كتاب المناقب من جامعه^(٣)،
ولكننا لم نستطع أن نعلم ما هي الفوائد التي أودعها إمام المحدثين

(١) يحسن هنا أن نتذكر ما سبق ذكره في بيان براعة البخاري في علل الأحاديث من أن شيخه الفريابي قرأ حديثاً جاء فيه «سفيان عن أبي عروة عن أبي الخطاب عن أبي حمزة» فلم يعرف أحد الموجودين في المجلس هذه الكنى غير الإمام البخاري. (انظر ص: ١١٣).

(٢) يظهر من كلام الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح أنه لم يطلع على كتاب الكنى للبخاري. ولكنه ينقل كثيراً في كتبه عن كنى البخاري ويسميتها «الكنى المفردة» أو «الكنى المجردة» قال المعلمي: «ويظهر من مواضع في كلامه أنه وقف على هذا الكتاب وفي مواضع إنما ينقل عنه بواسطة كتاب الكنى للحاكم أبي أحمد» (الكنى للبخاري ص ٩٦).

وكتاب الكنى للبخاري مطبوع في حيدرآباد سنة ١٣٦٠هـ بتحقيق العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله. وهو من رواية أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن شعيب المعروف بالغازي عن البخاري. فقليل إنه جزء من تاريخه الكبير وقيل إنه كتاب مستقل. وأياً كان الأمر كما قال المعلمي: «إن هذا الجزء المشتمل على الكنى تأليف البخاري قطعاً وإن لم يكن قطعة من التاريخ فهو تتمه له».

ينظر للتفصيل: تحقيق العلامة المعلمي في آخر كتاب الكنى للبخاري ص ٩٤-٩٧، ومقدمة الدكتور يوسف الدخيل لكتاب الأسامي والكنى لأبي أحمد الحاكم الكبير ١/٦٠، و ١/١١٣-١١٥.

(٣) جامع الترمذي في كتاب المناقب تحت باب مناقب أبي محمد طلحة بن عبيدالله. ١٠/٢٤٤، (المراجع) ٥/٦٤٥، حديث ٣٧٤٢.

وعن الترمذي ذكره ابن حجر في مقدمة الفتح ص ٤٩٢، وعنه القسطلاني ١/٣٦.

في كتاب الفوائد، والغالب أنه جمع فيه تلك النكات الحديثية التي تتعلق بعلم الحديث.

١٦- الأدب المفرد: (١)

وهذا كتاب يُعَلِّمُ أخلاقَ النبي ﷺ وآدابه، والحق أنَّ الإنسان يصبح إنسانًا بهذا الكتاب، وخاصة في أيامنا هذه حينما تكاد الآداب الإسلامية المتبقية أن تنجرف وراء التيار الأوربي المتحلل، حتى إن المثقف بالثقافة الأوربية يتخلى عن التأدب مع أبويه واحترامهما اتباعًا لشهواته وأهوائه. والناس في أمس الحاجة إلى مطالعة هذا الكتاب (٢).

(١) انظر: الفهرست لابن النديم ص ٣٢٢، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٢٧، تحفة الأخباري ص ١٨٢، تغليق التعليق ٥/٤٣٦، مقدمة الفتح ص ٤٩٢، مقدمة القسطلاني ١/٣٦، طبقات المفسرين للداودي ٢/١٠٧.

وذكر بروكلمان (٣/١٧٩) وسزكين في تاريخ التراث (١/٢٠٥) نسخًا خطية عديدة له.

(٢) وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات، وترجمه إلى الفارسية النواب العلامة صديق حسن خان وطبعه في آغره، وترجمه إلى الأردية باسم «سليقه» الشيخ عبدالغفار رحمه الله وطبعه في آره (المؤلف).

وقد شرحه الشيخ فضل الله الجيلاني باسم «فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد» وهو مطبوع.

كما حقق أحاديثه محدث الشام العلامة محمد ناصرالدين الألباني رحمه الله وبين صحاحه من ضعفه. وطبع في جزئين بحذف الأسانيد أحدهما «صحيح الأدب المفرد» والثاني «ضعيف الأدب المفرد». نشر دار الصديق، الجبل بالمملكة العربية السعودية سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

وذكر صاحب كشف الظنون أن للسيوطي منتقى منه (كشف الظنون ١/٤٩).

ويرويه عن الإمام البخاري أحمد بن محمد بن الجليل
(بالجيم) البزار^(١).

١٧- جزء رفع اليدين: ^(٢)

كتاب جامع في باب رفع اليدين، وأثبت فيه روايات رفع
اليدين، وناقش وانتقد الروايات الدالة على عدم الرفع، ويرويه عن
الإمام البخاري محمود بن إسحاق الخزاعي^(٣)، وهو من تلامذة

(١) هو أبو الخير أحمد بن محمد بن الجليل بن خالد بن حُرَيْث بن خالد بن المنذر بن
الجارود العبدي البزار البخاري، ويقال له «العَبْقَسِي» أيضًا نسبة إلى «عبدالقيس».
يروى عن عبدالله بن أحمد بن شَبُويه المروزي، ومحمد بن إسماعيل البخاري،
ومحمد بن الضوء الشيباني وغيرهم. روى عنه أبو نصر أحمد بن محمد النِّيازكيُّ
البخاري الكرميني وأبو بكر محمد بن خالد بن الحسن المطوعي.
وقد سمع النِّيازكي عنه كتاب الأدب المفرد سنة ٣٢٢هـ كما في أوله، وعن
طريقه روى الحافظ ابن حجر كتاب الأدب المفرد كما في المجمع المؤسس
٥٥٣/١.

انظر: الإكمال لابن ماكولا ١٧٩/٣، المشتبه ٢٦٨/١، تبصير المنتبه
٥٣٦/٢، توضيح المشتبه ٤٤٥/٣. وانظر ترجمة «النِّيازكي» في الأنساب ١٣/
٢٢٩.

وعن طريق النِّيازكي عن أحمد بن محمد بن الجليل البزار عن البخاري روى
ابن الجوزي بعض أحاديث الأدب المفرد في كتاب البر والصلة. انظر على سبيل
المثال ص ٤٩، ح ١٩، وص ٥٤-٥٥، الأحاديث ٢٧، ٣٠، ص ٦٥، ح ٥٠،
٥١ وغيرها. (طبعة مكتبة السنة، القاهرة ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

(٢) الأنساب للسمعاني ٥٠٨/١٢، سير أعلام النبلاء ٨٦/١٧، تحفة الأخباري ص
١٨٢، مقدمة الفتح ٤٩٢، تغليق التعليق ٤٣٦/٥، طبقات المفسرين للداودي
١٠٧/٢.

(٣) أبو إسحاق محمود بن إسحاق [بن محمود بن منصور] الخزاعي القوَّاس البخاري. =

الإمام البخاري وآخر من حدّث عنه ببخارى^(١).

١٨- بر الوالدين :

يرويه عن البخاري محمد بن دُلُويه^(٢). ويظهر من اسمه

= ذكره الخليلي في الإرشاد في ترجمة محمد بن الحسن بن جعفر البخاري وقال: ومحمود هذا آخر من روى عن محمد بن إسماعيل أجزاءً ببخارى، ومات محمود سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ٣٣٢هـ (الإرشاد ٩٦٨/٣) وما بين المعقوفين في نسبه زيادة من المعجم المفهرس لابن حجر ص ٦١.

روى عن الإمام البخاري وعن محمد بن الحسن بن جعفر البخاري، روى عنه الإمام المحدث أبو نصر محمد بن أحمد بن محمد بن موسى البخاري الملاحمي المتوفى ٣٩٥هـ كتابي «رفع اليدين» و«القراءة خلف الإمام» للبخاري، (سير أعلام النبلاء ٨٦/١٧) وغيرهما (الإرشاد ٩٦٨/٣) وروى عنه أيضاً أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسن بن حامد بن هارون النيازكي - راوي كتاب الأدب المفرد عن أحمد بن محمد بن الجليل عن البخاري - كما في ترجمة النيازكي في الأنساب ١٣/٢٢٩). وعن طريق الملاحمي عن الخزاعي يروي الحافظ ابن حجر كتابي رفع اليدين والقراءة خلف الإمام كما ذكر إسناده في المعجم المؤسس ١٩٠/٢، والمعجم المفهرس ص ٦١.

(١) ذكر سزكين نسختين مخطوطتين لجزء رفع اليدين (تاريخ التراث ٢٠٥/١) وهو مطبوع معروف. وقد خرج أحاديثه العلامة الشيخ بديع الدين الراشدي رحمه الله وطبع باسم «جلاء العينين بتخريج روايات البخاري في جزء رفع اليدين» نشرته إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد في باكستان. ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٢) أبوبكر محمد بن أحمد بن دُلُويه الدقاق الدلوي - نسبة إلى جدّه دُلُويه - من أهل نيسابور، سمع أحمد بن حفص السلمي ومحمد بن إسماعيل البخاري وغيرهما روى عنه أبوبكر أحمد بن إسحاق الصبغي وأبو علي الحسين بن علي الحافظ وآخرون. قال السمعاني: كان شيخاً صالحاً ثقة مأموناً. وكان وفاته في جمادي الآخرة سنة ٣٢٩هـ بنيسابور.

الأنساب ٥/٣٧٠، اللباب ١/٥٠٧، تبصير المنتبه ٢/٥٧١.

موضوعه، ولكننا لم نطلع على وجوده.^(١)

١٩- كتاب الأشربة:

ذكره الإمام الدارقطني في كتاب المؤتلف والمختلف، في ترجمة «كَيْسَة»^(٢).

(١) ذكره الحافظ ابن حجر ضمن مؤلفات البخاري «المروية له بالسماع والاجازة». (مقدمة الفتح ص ٤٩٢) وهو يرويه عن طريق محمد بن دُلُويه، وعن طريق الفريزي عن البخاري (المجمع المؤسس ٣٩٢/٢) والمعجم المفهرس ص ٨٣- ٨٤ عن طريق ابن دلويه فقط.

وذكره أيضًا في تغليق التعليق ٤٣٦/٥، وتبصير المنتبه ٥٧١/٢، وفتح الباري ٩٥/٤، ٢١٩/٥. وذكر منه حديثًا باسناده عن طريق ابن دلويه الوراق عن البخاري في التغليق ١٣٥/٣، كتاب فضائل المدينة، وآخر في ٣٥٨/٣ كتاب الهبة، باب بمن يبدأ الهدية. وذكره أيضًا الداودي في طبقات المفسرين ١٠٧/٢. ولا يعرف للكتاب وجود في الوقت الحاضر ولم يذكر بروكلمان ولا سزكين وجود أي نسخة له.

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٩٢، طبقات المفسرين للداودي ١٠٧/٢.

و«كَيْسَة» - بفتح الكاف وسكون الياء المثناة من تحت مخففة وفتح السين المهملة - هي بنت أبي كثير روت عن أمها عن عائشة. وقد تحرفت الكلمة في مقدمة الفتح ص ٢٢١ إلى «أبي كبشة» وفي طبقات المفسرين للداودي إلى «كبشة». قال الدارقطني: «كَيْسَة - ساكن الياء خفيفة - ذكره البخاري في كتاب «الأشربة» قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبدالسلام بن سليمان، قال: حدثني كَيْسَة بنت أبي كثير عن أمها سمعت عائشة في المرأة تَطَيَّبُ بالخمير وتستشفى به؟ قالت: لا طَيَّبَ الله من تَطَيَّبَ بها. ولا شفى من استشفى بها» (المؤتلف والمختلف ١٩٧٣/٤ - ١٩٧٤). ونحوه في الإكمال لابن ماكولا (١٥٧/٧) مع شيء من الاختصار) وفي المشتبه للذهبي: «وبالفتح والسكون: كَيْسَة بنت أبي كثير، عن أمها عن عائشة في الطيب» (٥٤١/٢) وكذا في تبصير المنتبه (١١٨٤/٣).

وقال ابن ناصر الدين متنقداً الذهبي: «قلت: كذا وجدته بخط المصنف «في =

٢٠- قضايا الصحابة والتابعين :

وقد صَنَّف الإمام البخاريُّ هذا الكتاب المبارك قبل التاريخ الكبير، سنة ٢١٢هـ، ولا بد أنه كان كتابًا مفيدًا ونافعًا جدًا. وذلك لأن أفراد الأمة تطمئن قلوبهم برؤية تعامل الصحابة. ولكن الأسف أننا لا نعلم شيئًا عن وجود هذا الكتاب، ولعله ضاع كما أن آلافًا من مآثر القدماء قد ضاعت.^(١)

٢١- كتاب الرقاق :

ذكره صاحب كشف الظنون، وهذا نصه :

«كتاب الرقاق للبخاري من كتب الحديث^(٢)» ولم يذكر شيئًا عن بدايته. ولا أخبر بتفاصيله.

= الطَّيْب» بكسر الطاء المهملة وسكون المثناة تحت، قبلها موحدة. وفيه نظر، فإن حديث كَيْسَةَ هذه في التَّطَبُّب - بموحدتين بعد الطاء - خرجه البخاري في كتاب «الأشربة» وهو كتاب صنّفه مفردًا خارج الصحيح ككتاب الأدب وغيره إلخ» وذكر الحديث كما ذكره الدارقطني لكن بلفظ «تَطَبَّبُ بالخمير» و«لا طَبَّبَ الله من تَطَبَّبَ بها» (توضيح المشتبه ٧/ ٢٧٥).

وقال الدارقطني أيضًا في ترجمة محمد بن غُرَيْر بن الوليد: روى عنه البخاري في «الأشربة» وروى عنه ابن شبيب. (المؤتلف والمختلف ٤/ ١٧٥٠).

(١) وقد تقدم عن البخاري رحمه الله أنه قال: فلما طعنت في ثماني عشرة صنف «كتاب قضايا الصحابة والتابعين» (مقدمة الفتح ٤٧٨ وغيرها).

(٢) كشف الظنون ٢/ ٢٧٨ (٢/ ١٤٢٠). ويوجد في صحيح البخاري أيضًا كتاب بعنوان «كتاب الرقاق» (١١/ ٢٢٩) ولكن يظهر من ذكره في كشف الظنون أنه كتاب مفرد. ولكن لم يذكره ابن حجر وغيره ضمن مؤلفات الإمام البخاري، والله أعلم.

٢٢- وقد ذكر العلامة ابن الملقن^(١) في شرحه «التوضيح» مصنفًا آخر للإمام البخاري، ويشاركه العلامة العيني أيضًا، وإليك نص ما قاله ابن الملقن:

«ومن الغريب ما في كتاب الجهر بالبسملة لأبي سعد إسماعيل بن أبي القاسم البوشنجي^(٢) نقل عن البخاري أنه صنّف كتابًا أورد فيه مائة ألف حديثٍ صحيح^(٣)» انتهى.

ويستغرب ابن الملقن والعيني هذا الكتاب، والأسف أننا لم نعرف شيئًا عن وجوده في مكتبات العالم، ولم نعرف من يرويه، ولم يذكره أيُّ محدّث سوى أبي سعد البوشنجي، ولكننا لا نرى فيه شيئًا يدعو إلى الاستغراب، فالإمام البخاري قد انتخب الجامع الصحيح من ستمائة ألف حديث، فما العجب في أن يجمع مائة ألف حديث. ومن الممكن جدًا أن يكون قد ألف كتابًا كهذا، ولكنه انعدم بمرور الأيام، كما أن المئات بل الآلاف من مآثر السلف قد فُقدت، ولا نعلم لها أيُّ أثر في العالم اليوم. وعلى الرغم من أن مصنفات الإمام البخاري الموجودة ليست قليلة فإنّ ضياع هذا الكنز العلمي الثمين جدير بأن يُرثى له ويُتأسف عليه، ومن الممكن أيضًا أن يكون هذا هو الكتاب الذي ذكره الفِرْبَرِيُّ باسم «المسند الكبير» أو «التفسير الكبير» وكما أن حوادث

(١) سيأتي ذكره وذكر العيني وكتابهما عند ذكر شروح صحيح البخاري.

(٢) أبو سعد إسماعيل بن عبد الواحد البوشنجي، فقيه شافعي، كان فاضلاً غزير الفضل... مرضى الطريقة، كثير العبادة، راغباً في نشر العلم، لازماً للسنة إلخ ت ٥٣٦ هـ له كتاب «المستدرک في فروع الفقه الشافعي» و«لجهر بالبسملة» شذرات الذهب ١١٢/٤، معجم المؤلفين ٢٧٨/٢.

(٣) عمدة القاري ٩/١.

الدهر قد أتت على كثير من خزائن السلف أتلقت هذا الكنز أيضًا. وهذا ليس بغريب فإن مؤلفات الإمام عبدالله بن المبارك والثوري قد فقدت الآن تمامًا، ولا نعلم لها وجودًا في العالم^(١)، مع أن هذه المؤلفات كان الناس يحفظونها عن ظهر قلب.

٢٣- الجامع الصغير:

قال صاحب كشف الظنون:

«رواه عن البخاري عبدالله بن محمد الأشقر، كما قال الحافظ ابن حجر وهذا من المؤلفات الموجودة للإمام البخاري^(٢)».

٢٤- جزء القراءة خلف الإمام^(٣):

(١) هذا قبل ظهور بعض مؤلفاتهما.

(٢) كشف الظنون ٣٧٩/١، (١/٥٦٤) كانت توجد له نسخة خطية بخط الحافظ ابن حجر في مكتبة المخطوطات بدار العلوم في ألمانيا إلى الحرب العالمية الثانية، (عبيد الله الرحمانى).

قلت: لم أجد ما ذكره صاحب كشف الظنون في مقدمة الفتح عندما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله مؤلفات الإمام البخاري الموجودة والمسموعة له أو حتى غيرها. إنما فيها «التاريخ الصغير» يرويه عنه عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الأشقر (مقدمة الفتح ص ٤٩٢) فالله أعلم.

(٣) وقد ألفت في هذا الموضوع عدة كتب، فقد ألف الإمام البيهقي كتاب القراءة، ومن المتأخرين ألف العلامة عبدالحى اللكنوى كتاب «إمام الكلام» بالعربية، ولحضره أستاذنا المحترم الشيخ أبي العلي محمد بن عبدالرحمن المباركفوري كتاب «تحقيق الكلام» باللغة الأردية، وهي مؤلفات جامعة قيمة جديرة بالمطالعة، وقد تم طبع جزء القراءة خلف الإمام أيضًا في مصر. (عبيد الله الرحمانى).

قلت: وقد ترجم أخونا الدكتور وصي الله محمد عباس وفقه الله كتاب «تحقيق =

= الكلام في وجوب القراءة خلف الإمام» للعلامة المحدث الشيخ محمد عبدالرحمن المباركفوري صاحب تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي رحمه الله، إلى اللغة العربية. ونشرته دار الهجرة للنشر والتوزيع بمدينة الثقبه في المملكة العربية السعودية، ط الثانية ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م وهو كتاب قيم فريد في بابہ تقع الترجمة العربية منه في ٥٦٦ صفحة.

أما كتاب جزء القراءة خلف الإمام فقد رواه أيضًا عن الإمام البخاري تلميذه محمود بن إسحاق الخزاعي. راوي «جزء رفع اليدين» عنه. وقد سبقت ترجمته عند ذكر جزء رفع اليدين.

وساق الحافظ ابن حجر إسناده إليه في المجمع المؤسس (١٨٩/٢ - ١٩٠، والمعجم المفهرس ص ٦١) وذكر بروكلمان (١٧٩/٣) وسزكين (٢٠٦/١) ثلاث نسخ خطية له وطبع أكثر من مرة.

وينظر أيضًا: الفهرست لابن النديم ص ٣٢٢، الأنساب ٥٠٨/١٢، سير أعلام النبلاء ٨٦/١٧، تحفة الأخباري ص ١٨٢، تغليق التعليق ٤٣٦/٥، مقدمة الفتح ص ٤٩٢، طبقات المفسرين للداودي ١٠٧/٢.

مؤلفات أخرى للإمام البخاري:

قلت: لقد ذكر المصنف رحمه الله أربعة وعشرين كتابًا ضمن مصنفات الإمام البخاري، تسعة منها مطبوعة ومتداولة. وهي: ١- الجامع الصحيح، ٢- الأدب المفرد، ٣- خلق أفعال العباد، ٤- جزء رفع اليدين، ٥- جزء القراءة خلف الإمام، ٦- التاريخ الكبير، ٧- التاريخ الصغير أو الأوسط، ٨- الضعفاء الصغير، ٩- الكنى. وأما الكتب الأخرى فلم يتم العثور عليها حتى الآن رغم أن بعضها كانت موجودة إلى عصر الحافظ ابن حجر كما سبق ذكر ذلك.

وهناك كتب أخرى ورد ذكرها في تراجم الإمام البخاري في مختلف المراجع يحسن ذكرها هنا إتمامًا للفائدة. وهي:

٢٥- الضعفاء الكبير. سبق ذكره تعليقًا عند ذكر «الضعفاء الصغير» وأنه كان موجودًا حتى عصر الذهبي وغيره وإنهم استفادوا منه.

٢٦- الكنى المجردة: على فرض أن كتاب «الكنى» المطبوع هو جزء من التاريخ =

= الكبير. والله أعلم. وقد ذكره بهذا الاسم أبو أحمد الحاكم في كتابه الأسامي والكنى ١٥٥/٤، ترجمة أبي حريز ١٨٣٤، وعنه ابن حجر في الإصابة ٨٢/١١ ترجمة «أبي حريزة وسماه «الكنى المفردة» وسماه في التهذيب ١٦١/١٢، ترجمة أبي عبيدة عن أنس «الكنى المجردة». ذكر هذه الأمثلة وغيرها العلامة المعلمي في آخر كتاب الكنى المطبوع (التاريخ الكبير ٩٥/٩).

٢٧- كتاب «الإعتصام» ذكره في الجامع الصحيح ٢٤٥/١٣، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، حديث ٧٢٧١ قول أبي برزة: «إن الله يغنيكم أو نَعَشَكُمْ بالإسلام ومحمد ﷺ». قال أبو عبدالله (وهو البخاري): وقع هنا «يغنيكم» وإنما هو «نَعَشَكُمْ» ينظر في أصل كتاب الإعتصام.

قال الحافظ ابن حجر: «فيه إشارة إلى أنه صنف «كتاب الإعتصام» مفردًا وكتب منه هنا ما يليق بشرطه في هذا الكتاب. كما صنع في كتاب الأدب المفرد. فلما رأى هذه اللفظة مغايرة لما عنده أنه الصواب أحال على مراجعة ذلك الأصل. وكأنه كان في هذه الحالة غائبًا فأمر بمراجعته وأن يصلح منه» (فتح الباري ٢٤٦/١٣).

وقال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: سمعته يقول: صنفْتُ كتاب «الإعتصام» في ليلة. (سير أعلام النبلاء ٤٣٢/١٢).

٢٨- كتاب «الرد على الجهمية». ذكره الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي منفردًا عن كتاب خلق أفعال العباد. فذكر ضمن مؤلفات الإمام البخاري «وكتاب الرد على الجهمية»، «وكتاب خلق أفعال العباد» (تحفة الأخبار ص ١٨٣) وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى في صدد ذكره للكتب المصنفة في بيان كلام السلف في العقيدة فقال: «... والرد على الجهمية لجماعة مثل البخاري وشيخه عبدالله بن محمد بن عبدالله الجعفي». ثم ذكر عدة كتب أخرى ثم قال: «وكتاب خلق أفعال العباد للبخاري». (ص ١٧ ١٨) وقد جاء بعد نهاية الجزء الأول من المطبوع من كتاب خلق أفعال العباد (ص ٨٥) «الجزء الثاني من كتاب أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للبخاري» وكذا في آخر الكتاب ص ١٢٠: تم كتاب خلق أفعال العباد والرد على الجهمية أصحاب التعطيل، تأليف إمام الأئمة إلخ». والله أعلم.

وهي رسالة مشهورة، وقد أثبت فيها الإمام البخاري القراءة خلف الإمام بأدلة من الأحاديث والآثار، وردّ على أدلة المخالفين ردّاً حسنًا، وبهذا يظهر أنه كان على علم تام بأداب المناظرة، ومع أنه لم يسمّ أحدًا، ولكن المخالف يعرف حق المعرفة أن هذا رد عليه، وهذا من شدة الاحتياط وعلو الهمة واتباع الحق الذي كان من مميزات المحدثين.

- = ٢٩- «كتاب السنن في الفقه». ذكره ابن النديم في الفهرست ص ٣٢٢.
- ٣٠- «المشيخة». ذكرها الذهبي في تاريخ الإسلام (ص ٢٤١) ولفظه: «ذكر أنه سمع من ألف نفس، وقد خرج عنهم مشيخة وحدث بها، ولم نرها». وذكر السبكي هذا الكلام بلفظه في طبقات الشافعية (٢/ ٢١٤).
- ٣١- انتقاء البخاري من حديثه لأهل بغداد. ذكره الحافظ ابن حجر في المعجم المفهرس ص ٢٤٠ رقم ١٠٠٦، وأنه سمع الجزء الأول والثاني منه بإسناده عن عبدالله بن محمد بن الشرقي عن الإمام البخاري. وذكر عن ابن بشكوال أنه قال: «يقال إن هذه هي الأحاديث التي قلبها أهل بغداد على البخاري لما امتحنوا حفظه. والله أعلم».
- ٣٢- التاريخ في معرفة رواة الحديث ونقله الآثار والسنن وتمييز ثقاتهم من ضعفائهم وتاريخ وفاتهم.
- ٣٣- التواريخ والأنساب.
- ٣٤- «العقيدة» أو «التوحيد»
- ٣٥- أخبار الصفات.
- هذه الكتب الأربعة الأخيرة ذكرها سزكين في تاريخ التراث العربي (١/ ٢٠٥-٢٠٦) ضمن مؤلفات الإمام البخاري وذكر مواضع وجود نسخها. ولم أر ذكرها عند العلماء السابقين فلعلها نسبت إلى الإمام البخاري خطأ أو أنها قطع من مصنفات أخرى وقعت منفصلة فسميت بهذه الأسماء والأمر يتطلب الحصول على هذه النسخ والنظر فيها.

وقد استدل أهل الكوفة بآية ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف] (٧) ويكاد هذا دليلهم الوحيد الذي يعتمدون عليه، ولكن الإمام البخاري رد على هذا الاستدلال باعتبار الجهتين: عموم اللفظ، وخصوص المورد.

ومن آداب المناظرة أن يشقق كلام المخالف ويجاب على كل شق، وهكذا فعل الإمام فقد أجاب على الآية أولاً باعتبار عموم اللفظ بأنكم بأنفسكم لا تأخذون بهذا العموم في سنة الفجر، فتقولون: إن الإمام إن كان يقرأ في صلاة الصبح ودخل أحد المصلين ولم يصل السنة من قبل فليصلها أولاً، وهكذا لا تبقى الآية على عمومها.

فإن كنتم خصصتم هذه الآية من أجل سنة فلماذا لا يمكن تخصيصها من أجل فريضة أى القراءة؟.

هذا مع أنه لا يوجد مُخَصَّصٌ صحيحٌ في حالة سنة الفجر، بينما يوجد هنا ما يخصصها من الروايات الصحيحة العديدة من رواية عبادة ابن الصامت والصحابة الآخرين.

وإن كنتم تستدلون باعتبار خصوص المورد فهذا لم يثبت، لأن موردها الخطبة وليست الصلاة، وقد أثبت ذلك الإمام البخاري بروايات عديدة، ولا توجد أى رواية صحيحة تبين أن هذه الآية نزلت في الصلاة.

وقارن هذا بتلك المناظرة التي تنسب إلى الإمام أبي حنيفة ويستدل بها على كمال فطنته وذكائه، وقد ذكرها المعاصر النعماني بافتخار واعتزاز، حيث قال:

«ذات مرة اجتمع أناسٌ وأتوا إليه ليناظروا في القراءة خلف الإمام، فقال الإمام: كيف يمكن أن أناقش وحدي كل هؤلاء الناس؟ نعم يمكن أن تختاروا واحدًا من هذا المجموع ليكفل الكلام عن الجميع، وكلامه يعتبر كلامًا للجميع، فقبله الناس، فقال الإمام: إن قبلتم هذا فقد انتهت المناقشة، فكما أنكم اخترتم واحدًا ليكفل الكلام عن الجميع، كذلك الإمام يكفل جميع المقتدين في القراءة^(١).

ولكن يمكن للسائل أن يقول: إن الإمام أبا حنيفة لم يذكر في المسألة أى دليل شرعي، وكلامه الذي أتى به من عقله ساقط أيضًا بأسره، وذلك لأن مدار هذه المناظرة على أن الناس كما أنهم فوضوا إلى واحد منهم حق التكلم عن الجميع فكذلك الإمام يتكفل القراءة عن جميع المقتدين، مع أن وجه الشبه (التفويض) لا يوجد في الصلاة، فإن المقتدي لا يقول في الصلاة: بأني قد كفلت الإمام في الصلاة عنى.

فإن قال قائل إن الاقتداء عبارة عن هذا التفويض، فيقال: إن هذا ليس بصحيح، بل المقصود في الاقتداء المعية في العبادة التي تدل عليها الآية الكريمة: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الرَّكْعَيْنِ﴾ [البقرة] فإن لم يكن المقصود من الاقتداء المعية بل المقصود هو التفويض فلماذا نخصص هذا بالقراءة فقط دون غيرها، بل يلزم منه أن لا يؤدي المقتدى أى عمل من أعمال الصلاة مثل تكبيرة الإحرام والاستفتاح والتسبيح، والتشهد وغيرها من الأعمال التي يأتي بها المقتدى، مع أن هذا لا يقول به الإمام أبو حنيفة أيضًا، فأى مزية لهذا التقرير الذي يُنسب للإمام أبي

(١) سيرة النعمان ٦٨.

حنيفة ويُفتخر به^(١) .



(١) والأسف على أن الأستاذ النعماني يستغرب أسلوب الجواب من الإمام البخاري مع أنه لم ير أي استغراب في أسلوب الجواب الذي أجاب به الإمام أبو حنيفة، مع أنه كان ينبغي له أن يصحح مناظرة الإمام أبي حنيفة حسب آداب المناظرة، وخاصة في المسائل الشرعية التي تستلزم الأدلة الشرعية، وإنما نرى أن نسبة هذه القصة إلى الإمام أبي حنيفة ليس بصحيح. (المؤلف).

وهناك أمر آخر يؤيد عدم صحة هذه القصة عن الإمام رحمه الله، وذلك أنه كيف يُتصور منه أن يقيس الربّ جل وعلا على نفسه، فإن كان الإمام لا يستطيع أن يتكلم معهم كلهم في وقت واحد، فهل كذلك الباري جل وعلا؟ كلا! إنه سميع مجيب، ويسمع للجميع في آن واحد.

الباب الثالث

الجامع الصحيح

منزله وقبوله لدى الأمة

الباب الثالث

الجامع الصحيح: منزلته وقبوله لدى الأمة

إن الجامع الصحيح للإمام البخاري وهو المعروف بصحيح البخاري، له أهمية خاصة تميزه من بين مؤلفاته، ولا يوجد مكان على وجه الأرض وصل إليه الاسلام إلا وتجد صحيح البخاري فيه. وهذا الكتاب المبارك من أهم وأبرز الأمور التي دعت الأمة الاسلامية إلى تلقيب الإمام البخاري «بإمام المحدثين» و«أمير المؤمنين في الحديث». ولم يحصل قط وعلى امتداد التاريخ الاسلامي أن نال أيُّ مصنف لأيِّ محدث، أو أيُّ مؤلفٍ لأيِّ إمام أو فقيه من المتقدمين أو المتأخرين ما ناله هذا الكتاب من الفضل، والشرف، والقبول لدى الأمة. وأيُّ كتاب على وجه الأرض - عدا كتاب الله - تخضع له الأمة الإسلامية كلها؟

له الكتاب الذي يتلو الكتاب هدى هذى السيادة طود ليس ينصدع^(١)

والجامع الصحيح هو كتاب لو حاولنا تأليف تاريخه، وإشباع الكلام فيه من كل ناحية لاحتجنا إلى مجلدات ضخمة، قال العلامة ابن خلدون في مقدمته الشهيرة (التي قد أودعها الأصول الحكيمة لعلم التاريخ والنكت الفلسفية وأصول التمدن والعمران):

«ولقد سمعت كثيرًا من شيوخنا رحمهم الله، يقولون: شرح كتاب

(١) الطبقات للسبكي ٢١٢/٢

البخاريّ دينٌ على الأمة^(١)».

ولم يؤلف أحدٌ من علماء المسلمين شرحًا يفي بهذا الدين، ويبريء الأمة الإسلامية من عهده على الرغم من أن شروحًا عدة قد ألفت إلا أن أحدًا منها لم يستوعب تلك النكات الفقهية التي أودعها الإمام البخاري في تراجم أبوابه، ولا تلك الجواهر العلمية والدقائق الحديثية والتاريخية التي أودعها في تكرار الأحاديث وتعليقها ووقفها ووصلها.

وقال أيضًا، وهو يعلق على أسباب تأليف صحيح البخاري وأبوابه الفقهية:

«فأما صحيح البخاري وهو أعلاها رتبة، فاستصعب الناس شرحه، واستغلقوا منحا من أجل ما يحتاج إليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من أهل الحجاز والشام والعراق، ومعرفة أحوالهم واختلاف الناس فيهم وكذلك يحتاج إلى إمعان النظر في التفقه في التراجم لأنه يترجم الترجمة، ويورد فيها الحديث بسند أو طريق، ثم يترجم أخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب، وكذلك في ترجمة وترجمة إلى أن يتكرر الحديث في أبواب متفرقة بحسب معانيه واختلافها، ومن النظر في تراجمه لبيان المناسبة بين الترجمة والأحاديث التي في ضمنها، فقد وقع له في كثير من تراجمه خفاء المناسبة بينها وبين الأحاديث التي في ضمنها، وطال كلام الناس في بيانها».

(١) مقدمة ابن خلدون ١١٤٢/٣ (١/٤٧٤)، طبعة دار الكتب العلمية. بيروت).

«ومن شرحه ولم يستوف هذا كله فيه فلم يوف حق الشرح كابن بطل، وابن المهلب^(١)، وابن التين ونحوهم^(٢)».

والعلامة ابن خلدون من مؤرخي القرن الثامن، وقد توفي في أوائل القرن التاسع وأكمل المقدمة في سنة ٧٧٩هـ^(٣) وإلى ذلك الحين كانت ظهرت شروح كثيرة لصحيح البخاري، فقد اتجه العلماء إلى شرح هذا الكتاب من بعد القرن الثالث، ولكن يرى هذا المؤرخ الفاضل بعد التتبع والاستقراء والتحقيق أنه لم يُؤلَّف شرحٌ يُوضِّح تلك النكات الفقهية والتحقيقات الحديثية والتاريخية الدقيقة التي توجد في صحيح البخاري توضيحاً كاملاً، والظاهر أن شروح صحيح البخاري قد بلغت المئات إلى هذه الأيام، ولم يغفل أهل العلم موضوعاً لم يبحثوا فيه، فبعضهم قد بحث التحقيقات النحوية، وآخرون ألفوا في تراجم الأبواب فقط، وبحث بعضهم في اللغات فقط، وبعضهم وصل الملاحظات، بينما بحث الآخرون عن المتابعات، وأناس ألفوا المستخرجات والمستدركات، وآخرون في النقد، ولكنَّ قليلاً منهم من نجح في الوصول إلى أفكاره الدقيقة، واستدلالاته اللطيفة.

(١) كذا في المقدمة والمعروف أن صاحب الشرح هو «المهلب بن أبي صفرة» وستأتي تراجمهم مع ذكر شروحهم عند بيان شروح صحيح البخاري وما كتب عنه.

(٢) مقدمة ابن خلدون ١١٤١/١ - ١١٤٢ (١/٤٧٤)، وبعض هذه الجمل ساقطة من طبعة دار الكتب العلمية).

(٣) وقد كتب العلامة ابن خلدون في آخر مقدمته:

«قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه أتممت هذا الجزء الأول بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتهذيب في مدة خمسة أشهر، آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعمائة». (المؤلف).

قال العلامة أبو الخير السخاوي في التبر المسبوك في ذيل السلوك
في ترجمة الحافظ ابن حجر عن فتح الباري:

«ولو وقف عليه ابن خلدون القائل: «بأن شرح البخاري إلى الآن
دين على هذه الأمة» لقرّت عينه بالوفاء والاستيفاء»^(١)

ولكن كما قال بعض شيوخنا^(٢): «وما يُدرينا أن الدين قد استوفي
في نظر ذلك المؤرخ الفاضل أم لا؟» فالواقع أنه:
يزيدك وجهه حسنًا إذا ما زدته نظرًا.

وكان هذا الكتاب المبارك هو مصداق هذا القول، فكلما أمعن فيه
أحدُ النظر استلذ قلبه وعقله بالنكات الفقهية والدقائق الحديثية، ويكفي أن
نعرف فضله بمجرد أن مائتين وثلاثين مليونًا من الناس^(٣) (ما عدا شردمة)

(١) هو في التبر المسبوك ٢٣١ (انظر ابن حجر ودراسته ص ٣٢٣ للدكتور شاكر محمود
عبدالممنعم).

(٢) يعني بذلك أستاذ الأساتذة فخر الهند باقر العلوم الشيخ الحافظ عبدالله الغازيفوري
ثم الدهلوي رحمة الله عليه، كان على منصب المدرس الأعلى في مدرسة جشمه
رحمت بغازيفور، وفي المدرسة الأحمدية بآره. وفي آخر حياته انتقل إلى دهلي
بإلحاح شديد من العلماء، لكي يجلس مجلس شيخ الكل، وقضى بقية حياته هناك
واستفاد منه الطلبة من شرق البلاد وغربها ومن ولاية بهار وبنغال بالأخص،
وتشرفت به أرض بنجاب في الأيام الأخيرة، وكان رحمه الله لا يوجد له نظير في
علوم القرآن والحديث والتفسير والرياضيات والهيئة والفلسفة والمنطق والفقه
وأصوله والأقليدس، ولكنه في الأيام الأخيرة من حياته اقتصر على تدريس العلوم
الإسلامية فقط. وبقي شغوفًا بها. توفي في لکناؤ في سنة ١٣٣٧هـ، ولتفصيل
حياته يراجع «تراجم علماء حديث هند». (عبدالله الرحمانى).

(٣) هو عدد المسلمين في العالم وقت تأليف هذا الكتاب. أم الآن فقد قارب الألف
مليون والحمد لله.

يفتخرون به، ويعتقدون أن النقد والتحقيق اللذين جُمعت بهما أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته في هذا الكتاب، لا يمكن أن يزداد عليه، ويعتقدون أيضًا أن الإمام البخاري لم يدخر قليلًا ولا كثيرًا من جهده وسعيه وتعبه وتضحياته وذاكرته الموهوبة إلا وقد بذلها (في تأليف هذا الكتاب)، دعك عن الأمم السابقة فلم يوجد في هذه الأمة أيضًا إلا أناس معدودون على الأصابع ممن بلغ هذا المبلغ من العقل والفهم والفكر، فمنهم من غلب عليه الرأي والقياس، ومنهم من استحوذت عليه الفنون الأخرى، وتوجد الآن أربعة مذاهب في أهل السنة تعرف بالحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة، وهناك تقسيمات فرعية أخرى من حيث العقائد الصوفية. ولكنهم كلهم مجتمعون على الاعتراف بأن هذا الكتاب أصح الكتب بعد كتاب الله، ويتساوى في ذلك العربي والعجمي والحجازي والشامي والعراقي والهندي والتركي والكابلي، والبربري والإفريقي، والرومي والروسي، والبدوي والحضري، والمحدث والفقيه، والمتكلم والصوفي، بيد أن بعضًا من أهل التقليد الذين فقدوا بصائرهم لا يطمئنون إلا بأقوال أئمتهم، ولكننا نأسف كثيرًا بأننا لا نستطيع أن نستوعب تلك الشهادات كلها، حتى ولو زدنا حجم هذا الكتاب أضعافًا مضاعفة، وسنذكر إن شاء الله في موضعه بعض النماذج منها كالغيض من الفيض، لكي يطمئن بها القراء.

الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وخاصة الرؤيا التي شوهد فيها الرسول ﷺ، فإذا كانت هناك رؤيا من هذا القبيل تتعلق بالإمام البخاري وتتصل به بإسنادٍ صحيح فلا شك أنها ستكون من الأهمية بمكان.

قال الفِرْبَرِيُّ: سمعتُ محمد بن أبي حاتم وراق البخاري يقول:

«رأيت البخاري في المنام خلف النبي ﷺ، والنبي ﷺ يمشي فكلما رفع النبي ﷺ قدمه، وضع أبو عبدالله قدمه في ذلك الموضع»^(١).

وقال النجم بن فضيل:

«رأيتُ النبي ﷺ في المنام خرج من قرية، والبخاري يمشي خلفه، فكان النبي ﷺ إذا خطا خطوة يخطو محمدًا، ويضع قدمه على خطوة النبي ﷺ»^(٢).

وزيادة على ما ذكر من الرؤى قال أبو سهل المَرُوزِيُّ: سمعت أبا زيد المروزي يقول:

(١) تاريخ بغداد ٩/٢ - ١٠، تقييد المهمل ١٣/أ، تاريخ دمشق ٤٧/١٥ ب، تهذيب الأسماء واللغات ٦٨/١/١، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٢٥، تحفة الأخباري ص ٢٠٦، تغليق التعليق ٤٢١/٥، مقدمة الفتح ص ٧، ٤٨٩.

(٢) رواه ابن عدي في «أسامي من روى عنهم البخاري» ص ٦٠ قال: سمعتُ محمد بن يوسف بن بشر الفريري يقول: سمعت النجم بن فضيل - وكان من أهل المعرفة والفضل - يقول فذكره. ورواه في الكامل أيضًا ١/١٤٠.

وقوله «من قرية» هكذا في تغليق التعليق ٤٢٢/٥، ووقع في مقدمة الفتح (ص ٤٨٩) «من قبره» والظاهر أنه تحريف لأن الحافظ روى هناك هذا الخبر عن الخطيب البغدادي بسنده إلى ابن عدي نفسه. وفي تاريخ بغداد (١٠/٢) «قرية ماستي» وفي تهذيب الكمال «من قرية ماستين»، وهي قرية من قرى بخارى كما في معجم البلدان (٤١/٥). قال السمعاني: «ماستين» ويقال لها «ماستي» من قرى بخارى» (الأنساب ٢٩/١٢).

وينظر أيضًا: ذم الكلام للهروي ١٨٨/٢، تقييد المهمل ١٣/أ، أسامي شيوخ البخاري للصغاني ص ٤، تاريخ دمشق ٤٧/١٥ أ، تهذيب الكمال ٤٤٤/٢٤، تاريخ الاسلام للذهبي ص ٢٤٩ - ٢٥٠، سير أعلام النبلاء ٤٠٥/١٢، طبقات السبكي ٢٢١/٢، تحفة الأخباري ص ٢٠٧.

«كنت نائماً بين الركن والمقام فرأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي:

يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعي، ولا تدرس كتابي؟
فقلتُ:

يا رسول الله وما كتابك؟ قال ﷺ: جامع محمد بن إسماعيل^(١)». (٢)

(١) مقدمة الفتح ص ٤٨٩. وقد رواه باسناده عن الهروي باسناده عن أبي زيد المروزي وكذا الذهبي في ترجمة أبي زيد من سير أعلام النبلاء ٣١٤/١٦، وفي ترجمة البخاري ٤٣٨/١٢. وقد أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله ١٩٠/٢.

وقال ابن حجر في تغليق التعليق: إسناده هذه الحكاية صحيح. رواها ثقات أئمة وأبو زيد من كبار الشافعية، له وجه في المذهب. وقد سمع صحيح البخاري من الفربري وحدث عنه وهو أجل من حدث به عن الفربري. (٤٢٢/٥ - ٤٢٣)
وقال الذهبي: الشيخ الإمام المفتي القدوة الزاهد شيخ الشافعية أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي، راوي صحيح البخاري عن الفربري ت ٣٧١هـ (سير أعلام النبلاء ٣١٣/١٦).

وينظر أيضاً تهذيب الأسماء واللغات ٧٥/١/١، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٤٢.

(٢) ومن الرؤى الصالحة التي رثيت بشأن الإمام البخاري ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن الفربري قال: «رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد إسماعيل البخاري. فقال: أقرئه مني السلام».

تاريخ بغداد ١٠/٢، تقييد المهمل ٤/ب، تاريخ دمشق ٤٨/١٥، تهذيب الأسماء واللغات ٦٨/١/١، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٢٥، تهذيب الكمال ٤٤٤/٢٤، سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١٢، تغليق التعليق ٤٢٢/٥، طبقات السبكي ٢٢٣/٢، مقدمة الفتح ص ٤٨٩.

ومن تلك المبشرات أيضاً ما رواه محمد بن أبي حاتم (الوراق) قال: «سمعت أبا ذر يقول: رأيتُ محمد بن حاتم الخَلْقاني في المنام - وكان من أصحاب محمد =

قال (توماس وليام بيل) في (اورنتيل بيوكريفيكل ذكشنى ط لندن ١٨٩٠م):

«صحيح الإمام البخاريُّ يُحترم أكثر من أى كتابٍ بعد القرآن ، ويُعتمد عليه في الأمور الروحانية والدينية».

ويقول بعد قليل :

«هذا الكتاب لا يجمع الوحي الذي نزل على محمد، وإلهاماته وأفعاله وأقواله فحسب، بل ذُكر فيه أيضًا تفسير أكثر المواضع المشككة في القرآن».

= ابن حفص - فسأله - وأنا أعرف أنه ميت - عن شيخي رحمه الله، هل رأيتَه؟ قال: نعم. رأيتَه، وهو ذاك. يشير إلى ناحية سطح من سطوح المنزل. ثم سأله عن أبي عبدالله محمد بن إسماعيل، فقال: رأيتَه. وأشار إلى السماء إشارةً كاد أن يسقط منها لعلُّو ما يشير».

انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٧٣، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٦٨، الوافي بالوفيات ٢/٢٠٨.

دوافع تأليف الجامع الصحيح

لا نبعد عن الصواب إذا شبهنا عهد الصحابة بالشمس في نصف النهار أو النهار الباهر، وعهد التابعين وأتباع التابعين بالشفق. وقليل من أصحاب النظرات البعيدة هم الذين يفكرون عن الظلام الحالك في النهار الباهر وضيائه. النور الخافت الذي نراه بعد غروب الشمس هو الذي يسمى بالشفق، وحتى في ذلك الوقت يبقى شيء من النور، ولكن كلما مر الوقت ينخفض الضوء، ويتضاءل النور، وتسيطر هموم الليلة المظلمة على الصغير والكبير.

كانت فكرة تدوين الحديث قد ظهرت منذ أيام الصحابة^(١)، فعبداً الله ابن عمرو بن العاص وعلي ومعاوية وغيرهم رضي الله عنهم كانت عندهم أحاديث مكتوبة. وظهرت الحاجة إلى ذلك في أيام التابعين، ثم اشتدت في أيام أتباع التابعين أكثر، لأنه لا يخفى على أحد أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعرفون مفاهيم الشريعة وحقائقها بفضل صحبتهم للرسول ﷺ، ومن هنا وُصِفُوا بأنهم الأفضل والأعرف والأعلم والأعمق (بصيغ التفضيل) وصحبهم التابعون وتعلموا منهم، فكانوا على مستوى

(١) يرجع للتفصيل في كتابة الحديث وتدوينه إلى مقدمة تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي للعلامة عبدالرحمن المباركفوري، وإلى السير الحثيث في تاريخ تدوين الحديث للدكتور محمد زبير الصديقي أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة كلكتة. (عبيدالله الرحمانى) ومن الكتب المفيدة في هذا الباب كتاب «دراسات في الحديث النبوي» للدكتور محمد مصطفى الأعظمي.

عالٍ من معرفة حقائق الشرع. ولكن مع مرور الأيام بدأت المعرفة تنقص رويدًا رويدًا، فأصبحت الأساليب تتغير، والمفاهيم تتبدل وبدأت تظهر بوادر ظلام دامسٍ، فدعت الحاجة إلى البحث عن أسباب الوصول إلى النور الساطع بقوة غير عادية، فشمر أتباع التابعين عن ساق جدهم، وبدأ العمل على قدم وساق، وأكمله المحدثون بسعيهم المضني، وجهدهم المنهك.

كان الرسول ﷺ قد نهى عن كتابة الحديث في بداية الأمر من عهده المبارك، فكان يقول:

«لا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي، غَيَّرَ الْقُرْآنَ فَلْيَمُحُّهُ»^(١).

وكانت هذه الخطوة قد اتخذت لكي لا يختلط القرآن بغيره، إلا أن التأكيد بتبليغه شفهيًا بقي على أشده^(٢)، والمنع كان عن الكتابة فقط لا غير، ولما مرت مدة من الزمن، وأمن ذلك الخطر أذن لهم في كتابة

(١) أخرجه مسلم في الصحيح ٢٢٩٨/٤ ح ٣٠٠٤، والنسائي في فضائل القرآن ص ٧٢ ح ٣٣، وأحمد ١٢/٣، ٢١، ٣٩، ٥٦، والدارمي في سننه ٦٨/١، ح ٤٥٦، وابن حبان في صحيحه ٢٦٥/١، ح ٦٤، وأبو يعلى ٤٦٦/٢، ح ١٢٨٨، والخطيب في تقييد العلم (٢٩- ٣٢) وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢٦٨/١ ح ٢٣٥ وصححه الحاكم على شرط الشيخين ١٢٧/١، ووافقه الذهبي. وأعله البخاري بالوقف فيما نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٠٨/١).

(٢) وقد تواتر عن النبي ﷺ قوله: «نضر الله امرءًا سمع منا شيئًا فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع». رواه أربعة وعشرون من الصحابة عن رسول الله ﷺ كما ذكر شيخنا الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد في كتابه «دراسة حديث نضر الله امرءًا سمع مقالتي» واللفظ الذي ذكرته من رواية ابن مسعود رضي الله عنه عند الترمذي ٣٩٤/٤، ح ٢٦٥٧. تحقيق الدكتور بشار العواد.

الحديث وتدوينه، فلما جاء أبو شاه اليماني في حجة الوداع، وطلب أن تُكتب له الخطبة، فقبل رسول الله ﷺ طلبه، وقال بصراحة:

«اكتبوا لأبي شاه»^(١).

وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يكتب الأحاديث، ولما منعه بعض الناس قال للنبي ﷺ، فأوماً (أى النبي ﷺ) بإصبعه إلى فيه، فقال: «أكتب»^(٢)، وهكذا ورد عن عمر وأنس وآخرين من الصحابة رضوان الله عليهم^(٣) أجمعين تأكيد شديد بهذا. ولكن مع هذا الإذن ومع هذا التأكيد من قبل الصحابة والتابعين لم تنتشر الكتابة في القرون الأولى، لأنهم كانوا قد تعودوا الحفظ لأجل ورود المنع في أول الأمر، حتى إنهم كانوا يستصعبون الكتابة. وطلب من أبي سعيد الخدري رضي

(١) رواه البخاري في أكثر من موضع منها ٢٠٥/١، العلم. باب كتابة العلم، ح ١١٢، و ٨٧/٥، اللقطة، باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ح ٢٤٣٤، وسلم ٩٨٨/٢، الحج، باب تحريم مكة إلخ ح ٤٤٧ (١٣٥٥) وغيرهما. وقد خرجته في تخريجي لأحاديث كتاب العلم في سنن أبي داود ضمن رسالتي للدكتورة يسر الله طبعها.

(٢) ولفظه عند أبي داود: كنت أكتب كل شيء أسمع عن رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قریش وقالوا: أنكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا. فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بيده إلى فيه فقال: أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق. أبو داود ٣١٨/٣، العلم، باب في كتاب العلم، حديث ٣٦٤٦ واسناده صحيح. كما بينت في المصدر المذكور آنفاً.

(٣) كأن المؤلف يشير إلى حديث «قيدوا العلم بالكتاب» وقد ورد عن عدد من الصحابة مرفوعاً وموقوفاً وساق طرفه الخطيب البغدادي في تقييد العلم ص ٨٨، ٩٢، ٩٦-٩٧ وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٣٠٦/١-٣١٠ وغيرهما. وصححه الشيخ الألباني رحمه الله بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة، الحديث ٢٠٢٦.

الله عنه تلاميذه: أن يملي عليهم، لأنهم كانوا يستصعبون الحفظ، فأنكر عليهم بشدة. فقد روى أبو نضرة قال: قلت لأبي سعيد الخدري: ألا تُكْتَبُنا فإننا لا نحفظ؟ فقال:

«لا، إنا لن نكتبكم ولن نجعله قرآنًا، ولكن احفظوا عنا كما حفظنا نحن عن رسول الله ﷺ». (١)

وهكذا طلب من أبي هريرة رضي الله عنه، فأجاب هو أيضًا بجواب نحوه (٢)

والسبب الثاني أن المسلمين في تلك القرون كانوا قد أعطوا حظًا وافرًا من الذاكرة وقوة الحفظ بحيث أنهم لم يكونوا بحاجة إلى الكتابة والجمع، وكل أمورهم كانت تقوم على الذاكرة وكانوا لا يجدون في ذلك أى مشقة.

ومن أسباب ذلك أيضًا أن أغلبية المسلمين في ذلك العصر ما كانوا

(١) رواه الدارمي في سننه ١/١٢٢، طبعة دهمان. واللفظ له. وأخرجه أيضًا ابن أبي شيبه في المصنف ٩/٥٢، الأدب، باب من كان يكره كتاب العلم، وأبو خيثمة في كتاب العلم ص ١٣١، حديث ٩٥. والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٣٧٩، باب من كان لا يرى أن يكتب حديث ٣٦٣. وذكر له الخطيب في تقييد العلم ٣٦ ٣٨، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/٢٧٢-٢٧٣ طرقًا عدة. وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أبو خيثمة في العلم ص ١٤٣، حديث ١٤٠، والدارمي ١/١٢٢، والخطيب في تقييد العلم ص ٤١-٤٢، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/٢٨٢، حديث ٣٥٧ ولفظه: «نحن لا نكتب ولا نكتب» وعند الدارمي: «لا يكتب ولا يكتب» وعند أبي خيثمة «إن أبا هريرة لا يكتب ولا يكتب».

وقال الشيخ الألباني: السند صحيح إلى أبي هريرة. (العلم ص ١٤٢).

يعرفون الكتابة. (١)

وفي أواخر أيام التابعين حينما انتشر علماء الاسلام في البلدان المختلفة المتباعدة وفشت بدعة الروافض والخوارج والقدرية، وبدأ الظلام يغشى نور الشفق الخافت نشطت حركة تدوين الأحاديث والآثار. وكانت حالة هذا التدوين كبداية أى فن، ولكن توجيهًا من الخليفة عمر بن عبدالعزيز قد أثار الهمم^(٢)، ودُوِّنت دفاتر الحديث وكان على رأس القائمة في هذه المهمة الربيع بن صبيح^(٣)، وسعيد بن أبي عروبة^(٤) وآخرون من معاصريهم^(٥)، وكان أسلوب التدوين في هذا العصر الأول أنهم كانوا يصنفون كل باب على حدة^(٦) في أجزاء بل

(١) ذكر الإمام النووي عن القاضي عياض أنه قال:

«كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرها كثير من منهم، وأجازها أكثرهم. ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف.» (شرح النووي ١٢٩/١٨، الزهد. باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم).

(٢) فتح الباري ٢٠٨/١.

(٣) الربيع بن صبيح السعدي أبو بكر ويقال أبو حفص البصري مولى بني سعد بن زيد مناة روى عن الحسن وحميد الطويل وغيرهما، وعنه الثوري وابن المبارك ووكيع وغيرهم، توفي سنة ١٦٠هـ بأرض السند. ذكر الرامهرمزي أنه أول من صنف في البصرة (تهذيب التهذيب ٢٤٧/٣-٢٤٨).

(٤) سعيد بن أبي عروبة، واسمه مهران العدوي مولى بني عدى بن يشكر أبو النضر البصري روى عن قتادة والنضر بن أنس والحسن البصري وغيرهم، وعنه الأعمش وهو من شيوخه، وشعبة وعبد الأعلى وغيرهم، توفي سنة ١٥٥هـ. اختلط في آخر عمره. (انظر تهذيب التهذيب ٦٣/٤-٦٦).

(٥) مقدمة الفتح ٦.

(٦) المصدر السابق.

كانوا يجمعون كل ما وجدوا من الآثار والأحاديث بدون ترتيب.

ثم قام أتباع التابعين ودوّنوا الأحكام، فكتب الإمام مالك الموطأ في المدينة، والتزم فيه بإيراد أحاديث قوية من أحاديث أهل الحجاز، ولكنه مع ذلك أودع فيه فتاوى الصحابة والتابعين أيضاً، وصنف كل من ابن جريج في مكة، والأوزاعي في الشام، وسفيان الثوري في الكوفة، وحماد بن سلمة في البصرة، كل على أسلوبه، وتبعهم أناسٌ كثيرون من معاصريهم، فدوّنوا الأحاديث ورتبوها.

وبعد مزيد من التطور والازدهار رأى بعض الأئمة أن يفردوا الأحاديث المرفوعة بالجمع ويمحضوها من آثار الصحابة والتابعين، وعلى هذا رأى ألف عبيد الله بن موسى الكوفي مسنده، وهكذا جمع كل من مسدد بن مسرهد وأسد بن موسى الأموي، ونعيم بن حماد نزيل مصر مسانيدهم.

وتبعهم في الجمع والتدوين غيرهم من الأئمة، حتى قلّ في الحفاظ من لم يدون أحاديثه ومروياته على المسانيد، ومن بينهم الأئمة أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة، وإسحاق بن راهويه وأناس آخرون من كبار الأئمة، ويمتاز من بين هذه المسانيد مسند الإمام أحمد، وقد طبع، ويستفيد منه أهل الاسلام.^(١)

(١) وقد وجدت قطعة من مسند إسحاق بن راهويه وتشتمل على قسم من مسند أبي هريرة ومسند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما وقد طبع بتحقيق الدكتور عبدالغفور عبدالحق البلوشي ط الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م. توزيع مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة.

وقد جمع بعض الحفاظ بين الطريقتين أى المسانيد والأبواب، مثل أبي بكر بن أبي شيبة. (١)

ولقد اطلع الإمام البخاري على هذه المصنفات وفحصها فوجدها قد خلطت الأحاديث الصحيحة بالضعيفة، فأراد أن يجمع الأحاديث الصحيحة فقط التي لا يشك في صحتها. واقرن بذلك ترغيب الإمام إسحاق بن راهويه في القيام بمثل هذا العمل. قال إبراهيم بن معقل النسفي (٢): قال أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري:

«كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة رسول الله ﷺ، قال: فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع الجامع الصحيح» (٣).

(١) مصنف أبي بكر بن أبي شيبة مطبوع منذ مدة. نشرته الدار السلفية في بومبائي بالهند. كما أن «مسند ابن أبي شيبة» أيضًا طبع قريبًا في مجلدين، نشرته دار الوطن بالرياض عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٢) الإمام الحافظ الفقيه القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن معقل النسفي، قاضي مدينة نسف. قال الخليلي: هو ثقة حافظ، مات في ذي الحجة ٢٩٥هـ. قال الذهبي: حدث بصحيح البخاري عنه. وكان فقيهاً مجتهداً. سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٩٣.

(٣) مقدمة الفتح ص ٧، وقد رواه الحافظ بإسناده عن الخطيب البغدادي بإسناده عن إبراهيم بن معقل النسفي به.

ولكنه في تاريخ بغداد وغيره: فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم إلخ، انظر: تاريخ بغداد ٨/ ٢، تاريخ دمشق ٤٦/ ١٥/ أ، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١/ ٧٤، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٤١، تهذيب الكمال ٤٤٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٤٩، سير أعلام النبلاء ٤٠١/ ١٢، طبقات السبكي ٢٢١/ ٢، تغليق التعليق ٤١٩/ ٥.

وهو في التعديل والتجريح للباجي بنحوه ٣٠٩/ ١.

وهناك سبب ثالث كما ذكره الإمام البخاري حيث قال:

رأيت النبي ﷺ، وكأنني واقفٌ بين يديه، وببيدي مروحة أذبُ بها عنه، فسألتُ بعض المُعَبِّرِينَ، فقال لي: أنت تذبُّ عنه الكذبَ. فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح^(١).

وقد ورد في الحديث: الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة،^(٢) ومن رأى النبي ﷺ في المنام، فقد رأى الحق^(٣)، وهذه الرؤيا المباركة قد زادت الإمام البخاري شوقاً إلى شوق، فأكَبَّ على جمع الجامع الصحيح.

(١) قال الحافظ ابن حجر: رويناه بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس، قال: سمعت البخاري يقول: فذكره. (مقدمة الفتح ص ٧).

وينظر أيضاً: تهذيب الأسماء ١/١/٧٤، ماتمس إليه حاجة القاريء ص ٤١، تغليق التعليق ٥/٤٢٠، مقدمة القسطلاني ١/٢٩.

(٢) أخرجه البخاري في أكثر من موضع من رواية أكثر من واحد من الصحابة. واللفظ المذكور من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً ١٢/٣٧٣، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة إلخ. حديث ٦٩٨٩. ومسلم من حديث أبي هريرة وغيره ٤/١٧٧٤، كتاب الرؤيا ح ٢٢٦٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٢/٣٨٣، كتاب التعبير. باب من رأى النبي ﷺ في المنام ح ٦٩٩٦. وسلم ٤/١٧٧٦، كتاب الرؤيا. باب قول النبي ﷺ من رآني إلخ من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعاً «من رآني فقد رأى الحق». قال ابن حجر: أي المنام الحق أي الصدق (فتح الباري ١٢/٣٨٩).

مدة التأليف وطريقته

متى ألف البخاري الجامع الصحيح؟ وكم استغرق ذلك؟ وكيف كان يؤلف؟ وعلى أي من فحول المحدثين عرضه بعد تمام تأليفه؟ كل هذه الموضوعات لا تحتمل أن تُبحث بحثًا وافيًا في هذه العجالة المختصرة، كما هو دأب أكثر شراح الصحيح، ولكن ليس من المناسب أيضًا أن نتغاضى عنها كل التغاضي.

لقد ذكر الوراق قول الإمام البخاري:

«صنفت الجامع من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة^(١)».

(١) قال الإمام النووي: وروينا من جهاتٍ عن البخاري رحمه الله قال: «صنفت كتاب الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله». تهذيب الأسماء واللغات ٧٤/١/١، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٤١.

وذكره بنحوه الذهبي في تاريخ الإسلام ص ٢٤٩، ثم قال: «رويت عن وجهين ثابتين عنه» أي عن البخاري. ونقل هذا الكلام عنه السبكي في طبقات الشافعية ٢٢١/٢.

ينظر أيضًا: تاريخ بغداد ٨/٢، ١٤، طبقات الحنابلة ٢٧٦/١، تقييد المهمل ٤/أ، ٥/أ، تاريخ دمشق ٤٦/١٥/أ من ثلاثة طرق عن البخاري، أسامي شيوخ البخاري للصغاني ص ٤، وفيات الأعيان ١٩٠/٤، تهذيب الكمال ٢٤٢/٢٤، ٤٤٨، سير أعلام النبلاء ٤٠٢/١٢، ٤٠٥، تغليق التعليق ٤٢١/٥، مقدمة الفتح ص ٤٨٩، و ص ٧.

أما عن طريق الوراق فهو القول الآتي:

وقال البخاري أيضًا: «صنفته ثلاث مرات^(١)».

ولا منافاة بينهما فإن كل مصنف يرتب ويهذب تأليفه أكثر من مرة.

قال أبو الهيثم الكُشْمِينِيُّ^(٢): سمعت محمد بن يوسف الفَرَبْرِيَّ يقول: قال البخاري:

«وما وضعتُ في كتاب الصحيح حديثًا إلا اغتسلتُ قبل ذلك وعليتُ ركعتين.»^(٣)

(١) قال الوراق: وسمعتَه يقول: صنفَت جميعَ كُتُبِي ثلاثَ مرات، (سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٣).

وقد ورد ذلك خاصة عن «التاريخ» حيث روى الوراق أيضًا عنه أنه قال: «لو نُشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفَت التاريخ ولا عرفوه». ثم قال: صنفته ثلاث مرات. (تاريخ بغداد ٧/٢، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٣ وغيرهما). ولكن وقع في مقدمة الفتح في هذا القول «لو نُشر... هؤلاء لم يفهموا كيف صنفَت البخاري ولا عرفوه»، ثم قال: صنفته ثلاث مرات. (مقدمة الفتح ص ٤٨٧). فكلمة «البخاري» هنا في المقدمة محرفة من «التاريخ» كما في المراجع الأخرى التي ذكرت هذا الخبر وقد تقدم ذكرها.

(٢) بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم بعدها تحتية ساكنة ثم هاء مفتوحة. ثم نون نسبة إلى كُشْمِينِ قَرْيَةٍ بِمَرُو (الأنساب ١١/١١٥-١١٦) (المؤلف).

[وهو محمد بن مكي بن محمد بن زارع بن هارون بن زَرَّاع الكُشْمِينِيُّ الأديب، اشتهر في الشرق والغرب بروايته كتاب الجامع لأنه آخر من حدث بهذا الكتاب غالبًا بخراسان، سمع بفربز أبا عبدالله محمد بن يوسف بن مطر الفربري وغيره، توفي سنة ٣٨٩هـ بقريته. الأنساب ١١/١١٦-١١٧] وقال الذهبي: حدث بصحيح البخاري مرات عن أبي عبدالله الفربري... وكان صدوقًا. سير أعلام النبلاء ١٦/٤٩١.

(٣) مقدمة الفتح ص ٧، و ص ٤٨٩.

وانظر أيضًا: تاريخ بغداد ٩/٢، تقييد المهمل ٤/أ، طبقات الحنابلة ١/٢٧٤، =

وفي رواية أخرى (عن عمر بن محمد بن بُجَيْر البُجَيْرِي^(١)) قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: «صَنَّفْتُ كتابي الجامع في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثاً حتى استخرتُ الله تعالى، وصَلَّيتُ ركعتين وتيقنت صحته^(٢)».

وقال أيضاً: «صَنَّفْتُ الجامع من ستمائة ألف حديث في ست

= تاريخ دمشق ١٥/٤٦/أ، المنتظم ١٢/١١٥، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/٧٤، ماتمس إليه حاجة القاريء ص ٤١، وفيات الأعيان ٤/١٩٠، تهذيب الكمال ٢٤/٤٤٣، تاريخ الإسلام للذهبي ص ٤٤٨، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٢، الوافي بالوفيات ٢/٢٠٨، طبقات السبكي ٢/٢٢٠، تغليق التعليق ٥/٤٢١، طبقات الحفاظ ص ٢٤٩، طبقات المفسرين للداودي ٢/١٠٦، وعلق عليه الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام بقوله: يعني ما جلستُ لأضع في تصنيفه شيئاً إلا وفعلت ذلك. لا إنه يفعل ذلك لكل حديث. (ص ٢٤٨)

قلت: لا أرى حاجة لهذا التأويل لأن أحاديث البخاري الموصولة بدون تكرار في حدود ألفين وستمائة حديث (انظر مقدمة الفتح ص ٤٧٧) وقد انتخبها البخاري في ست عشرة سنة فلا غرابة أن يصلي لكل حديث ركعتين، لا سيما وقد ورد ذلك من طريقين عن البخاري. والله أعلم.

(١) الإمام الحافظ الثبت الجوال مصنف المسند: أبو حفص عمر بن محمد بن بُجَيْر الهمداني السمرقندي محدث ماوراء النهر، ... كان من أوعية العلم. قال أبو سعد الإدريسي: كان فاضلاً خيراً ثبتاً في الحديث، له الغاية في طلب الآثار والرحلة. مات ٣١١هـ. سير أعلام النبلاء ١٤/٤٠٣.

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٨٩، تغليق التعليق ٥/٤٢١، وقد ذكره عن أبي سعد الإدريسي الحافظ مصنف تاريخ سمرقند وتاريخ استراباذ (ت ٤٠٥هـ) باسناده عن البخاري. وذكره النووي في ماتمس إليه حاجة القاريء ص ٤٢. وذكر أنه رواه الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر القدسي في كتابه «جواب متعنت البخاري» باسناده عن عمر بن محمد بن بجير.

عشرة سنة، وجعلته حُجَّةً فيما بيني وبين الله^(١)».

ونقل ابن عدي عن جماعة من المشايخ:

«إنَّ البخاري حوّل تراجم جامعته بين قبر الرسول ﷺ ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين^(٢)».

وقد ذكر الوراق أنَّه كان مع البخاري ذات مرة حينما كان يؤلف كتاب التفسير فكان يقوم في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة بيده ويُسْرِج، ويُخْرِجُ أحاديث فيعلمُ عليها ثم يضع رأسه^(٣).

(١) تقدم تخريجه قبل قليل، ص ٣٣٩ وقال الحافظ ابن حجر: وفي رواية عنه: خرجته من زهاء ستمائة ألف حديث. تغليق التعليق ٤٢١/٥، وهو في تاريخ بغداد ٨/٢ وغيره.

(٢) مقدمة الفتح ص ٤٨٩.

وهو في أسامي من روى عنه البخاري لابن عدي قال: سمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدة من المشايخ يقولون: دَوَّنَ محمد بن إسماعيل إلخ. (ص ٦١). ولكنه في المصادر الأخرى «حوّل».

وانظر أيضًا تاريخ بغداد ٩/٢، تاريخ دمشق ٤٦/١٥/أ، التعديل والتجريح للبايجي ٣١٠/١، تهذيب الأسماء واللغات ٧٤/١/١، ماتمس إليه حاجة القارئ ص ٤١، تهذيب الكمال ٤٤٣/٢٤، سير أعلام النبلاء ٤٠٤/١٢.

(٣) ذكر الخطيب (تاريخ بغداد ١٣/٢) وكذا ابن عساكر ٤٥/١٥/ب. والنووي القصصتين في سياق واحد (تهذيب الأسماء واللغات ٧٥/١/١) مما قد يظن منه أن الإمام البخاري فعل هذا مرة أثناء تأليف كتاب التفسير فقط. ولكن المراجع ذكرت الموضوعين كلاً على حدة. وقد سبق تخريج رواية قيامه المتكرر في الليل (ص ١٥٠).

وروى الفريري أيضًا بنحوه فقال: كنت مع محمد بن إسماعيل بمنزله ذات ليلة فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثمان عشرة مرة. (سير =

وهذا دليل واضح أنه كان شغله الشاغل وهمه الوحيد في سفره وحضره، وكلما تيقن صحة حديث عَلَّم عليه، وأما تحويل تراجم الكتاب وترتيبها وتهذيبها وإدخال الحديث تحت التراجم فقد فعله الإمام مرةً في الحرم، وأخرى بين القبر والمنبر، وهو روضة من رياض الجنة، وفي أثناء تحويل التراجم هذا إذا أخرج حديثاً تحت أى ترجمة اغتسل واستخار الله. (١)

= أعلام النبلاء ١٢/٤٠٤).

وبالجمع بين خبر الوراق والفريبي يتبين أن هذه كانت عادة الإمام البخاري في معظم حياته في السفر والحضر.

وينظر أيضاً لرواية الفريبي: تاريخ بغداد ١٤/٢، تاريخ دمشق ١٥/٤٥/ب، تهذيب الكمال ٢٤/٤٤٨، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٤٨، طبقات السبكي ٢/٢٢٠.

(١) وروى الحاكم بإسناده عن أبي عبد الله محمد بن علي عن البخاري قال: أقمت بالبصرة خمس سنين معي كتيبي أصنّف وأحج في كل سنة وأرجع من مكة إلى البصرة، قال: وأنا أرجو أن الله تعالى يبارك في هذه المصنفات. قال أبو عبد الله (محمد بن علي): فلقد بارك الله فيها. تاريخ دمشق ١٥/٤٦/أ، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/٧٤، ماتمس إليه حاجة القارىء ص ٤٢.

قال الإمام النووي: والجمع بين كل هذا ممكنٌ، بل مُتَعَيِّنٌ، فإنّا قد قدمنا عنه أنه صنّفه في ست عشرة سنة، فكان يصنّف منه بمكة والمدينة والبصرة وبخارى، والله أعلم. (ماتمس إليه حاجة القارىء ص ٤٢).

وقال ابن حجر: «الجمع بين هذا وبين ما تقدم أنه كان يصنّفه في البلاد، أنه ابتدأ تصنيفه وترتيبه وأبوابه في المسجد الحرام ثم كان يخرج الأحاديث بعد ذلك في بلده وغيرها، ويدل عليه قوله إنه أقام فيه ست عشرة سنة فإنه لم يجاور بمكة هذه المدة كلها. (مقدمة الفتح ٤٨٩).

وقال بعد ذكر رواية تحويل تراجمه بين القبر والمنبر: «ولا ينافي هذا أيضاً ماتقدم، لأنه يحمل على أنه في الأول كتبه في المسودة وهنا حوله من المسودة إلى الميضة. (المصدر السابق ٤٨٩).

قال أبو جعفر العقيلي:

«لما صنف البخاري كتاب الصحيح عرضه على ابن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث. قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة^(١)».

الغرض الأساسي لتأليف الجامع الصحيح

كان الإمام البخاري يرمي إلى غرضين أساسيين في تأليفه للجامع الصحيح:

١- انتخاب وجمع تلك الأحاديث التي اتفق على صحتها المحدثون قبل الإمام البخاري، أو المعاصرون له، ولذلك سماه «الجامع الصحيح [المسند] من أحاديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه». ^(٢)

٢- استنباط المسائل الفقهية واستخراج النكات الحكمية والتي يمكن أن يعبر عنها بـ«نتائج النظرة الدقيقة التي منحها الله للبخاري» ويذكرها في تراجم أبوابه بين حين وآخر، ومراعاة لهذا الغرض - أي

(١) مقدمة الفتح ٧، ٤٨٩، تغليق التعليق ٤٢٣/٥، وذكره ابن خير الإشبيلي في فهرسته (ص ٩٥) عن مسلمة بن قاسم سمعت من يقول عن أبي جعفر العقيلي، فذكره.

(٢) مقدمة الفتح ص ٨، والزيادة منها وسماء ابن الصلاح «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» (علوم الحديث ص ٢٢) وكذا النووي في ماتمس إليه حاجة القارئ (ص ٣٩).

استخراج المسائل الفقهية - ما كان يبالي بتكرار المتن، ولكنه مع ذلك كان يلتزم أن لا يتكرر المتن والإسناد معاً من كل الوجوه، بل التكرار في مضمون الحديث فقط، وبكثرة الأسانيد وتعددتها ترتفع الأحاديث من الآحاد إلى الشهرة أو التواتر المعنوي، وهذا التكرار يزيده حسناً إلى حسن.

وهو في استنباطه للمسائل يتبع أسلوباً حسناً جداً، وهو أنه أول ما يستدل، يستدل بالآيات القرآنية، ويراعي قبل كل شيء التطبيق والتوفيق بين الآية والحديث، وفي طيه تفسير الآية بالحديث أو الحديث بالآية، وله أسلوب لطيف ودقيق في الاستدلال، حتى إن كثيراً من الذين لا يدركون كنهه يقعون في حيرة، ويجعلونه هدفاً لظعنهم واعتراضهم.

ولما كانت المسائل الفقهية واستنباطها من أهم أغراضه اكتفى في كثير من الأبواب بالإشارة إلى الحديث، فيقول: فيه عن فلان ويشير إلى الحديث الذي سبق ذكره سواء كان قريباً أو بعيداً، وأحياناً يذكر في بعض التراجم متن الحديث فقط، ويحذف السند، أو يذكره مُعلّقاً. وهناك تراجم وأبواب كثيرة يذكر فيها عدة أحاديث، وأحياناً يكتفي بحديث واحد، وأحياناً يذكر الآيات القرآنية فقط، وكل هذه الأساليب تدل على أن استنباط المسائل الفقهية من أهم أهداف صحيح البخاري وأغراضه الأساسية.

وتوجد بعض التراجم ليس فيها أي حديث ولا آية ولا أثر صحابي، ولا قول تابعي، بل مجرد فراغ، وكأنه عرضت له مسألة ولم يستحضر دليلها في الوقت فكتب المسألة بعنوان ترجمة الأبواب على أمل أن ينظر فيها، ويذكر فيها الأحاديث أو الآيات فيما بعد في الرد أو التأييد، إلا أن المنية عاجلته، فلم يستطع أن يكمل هذا الفراغ.

وفي بعض المواضع يوجد الحديث، ولكن لا يوجد عليه ترجمة ولا باب، وهذا في حالة إذا تيقن صحة الحديث وأدخله في الكتاب إلا أنه لم يجد فرصة الاستنباط منه.^(١)

تراجم أبواب صحيح البخاري

لقد راعى الإمام البخاري في تراجم أبواب صحيحه مقاصد عالية رفيعة، وأهدافاً سامية نبيلة، ففي بعض الأحيان يشير إلى النكات الفقهية الدقيقة، وأحياناً أخرى يبين الأصول الحديثية، وعللها الغامضة التي تحتاج إلى نظر ثاقب، وفهم صائب، وفطنة خارقة وذكاء موهوب مع سعة الأفق وكثرة الاطلاع. أما الطبائع المعكوسة الزائغة، والعقول القاصرة، والأنظار الضيقة، أو أولئك الذين يتقيدون بالأصول الموروثة، أو تفريعات أهل الرأي، فقد حرّموا من الوصول إلى دقائق تراجم الإمام البخاري، ولذلك تراهم تارة يطعنون في تراجم صحيح البخاري، وتارة أخرى يعترضون بعدم المناسبة بين التراجم والأحاديث المذكورة فيها.

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

مع أن حكم الفقهاء والمحدثين في شأن تراجمه أصبح مضرباً للمثل، وهو قولهم «فقه البخاري في تراجمه».

وتبين أهمية تراجم أبواب الجامع الصحيح من أن كثيراً من أجله

(١) «وهي مواضع قليلة جداً» كما قال الحافظ ابن حجر (مقدمة الفتح ص ٨).

المحدثين وفحول المصنفين قد ألفوا تأليفات مستقلة لبيان مقاصد تراجمه الجليلة والإشارات الخفية الغامضة.

مصنفات حول تراجم أبواب صحيح البخاري

١- لقد ألف العلامة ناصر الدين أحمد بن المنير^(١) خطيب الإسكندرية [ت ٦٨٣هـ] كتاباً مستقلاً مفصلاً في تراجم أبوابه^(٢) وسماه «المتواري على تراجم البخاري» وقد اختار فيه أربعمئة ترجمة من تراجم صحيح البخاري تحتاج إلى دقة وإمعان، ثم شرحها في بحوث مبسطة.^(٣)

٢- وألف العلامة محمد بن منصور [بن الحمامة] المغربي السجلّماسي أيضاً كتاباً خاصاً في هذا الموضوع، وسماه «فك أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة»^(٤).

(١) بالياء المشددة، كما أفاده شيخنا الشيخ حسين عرب اليمني، رحمه الله تعالى. (المؤلف). [هو أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم بن مختار بن أبي بكر الجذامي الجروي الأسكندري المالكي المعروف بابن المنير (بتشديد الياء) ناصر الدين أبو العباس. توفي سنة ٦٨٣هـ.

انظر شذرات الذهب ٣٨١/٥. معجم المؤلفين ١٦١/٢ (المراجع).

(٢) مقدمة الفتح ١٤، إرشاد الساري ٤٣/١، كشف الظنون ٥٤٦/١، تاريخ التراث ١٩٨/١.

(٣) وقد طبع بتحقيق أخينا الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد، نشرته مكتبة المعلا بالكويت سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

(٤) مقدمة الفتح ١٤، إرشاد الساري للقسطلاني ٤٣/١. كشف الظنون ٥٥١/١ واسمه عندهما «حل أغراض البخاري إلخ».

٣ - العلامة أبو عبدالله بن رُشيد السَّبْتِي^(١)، [ت ٧٢١هـ] وله كتاب ضخيم ومبسوط في تراجم أبواب صحيح البخاري، وسماه «ترجمان التراجم» ولكن الأسف أن هذا الكتاب المفيد والعزيز لم يقدر له التمام وقد بلغ في مجلد ضخيم إلى أبواب الصوم فقط، ومع عدم كمال هذا الكتاب القيم استفاد منه الدارسون لصحيح البخاري فوائد عظيمة^(٢).

٤ - وقد ألف العلامة زين الدين علي بن المُنِير^(٣) [٦٩٥هـ] أيضًا مصنفًا مستقلًا في التراجم. ذكره الحافظ ابن حجر في هدى الساري^(٤).

٥ - شرح تراجم أبواب صحيح البخاري: وهي رسالة جامعة ومهمة

(١) محب الدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن محمد ابن رُشيد الفهري السبتي، توفي سنة ٧٢١هـ.

من مؤلفاته أيضًا «ملء العيبة، في ست مجلدات، طبع بعضها. الإحاطة ١٣٥/٣، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٢٤.

(٢) مقدمة الفتح ص ١٤. وقال الحافظ: «ولو تم لكان في غاية الإفادة وإنه لكثير الفائدة مع نقصه».

(٣) زين الدين أبو الحسن علي بن محمد بن المُنِير. وهو أخو ناصر الدين ابن المنير. توفي يوم عيد الأضحى سنة ٦٩٥هـ.

الوافي بالوفيات ١٤٢/٢٢، معجم المؤلفين ٢٣٤/٧.

(٤) مقدمة الفتح ص ١٤. ولكن فيه أنه تكلم على ذلك «في شرحه على البخاري وأمعن في ذلك». ولكن مع ذلك فله كتاب مستقل في شرح التراجم غير شرحه على البخاري. كما ذكر الشيخ محمد مخلوف في شجرة النور الزكية ١٨٨/١، والشيخ صلاح الدين مقبول في مقدمته على كتاب المتواري ص ١٣، ١٧، وقد أخطأ بعضهم فنسب كتاب «المتواري» إليه مع أنه لأخيه وليس له كما سبق. انظر مقدمة المحقق لكتاب المتواري ص ١٤-١٦.

ألفها الشاه ولي الله الدهلوي^(١)، وطُبعت في مطبعة دائرة المعارف بحيدرآباد^(٢)، وكانت طُبعت قبل ذلك على هامش تيسير القاري شرح صحيح البخاري بالفارسية في لکناؤ. وقد ذكر في أولها قواعد مهمة في بحوث جامعة ومختصرة، ثم تكلم في أكثر من أربعمئة ترجمة، واحدة بعد أخرى، ولكن بإيجاز تام، وأودع نكات مهمة جدًا في بعض المواضع تدل على تبحره في العلم وصفاء ذهنه، واستحقاقه للقب «حكيم الأمة»^(٣).

(١) العلامة الشيخ أحمد بن عبدالرحيم بن وجيه الدين الدهلوي العمري الهندي، المعروف بولي الله الدهلوي ت ١١٧٧هـ.

من أشهر مؤلفاته «حجة الله البالغة» و«المسوى شرح الموطأ» وغيرهما. أبجد العلوم ٢٤١/٣، نزهة الخواطر ٤١٠/٦، معجم المؤلفين ٢٧٢/١.

(٢) ثم صدرت منه طبعات مصورة في بيروت.

(٣) ومن الكتب الأخرى في شرح تراجم البخاري:

٦ - «مناسبات تراجم البخاري لأحاديث الأبواب» لأبي عبدالله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي، ت ٧٣٣هـ. وهو تلخيص لكتاب ناصرالدين ابن المنير. مطبوع بالدار السلفية في بومبائي بالهند.

وقد حققه أيضًا علي بن عبدالله الزين للحصول على درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٤هـ. (دليل الرسائل الجامعية الصادر من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. رقم ٦٣٥٣).

٧ - تعليق المصاييح على أبواب الجامع الصحيح. لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الدماميني ت ٨٢٨هـ.

ذكره الشاه عبدالعزيز الدهلوي في بستان المحدثين (انظر مقدمة محقق كتاب المتواري ص ١٣) وله أيضًا شرح على صحيح البخاري سماه «مصاييح الجامع». الدماميني حياته وآثاره للدكتور محمد بن عبدالرحمن المفدي.

٨ - «مناسبات تراجم أبواب البخاري» لأبي حفص عمر بن رسلان الكنانى =

وزيادة على هذه المصنفات المستقلة كلها، فإن هذه التراجم تبحث بحثاً مفصلاً في شروح البخاري، وكل شارح يبين غزارة علمه وفهمه حسب اطلاعه وسعة معرفته، وقد ساهم فيه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر بحفظ وافر، ومن بعده العلامة العيني.

قال العلامة ابن خلدون معلقاً على تراجم أبواب صحيح البخاري:

«فأما صحيح البخاري، فهو أعلاها رتبةً، فاستصعب الناس شرحه، واستغلقوا مناه من أجل ما يحتاج إليه من معرفة الطرق المتعددة، ورجالها من أهل الحجاز والشام والعراق، ومعرفة أحوالهم، واختلاف الناس فيهم، وكذلك يحتاج إلى إمعان النظر في التفقه في التراجم، لأنه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند، أو بطريق، ثم يترجم أخرى، ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب، وكذلك في ترجمة وترجمة إلى أن يتكرر الحديث في أبواب متفرقة بحسب معانيه واختلافها^(١)».

ومن الخطأ العظيم أن يفرض أن تراجم الأبواب هي الدعاوي،

= البُلُقِينِي المصري، ت ٨٠٥هـ. ذكره صاحب الأعلام في ترجمته (٤٦/٥) ويظهر من تلخيص الحافظ ابن حجر له أنها مناسبات في ترتيب الأبواب المذكورة في البخاري. (مقدمة الفتح ص ٤٧٠) وله قصيدة أيضاً في نظم مناسبات تراجم البخاري ذكرها القسطلاني في مقدمة شرحه (١/٤٤. طبعة احياء التراث).

٩ - الأبواب والتراجم للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي. مطبوع.

(١) مقدمة ابن خلدون ٣/١١٤١ (١/٤٧٤) طبعة دار الكتب العلمية مع اختلاف في بعض الكلمات).

والآيات والأحاديث التي أورد تحتها هي أدلة على تلك الدعاوي، أو بمنزلة الدلائل، ولأجل هذا الخطأ يقع كثير من دارسي صحيح البخاري في أوهام وزلات.

تفصيل مقاصد التراجع

إن تراجع الأبواب في صحيح البخاري تختلف صورها، وتنوع أغراضها^(١):

١ - أحياناً يذكر الإمام البخاري في التراجع أحاديث ليست على شرطه، ثم يورد في الباب أحاديث تصح على شرطه، وتشهد لصحة الحديث المذكور في الترجمة، ويقصد من هذا تصحيح وتأييد الحديث المشار إليه في ترجمة الباب.

٢ - ويذكر أحياناً في ترجمة الباب مسألة استنبطها عن أحاديث صحيحة على شرطه، سواء كانت من صريح النص، أو إشارة النص أو الاقتضاء، ثم يورد في الباب أحاديث أو آيات تكون دليلاً للمسألة المذكورة في ترجمة الباب، ولكن ليس بوسع كل واحد أن يدرك وجه الاستدلال إدراكاً كاملاً.

٣ - وأحياناً يذكر في ترجمة الباب مسألة قال بها جماعة من المسلمين من قبل، ثم ثبت لديه حسب تحقيقه واجتهاده ما يدل عليه، أو

(١) بعد إمعان النظر والتفكير تصل مقاصد وأهداف تراجع صحيح البخاري إلى أكثر من ثلاثين، ولقد اكفى المؤلف رحمه الله على ذكر بعض أغراضها كنموذج فقط. (عبيد الله الرحمانى).

يشهد له، أو يرجحه. وفي مثل هذه المواضع يقول الإمام البخاري في ترجمة الباب «باب من قال كذا» أو «ذهب إلى كذا».

٤ - وأحياناً يذكر في ترجمة الباب مسألة وردت فيها أحاديث مختلفة، فيجمع في الباب تلك الأحاديث المختلفة، ويقصد من هذا التسهيل في الجمع بينهما، أو الترجيح، والاستنباط.

٥ - وأحياناً تكون الأدلة متعارضة في مسألة ما، كما سبق، وترجع عند الإمام البخاري أو تتحقق صورة التوفيق، فيذكر الجمع بينهما في ترجمة الباب، ثم يورد تلك الأدلة المتعارضة، لكي تنشأ في المتعلم قوة الجمع والتوفيق بين تلك الأدلة التي ظاهرها التعارض.

٦ - وأحياناً يذكر عدة أحاديث في إثبات ترجمة الباب ويرى في تلك الأحاديث من الفوائد المهمة والضرورية التي يجب التنويه بها، فمثل هذه المواضع يكتب فيها «باب» بدلاً من «فائدة» أو «التنبيه» ويظن القارئ أنه بدأ مسألة جديدة، مع أنه ليس في الحقيقة باب جديد، بل هو كما جرت عادة المؤلفين بأنهم يذكرون في مثل هذه المواضع «قف» أو «فائدة» أو «التنبيه» ولكن الإمام البخاري لا يحب غير كلمة باب، ولا مشاحة في الاصطلاح، وذلك كما ورد في كتاب بدأ الخلق ترجمة: باب قول الله عز وجل ﴿وَبَيَّنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾^(١) فذكر فيها حديثاً يوافق هذه الترجمة، ثم قال: «باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال»^(٢).

(١) صحيح البخاري ٣٤٧/٦.

(٢) أيضاً ٣٥٠/٦.

٧ - وأحيانًا يذكر كلمة «باب» بدلاً من حاء التحويل، أو قولهم «وبهذا الإسناد» كما فعل في كتاب بدأ الخلق هذا «باب ذكر الملائكة»^(١) فأورد أولاً عدة أحاديث في اثبات ترجمة الباب، وذكر من طريق سعيد حديث «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»^(٢) ثم قال: «باب» وذكر حديث: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين - الحديث^(٣)، والمراد منه أن بهذا الإسناد الحديث الآتي أيضًا.

٨ - وأحيانًا يذكر تحت ترجمة الباب حديثًا لا يدل على الترجمة، وليست له علاقة بالترجمة حسب الظاهر من ألفاظ الحديث المذكور، ولكن للحديث طرق مختلفة، وألفاظ بعض الطرق تدل على الترجمة، ويقصد من ذكر هذا أن لهذه الترجمة أصلًا، وليست بدون أصل تمامًا.

٩ - وأحيانًا يذكر في ترجمة الباب رأياً ذهب إليه بعض الناس، أو يمكن أن يقول به أحدٌ في المستقبل، ولكنه لا يرى صحة ذلك.

١٠ - وهكذا قد يورد في ترجمة الباب حديثًا ليس بصحيح عند الإمام البخاري، ويورد في الباب أحاديث صحيحة، ويقصد منها الرد على ذلك المذهب، أو ذلك الحديث المذكور في الترجمة.

١١ - وأحيانًا يذكر بعد ترجمة الباب أثرًا لصحابي أو تابعي بدلاً من

(١) أيضًا ٣٠٢/٦.

(٢) أيضًا ٣٠٦/٦.

(٣) أيضًا ٣١١/٦.

الحديث المرفوع، أو يكتفي بذكر الآيات فقط، ويفعل مثل هذا في الغالب إذا كان لفظ الترجمة جزءاً من حديث ليس على شرط البخاري، ويشير بهذا إلى أن الحديث وإن كان ورد بهذا اللفظ إلا أنه ليس صحيحاً على شرطه، ومع ذلك فهو صالح للعمل.

١٢ - وأحياناً يذكر في ترجمة الباب مسألة ليست لها أهمية كبيرة في بادئ الرأي ولكنها أصبحت ذات أهمية بسبب من الأسباب الخارجية، كما قال: «باب قول الرجل ما صلينا»^(١) وهذا قولٌ ليست له نتيجة حسب الظاهر، ولكن إذا ضممنا إليه أن طائفة تكره هذا القول فتبين لنا أهمية وفائدة هذه الترجمة. وذكر الشاه ولي الله الدهلوي أن أغلب التراجم التي من هذا القبيل يقصد منها الإمام البخاري التعقيب على بعض تراجم مصنف ابن أبي شيبة ومصنف عبدالرزاق، وإليك نصه:

«قلتُ وأكثر ذلك تَعَقُّبات وتنكيات على عبدالرزاق وابن أبي شيبة في تراجم مصنفيهما، إذ شواهدُ الآثار تُروى عن الصحابة والتابعين في مصنفيهما. ومثل هذا لا يَنْتَفَعُ به إلا من مارس الكتابين، واطلع على ما فيهما»^(٢).

١٣ - وأحياناً يذكر في ترجمة الباب آية من القرآن ويشرحها بالحديث، أو يخصص عمومها، أو يقيد إطلاقها، أو يعين محتملاتها، أو يذكر حديثاً في ترجمة الباب ويقصد من الآية تخصيصها، أو

(١) صحيح البخاري ١٢٣/٢.

(٢) شرح تراجم أبواب صحيح البخاري ص ٥ (ص ١٢ طبعة دار الحديث . بيروت).

تعيين أحد الاحتمالات أو شرحها، قال الشاه ولي الله الدهلوي :

«وكثيرًا ما يأتي بشواهد الحديث من الآيات، وبشواهد الآيات من الأحاديث تظاهراً، أو لتعيين بعض المحتملات دون البعض فيكون كقول المحدث: «المراد بهذا العام المخصوص» أو «بهذا الخاص العموم» ونحو ذلك، ومثل هذا لا يُدرك إلا بفهمٍ ثاقبٍ وقلبٍ حاضر^(١).

١٤ - وأحياناً يقصد فقط تمرين طلاب الحديث على الاستدلال بالحديث حسب المسألة المطروحة.

١٥ - لقد سلك الإمام البخاري في كثير من تراجم أبوابه مسلك أهل السير والمؤرخين، وهو استنباط أمرٍ خاصٍ ليتعلق بحديثٍ ما من طرق الروايات، والفقهاء يتعجبون من هذا لعدم ممارستهم هذا الفن، ولكن أهل السير يعتنون به اعتناءً خاصاً.

شروط صحيح البخاري^(٢)

لقد ادعى الإمام أبو عبدالله الحاكم أن الإمام البخاري يشترط في الأحاديث المسندة من صحيحه - وهي أصل موضوع الكتاب - أن يروي عن كل صحابي تابعيان مشهوران، وأن يروي من كل تابعي راويان

(١) المصدر السابق.

(٢) لقد ألّف كتب مستقلة في بيان شروط الأمهات الست، وكتاباً العلامة الحازمي الهمداني، والعلامة أبي الفضل محمد بن طاهر (شروط الأئمة) من الكتب النافعة جداً. (شرح ألفية العراقي ٢٤/١) [المؤلف].

ثقتان عدلان ضابطان جامعان لشروط الصحة، وهكذا تستمر الرواية في كل طبقة حتى يصل الحديث إلى الإمام البخاري^(١). وانتقده العلامة أبو المعمر المبارك ابن أحمد^(٢)، ورأى أن هذا الادعاء من الحاكم منتقض عليه في كثير من أحاديث صحيح البخاري، وقد رواها تابعي مشهور واحد من الصحابي.

وأقول: إن هذا النقد من المبارك بن أحمد وإن كان صحيحًا في تعميم الحاكم لأنه لا يُسلم في بعض التابعين الذين أخذوا من الصحابي، ولكن لا شك في أن هذا الشرط موجود في الرواة الذين هم بعد التابعين، ولذلك لم يدع المحدثون الآخرون مثل ما ادعى الحاكم، ولكنهم ذكروا الشروط الآتية للبخاري:

١ - أن يكون جميع رواة الحديث ثقاتًا إلى الصحابي بحيث وقع الاتفاق على ثقتهم، أي أن يكون كل واحد منهم مسلمًا، صادقًا، غير مدلس ولا مختلط، متصفًا بصفات العدالة، ضابطًا، متيقظًا^(٣) سليم

(١) المدخل إلى كتاب الإكليل للحاكم ص ٣٣، وذكره عنه ابن طاهر المقدسي في شروط الأئمة الستة ص ١٦. وأبو بكر محمد بن موسى الحازمي في شروط الأئمة الخمسة ص ٢٠-٢١. وعن ابن طاهر ذكره الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق ٤٢٣/٥ وينظر أيضًا: النكت لابن حجر ٢٣٩/١، فتح المغيث للسخاوي ٥٤/١ وغيرهما من كتب المصطلح.

(٢) هو أبو المعمر المبارك بن أحمد بن عبدالعزيز الأنصاري الأزجي عمل المعجم في وفيات الشيوخ في مجلد. سمع عنه السمعاني وابن عساكر وابن الجوزي والكندي، وثقه ابن نقطة توفي سنة ٥٤٩هـ. سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٦٠، معجم المؤلفين ١٧٠/٨ (المراجع) وانظر نص كلامه في مقدمة الفتح ص ٩.

(٣) في الأصل «متحفظًا وكذا في مقدمة الفتح (ص ٩) وما ذكرته من شروط الأئمة للحازمي نفسه ص ٥٦.

الذهن، قليل الوهم، سليم الاعتقاد^(١). وتكون هذه الصفات من الدرجة العليا.

٢ - أن لا يكون في السند انقطاع.

٣ - إن كانت الرواية بالعنونة فيجب أن يثبت لقاء الراوي بشيخه.

٤ - أن يتفق على صحة الحديث المحدثون من قبل الإمام البخاري، أو المعاصرون له.

٥ - أن يكون خاليًا من العلة والشذوذ.

ومع كل هذه الصفات التي ذكرت للرواة يجب أن يكونوا من الطبقة العليا، ولا يكفي أن يكونوا من الوسطى أو الأدنى، ويكفي أن نسردها ما مثل به الحافظ ابن حجر لبيان طبقات الرواة^(٢)، فيقول:

«إعلم أن أصحاب الزهري مثلاً على خمس طبقات، ولكل طبقة منها مزية على التي تليها، فمن كان في الطبقة الأولى فهو الغاية في الصحة، وهو مقصد البخاري».

«والطبقة الثانية شاركت الأولى في التثبت إلا أن الأولى جمعت بين الحفظ والإتقان وبين طول الملازمة للزهري حتى كان فيهم من يُزامله في السفر ويلازمه في الحضر، والطبقة الثانية لم يلازم الزهري إلا مدة يسيرة، فلم تمارس حديثه، فكانوا في الإتقان دون الأولى، وهو شرط مسلم.

(١) انظر مقدمة الفتح ص ٩، وقد لخصه من كلام أبي موسى الحازمي في شروط الأئمة ص ٥١-٥٦.

(٢) نقلاً عن أبي موسى الحازمي.

ثم مثل الطبقة الأولى بيونس بن يزيد وعُقيل بن خالد الأيليّين ومالك بن أنس وسفيان بن عُيينة وشُعيب بن أبي حمزة.

والثانية بالأوزاعي والليث بن سعد وعبدالرحمن بن خالد بن مسافر وابن أبي ذئب.

قال: والطبقة الثالثة نحو جعفر بن برقان وسفيان بن حسين وإسحاق بن يحيى الكلبي.

والرابعة: نحو زمعة بن صالح ومعاوية بن يحيى الصّدفي والمثنى ابن الصّبّاح.

والخامسة: نحو عبدالقدوس بن حبيب والحكم بن عبدالله الأيليّ ومحمد بن سعيد المصْلُوب.

فأما الطبقة الأولى فهم شرط البخاري، وقد يُخرج من حديث أهل الطبقة الثانية ما يعتمد عليه من غير استيعاب، وأما مسلم فيخرج أحاديث الطبقتين على سبيل الاستيعاب، ويخرج أحاديث أهل الطبقة الثالثة على النحو الذي يصنعه البخاري في الثانية، وأما الرابعة الخامسة فلا يُعَرِّجان عليهما.

قلت (أى ابن حجر): وأكثر ما يُخرج البخاريّ حديث الطبقة الثانية تعليقاً، وربما أخرج السير من حديث الطبقة الثالثة تعليقاً أيضاً.

وهذا المثال الذي ذكرناه هو في حق المكثرين، فيقاس على هذا أصحاب نافع وأصحاب الأعمش وأصحاب قتادة وغيرهم، فأما غير المكثرين فإنما اعتمد الشيخان في تخريج أحاديثهم على الثقة والعدالة وقلة الخطأ، ولكن منهم من قَوِيَ الاعتماد عليه، فأخرج ما تفرد به

كيحيى بن سعيد الأنصاري، ومنهم من لم يقو الاعتماد عليه فأخرجوا له ما شاركه فيه غيره، وهو الأكثر^(١)».

أفضلية صحيح البخاري على صحيح مسلم

هذه هي الشروط وهذه هي الأسباب التي جعلت المسلمين يتفقون، وأصبحت المسألة من الأصول بأن صحيح البخاري له أفضلية على صحيح مسلم، وبقيّة كتب الحديث قاطبة سواء من حيث الصحة، أو جودة الفقه بل من كل ناحية. قال في تدريب الراوي:

«والبخاري أصحهما وأكثرهما فوائد، وقيل مسلم أصح، والصواب الأول^(٢)»

وكيف لا يكون وقد بنى الإمام مسلم صحيحه على صحيح البخاري، وزاد فيه زيادات، ولكن مع ذلك لم يبلغ كتابه مرتبة البخاري، وكان تلميذ الإمام البخاري، ويشهد له بتفرد في هذا المضممار من كل الوجوه، وكان يلقبه بسيد المحدثين. قال الحاكم أبو أحمد النيسابوري:

«رحم الله محمد بن إسماعيل، فإنه ألّف الأصول يعني أصول الأحكام من الأحاديث، ويبيّن للناس، وكلّ من عمل بعده فإنما

(١) مقدمة الفتح ٩- ١٠، مقدمة القسطلاني ١٨- ٢١، وهو مأخوذ من كلام الحازمي في شروط الأئمة الخمسة ص ٥٦- ٦١ كما ذكر في أوله.

(٢) تدريب الراوي ٩١/١، وانظر مقدمة ابن الصلاح ١٤- ١٥، التبصرة والتذكرة ٣٩/١، فتح المغيث للسخاوي ٢٨/١.

أخذه من كتابه كمسلم ابن الحجاج»^(١). إلخ.

وقال الدارقطني لما ذُكرَ عنده الصحيحان:

«لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء»، وقال مرةً أخرى:

«وأى شيء صَنَعَ مسلمٌ، إنما أخذ كتاب البخاري، فعمل عليه مُسْتَحَرَجًا، وزاد فيه زيادات»^(٢).

وقد رجع بعض المغاربة صحيح مسلم على صحيح البخاري، ولكن العلماء من المتقدمين والمتأخرين خالفوا هذا الرأي وأولوا قولهم بأنه يمكن أن يرجح صحيح مسلم على صحيح البخاري نظرًا إلى سهولة تناوله، لأنه خالٍ من تلك الدقائق الفقهية والنكات الأصولية، وتشعب الأساليب وتنوعها، والإشارات الخفية وغيرها التي ألقت لشرحها مئات الكتب، ومع ذلك يرى العلامة ابن خلدون: أن شرحه مازال دَيْنًا على الأمة.

ولقد حكم الحافظ عبدالرحمن بن علي بن الدَّيْبَع فقال: ^(٣)

(١) مقدمة الفتح ١١، والنكت على كتاب ابن الصلاح ٢٨٥/١، وقد ذكره فيهما نقلًا

عن الارشاد للخليلي. وهو فيه ٩٦٢/٣ وعنه ابن رشيد في السنن الأبين ص ١٤٧.

(٢) مقدمة الفتح ص ١١، وذكر القول الثاني في النكت على كتاب ابن الصلاح أيضًا

(٢٨٦/١) ثم قال الحافظ: «وهذا الذي حكيناه عن الدارقطني جزم به أبو العباس

القرطبي في أول كتابه المفهم في شرح صحيح مسلم. والكلام في نقل كلام الأئمة

في تفضيله كثير ويكفي منه اتفاقهم على أنه كان أعلم بهذا الفن من مسلم وأن

مسلمًا كان يشهد له بالتقدم في ذلك والإمامة فيه والتفرد بمعرفة ذلك في عصره

إلخ (مقدمة الفتح ص ١١) وذكر بعد ذلك أوجه تفضيل كتاب البخاري على كتاب

مسلم.

(٣) الزبيدي الشافعي ت ٩٤٤هـ من مؤلفاته تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على =

تنازع قومٌ في البخاريِّ ومُسْلِمٍ لَدَيَّ وَقَالُوا أَيْ هَذَا مَقَدِّمٌ
فَقُلْتُ لَقَدْ فَازَ الْبُخَارِيُّ صِحَّةً كَمَا فَاقَ فِي حُسْنِ الصَّنَاعَةِ مُسْلِمٌ^(١)

ولكن هذا الحكم من ابن الدَّيْبِ يبين أن البخاري أرجح من مسلم في الصحة فقط، والواقع أنه يرجحه في الصحة، وفي غيرها من النكات الفقهية التي هي كالفص على الخاتم.^(٢)

الغرض من اختصار الأحاديث وتكرارها وتقطيعها

لقد اعترض بعض قصار النظر على صحيح البخاري بما يأتي:

١ - إنه كرر فيه أحاديث كثيرة.

٢ - اختصر فيها بعض الأحاديث.

٣ - يقطع بعض الأحاديث في مواضع مختلفة.

وهذه الشبهات ليست جديدة، فقد أثرت منذ زمن قديم، وقد ألف العلامة محمد بن طاهر المقدسي للرد على هذه الشبهات ومناقشتها

= ألسنة الناس من الحديث. (معجم المؤلفين ١٥٩/٥) وهو مختصر لكتاب المقاصد الحسنة لشيخه السخاوي، مطبوع.

(١) الفوائد الدراري ؟ ، الحطة ١٩٢.

(٢) قال الإمام النووي: اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان: البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول. وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة... والذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الاتقان والحدق والغوص على أسرار الحديث إلخ. مقدمة شرح مسلم ١٤/١.

رسالة وسماها «جواب المتعنت» وقد بحث فيها كل هذه الأمور بحثاً مفصلاً، ونقل بعض أبحاثها الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري، ونحب أن نمتع قراءنا بخلاصتها حتى لا تحرم لغتنا الأردنية هذه الفوائد.

لقد جرت عادة الإمام البخاري رحمه الله أن يذكر حديثاً واحداً عدّة مرات في بعض الأحيان، إلا أنه يأتي في كل مرة بأسانيد غير التي مرّت من قبل، ويستنبط مسائل عديدة من حديث واحد، وبتغير الأسانيد يزداد الحديث قوة إلى قوة ولكنه قلما يورد حديثاً في أكثر من موضع بإسناد واحد وبلفظ واحد، وهذا التكرار يتضمن فوائد عديدة:

١ - إنه يخرج الحديث عن صحابي في موضع، ثم يورده عن صحابي آخر في موضع آخر، وفي موضع ثالث بصحابي آخر، والمقصود منه أن يخرج الحديث عن حد الغرابة إلى الشهرة، وإلى التواتر المعنوي، وكذلك يفعل في أهل الطبقة الثانية والثالثة وهلم جرا إلى مشايخه. فيعتقد من يرى من غير أهل الصنعة، والذي ليس له قدم راسخة في هذا العلم أنه تكرر، وليس كذلك لاشتماله على فائدة زائدة غير استنباط المسائل الفقهية.

٢ - إنه صحح أحاديث على هذه القاعدة (مع شدة شروطه) يشتمل كل حديث منها على معان متغايرة، فيورده في كل باب من طريق غير الطريق الأولى (ويستنبط في كل باب مسائل جديدة)

٣ - أحاديث يرويها بعض الرواة تامة ويرويها بعضهم مختصرة، فيكررها الإمام البخاري، ويوردها في كل طريق كما جاءت ليزيل الشبهة عن ناقلها بأن الحديث نفسه يرويه أحدهم مختصراً، وآخر مفصلاً مع

أن الراوي ليس له صلة بهذا الاختصار أو الزيادة، ولكن الصحابي أو التابعي نفسه يرويه مختصرًا لبعض الرواة ويكمله مرة أخرى.

٤ - إن الرواة ربما اختلفت عباراتهم فحدّث راوٍ بحديثٍ فيه كلمة تحتمل معنى، وحدث به آخر، فعبر عن تلك الكلمة بعينها بعبارة أخرى تحتمل معنى آخر، فيورده بطرقه إذا صحت على شرطه، ويفرد لكل لفظة بابًا مفردًا.

٥ - أحاديث تعارض فيها الوصل والإرسال ورجح عنده الوصل فاعتمده وأورد الإرسال منبهاً على أنه لا تأثير له عنده في الوصل.

٦ - أحاديث تعارض فيها الوقف والرفع، والراجح فيها الرفع فيقصد هنا بذكر الطريقتين على أن طريق الوقف لا يضر في صحة الرفع بشيء ما.

٧ - أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلاً في الإسناد ونقصه بعضهم، فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوي سمعه من شيخ حدّثه به عن آخر، ثم لقي الآخر فحدّثه به، فكان يرويه على الوجهين.

٨ - إنه ربما أورد حديثاً عنعنه راويه، فيورده عن طريق أخرى مصرحاً فيها بالسماع على ما عرف من طريقته في اشتراط ثبوت اللقاء في المعنعن.

فهذا جميعه فيما يتعلق باعادة المتن الواحد في موضع آخر أو أكثر.^(١)

(١) مقدمة الفتح ١٥ - ١٦، مع زيادة بعض الكلمات من المصنف رحمه الله للإيضاح والبيان.

وقد حكى بعض شراح البخاري أنه وقع في أثناء كتاب الحج في بعض النسخ بعد «باب قصر الخطبة بعرفة» «باب تعجيل الوقوف». قال أبو عبدالله يزداد في هذا الباب حديث مالك عن ابن شهاب، ولكنني لا أريد أن أدخل فيه معاداً - انتهى^(١).

قال ابن حجر: وهو يقتضى أنه لا يتعمد أن يخرج في كتابه حديثاً معاداً بجميع إسناده ومتمنه، وإن كان قد وقع له من ذلك شيء، فعن غير قصد، وهو قليل جداً^(٢).

فإن كان المتن موجزاً، أو مرتبطاً بعضه ببعض بحيث لو فصل بعضه عن بعض لاختل المعنى، ومع ذلك تستنبط من الحديث عدة مسائل، ففي مثل هذه الحالة يعيد الحديث بحسب ذلك مكرراً بلا اختصار ولا تقطيع، ولكنه يأتي بإسناد آخر نظراً إلى الفوائد الحديثية، وربما يتغير الشيوخ فقط، ويتقوى السند.

وربما ضاق عليه مخرج الحديث بحيث لا يكون له إلا طريق واحد، فيتصرف حينئذ فيه، ويسعى فيه إلى نكتة حديثية، فيورد الحديث في موضع موصولاً، وفي موضع معلقاً، فيقول: فيه عن فلان، ويكتفي بمجرد الإشارة إلى الحديث المذكور سابقاً، ويورده تارة تاماً، وتارة مقتصراً على طرفه الذي يحتاج إليه في ذلك الباب.

فإن كان المتن طويلاً مشتملاً على جمل متعددة لا تعلق لإحداها بالأخرى حتى يلزم الاختلال في المعنى عند التقطيع، فإنه يُخرج كلَّ

(١) فتح الباري ٣/ ٥١٤- ٥١٥.

(٢) مقدمة الفتح ١٦.

جملة منها في بابٍ مستقلٍّ بأسانيد جديدة. ويستنبط منها مسائل، ويذكر الحديث بكامله في موضع ما.

وأما اقتصاره على بعض المتن في موضع، ثم لا يذكر الباقي في موضع آخر، فإنه لا يقع له ذلك في الغالب إلا حيث يكون المحذوف موقوفاً على الصحابي، وفيه شيء قد يحكم برفعه، فيقتصر على الجملة التي يحكم لها بالرفع، ويحذف الباقي لأنه لا تعلق له بموضوع كتابه، وعلى سبيل المثال ذكر رواية عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إِنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ لَا يُسَيَّبُونَ وَإِنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يُسَيَّبُونَ».

فقد رواه البخاري هكذا، وهو مختصر من حديث موقوف، فذكر البخاري هذا الجزء لأنه كان مرفوعاً حكماً، وترك الجمل الباقية لأنها ليست مرفوعةً، والحديث بكامله هكذا:

«جاء رجلٌ إلى عبدالله بن مسعود فقال إني اعتقتُ عبداً لي سائبة، فمات، وترك مالا، ولم يدع وارثاً، فقال عبدالله: إن أهل الإسلام لا يُسَيَّبُونَ، وإنَّ أهل الجاهلية كانوا يُسَيَّبُونَ، فأنت وليُّ نِعْمَتِهِ، فلك ميراثُهُ، فإن تأثمتَ وتحرجتَ في شيء، فنحن نقبله منك، ونجعله في بيتِ المال».

فاقتصر البخاري على ما يُعطى حكم الرفع من هذا الحديث الموقوف، لأنه يستدعى بعمومه النقل من صاحب الشرع لذلك الحكم، واختصر الباقي، ولم يذكر بقية الحديث في أي موضع من كتابه، لأنه ليس من موضوع كتابه^(١). وهذا الاختصار لا يخل بالمعنى أبداً.

(١) مقدمة الفتح ١٦. والحديث المذكور أخرجه البخاري في الفرائض، باب ميراث =

ونعرض هنا عن ذكر مبحث التعليقات التي أوردها الإمام البخاري في تراجمه للاستدلال أو الاستشهاد^(١)، وكذلك المتابعات التي تذكر لتقوية الأسانيد وبيان اتصالها، وذلك لأنها ليست ذات فائدة كبرى لقراء الأردية، ومع ذلك الكلام فيها يطول.

* * *

= السائبة، ٤٠/١٢، حديث ٦٧٥٣.

(١) وقد أفرد الحافظ ابن حجر رحمه الله كتابًا لهذا الغرض سماه «تخليق التعليق» فمن أراد تفصيل هذا الموضوع فيمكنه الرجوع إليه. وهو مطبوع، والحمد لله.

الباب الرابع

الجامع الصحيح

شروحه وتعليقاته: ما لها

وما عليها

الباب الرابع

الجامع الصحيح

شروحه وتعليقاته ما لها وما عليها

مما يبين جلالة قدر الجامع الصحيح وعظمته أنَّ العلماء من السلف إلى الخلف مهما كانت فرقهم ومذاهبهم مازالوا يخدمونه، فبعضهم ألف له شرحًا، وآخرون جمعوا رجاله، وأناس بحثوا في أبوابه الفقهية وتراجمه، ومنهم من جرّده، وآخرون اختصروه، وبعض أهل العلم وصلّوا مُعلّقَاتِه، وعديد منهم كتبوا معاجم لحل الكلمات الغريبة الواردة فيه، وبعض الشيوخ ألف في شروطه، ومحدثون آخرون ألفوا كتبًا في دراسة وتحقيق أحاديثه، وكثير من أساتذة الفن ألفوا له شروحًا، وعلّقوا عليه تعليقاتٍ، ومنهم من وضع عليه مستدرّكًا، وفي الشروح بعضها مبسّطة مفصّلة، وبعضها متوسطة، ولكل وجهةً هو موليا حسب الأهداف التي يرمي إليها، والغايات التي يقصدها.

ومن الصعب جدًّا أن يستقصي المرء كل تلك الشروح، أو المؤلفات التي ألّفت حول صحيح البخاري، ومع قلة بضاعتي وقصر باعي فإنني أقدّم إلى القارئ الكريم تلك الشروح والتعليقات التي تمكنت من معرفتها، والأسف كل الأسف على أننا لا نستطيع تقديم معلومات مفصلة عن بعض الشروح التي أشار إليها المحدثون في تأليفاتهم بدون أن يذكروا أسمائها أو التفاصيل عنها، وعلى سبيل المثال ذكر العلامة

عبدالرحمن بن سليمان الأهدل اليماني^(١) في كتابه «النفس اليماني»:

«ومنهم (أى من شيوخه) الشيخ العلامة المتقن عمر بن عبدالقادر من بلاد بلغار، مكث لدينا مدةً، وذكر لي أنه شاهد عند قاضي بلخ أحد عشر شرحًا على صحيح البخاري، كلها تساوي فتح الباري في الحجم^(٢)».

ولكننا مع الأسف لم نعرف شيئًا عن هذه الشروح الأحد عشر، لا أسماءها، ولا تفاصيلها.

الشروح والحواشي العربية^(٣)

١ - أعلام السنن^(٤):

(١) عبدالرحمن بن سليمان الأهدل اليماني، من شيوخ الإمام الشوكاني. له مؤلفات عدة منها «المنهج السوي حاشية المنهل الروي» قال العلامة صديق حسن خان: وفيه دلالة على كماله في علم الحديث وأنه من أجل أئمة. توفي بزييد في ١٢٥٠هـ. أبجد العلوم ١٨٨/٣، والتاج المكلل ص ٤١٤، معجم المؤلفين ١٤٠/٥.

(٢) توجد نسخة من كتاب «النفس اليماني» في مكتبة العلامة شمس الحق العظيم آبادي. (المؤلف).

(٣) أسماء الشروح والحواشي والتعليقات وتفاصيلها أغلبها مأخوذة من كشف الظنون ومقدمة القسطلاني والحطة، واثخاف النبلاء، والفوائد الدراري وفهارس المكتبات المختلفة التي كانت توجد في المكتبة الشهيرة ببيتته، وما عدا ذلك فهو من تباعي واستقرائي. (المؤلف)

(٤) كشف الظنون ٣٦٥/١، الحطة ٢١٢، تاريخ التراث ١٧٧/١، معجم المؤلفين ٧٤/٤، مقدمة القسطلاني ٣٥/١، تاريخ الأدب لبروكلمان ١٦٧/٣.

للإمام أبي سليمان حمّد بن محمد البُسْتِي^(١) المعروف بالخطّابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ^(٢).

وهو شرح نفيس ابتداء بقوله: «الحمد لله المنعم» ولما فرغ المؤلف من كتابه «معالم السنن»^(٣) ألف هذا الشرح في مجلد واحد بعد إلحاح من أهل بلخ، وقد أكمل محمد التميمي شرح ما لم يذكره الخطابي، وناقش الأوهام التي وقع فيها الخطابي^(٤). وتوجد له نسخة في مكتبة أياصوفية في قسطنطينية^(٥).

(١) منسوب إلى بُست بضم الباء، مدينة بين سجستان وغزنيان وهراة. (عبيدالله الرحمانى).

(٢) تاريخ وفاته في الأصل ٣٠٨هـ ولعله خطأ مطبعي. وما أثبتته من سير أعلام النبلاء ولم يذكر فيه قولاً آخر. وأرخ بعضهم وفاته في ٣٨٦هـ. أما اسمه فقد كان في الأصل «أحمد» ولكن قال السلفي أن الصواب فيه «حمّد» كما قال الجرم الغفير لا كما قالاه (يعنى أبا عبيد الهروي والثعالبي الذين سمياه «أحمد»).

انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/١٧، ومقدمة محقق كتاب «أعلام الحديث» وكتاب «الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة» تأليف الحسن بن عبدالرحمن العلوي، نشر دار الوطن، الرياض ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٣) وهو شرح لسنن أبي داود. مطبوع.

(٤) كشف الظنون ١/ ٥٤٥.

(٥) كانت توجد نسخة خطية لأعلام السنن في مكتبة المخطوطات بدار العلوم في ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية (عبيدالله الرحمانى).

وذكر له سزكين نسخاً أخرى في مكتبات العالم (١/ ١٧٧). وقد طبع الكتاب مؤخراً بتحقيق زميلنا وأخينا الدكتور الأمير محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود. وقد نال بتحقيقه درجة الدكتوراة من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

وقد ذكر محققه تعدد تسميات الكتاب حيث وصلت إلى أحد عشر اسماً واختار =

٢ - شرح المُهَلَّب^(١):

للمُهَلَّب بن أبي صُفْرَةَ الأزدِيّ المتوفى^(٢) سنة (٤٣٥هـ).^(٣)
وزيادة على الشرح فقد جرد المهلب صحيح البخاري أيضاً.

٣ - مختصر شرح المُهَلَّب^(٤):

لأبي عبدالله محمد بن خلف المرابط تلميذ المهلب المتوفى سنة (٤٨٥هـ).

= المحقق اسم «أعلام الحديث».

طبعه مركز احياء التراث الإسلامي بالجامعة نفسها عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م في أربع مجلدات.

- (١) كشف الظنون ١/٣٦٥، الحطة ٢١٢، مقدمة القسطلاني ١/٣٥.
- (٢) لم نعثر على وفيات بعض الشراح، وصاحب كشف الظنون أيضاً مع حظه الطيب ومراجعته الواسعة ترك البياض في بعض المواضع، وكأنه لم يعثر عليها في المراجع الموجودة لديه. قال العلامة صديق حسن خان:
«لم أقف على سنة الوفاة ههنا وكذا فيما بعد في مواضع متعددة، فمن وقف عليه فليشبهه، وكذلك لم يذكرها صاحب كشف الظنون فيه لأنه لم يقف عليه»
الحطة ٢١٣ (المؤلف).

قلت: وقد حاولنا إثبات ما عثرنا عليه من سني وفيات الشراح إلا أن التنبيه عليه في الحاشية في كل مرة ربما يكون مُمِلًا فإكتفينا بوضعه بين قوسين كما أضفنا بعض الأسماء في أنساب الشراح والمؤلفين وتم وضعها بين قوسين أو معقوفين واكتفاء بهذا التنبيه لا نعلق عليها في مواضعها في كل مرة لما فيه من التطويل.

- (٣) هو المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبدالله الأسدي الأندلسي المريي - نسبة إلى المريّة من مدن الأندلس - مصنف شرح صحيح البخاري، ت ٤٣٥هـ. سير أعلام النبلاء ١٧/٥٧٩.

- (٤) كشف الظنون ١/٣٦٥ (١/٥٤٥)، مقدمة القسطلاني ١/٣٥، الحطة ص ٢١٣.

وقد اختصر شرح المهلب المذكور، وزاد إليه فوائد أخرى. (١)

٤ - الأجوبة على المسائل المستغربة من البخاري (٢):

لابن عبد البر المالكي المولود في سنة ٣٦٨هـ (٣) والمتوفى سنة ٤٦٣هـ. (٤)

«سئل عنها المهلب، وكذا لأبي محمد بن حزم عدة أجوبة عليه» (٥).

٥ - شرح السراج (٦):

(١) ذكره ابن بشكوال أيضًا في الصلة ٥٥٧/٢. وقال ابن فرحون: له في شرح البخاري كتاب كبير حسن ورحل إليه الناس وسمعوا منه. الديباج المذهب ٢/٢٤٠. وانظر أيضًا: سير أعلام النبلاء ٥٢٧/١٨، الوافي بالوفيات ٤٦/٣، معجم المؤلفين ٢٨٤/٩.

(٢) كشف الظنون ١/٣٦٥ (٥٤٥/١) الحطة ٢٦٣.

(٣) وقع في الأصل ٣٢٨هـ والصواب ما أثبتته كما في مصادر ترجمته ومنها سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٣.

(٤) وهو الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري الأندلسي القرطبي، صاحب كتاب التمهيد والاستذكار وغيرهما. وكتابه سماه الذهبي «الأجوبة الموعبة» (السير ١٨/١٥٩) وكذا في كشف الظنون ١/١٢. وذكره مؤلف كتاب «ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ» باسم «الأجوبة الموعبة في المسائل المستغربة في كتاب البخاري» وذكر أن له نسخة في تركيا. ص ٢١٣-٢١٤، وقع في كشف الظنون في موضع (٥٤٥/١) وهدية العارفين (٥٥٠/٢) الأجوبة الموعبة إلخ.

(٥) كذا في كشف الظنون ١/٥٤٥ وعنه الحطة ص ٣٢٣ تحقيق الحلبي، وفي إرشاد الساري «سأله عنها المهلب» ١/٤٣.

(٦) كذا في مقدمة القسطلاني ١/٤١ (مصورة دار احياء التراث العربي)، كشف الظنون ١/٣٦٥ (٥٤٥/١) الحطة ٢١٣.

ولعله: أبو الزناد سراج بن سراج بن محمد بن سراج. من أهل قرطبة، روى =

للعلامة أبي الزناد المتوفى سنة (٤٢٢هـ).

ولم يذكر صاحب كشف الظنون شيئاً عن هذا الشرح، ولا القسطلاني ولا العجلوني.

٦ - شرح ابن بطّال^(١):

للإمام أبي الحسن علي بن خلف (بن عبد الملك) ابن بطّال المتوفى سنة ٤٤٤، أو ٤٤٩هـ.^(٢)

وقد ملأه المؤلف بمذهب المالكية، كأنه قد حاد عن مقصده الأساسي، وهو شرح الكتاب، حتى أصبح الكتاب مستودعاً لآراء المالكية.

٧ - شرح صحيح البخاري^(٣):

لأبي حفص عمر بن الحسن بن عمر الهوزني الأشبيلي المتوفى

= عن أبي محمد عبدالله بن إبراهيم الأصيلي وغيره. كان فقيهاً حاذقاً... ثقة صدوقاً، ت ٤٢٢هـ، ترجمه ابن بشكوال في كتاب الصلة ٢٢٦/١، الترجمة ٥١٧.

(١) مقدمة القسطلاني ٣٥ / ١، وقال: قد طالعه. كشف الظنون ٣٦٥ / ١ (١ / ٥٤٥) الحطة ٢١٣، وتوجد له نسخ خطية عدة ذكرها فؤاد سركين في تاريخ التراث العربي ١٧٨ / ١. وقد طبع مؤخراً.

(٢) ترجمته في: الصلة لابن بشكوال ٤١٤ / ٢، وقال: شرح الصحيح في عدة أسفار رواه الناس عنه، سير أعلام النبلاء ٤٧ / ١٨. وقال: توفي ٤٤٩هـ. شجرة النور الزكية ١١٥ / ١، وغيرها.

(٣) مقدمة القسطلاني ٣٥ / ١، كشف الظنون ٣٦٥ / ١، هدية العارفين ٧٨٢ / ١، الحطة ٢١٣، معجم المؤلفين ٢٨٢ / ٧.

٨ (٤٦٠هـ). (١)

لم يذكر صاحب كشف الظنون ولا صاحب الحطة شيئاً عن تفاصيل هذا الشرح.

٨ - شرح صحيح البخاري^(٢):

لأبي القاسم أحمد بن محمد بن عمر، ابن وَرْد التميمي المتوفى سنة (٥٤٠هـ)^(٣) وهو شرحٌ مطول، ولكن لا نعلم محتوياتها.

٩ - شرح ابن التّين:

للإمام عبدالواحد بن التّين السّفاقي^(٤) المتوفى (٦١١هـ). (٥)

(١) ترجمته في: الصلة لابن بشكوال ٤٠٢/٢، المغرب في حلى المغرب ٢٣٩/١، ونفح الطيب ٩٣/٢ وغيرها. و«الهُوزني» كذا في مصادر ترجمته. ووقع في الأصل تبعاً لكشف الظنون «العوزي» وفي مقدمة القسطلاني «الفوزني».

(٢) مقدمة القسطلاني ٣٥/١، كشف الظنون ٣٦٥/١، الحطة ٢١٣، وعندهم: «وهو واسع جداً».

(٣) أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبدالله بن ورد التميمي، من أهل المَرِيَّة بالأندلس، يعرف بابن ورد، قال الملاحى: كان من جلة الفقهاء المحدثين، روى عن أبي علي الغساني وغيره. وكان له مجلس يتكلم فيه على الصحيحين، توفى سنة ٥٤٠هـ، الإحاطة ١٧٩/١ - ١٧١ وفيه «أحمد بن عمر» الديباج المذهب ١٨٥/١، شجرة النور الزكية ١٣٤/١.

(٤) كشف الظنون ٣٦٥/١، الحطة ٢١٣، مقدمة القسطلاني ٣٥/١، وقال: قد طالعه.

(٥) هو أبو محمد عبدالواحد بن التين الصفاقسي له شرح على البخاري مشهور سماه «المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح» قال في شجرة النور الزكية: «له اعتناء زائد في الفقه ممزوجاً بكثير من كلام المدونة وشرحها مع رشاقة العبارة ولطف =

ويذكر الحافظ ابن حجر كثيرًا من مقتطفات هذا الشرح للرد أو الإستشهاد.

١٠ - شرح ابن المنير^(١):

للإمام ناصر الدين علي بن محمد بن المنير الاسكندراني^(٢)
المتوفى سنة (٦٩٥هـ)

وهو شرحٌ ضخيمٌ طويل يقع في عشر مجلداتٍ ضخمةٍ.

وله أيضًا حواشي على شرح ابن بطّال.

= الإشارة. اعتمده الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وكذلك ابن رشيد وغيرهما.
توفى ٦١١هـ (١٦٨/١).

والصفاقسي نسبة إلى صفاقس وهو بفتح أوله وبعد الألف قاف وآخره سين مهملة، مدينة من نواحي إفريقية، وهي على ضفة الساحل بينها وبين المهدية ثلاثة أيام، وبين سوسة يومان، وبين قابس ثلاثة أيام، وهي على البحر ذات سور (معجم البلدان ٢٢٣/٣) (المراجع) وفي شجرة النور «الصفاقسي» بالصاد المهملة في أوله. (١) مقدمة الفتح ص ١٤، مقدمة القسطلاني ٣٥/١، كشف الظنون ٣٦٥/١، معجم المؤلفين ٢٣٤/٧.

(٢) تقدمت ترجمته وقوله «ناصر الدين» هكذا في كشف الظنون والخطة ومنها أخذ المؤلف رحمه الله. وهو لقب أخيه أحمد بن محمد ابن المنير، وقد صرح الحافظ ابن حجر في المقدمة وعنه القسطلاني بأن هذا الشرح لزين الدين ابن المنير، وقال القسطلاني: «في نحو عشر مجلدات».

وقال ابن فرحون: «في ترجمة زين الدين وله شرح على البخاري في عدة أسفار، لم يعمل على البخاري مثله»، يذكر الترجمة ويورد عليها أسئلة مشكلة حتى يقال: لا يمكن الانفصال عنها، ثم يجيب عن ذلك ثم يتكلم على فقه الحديث ومذاهب العلماء ثم يرجح المذهب ويفرع، (الديباج المذهب ١٢٣/٢). وقال السيوطي: وله شرح عظيم على البخاري. حسن المحاضرة (٣١٧/١).

١١ - المتواري على تراجم البخاري :

له أيضًا^(١)

وقد اختار فيه أربعمئة مسألة مما يعتبر من مشكلات صحيح البخاري ثم أجاب عليها، وأوضحها بطرق حسنة.

١٢ - شرح صحيح البخاري^(٢) :

لأبي الأصبغ عيسى بن سهل بن عبدالله الأسدي المتوفى سنة (٤٨٦هـ).^(٣)

ولم يذكر أيضًا صاحب كشف الظنون، ولا صاحب الحطة، ولا العجلوني شيئًا من تفاصيل هذا الشرح.

١٣ - [البذُر المُنير السَّاري في الكلام على البخاري] - شرح صحيح

(١) كذا في كشف الظنون ٣٦٥/١، والحطة ٢١٣، ومعجم المؤلفين ٢٣٤/٧ ولكن مؤلف هذا الكتاب هو:

أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور بن المنير الملقب بناصر الدين المتوفى ٦٨٣هـ، وهو أخو زين الدين علي بن المنير المتوفى ٦٩٥هـ. انظر تاريخ التراث ١٩٨/١، مقدمة الفتح ١٤، ويظهر هذا أيضًا بمخطوطته الموجودة عندنا (المراجع).

قلت: وقد سبق ذكره في الكتب المؤلفة في شرح تراجم البخاري، وقد طبع بتحقيق الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد.

(٢) مقدمة القسطلاني ٣٥/١، كشف الظنون ٣٦٥/١، الحطة ص ٢١٣، معجم المؤلفين ٢٥/٨.

(٣) ترجمته في: الصلة لابن بشكوال ٤٣٨/٢، الديباج المذهب ٧٠/٢، سير أعلام النبلاء ٢٥/١٩. وغيرها.

البخاري للحلبي^(١):

لقطب الدين عبدالكريم بن عبدالنور ابن مُنير^(٢) الحلبي الحنفي
المتوفى سنة ٧٣٥هـ

وهو شرح قد بلغ إلى نصف الكتاب في عشرة مجلدات، وكان
يريد أن يؤلف شرحًا طويلًا. ولكن لم نعرف شيئًا عن مضامينه.

١٤ - التلويح^(٣):

(١) كشف الظنون ٣٦٥/١، الحطة ٢١٣، مقدمة القسطلاني ٣٥/١، تاريخ التراث
١٧٨/١، تاريخ الأدب لبروكلمان ١٦٨/٣ (المراجع). قلت: وما بين القوسين
زيادة مني نقلًا عن سزكين.

(٢) في كشف الظنون «مسير» بالميم ثم السين المهملة، والصحيح منير بالميم بعدها
نون، وكذا الصحيح في سنة وفاته ما كتبه ابن حجر في الدرر الكامنة (٣٩٨/٢) أنه
مات سنة ٧٣٥هـ. [المؤلف]

قلت: وقد صححته حسب إفادة المؤلف وهو كذلك في مصادر ترجمته
الأخرى. وهو من شيوخ الإمام الذهبي وقد ترجمه الذهبي في المعجم المختص
ص ١٥٠، ومعجم الشيوخ ٤١٢/١، والتذكرة ١٥٠٢/٤.

وقال ابن جابر الوادي آشي - وهو من تلامذته -: وله تأليفان الآن للخروج
أحدهما شرح البخاري. يكون في نحو خمسة عشر سفرًا تخمينًا، (برنامج ابن جابر
ص ٨٣).

وقال ابن حجر: «وشرح في شرح البخاري وهو مطول أيضًا، بيض أوائله إلى
قريب النصف، (الدرر الكامنة ٣٩٨/٢).

وقال ابن العماد: شرح البخاري أحسن شرح (شذرات الذهب ٤٠٢/١).
وتوجد للكتاب نسختان في الوقت الحاضر ذكرهما سزكين في تاريخ التراث
العربي ١٧٨/١.

(٣) الدرر الكامنة ٣٥٣/٤، تاج التراجم ص ٣٠٦، مقدمة القسطلاني ٣٥/١، كشف
الظنون ٣٦٦/١، الحطة ٢١٣، الأعلام ١٩٦/٨، معجم المؤلفين ٣١٣/١٢.

للإمام الحافظ علاء الدين مُغلطائي بن قَلِيج التركي المصري
الحنفي المتوفى سنة ٧٦٢هـ.^(١)

وهو شرح طويل^(٢)، أوله: «الحمد لله الذي أيقظ من خلقه»
وقال صاحب الكواكب^(٣) في وصف هذا الشرح: «وشرحه بتتيم
الأطراف أشبه. وبصحف^(٤) تصحيح التعليقات أمثل، وكأنه من
إخلائه من مقاصد الكتاب على ضمانٍ، ومن شروح ألفاظه
وتوضيح معانيه على أمان^(٥)».

١٥ - مختصر شرح مُغلطائي^(٦):

لجلال الدين رسولا بن أحمد (بن يوسف) التَّبَّاني المتوفى سنة
٧٩٣هـ.^(٧)

-
- (١) كان تاريخ وفاته في الأصل ٧٨٢هـ وفي كشف الظنون والحطة ٧٩٢هـ وهما خطأ
وما أثبتته من مصادر ترجمته، فانظر: الدرر الكامنة ٣٥٢/٤، تاج التراجم ص
٣٠٤، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٣٤، البدر الطالع ٢١٢/٢، شذرات الذهب
١٩٧/٦، ووقع في لسان الميزان ٧٦١هـ (٧٢/٦).
- (٢) قال ابن حجر في اللسان: «في نحو عشرين مجلدة».
- (٣) أي الكواكب الدراري للكرماني الآتي ذكره بعد قليل.
- (٤) في الأصل نقلاً عن كشف الظنون والحطة «بتصحيح» وما أثبتته من مقدمة الكواكب
الدراري (٣/١) ومقدمة القسطلاني.
- (٥) كشف الظنون ٣٦٦/١، الحطة ٢١٣ - ٢١٤، مقدمة القسطلاني ٣٥/١، وهذا
الكلام يتضمن انتقاداً لشرح مغلطائي. والله أعلم.
- (٦) مقدمة القسطلاني ٣٥/١، وقال: قد رأيته. كشف الظنون ٣٦٦/١، شذرات
الذهب ٣٢٨/٦، الحطة ٢١٤.
- (٧) قال الشوكاني في البدر الطالع ١٨٦/١: جلال الدين أحمد بن يوسف التبريزي
المعروف بالتباني بمثناة ثم موحدة ثقيلة نسبة إلى التبانة ظاهر القاهرة. اختصر شرح =

ولم يذكر صاحب كشف الظنون شيئاً عن تفاصيله، وهو مختصر الشرح المقدم الذكر.

١٦ - الكواكب الدراري^(١):

للعلامة شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكِرْمَانِي المتوفى سنة ٧٨٦هـ.^(٢)

وهو شرح مشهور متوسط جامع للفوائد والزوائد، ونافع لأهل العلم، وقد أثبت في أول هذا الشرح أن علم الحديث أفضل العلوم، وصحيح البخاري أعلى وأفضل كتاب في الحديث من حيث العدالة والضبط، ويفوق جميع كتب الحديث من هذه الناحية، وقد قدم فيه المؤلف البارح حلولاً طيبة للمسائل النحوية الصعبة، والألفاظ المشككة الغريبة، وضبط أيضاً الروايات وأسماء الرجال وألقاب الرواة بأحسن طريق، وجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض، وقد فرغ من تأليف هذا الكتاب في مكة المكرمة سنة ٧٧٥هـ، ولكن ذكر الحافظ ابن حجر في الدرر

= مغلطائي على البخاري. (عبيد الله الرحمانى)

وقيل في اسمه «جلال بن أحمد» و«جلال بن رسول بن أحمد» وغير ذلك وينظر أيضاً لترجمته: النجوم الزاهرة ١٢/١٢٣، الضوء اللامع ١٠/٢٨٢، الأعلام ٣٢/٢ وغيرها.

(١) مقدمة القسطلاني ١/٣٥، كشف الظنون ١/٣٦٦، الحطة ٢١٤، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/١٦٨، تاريخ التراث العربي ١/١٧٩، معجم المؤلفين ١٢/١٢٩.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة ٤/٣١٠، البدر الطالع ٢/٢٩٢، معجم المؤلفين ١٢/١٢٩.

الكامنة (٣١١/٤): أنه قد وقعت فيه أوهام كثيرة^(١)، مع أن الشرح مفيد جداً^(٢)، وتوجد نسخه في عدة مكاتب في القسطنطينية^(٣).

١٧ - مجمع البحرين وجواهر الحبرين^(٤):

للعلامة تقي الدين يحيى بن (محمد بن يوسف) الكرمانى (المتوفى ٨٣٣هـ).^(٥)

استفاده من شرح والده الكواكب الدراري، وكذلك أضاف إليه من شروح ابن الملقن والزركشي والدُّمياطي وفتح الباري^(٦) والبدر.

-
- (١) أى أن الأوهام وقعت في النقل لأن أغلب كلامه مأخوذ من الكتب الأخرى. (المؤلف)
 - قلت: ولفظه: «وهو شرح مفيد على أوهام فيه في النقل، لأنه لم يأخذ إلا من الصحف. وقد عاب في خطبة شرحه على شرح ابن بطال ثم على شرح القطب الحلبي وشرح مغلطائي. (الدرر الكامنة ٣١١/٤).
 - (٢) والحمد لله لقد طبع هذا الشرح المفصل في مصر (عبيد الله الرحمانى) ثم صدرت له طبعات أخرى.
 - (٣) لقد عرفنا ذكر كثير من الشروح وأسماءها وأمكنة وجودها من الفهارس الموجودة في مكتبة خدا بخش الشرقية العامة في بته، وهي فهارس لمكتبات في الهند والقسطنطينية، ولندن، وألمانيا وغيرها (المؤلف) وقد ذكر سزكين نسخاً كثيرة مخطوطة لهذا الكتاب (١٧٩/١).
 - (٤) كشف الظنون ٣٦٦/١، الحطة ٢١٤، تاريخ التراث ١٨٢/١ - ١٨٣، مقدمة القسطلاني ٣٥/١، وقال: قد رأيت، وهو في ثمانية أجزاء كبار بخطه مسودة، معجم المؤلفين ٢٣٠/١٣، الأعلام ٢١١/٩.
 - (٥) ترجمته في: الضوء اللامع ٢٥٩/١٠، شذرات الذهب ٢٠٦/٧، معجم المؤلفين ٢٣٠/١٣.
 - (٦) كذا في كشف الظنون مع أن ابن حجر مؤلف فتح الباري توفي بعده في سنة ٨٥٢هـ وكذا البدر العيني توفي سنة ٨٥٥هـ.

ويقع في ثمانية مجلدات. (١)

١٨ - شواهد التوضيح (٢) :

لسراج الدين عمر بن علي بن (أحمد بن) المُلَقَّن الشافعي المتوفى ٨٠٤ هـ. (٣)

وهو شرح ضخيم يقع في عشرين مجلداً، وكتب المؤلف مقدمة مهمة وبين فيها أنه حصر مقاصد كل حديث في عشرة أمور. قال العلامة السخاوي: جُلَّ اعتماد ابن المُلَقَّن في هذا الشرح على شرح شيخه مغلطائي «التلويح»، وذكر الحافظ ابن حجر أنه في آخره أصبح قليل النفع جداً (٤).

(١) وهو موجود بخط المؤلف في مكتبة سراي أحمد الثالث في تركيا في ٨ مجلدات كما ذكر سزكين في تاريخ التراث (١/١٨٣).

(٢) كشف الظنون ١/٣٦٦، الحطة ٢١٤، الأعلام ٥/٢١٨، مقدمة القسطلاني ١/٣٦، وقال: قد طالعت الكثير منه، تاريخ الأدب لبروكلمان ٣/١٦٩.

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٥/٤١، الضوء اللامع ٦/١٠٠، حسن المحاضرة ١/٤٣٨، البدر الطالع ١/٥٠٨.

(٤) كشف الظنون ١/٣٦٦، الحطة ٢١٤، وكانت له نسخة خطية بخط الحافظ السيوطي بمكتبة المخطوطات في دار العلوم بألمانيا إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية (عبيدالله الرحماني).

قلت: ولفظ الحافظ ابن حجر فيما ذكر عنه تلميذه السخاوي فقال: «قال شيخنا وشرح... البخاري في عشرين مجلدة اعتمد فيه على شرح شيخه القطب ومغلطائي وزاد فيه قليلاً وهو في أوائله أقعد منه في أواخره بل هو في نصفه الثاني قليل الجدوى».

قلت: (السخاوي) وقد قال هو أنه لخصه من شرح شيخه مغلطائي الملخص له من شرح القطب الحلبي وانه زاد عليها، (الضوء اللامع ٦/١٠٢).

١٩ - اللامع الصبيح^(١):

للعلامة شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالدائم بن موسى البرمائي المتوفى سنة ٨٣١هـ.^(٢)

ذكر المؤلف بنفسه أن شرحه مأخوذ من التنقيح للزركشي وشرح الكرماني، نعم لقد أضاف إليهما إيضاحات وتنبهات وفوائد، وهو شرح طيب يقع في أربع مجلدات^(٣). وتوجد نسخته في

= هذا وقد ذكر فؤاد سزكين وجود نسخ عدة منه في مكتبات العالم ومنها قطعة في برلين برقم ١١٩٩، كتبت في حوالى ٩٠٠هـ (تاريخ التراث ١/١٨١). وقد تكون هي بخط السيوطي فقد توفي سنة ٩١١هـ. والله أعلم.

وقد وقع في تاريخ التراث اسمه «عثمان» واسم كتابه «التوحيد» بدل التوضيح. ولعل ذلك من خطأ المترجمين. كما ذكر هو وبركلمان (٤/١٦٩) تاريخ وفاته في ٨٠٥هـ، بينما هو في المراجع الأخرى ٨٠٤هـ.

واسم كتابه كذا في كشف الظنون والحطة «شواهد التوضيح» أما بروكلمان فقد سماه «التوضيح شرح الجامع الصحيح» وكذا سزكين على تحريف فيه. أما «شواهد التوضيح» فهو لابن مالك كما سيأتي وقد يكون الاسم مشتركاً بينهما وهذا يقع كثيراً.

(١) كشف الظنون ١/٣٦٦، الحطة ٢١٥، تاريخ التراث ١/١٨٢، مقدمة القسطلاني ١/٣٦، وقال: قد استوفيت مطالعته كالكرماني، تاريخ الأدب لبروكلمان ٣/١٦٩، معجم المؤلفين ١٠/١٣٢، الأعلام ٧/٦٠.

(٢) والبرمائي: نسبة إلى برمّة، بليدة ذات سوق في الكورة الغربية من أرض مصر في طريق الإسكندرية من القسطنطينية. (مراسد الاطلاع ١/١٨٩). وترجمته في: الضوء اللامع ٧/٢٨٠، البدر الطالع ٢/١٨١.

(٣) قال السخاوي: من تصانيفه شرح البخاري في أربع مجلدات، ومن أصوله التي استمد منها فيه مقدمة فتح الباري لشيخنا، ولم يبيض إلا بعد موته، وتداوله الفضلاء مع ما فيه من إعواز. (الضوء اللامع ٧/٢٨١-٢٨٢).

مكتبة أياصوفية بالقسطنطينية^(١).

٢٠ - التلقيح لفهم قارىء الصحيح^(٢):

لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي المعروف بسبسط
ابن العجمي المتوفى سنة ٨٤١هـ.^(٣)

يقع في مجلدين بخط المؤلف وهو شرح مفيد، ولقد اختصره إمام
الكاملية محمد بن محمد الشافعي المتوفى سنة ٨٧٤هـ^(٤)،
واقتبس منه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر.

٢١ - فتح الباري^(٥):

(١) وكانت له نسخة أخرى أيضاً في دار العلوم بألمانيا إلى ما قبل الحرب العالمية
الثانية (عبيدالله الرحمانى).

وذكر سزكين أيضاً نسخة أيا صوفيا ونسخاً أخرى في مكتبات تركيا وغيرها
وسماه «اللامع الصبيح على الجامع الصحيح» تاريخ التراث العربي ١/ ١٨٢.

(٢) مقدمة القسطلاني ١/ ٣٦، كشف الظنون ١/ ٣٦٦، الحطة ٢١٥، الأعلام ١/ ٦٢،
معجم المؤلفين ١/ ٩٢-٩٣، تاريخ التراث ١/ ١٨٣.

(٣) ترجمته في: الضوء اللامع ١/ ١٣٨، لحظ الألاحظ لابن فهد المكي ص ٣٠٨،
الشذرات ٧/ ٢٣٧، البدر الطالع ١/ ٢٨.

قال الشوكاني: «واشتغل بالتصنيف فكتب... وشرحاً مختصراً على البخاري
سماه «التلقيح لفهم قارىء الصحيح» وهو في أربع مجلدات.

وانظر الضوء اللامع (١/ ١٤١) ففيه فوائد أخرى عن هذا الشرح وأنه استفاد
من مقدمة فتح الباري كما أن الحافظ التقط منه أيضاً فوائد.

وذكر له سزكين ثلاث نسخ في مكتبات تركيا. تاريخ التراث ١/ ١٨٣.

(٤) البدر الطالع ٢/ ٢٤٤، كشف الظنون ١/ ٥٤٧ طبعة دار الفكر. بيروت.

(٥) كشف الظنون ١/ ٣٦٦، الحطة ١٢٥، تاريخ التراث ١/ ١٨٣، مقدمة القسطلاني
٣٦/١، تاريخ الأدب لبروكلمان ٣/ ١٦٩، وهو غني عن التعريف. (المراجع).

شيخ الإسلام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

وهو الشرح الذي قيل فيه «لا هجرة بعد الفتح»^(١). لقد كان العلامة ابن خلدون قال في مقدمته الشهيرة «إِنَّ شَرْحَ البخاريَّ دينٌ على الأمة»^(٢) ولعله كان يقصد أن النكات الفنية التي تتعلق بعلم الرجال وغيرها، أو الدقائق الفقهية التي يشتمل عليها صحيح البخاري لم يبحثها أحد بحثاً علمياً كما كان ينبغي، لكن بعد هذا الشرح قال العلامة السخاوي «لعلَّ هذا الدين قد قُضِيَ عن الأمة»^(٣) وقال صاحب كشف الظنون: وشهرته وانفراده بما يشتمل عليه من الفوائد الحديثية والنكات الأدبية والفوائد الفقهية تغني عن وصفه^(٤). ولقد جرت عادته في شرح الأحاديث المكررة في صحيح البخاري أن يشرح في كل باب ما أورده فيه البخاري لأجله، وييسر في ذلك، ويحيل لبقية شرح الحديث إلى الموضع الآخر حيث أكمل شرحه، وهذا شرحٌ لا مثيل له من حيث الدقائق الفنية، والتحقيقات العلمية، ومنزلته عند المحدثين تتبين من كلمة «لا هجرة بعد الفتح». وقد ابتدأ تأليفه سنة ٨١٧هـ^(٥). وكان كتب

(١) قاله الشوكاني كما في فهرس الفهارس ٢٣٨/١، انظر «ابن حجر ودراسة مصنفاته» ص ٣٢٣، (للدكتور شاكر محمود عبد المنعم).

(٢) مقدمة ابن خلدون ١١٤٢/٣.

(٣) هو في التبر المسبوك ٢٣١، انظر «ابن حجر ودراسة مصنفاته» ص ٢٢١ (للدكتور شاكر محمود عبد المنعم) وقال أيضاً: لو رآه ابن خلدون لأقر عيناً (المراجع).

(٤) كشف الظنون ٣٦٧/١.

(٥) كذا في كشف الظنون وقد ذكر المؤلف في مقدمة كتابه انتقاض الاعتراض أنه شرع =

قبل ذلك مقدمته، ولما تمت المقدمة بدأ في تأليف الشرح، وكان يكتب قليلاً قليلاً كل يوم، وكلما تم جزء نسخه جماعة من المحدثين، وكانت تجري مناقشاتٍ حوله في كل أسبوع مرة، وتجري فيه المعارضة والمقابلة؛ وكان يتولى القراءة البرهان ابن خضر^(١) وكان الناس يعرضون أسئلتهم واعتراضاتهم ومناقشاتهم، وكان الحافظ ابن حجر يتولى الردَّ عليها، وهكذا كلما تم تأليف جزء يحرَّرُ ويُهَدَّبُ بالمقابلة، وينتشر في أنحاء العالم، حتى تم تأليفه سنة ٨٤٢هـ، وبعد الفراغ زاد فيه المؤلف أشياء، ولكن الانتهاء الحقيقي للتأليف انتهى مع حياة المؤلف. وبعد الاختتام أقام مادبة عامة أنفق فيها خمسمائة دينار، وعرض كتابه على كبار الأئمة والعلماء وتُلَقِّي الكتاب بقبولٍ عديم النظير حتى إن الأمراء اشتروه بوزنه من الدنانير^(٢)، وبسرعة البرق انتشر في جميع أنحاء

= في شرح الصحيح سنة ثلاث عشرة وثمانمائة. (١/ ٧).

(١) هو إبراهيم بن خضر (بكسر الخاء وسكون الضاد المعجمتين) بن أحمد بن عثمان بن كريم الدين جامع بن محمد بن جامع برهان الدين أبو إسحاق بن الزين العثماني القصورى الصعيدي يعرف بابن خضر، ولد سنة ٧٩٤هـ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ. الضوء اللامع ١/ ٤٥-٤٧، معجم المؤلفين ١/ ٢٨-٢٩ (المراجع).

(٢) يذكر صاحب تاريخ قرة العيون في يمن الميمون في موضع ضمن حوادث أخرى بأنه في هذه السنة اشترى كتاب فتح الباري بآلاف الدنانير، وأدخل في مكتبة ملك اليمن [المؤلف] انظر للتفاصيل الضوء اللامع ٢/ ٣٦، ٤٠، شذرات الذهب ٧/ ٢٧٠-٢٧٣، البدر الطالع ١/ ٨٧-٩٢، ابن حجر ودراسته ٣٠٦-٣٢٣.

هذا، وقد طبع فتح الباري أكثر من طبعة. وأحسنها وأكثرها تداولاً تلك الطبعة التي أشرف عليها الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله وعلق على بعض أجزاءها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله. وطبعته المطبعة السلفية في القاهرة في ثلاثة عشر مجلداً بالإضافة إلى المقدمة «هدى الساري».

العالم، ولم يترك شيئاً للشرح المتأخرين، وكل من جاء بعده فهو عيال عليه.

٢٢ - غاية التوضيح للجامع الصحيح^(١):

للعلمة عثمان بن (عيسى بن) إبراهيم الصديقي الحنفي المتوفى (في نهاية القرن العاشر).^(٢)

توجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة الأميرية برامبور، والمجلد الأول يبتدىء من أول «كتاب بدء الوحي» إلى «باب القران في التمر عند الأكل» في (١١٧٦) صفحة، والمجلد الثاني من باب رقية النبي ﷺ إلى آخر الكتاب.

٢٣ - الكوكب الساري في شرح الجامع الصحيح للبخاري:^(٣)

للشيخ أبي الحسن علي بن حسين بن عروة الموصلي^(٤) (الحنبلي) المتوفى سنة (٨٣٧هـ)^(٥)

(١) تاريخ التراث ١/١٨٩، تاريخ الأدب لبروكلمان ٣/١٧٣، وذكر له نسخاً في عدة مكتبات.

(المراجع) غير أنهما لم يذكرنا نسخة رامبور التي ذكرها المؤلف رحمه الله هنا.

(٢) الصديقي السندي البرهانوري، له ترجمة في نزهة الخواطر ٥/٢٩٣ وذكر فيها أنه قُتل بأيدي اللصوص مع سبعة عشر شخصاً من عياله في شهر شعبان سنة ١٠٠٨هـ.

(٣) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/١٧٤، تاريخ التراث العربي ١/١٨٣.

(٤) بالفتح وكسر الصاد: نسبة إلى الموصل، مدينة مشهورة. (المؤلف)

(٥) ويعرف بابن زكَّون أيضاً. له ترجمة في انباء الغمر ٨/٣١٩، الضوء اللامع ٥/٢١٤، شذرات الذهب ٧/٢٢٢، معجم المؤلفين ٧/٧٤.

قال السخاوي: رتب المسند على أبواب البخاري وسماه «الكواكب الدراري =

وتوجد منه نسخة مخطوطة بخط و ورق عربيين في ٤٧٠ صفحة
في المكتبة الأميرية برامبور.^(١)

٢٤ - شرح صحيح البخاري: (٢)

للعامة عبدالرحمن البهرة المتوفى سنة (؟)

وتوجد للمجلد الأول منه نسختان في المكتبة الأميرية برامبور
إحدهما تقع في ٤٩٢ صفحة، وهي ناقصة، تبتدىء من «باب
كيف كان بدء الوحي» إلى «باب القراءة». وتوجد نسخة أخرى
أيضاً للمجلد الأول بخط النسخ، من «باب بدء الوحي» إلى «باب
القراءة».

٢٥ - شرح صحيح البخاري:

ولم أقف على اسم مؤلفه، ويوجد هذا الشرح أيضاً في المكتبة
الأميرية برامبور في ٣٩٤ صفحة من أول الكتاب إلى «باب
الشروط» مخطوط بخط المستعليق.

= في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري» وشرحه في مائة وعشرين
مجلداً، طريقته أنه إذا جاء حديث الإلفك مثلاً يأخذ نسخة من شرحه للقاضي عياض
فيضعها بتمامها، وإذا مرت به مسألة فيها تصنيف مفرد لابن القيم أو شيخه ابن
تيمية أو غيرهما وضعه بتمامه ويستوفى ذلك الباب من المغني لابن قدامة ونحوه.
(الضوء اللامع ٢١٤/٥)

(١) لم يذكر له بروكلمان ولا سزكين نسخة أخرى غير نسخة رامبور هذه التي ذكرها
المؤلف رحمه الله. ولكن عند سزكين انها في مائتين وعشرة أوراق. والله أعلم.

(٢) لم يذكره بروكلمان ولا سزكين.

٢٦ - شرح البخاري: (١)

لعبدالكريم بن عبدالنور بن منير بن عبدالكريم بن علي بن عبدالحق الحلبي المتوفى ٧٣٥هـ.

ولقد ذكره العلامة السيوطي في حسن المحاضرة كما في حاشية الفوائد البهية.

٢٧ - الداؤدي (٢):

لأبي جعفر أحمد بن سعيد الداؤدي المتوفى سنة ()

وقد اطلعنا على اسم هذا الشرح من النسخة القديمة التي كان يملكها شيخ الكل العلامة السيد نذير حسين الدهلوي رحمه الله،

(١) لقد تسامح المؤلف رحمه الله هنا، فقد سبق ذكر هذا الشرح في ص ٣٧١ بعنوان «١٣- شرح صحيح البخاري للجلبي، وهذا الشرح رقم ٢٦» ليس جديداً، ولقد ذكر الحلبي في كشف الظنون الشرح رقم ١٣ فقط، وأخطأ في ذكر اسم الشارح أي قطب الدين عبدالكريم، فقد ذكر أن جده مسير، ووفاته في سنة ٧٤٥هـ، والصحيح منير، وسنة وفاته ٧٣٥هـ. قال حافظ الدنيا ابن حجر في الدرر الكامنة ٣٩٨/٢ تحت ترجمة قطب الدين عبدالكريم بن عبدالنور بن منير، وشرع في شرح البخاري، وهو مطول أيضاً. يبض أوائله إلى قريب النصف (إلى أن قال) مات في رجب سنة ٧٣٥هـ - انتهى. (عبيدالله الرحمانى)

قلت: ولعل التحريف الذي حصل في كشف الظنون في اسم جده وتاريخ وفاته هو الذي حمل المصنف رحمه الله على التفريق بين هذا وبين ما سبق. والله أعلم.

وانظر: حسن المحاضرة ٣٥٨/١، الفوائد البهية ص ١٠١.

(٢) كشف الظنون ٣٦٥/١، مقدمة القسطلاني ٣٥/١، وأفاد أنه اعتنى بشرح الخطابي «وهو ممن ينقل عنه ابن التين».

وإن حواشي هذه النسخة مليئة من النقول من هذا الكتاب، واتخذ له علامة (د) وفي بعض المواضع قال: قال الداؤدي، ويكثر ابن التين من الاقتباس من هذا الشرح، وبعد الاطلاع على نسخة شيخ الكل العلامة السيد نذير حسين رحمه الله يتبين أن شرح الداؤدي شرح مفيد جدًا، وقد اتخذ المؤلف أسلوبًا فذاً في حل المطالب ودفع الإشكالات، والتوفيق بين التعارض وتطبيق الأحاديث، ولذلك ملئت حواشي هذه النسخة من مقتطفات شرح الداؤدي.

٢٨ - العثماني :

ذكره الشيخ أحمد علي المتوفى سنة ١٢٩٨هـ في حاشيته على صحيح البخاري.

ولم نعرف من أحوال هذا الشرح، والشيخ أحمد علي الذي ذكر اسم هذا الشرح لم يعرف أيضًا سوى أنه وجد هكذا في النسخة التي نقل منها.

٢٩ - شرح صحيح البخاري^(١) :

لعلي بن مصطفى الشافعي الحلبي المتوفى سنة (١١٧٤هـ) تلميذ العلامة السندي.

لقد وصل هذا الشرح إلى كتاب المغازي ولم يتم، وقد ذكره

(١) سلك الدرر ٣/ ٢٢٤، طبعة دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٨هـ ولفظه: وله من التأليف شرح على البخاري وصل فيه إلى الغزوات، معجم المؤلفين ٧/ ٢٤٢، الأعلام ٥/ ١٧٤

المؤرخ الأديب العلامة محمد خليل آفندي في سلك الدرر في
أعيان القرن الثاني عشر.

٣٠ - هدى الساري مقدمة فتح الباري:

لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى ٨٥٢هـ. (١)

وهذه هي المقدمة التي سبق ذكرها من قبل، وهي تقع في
مجلد ضخمة، وهي مصنف كامل في حد ذاتها، وشرح جامع
ومهم جدًا، بحيث لو قيل: إنه لا يمكن معرفة حقيقة صحيح
البخاري بدون هذه المقدمة، فلا يكون بعيدًا عن الحقيقة، وهذه
المقدمة تشتمل على عشرة فصول، وتحت كل فصل فصول، وقد
بين في الفصل الأول: أسباب تأليف صحيح البخاري، وأمورًا
أخرى مهمة مثل عدم تدوين الحديث في أول الأمر، ثم ابتداءه
ومراحله التي مرت به حركة التدوين.

وفي الفصل الثاني: ذكر موضوع صحيح البخاري وشروطه
وماهي الأسباب التي جعلت الأمة تطلق عليه أصح الكتب بعد

(١) ترجمته في: الضوء اللامع ٣٦/٢، البدر الطالع ٨٧/١، شذرات الذهب ٢٧/٧،
قد أفرد غير واحد كتبًا في سيرته منها الجواهر والدرر للسخاوي وكتاب ابن حجر
ودراسة مصنفاته للدكتور شاکر محمود عبدالمنعم.

والغريب أن الحافظ رحمه الله ألف هذه المقدمة قبل الشروع في شرح الجامع
وانتهى منها كما ذكر في أول الشرح (٥/١) وهذا يدل على أنه درس الجامع
الصحيح دراسة عميقة متأنية قبل شرحه، وقد انتهى من تصنيف هدى الساري في
٨١٣هـ (انتقاض الاعتراض ٧/١) وبدأ في تأليف الشرح بعد ذلك (المصدر
السابق).

كتاب الله، والنكات الكامنة في تراجم أبوابه، والدقائق الفقهية التي فاق من أجلها صحيح البخاري على جميع كتب الحديث.

وفي الفصل الثالث: تقطيع الحديث واختصاره، وصور وفوائد تكراره وحكمه.

وفي الفصل الرابع: أسباب إirاده للأحاديث المعلقة مرفوعة وموقوفة، وفي هذا الصدد ذكر أسانيد الأحاديث المرفوعة التي رواها البخاري تعليقاً مع ذكر من رواها موصولةً.

وفي الفصل الخامس: ساق الألفاظ الغريبة الصعبة التي وردت في متون الحديث. وذكرها وشرحها على ترتيب حروف الهجاء، وهذا الفصل كأنه قاموس من أنفع القواميس.

وفي الفصل السادس: ذكر المؤتلف والمختلف من الأسماء والألقاب والكنى المذكورة في صحيح البخاري، وكلها بترتيب الحروف الأبجدية، وهو على قسمين: أولاً: المشتبه في صحيح البخاري خاصة. والثاني: المشتبه بغيره مما وقع خارجاً عن صحيح البخاري، ومع هذا التحقيق بين موضع ذكر اسم ذلك الراوي من الكتاب والحديث والسند.

الفصل السابع: في تبين الأسماء المهملة من شيوخ الإمام البخاري مع وقوع الاشتراك في أسمائهم، ولذلك ترك الأسماء التي لا يقع فيها الاشتراك إلا نادراً، والبقية ذكرهم على ترتيب حروف الهجاء.

والفصل الثامن: في سياق الأحاديث التي انتقدها عليه الإمام

الدارقطني أو غيره من النقاد، ثم أوردتها حديثاً حديثاً، وأجاب عليه بأجوبة مقنعة، وأوضح بأن أى واحدٍ من هذه الأحاديث لا يخالف شروط الإمام البخاري.

الفصل التاسع: في ذكر الرواة الذين طعن فيهم من رجال البخاري، فأورد ذكرهم واحداً واحداً على حروف الهجاء، وأجاب على كل ما ذكر فيه من طعن، وبإنصاف كامل، وبَيَّن أنه إذا كان القدح راجحاً في الراوي من جهة معينة فقد احترز الإمام البخاري الأخذ من تلك الجهة أو أن له متابِعاً أحسن منه، أو لسبب آخر أورد حديثه في صحيح البخاري.

والفصل العاشر: وهو كأنه فهرس لأبواب الصحيح كلها وذكر في كل باب عدد الأحاديث التي أوردتها البخاري، وبه يتبين عدد الأحاديث بالمكرر، وبين عدد ما لكل صحابي من الأحاديث. وفي نهاية المقدمة: ذكر سيرة الإمام البخاري وترجمته ومؤلفاته وتلامذته.

٣١ - الإعلام بمن ذكر في البخاري من الأعلام^(١):

لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر.

وقد ذكر فيه أحوال الرجال المذكورين في البخاري زيادة على ما في تهذيب الكمال^(٢).

(١) كشف الظنون ١/ ٣٧٠، الحطة ٢٢١، مقدمة القسطلاني ١/ ٣٧.

(٢) مقدمة القسطلاني ١/ ٤٤ طبعة دار احياء التراث العربي، بيروت. ويظهر أنه ترجم فيه الأعلام الذين ورد ذكرهم في صحيح البخاري من غير رجال الأسانيد ويسمي هذا الكتاب أيضاً «فوائد الاحتفال ببيان أحوال الرجال»، كما ذكر الدكتور شاكر =

٣٢ - تغليق التعليق^(١) :

له أيضًا.

وقد وصل فيه معلقات صحيح البخاري، وبحث بحثًا مفصلاً في جميع [الأحاديث المرفوعة]^(٢) والآثار الموقوفة والمعلقة وما صح منها وما ضعف وما له متابعات، وذكر المحدثين الذين وصلوا هذه الأحاديث والآثار المعلقة وفصله تفصيلاً كاملاً، وما ذكر في مقدمة الفتح فهو ملخص لهذا. وفرغ من مسودة هذا الكتاب في سنة ٨٠٤هـ.^(٣)

٣٣ - انتقاض الاعتراض^(٤) :

= محمود في كتابه ابن حجر ودراسة مصنفاته ص ٥٣١.

(١) كشف الظنون ١/٣٧٠، الحطة ٢٢١، مقدمة القسطلاني ١/٣٧، تاريخ التراث ١/٢٠١، شذرات الذهب ٧/٢٧١.

(٢) زيادة مني للإيضاح.

(٣) وكان الحافظ رحمه الله ألف هذا الكتاب أيضًا قبل البدء في شرح الجامع الصحيح كما ذكر في مقدمته. وفي مقدمة كتابه الآخر انتقاض الاعتراض (١/٧).

وقد لخصه الحافظ بنفسه في كتاب يسمى «التشويق إلى وصل المهم من التعليق» ثم اختصره في كتاب آخر سماه «التوفيق لوصل المهم من التعليق». (مقدمة محقق كتاب تغليق التعليق ١/٢١٥).

هذا وقد طبع كتاب تغليق التعليق في خمس مجلدات، لكن المجلد الأول منه خاص بالدراسة التي قام بها المحقق عن الكتاب ومؤلفه، قام بتحقيقه الدكتور سعيد عبدالرحمن موسى القرقي. نشر المكتبة الإسلامية بيروت، دار عمار بالأردن ط أولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٤) كشف الظنون ١/٣٧٠، الحطة ٢٢١، مقدمة القسطلاني ١/٣٧، تاريخ التراث ١/١٨٥، تاريخ الأدب لبروكلمان ٣/١٧٠.

له أيضًا.

أجاب فيه على الاعتراضات التي ساقها العلامة العيني^(١) في شرحه على الحافظ ابن حجر، ولكن الأسف لم يتم تأليفه، وانتقل مؤلفه إلى الرفيق الأعلى^(٢).

٣٤ - تجريد التفسير^(٣):

له أيضًا.

جرد فيه تفسيرات صحيح البخاري حسب ترتيب سور القرآن كما هو ظاهر من الاسم.

٣٥ - عمدة القارئ:

للعلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد (بن موسى) العيني الحنفي المتوفى سنة ٨٥٥هـ.^(٤)

(١) وسبب تأليفه أنه لما تم كتاب فتح الباري، رغب الناس فيه وأصبح الأمراء والملوك يرسلون ويطلبون نسخًا منه، وطلب سلطان المغرب المعروف بابن الفارس وكذلك الملك شاه رخ، وورد طلب ثالث من الملك الظاهر على التوالي، فأخذ العلامة العيني الحسد فاعترض بهذه الاعتراضات الواهية. إتحاف النبلاء ٥٤-٥٥ (المؤلف).

وقد ذكره الحافظ ابن حجر بنحوه في مقدمة هذا الكتاب (١/٨-١١).

(٢) وتوجد من مخطوطة في مكتبة رام بور. (عبيدالله الرحمانى).

قلت: وقد طبع كتاب انتقاض الاعتراض بتحقيق الشيخين حمدي عبدالمجيد السلفي وصبحي جاسم السامرائي. نشرته مكتبة الرشد بالرياض سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٣) كشف الظنون ١/٣٧٢، الحطة ٢٢٦، ابن حجر ودراسة مصنفاته ص ٢٨٥.

(٤) ترجمته في: الضوء اللامع ١٠/١٣١، شذرات الذهب ٧/٢٨٦، البدر الطالع ٢/٢٩٤ وغيرها.

وهو شرح مشهور يقع في عشر مجلدات، وطبع في بيروت،
وقد قال فيه المؤلف نفسه:

«ثم إنني لما رحلتُ إلى البلاد الشمالية الندية، قبل الثمان مائة
من الهجرة الأحمدية، مستصحبًا في أسفاري هذا الكتاب لنشر
فضله عند ذوى الألباب، ظفرت هناك من بعض مشايخنا بغرائب
النوادر، وفوائد اللآلي الزواهر مما يتعلق باستخراج ما فيه من
الكنوز، واستكشاف ما فيه من الرموز، ثم لما عدتُ إلى الديار
المصرية ديار خير وفضل وأمنية، أقمت (بحارة كتامة بالقرب من
الجامع الأزهر) برهة من الخريف مشغلاً بالعلم الشريف، ثم
اخترعت شرحاً لكتاب معاني الأسرار، المنقولة من كلام سيد
الأبرار، ثم أنشأت شرحاً على سنن أبي داود السجستاني . . . ثم
لما انجلى عني ظلامُها، وتجلى على قَتَامُها في هذه الدولة
المؤيدة والأيام الزاهرة السنية ندبتني إلى شرح هذا الكتاب أمورًا
حَصَلَتْ في هذا الباب^(١)».

وشرع في تأليفه في أواخر شهر رجب سنة ٨٢١هـ وفرغ منه
في نصف الثلث الأول من جمادي الأولى سنة ٨٤٧هـ.

وقال صاحب كشف الظنون:

«واستمد فيه من فتح الباري بحيث ينقل منه الورقة بكمالها، وكان
يستعيره من البرهان بن خضر بإذن مصنفه له، وتعقبه في مواضع^(٢)».

(١) عمدة القاريء ٥/١ .

(٢) كشف الظنون ٣٦٧/١، الحطة ٢١٧، مقدمة القسطلاني ٣٦/١ .

وقد أطل العلامه المذكور في الأمور التي كان الحافظ ابن حجر قد تركها.

مثل:

١ - ذكر المتن كاملاً.

٢ - ترجمة كاملة لكل راوٍ.

٣ - البحث في أنساب الرؤاة.

٤ - المعاني والبيان.

وحكى صاحب كشف الظنون: «أن بعض الفضلاء ذكر لابن حجر ترجيح شرح العيني بما اشتمل عليه من البديع وغيره، فقال بديهية: هذا شيء نقله من شرح ركن الدين، وقد كنت وقفت عليه قبله، ولكن تركت النقل منه لكونه لم يتم. إنما كتب منه قطعةً وخشيتُ من تعبي بعد فراغها في الإرسال، ولذا لم يتكلم العينيُّ بعد تلك القطعة بشيء من ذلك^(١)»، لأن مصدره قد انقطع.

وقال بعد ذلك صاحب كشف الظنون:

«وبالجملة فإن شرحه حافل كامل في معناه لكن لم ينتشر كانتشار فتح الباري في حياة مؤلفه وهلم جرا^(٢)».

وما أصدق ما قال بعض المهرة:

(١) كشف الظنون ٣٦٨/١، الحطة ٢١٧، مقدمة القسطلاني ٣٦/١.

(٢) كشف الظنون ٣٦٨/١، الحطة ٢١٧، مقدمة القسطلاني ٣٦/١.

«الأول (أى فتح الباري) مفيد للكملة، والثاني (العيني) مفيد للطلبة» ويقاربه ما حكم به الفاضل اللكنوي حيث قال:

«ويفضل الأول (فتح الباري) على الثاني (عمدة القارى) تحقيقاً وتنقيداً، والثاني على الأول توضيحاً وتفصيلاً»^(١).

٣٦ - شرح صحيح البخاري^(٢):

للعامة ركن الدين أحمد بن محمد بن عبدالمؤمن القريني المتوفى سنة ٧٨٣هـ.^(٣)

هو الشرح الذي ذكره الحافظ ابن حجر لما أجاب على من رجّح شرح العيني.

٣٧ - التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح^(٤):

للشيخ بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٩٤هـ.^(٥)

وهو شرح موجز، واعتنى فيه المؤلف الفاضل بايضاح الغريب

(١) تقرّظ تيسير القارىء طبع مطبع علوى سنة ١٢٩٨هـ. (المؤلف).

(٢) كشف الظنون ١/٣٦٨، شذرات الذهب ٦/٢٧٩، الحطة ٢١٧، معجم المؤلفين ١٢٥/٢.

(٣) ترجمته في: شذرات الذهب ٦/٢٧٩، معجم المؤلفين ١٢٥/٢.

(٤) مقدمة القسطلاني ١/٣٦، كشف الظنون ١/٣٦٨، الحطة ٢١٧-٢١٨، تاريخ الأدب العربي ٣/١٦٨، تاريخ التراث العربي ١/١٨٠.

(٥) ترجمته في: الدرر الكامنة ٣/٣٩٧، شذرات الذهب ٦/٣٣٥، معجم المؤلفين ١٢١/٩ ووقع تاريخ وفاته في تاريخ التراث ٩٧٤هـ ولعله خطأ مطبعي.

وإعراب الغامض، وضبط ما كان يُخاف فيه الاشتباه من أنساب الرواة أو أسمائهم أو التصحيف، واختار من الأقوال المختلفة ما كان أصح، ومن المعاني ما كان أوضح، وأورد من الفوائد ما كان يغني المرء عن الشروح الطويلة المعضلة إذا أحاط بذلك.^(١)

توجد نسخته في المكتبة الشرقية العامة ببته، وكذلك توجد له نسخة في مكتبة أيا صوفيا في القسطنطينية.^(٢)

٣٨ - النكت: (٣)

لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني.

وهي نكتٌ على شرح العلامة الزركشي «التنقيح» ولكن مع الأسف كما قال صاحب كشف الظنون: لم تكمل.^(٤)

٣٩ - النكت: (٥)

للقاضي محب الدين أحمد بن نصر الله (بن أحمد) البغدادي الحنبلي

(١) قال ابن حجر: «شرح في البخاري فتركه مسودة وقفت على بعضها، ولخص منه التنقيح في مجلد». الدرر الكامنة ٣/٣٩٨.

(٢) وذكر له بروكلمان وسزكين نسخًا أخرى كثيرة. وقد طبع الكتاب في القاهرة في ١٣٥١هـ ثم صدرت له طبعات أخرى.

(٣) مقدمة القسطلاني ١/٣٦، كشف الظنون ١/٣٦٨، الحطة ٢١٨، تاريخ التراث ١/١٨١.

(٤) وكذا قال القسطلاني قبله.

(٥) مقدمة القسطلاني ١/٣٦، كشف الظنون ١/٣٦٨، الحطة ٢١٨، تاريخ التراث ١/١٨١.

المتوفى سنة ٨٤٤هـ^(١). وهي أيضاً نكتٌ على شرح العلامة الزركشي.

٤٠ - مصابيح الجامع: ^(٢)

للعامة بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني^(٣) المتوفى سنة ٨٢٨هـ^(٤).

ذكر أنه ألف لأحد ملوك الهند أحمد شاه بن محمد بن مظفر شاه، ولكن [محقق] كشف الظنون يقول: «لم يذكر الدماميني في ديباجة شرحه هذا الذي نقله المؤلف.» وهذا يخالف ما جرى عليه المؤلفون عامة، وقد تم تأليفه في سنة ٨٢٨هـ يوم السبت عند الظهر في زبيد باليمن^(٥). وتوجد نسخته في مكتبة نور عثمانية في الجامع الشريف في القسطنطينية.

(١) ترجمته في: المقصد الأرشد لابن مفلح ٢٠٢/١، الضوء اللامع ٢٣٣/٢، شذرات الذهب ٢٥٠/٧.

(٢) الضوء اللامع ١٨٥/٧، مقدمة القسطلاني ٣٦/١، وقال: قد استوفيت مطالعتها كشرح العيني وابن حجر والبرماوي، كشف الظنون ٣٦٨/١، شذرات الذهب ١٨١/٧، الحطة ٢١٨، تاريخ الأدب العربي ١٦٩/٣، تاريخ التراث ١٨٢/١، الأعلام ٢٨٢/٦.

(٣) نسبة إلى دمامين بفتح أوله وبعد الألف ميم أخرى مكسورة وياء تحتها نقطتان ونون، قرية كبيرة بالصعيد شرقي النيل على شاطئه. (عبيدالله الرحمانى)

(٤) له ترجمة في: الضوء اللامع ١٨٤/٧، البدر الطالع ١٥٠/٢، شذرات الذهب ١٨١/٧، وينظر أيضاً: الدماميني حياته وآثاره للدكتور محمد بن عبدالرحمن المفدى، ص ٥٥، نشر الجمعية العربية للثقافة والفنون ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م وقد توفي في مدينة كلبرجه بالهند ودفن هناك. (نزهة الخواطر ٩٧/٣)

(٥) قال السخاوي: «وشرح البخاري، وقد وقفت عليه في مجلد وجله في الإعراب والنحو». (الضوء اللامع ١٨٥/٧)

٤١ - التوشيح على الجامع الصحيح^(١):

لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١ هـ.^(٢)
وهو شرح موجز وجامع ولطيف، وحجمه يقارب شرح الزركشي.
وله شرح آخر اسمه «الترشيح» إلا أنه لم يتم تأليفه.
ويوجد في مكتبة السلطان أحمد خان الثالث^(٣).

٤٢ - فتح الباري: ^(٤)

للحافظ زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي المتوفى سنة
٧٩٥ هـ.^(٥)

-
- (١) مقدمة القسطلاني ٣٦/١، كشف الظنون ٣٦٨/١، الحطة ٢١٨، تاريخ الأدب العربي ١٧٠/٣، تاريخ التراث العربي ١٨٦/١.
 - (٢) ترجم السيوطي نفسه في كتابه حسن المحاضرة ٣٣٥/١ - ٣٤٤. وذكر فيها ضمن مؤلفاته «التوشيح على الجامع الصحيح» (٣٤٠/١).
 - وله ترجمة أيضًا في: الكواكب السائرة ٢٢٦/١، شذرات الذهب ٥١١/٨، والبدر الطالع ٣٢٨/١، وللدكتور مصطفى الشكعة كتاب «جلال الدين السيوطي، مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية»، نشر مصطفى البابي الحلبي ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
 - (٣) وللتوشيح نسخ أخرى عديدة ذكرها سزكين في تاريخ التراث ١٨٦/١. واختصره الشيخ علي بن سليمان الدمطي الباجمعي ت ١٣٠٦ هـ وقد طبع في القاهرة سنة ١٢٩٨ هـ كما في تاريخ التراث.
 - (٤) مقدمة القسطلاني ١٣٦/١، وقال: رأيت منه مجلدة. كشف الظنون ٣٦٨/١، شذرات الذهب ٣٣٩/٦ - ٣٤٠، البدر الطالع ٣٢٨/١، الحطة ٢١٨.
 - (٥) له ترجمة في انباء الغمر ١٧٥/٣، الدرر الكامنة ٣٢١/٢، المنهج الأحمد ١٣٢/٢ وغيرها.

وأشار عامة مترجميه إلى شرحه قطعة من صحيح البخاري.

وهو شرح جزء لصحيح البخاري، ولقد سماه مؤلفه فتح الباري
أيضاً، ووصل إلى كتاب الجنائز فقط، وقد ذكره صاحب «الجوهر
المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد»^(١).

٤٣ - شرح صحيح البخاري: (٢)

للعامة النواوي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦هـ. (٣)

وقد ذكره المؤلف نفسه في مقدمة شرح صحيح الإمام مسلم
رحمه الله، ولكن الأسف أن هذا الشرح لم يتم، ووصل إلى كتاب
الإيمان فقط وقد عرفه المصنف بقوله: إنه جمع فيه جملاً مشتملة
على نفائس من أنواع العلوم^(٤).

(١) قاله صاحب كشف الظنون ٣٦٨/١.

وهو في الجوهر المنضد (ليوسف ابن عبد الهادي ت ٩٠٩هـ) ص ٥٠،
الترجمة ٥٧. ولفظه «وشرح قطعة من البخاري إلى كتاب الجنائز، وهي من
عجائب الدهر ولو كمل كان من العجائب».

قلت: وقد طبع مؤخراً بتحقيق محمود شعبان وآخرين، نشرته دار الغرباء
الأثرية بالمدينة المنورة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م في عشر مجلدات.

(٢) مقدمة القسطلاني ٣٦/١، وقال: طالعها وانتفعت ببركتها. كشف الظنون

٣٦٨/١، الحطة ١٢٩، تاريخ الأدب العربي ١٦٧/٣.

(٣) محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، له ترجمة في: طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ١٩٤/٢، طبقات السبكي ٣٩٥/٨، تذكرة الحفاظ ١٤٧٠/٤، شذرات الذهب ٣٥٤/٥ وغيرها.

(٤) مقدمة شرح مسلم للنووي ٤/١. ولفظه فيها: «فأما صحيح البخاري فقد جمعت في شرحه جملاً مستكثرات، مشتملة على نفائس من أنواع العلوم بعبارات وجيزات..

وتوجد للكتاب نسختان مخطوطتان ذكرهما سزكين في تاريخ التراث العربي ١٧٨/١
وطبعت مقدمة هذا الشرح باسم «ماتمس إليه حاجة القارئ لصحيح الإمام البخاري» =

٤٤ - شرح صحيح البخاري: (١)

للمحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ. (٢)

وهذا أيضاً شرح جزء من صحيح البخاري ولم يتم تأليفه.

٤٥ - الفيض الجاري (٣):

للعلمة سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني الشافعي المتوفى سنة ٨٠٥هـ. (٤)

وهذا أيضاً شرح جزء من صحيح البخاري ولم يتم، وصل إلى كتاب الإيمان فقط في خمسين جزءاً (٥).

= حققها الأستاذ علي حسن عبدالحميد عن نسخة طبعت في مصر قديماً. نشر دار الفكر عمان. الأردن.

(١) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٨٧/٣، الدرر الكامنة ٣٧٤/١، مقدمة القسطلاني ٣٦/١، كشف الظنون ٣٦٨/١، شذرات الذهب ٢٣١/٦، الحطة ٢١٩.

(٢) له ترجمة في: المعجم المختص للذهبي ص ٧٤، إنباء الغمر ٤٥/١، الدرر الكامنة ٣٧٤/١، طبقات الحفاظ ص ٥٢٩، البدر الطالع ١٥٠/٢ وغيرها.

(٣) مقدمة القسطلاني ٣٦/١ وقال: رأيت منه مجلدة. كشف الظنون ٣٦٨/١، شذرات الذهب ٣٢١/٦، الحطة ٢١٩.

(٤) كان تاريخ وفاته في الأصل ٨٠٤هـ. وما أثبتته من مصادر ترجمته مثل إنباء الغمر ١٠٧/٥، البدر الطالع ٥٠٦/١، طبقات الحفاظ ص ٥٣٨ وغيرها.

(٥) قال الشوكاني في البدر الطالع ٥٠٧/١ في ترجمة عمر بن رسلان: انه كتب في شرح البخاري على نحو عشرين حديثاً مجلدين (عبدالله الرحمانى) وهو كذلك في إنباء الغمر ١٠٨/٥، والضوء اللامع ٨٨/٦.

وتسمية كتابه من كشف الظنون والحطة. وقد ذكره السخاوي والقسطلاني =

٤٦ - منح الباري بالسيح الفسيح البخاري^(١):

للعلامة مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي
الشيرازي صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٧ هـ.^(٢)

وصل إلى ربع العبادات في عشرين مجلدة، وكان المصنف
قد قدر انتهاءه في أربعين مجلدًا، وذكر السخاوي في الضوء
اللامع أنه قد احتوى على الكثير من مضامين الفتوحات المكية،
ولذلك لم يعجب المحدثين، وقد وقع جزء من هذا الشرح في يد
شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر، ولكنه كان مأروصًا^(٣).

= بدون اسم. وله كتاب آخر في مناسبات تراجم أبواب البخاري سبق ذكره. وله
شرح زوائد مسلم على البخاري (تاريخ التراث ٢٠٣/١).

(١) مقدمة القسطلاني ٣٦/١ - ٣٧، كشف الظنون ٣٦٩/١، الحطة ٢١٩ وورد في
معجم المؤلفين ١١٨/١٢ «فتح الباري بالسيح الفسيح البخاري في شرح صحيح
البخاري» (المراجع) وجاء في الضوء اللامع ٨٢/١٠، والعقد الثمين ٣٩٥/٢
«الشيخ» بالشين المعجمة. وقال مؤلفه في القاموس المحيط: «السَّيْح»: الماء
الجاري الظاهر... والسَّيْح: الذهاب في الأرض للعبادة ومنه المسيح ابن
مريم، وذكرت في اشتقاقه خمسين قولاً في شرحي لصحيح البخاري وغيره. (ص
٢٨٨).

(٢) له ترجمة في: إنباء الغمر ١٥٩/٧، الضوء اللامع ٧٩/١٠، البدر الطالع ٢٨٠/٢،
العقد الثمين ٣٩٥/٢. وغيرها.

(٣) الضوء اللامع ٨٥/١٠. ولفظه: «وأما شرحه على البخاري فقد ملأه بغرائب
المنقولات سيما أنه لما اشتهرت باليمن مقالة ابن عربي وغلبت على علماء تلك
البلاد صار يُدخل في شرحه من قبوحاته الهلكية (كذا) ما كان سبباً لشين الكتاب
المذكور. ولذا قال شيخنا (يعني ابن حجر) أنه رأى القطعة التي كملت منه في حياة
مؤلفه وقد أكلتها الأرض بكمالها بحيث لا يقدر على قراءة شيء منها».

٤٧ - هداية الباري^(١) :

لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري تلميذ الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٩٢٦هـ^(٢).

وقد طبع هذا الشرح في مصر ويبدأ المتن بـ «قوله» ثم يشرحه، وقد ذكره بعض المؤرخين باسم «هداية القاريء» بدل «هداية الباري»^(٣).

٤٨ - المتجر الربيع والمسعى الرجيع^(٤) :

للعامة أبي عبدالله محمد بن (أحمد بن محمد بن) مرزوق التلمساني^(٥) المالكي شارح البردة المتوفى سنة ٨٤٢هـ^(٦).

-
- (١) مقدمة القسطلاني ٣٧/١ ولم يذكر اسمه.
 - (٢) وقال نجم الدين الغزي: «شرح البخاري جامعاً فيه ملخص عشرة شروح» الكواكب السائرة ١٩٩/١.
 - (٣) تاريخ وفاته في الكواكب السائرة ٢٠٦/١، البدر الطالع ٢٥٢/١، والإعلام للزركلي ٨٠/٣، ومعجم المؤلفين ١٨٢/٤، سنة ٩٢٦هـ وذكره في الشذرات ١٣٤/٨ فيمن توفي سنة ٩٢٥هـ. وكان في أصلنا «٩٢٨هـ» والظاهر أنه خطأ مطبعي.
 - (٤) وذكره بروكلمان (١٧٢/٣) وسزكين ١٨٨/١ باسم «تحفة الباري بشرح صحيح البخاري» وذكرنا نسخه المخطوطة. وذكر سزكين أنه «طبع في اثني عشر مجلداً بالقاهرة ١٣٢٦هـ ومنه مختصر مع هوامش لأبي الحسن محمد بن عبد الهادي السندي المتوفى ١١٣٦هـ، وطبع بالقاهرة سنة ١٣٠٠هـ.
 - (٥) مقدمة القسطلاني ٣٧/١، كشف الظنون ٣٦٩/١، الحطة ٢٣٠.
 - (٦) نسبة إلى تلمسان بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة، مدينة (عبيدالله).
 - (٦) له ترجمة في: الضوء اللامع ٥٠/٧، والبدر الطالع ١١٩/٢، نفح الطيب ٢٠٠/٣، شذرات الذهب ٢٧١/٦.

وهو شرح لم يتم أيضًا كما قال صاحب كشف الظنون.^(١)

٤٩ - شرح صحيح البخاري^(٢) :

لبرهان الدين إبراهيم بن [علي] النعماني المتوفى سنة (٨٩٨هـ)^(٣)

ووصل إلى كتاب الصلاة فقط ولم يف المؤلف ما كان التزمه.^(٤)

٥٠ - شرح صحيح البخاري^(٥) :

لأبي البقاء محمد بن علي بن خلف الأحمدى المصري الشافعى
نزىل المدينه المتوفى (بعد سنة ٩٠٩هـ)^(٦).

(١) قال ابن حجر في معجمه: «سمع منى وسمعت منه وأخذ عني قطعة من شرح البخاري» ذكره السخاوي في الضوء اللامع في الموضع المذكور.

وقال الشوكاني: وله تصانيف منها «المتجر الريح والمسعى الرجى والمرحب الفسىح فى شرح الجامع الصفىح» ولم يكمل. وأنواع الدرارى فى مكررات البخارى» (البدر الطالع ٢/١٢٠).

وذكر له سزكىن نسخة فى دار الكتب بالقاهرة. تاريخ التراث ١/١٨٣.

(٢) مقدمة القسطلانى ١/٣٧، كشف الظنون ١/٣٦٩، الحطة ٢٢٠.

(٣) له ترجمة فى الضوء اللامع ١/٧٨-٧٩.

(٤) كذا فى مقدمة القسطلانى والظاهر أن صاحب كشف الظنون أخذه منه.

وقال السخاوي: «شرع فى الجمع بين شرحى شىخنا (يعنى ابن حجر) والعينى على البخارى فكتب منه جملة مع إضافة حاصل ما اشتمل عليه انتقاض الاعتراض لذلك.» (١/٧٩) وسماه سزكىن «مزيد فتح البارى» وذكر أنه له نسخة فى الإسكوريال (١/١٨٥).

(٥) كشف الظنون ١/٣٦٩، الحطة ٢٢٠، تاريخ التراث العربى ١/١٨٦ وسماه «البارى الفصىح فى الجامع الصفىح». معجم المؤلفين ١١/٧-٨.

(٦) له ترجمة فى هدىة العارفين ٢/٢٢٤، الأعلام ٦/٢٨٩، معجم المؤلفين ١١/٨.

وهو شرح طويل، وقد ابتدأ تأليفه في سنة ٩٠٩هـ، وأعد شرحًا طيبًا اختصره من شرح الكرمانى وشرح العيني وفتح الباري، وعرف شرحه بنفسه حيث قال: جعلته كالوسيط، وبرزخًا بين الوجيز والبسيط^(١).

٥١ - نجاح القارىء^(٢):

لأبي عبدالله محمد الشهير بيوسف آفندى (زاده) المتوفى سنة ١١٦٧هـ^(٣)

توجد نسخة من هذا الشرح في مكتبة ولي الدين سلطان با يزيد الواقع في الجامع الشريفى بالقسطنطينية^(٤). ولقد شرح العلامة يوسف آفندى صحيح مسلم أيضًا.

٥٢ - بغية السامع في شرح الجامع^(٥):

لجمال الدين أبي يوسف (بن عمر بن حسن) المتوفى (في القرن العاشر الهجرى)، وتوجد له نسخة أيضًا في المكتبة المذكورة آنفًا.^(٦)

(١) كشف الظنون ١/٣٦٩.

(٢) تاريخ الأدب لبروكلمان ٣/١٧٢، وقال: في ٣٠ جزءًا، تاريخ التراث ١/١٩١.

(٣) عبدالله بن محمد بن يوسف الحلبي الحنفي الإسلامبولي. كما في سلك الدرر ٣/٨٧.

(٤) وذكر له سزكين نسخًا عديدة أخرى (١/١٩١).

(٥) ذكره سزكين باسم «بغية السامع والقارىء بشرح صحيح البخارى» (١/١٩٠).

(٦) وذكر له سزكين نسخة أخرى أيضًا توجد في دار الكتب بالقاهرة.

٥٣ - شرح صحيح البخاري^(١):

للعامة زين الدين عبدالرحيم بن عبدالرحمن بن أحمد العباسي الشافعي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ.^(٢)

وقد رتب هذا الشرح على ترتيب جديد وعجيب كما فعله الإمام ابن الأثير الجزري في جامع الأصول، وقد جرّد المصنف الفاضل الأحاديث من الأسانيد، ووضع علامة حرف، أو عدة أحرف في الهامش بمقابل الحديث، ويشير بذلك إلى من أخرج الحديث من الخمسة الذين وافقوا البخاري في تخريج هذا الحديث.

وفي نهاية كل كتاب وضع باباً لشرح الألفاظ المشككة الغريبة ووضع تلك اللفظة بعينها في الهامش عند شرحها، وقد قرظ هذا الشرح العلامة البرهان بن أبي شريف^(٣) والعلامة عبدالبر بن الشحنة^(٤).

(١) كشف الظنون ٣٦٩/١، الحطة ٢٢٠ - ٢٢١، مقدمة القسطلاني ٣٧/١، تاريخ التراث ١٨٩/١، وسماء: فيض الباري في شرح غريب صحيح البخاري، وذكر له نسخة أخرى تحمل عنوان: ضوء الساري في شرح صحيح البخاري هو نفس الكتاب في ٣٣٤ ورقة في سنة ٩٠٦ هـ بخط المؤلف (المراجع).

(٢) له ترجمة في الضوء اللامع ١٧٨/٤، ولم يذكر فيها شرح البخاري. وقال في شذرات الذهب: «ومن مؤلفاته شرح البخاري، شرحه في القاهرة، وآخر مبسوط وألفه بالروم والظاهر أنه لم يتم» (٢٣٥/٨) وقد أهدى هذا الشرح إلى السلطان بايزيد فأعطاه السلطان جائزة سنوية (الكواكب السائرة ١٦٤/٢).

(٣) في الأصل «برهان الدين أبو شريف» وما أثبتته من كشف الظنون والحطة، وهو أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد ابن أبي شريف القدسي المصري، ت ٩٢٣ هـ له ترجمة في الكواكب السائرة ١٠٢/١. وغيره.

(٤) عبدالبر بن محمد بن محمد ابن الشحنة الحنفي ت ٩٢١ هـ. المصدر السابق ٢١٩/١. والشذرات ٩٨/٨.

٥٤ - ترجمان التراجم^(١) :

لأبي عبدالله (محب الدين) محمد بن عمر بن (محمد بن) رشيد السبتي المتوفى سنة ٧٢١هـ.^(٢)

وقد تكلم المؤلف الفاضل في تراجم الأبواب فقط، ولكن الأسف أن هذا الكتاب لم يكتب له الكمال. قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر: وصل فيه إلى كتاب الصوم، ولو تم لكان في غاية الفائدة، وإنه لكثير الفائدة مع نقصه^(٣).

٥٥ - حلُّ أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة^(٤) :

للفقيه أبي عبدالله محمد بن منصور بن حمادة المغراوي السجلماسي^(٥) المتوفى سنة (؟)

وقد تكلم في مائة من تراجم أبواب صحيح البخاري.

٥٦ - إرشاد الساري^(٦) :

(١) كشف الظنون ٣٦٩/١، الحطة ٢٢١، مقدمة القسطلاني ٣٧/١، مقدمة الفتح ١٤، الأعلام ٢٠٥/٧، معجم المؤلفين ٩٣/١١.

وقد سبق ذكره في موضوع تراجم الجامع الصحيح.

(٢) في الأصل ٧٢٢هـ والتصحيح من مصادر ترجمته كما سبق.

(٣) مقدمة الفتح ١٤.

(٤) كشف الظنون ٣٦٩/١-٣٧٠، الحطة ٢٢١، مقدمة القسطلاني ٣٧/١، مقدمة الفتح ١٤.

(٥) نسبة إلى سجلماسة بكسر أوله وثانيه وسكون اللام وبعد الألف سين مهملة. مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان. (عبيد الله الرحمانى)

(٦) تاريخ التراث ١/١٨٧، كشف الظنون ٣٧٠/١، الحطة ٢٢٢.

لشهاب الدين أحمد بن محمد (بن أبي بكر) الخطيب القسطلاني
المصري صاحب المواهب اللدنية المتوفى سنة ٩٢٣هـ. (١)

وهذا الشرح يحمل المتن أيضًا، وقد مزج بين ألفاظ المتن
والشرح بحيث لو لم يخط خطأ تحت ألفاظ المتن لصعب التمييز
بين ألفاظ المتن والشرح في أكثر المواضع، وقد حل المشكلات
وقيّد المهملات ووضّح المبهمات، وكلما تكررت المفردات
الغريبة كرّر شرحها، ولهذا فهذا الشرح يساعد كثيرًا أولئك الذين
يُدْرَسون صحيح البخاري، ولا يجدون أي تعب، ويتكرر شرح
الكلمة مرتين وثلاث مرات، وقد قال مؤلفه بنفسه:

«ولم أتحاش عن الإعادة في الإفادة عند الحاجة إلى البيان» (٢)
وهذا الشرح تلخيص لعدة شروح كبيرة، أما فتح الباري فهو مصدره
الأساسي، وقد قدم الشرح بمقدمة تشتمل على عدة فصول:

الفصل الأول في: فضيلة أهل الحديث وشرفهم في القديم
والحديث.

الفصل الثاني في: ذكر أول من دون الحديث والسنن ومن تلاه
في ذلك سالكا أحسن السنن.

الفصل الثالث في: نبذة لطيفة جامعة لفرائد فوائد مصطلح
الحديث عند أهله إلخ.

(١) له ترجمة في الكواكب السائرة ١/١٢٦، شذرات الذهب ٨/١٢١، البدر الطالع
١/١٠٢.

(٢) مقدمة القسطلاني ١/٣.

الفصل الرابع: فيما يتعلق بالبخاري في صحيحه من تقرير شرطه وتحريره وضبطه وترجيحه على غيره كصحيح مسلم إلخ.

الفصل الخامس: في ذكر نسب البخاري ونسبته ومولده وبدء أمره ونشأته وطلبه العلم إلخ. وفيه سيرة الإمام البخاري وذكر شروح صحيحه.

وقد طبعت المقدمة وحدها أيضًا مع شرح موجز.^(١)

٥٧ - الخير الجاري^(٢):

للعلامة يعقوب البناني المتوفى سنة ١٠٠٣هـ.

وهذا الشرح مأخوذ من شروح القسطلاني والعيني وفتح الباري وغيرها، وطريقته التأليف بقوله «وقوله»^(٣) وتوضيحاته جيدة، وقد

(١) شرح المقدمة «نيل الأمانى في توضيح مقدمة القسطلاني» للشيخ عبدالهادي البياري المتوفى ١٣٠٥هـ وقد طبع في الهند قديمًا.

أما الشرح «إرشاد الساري» فقد ذكر له سزكين نسختًا كثيرة في مختلف أنحاء العالم كما أنه مطبوع ومعروف.

(٢) تاريخ الأدب العربي ١٧٤/٣، تاريخ التراث ١٩٠/١، وسميا مؤلفه «محمد يعقوب» بزيادة «محمد» قبل «يعقوب»، وكذلك «البناني» بزيادة الباء بين النون والألف. «وأنه كان في القرن الحادي عشر الهجري» (المراجع).

قلت: وقد ترجمه صاحب نزهة الخواطر بقوله: «الشيخ العالم المحدث أبو يوسف يعقوب البناني اللاهوري» وذكر من مؤلفاته «الخير الجاري في شرح صحيح البخاري» وكتابه «المعلم في شرح صحيح الإمام مسلم» وكتابه «المصنف في شرح الموطأ» وغيرها.

وقال: «مات سنة ١٠٩٨هـ» (نزهة الخواطر ٤٧٤/٥ - ٤٧٥).

(٣) أى أنه يذكر القطعة المراد شرحها من المتن مصدرة بكلمة «قوله» ثم بعد إتمام =

أضاف فيها المؤلف الفاضل إلى الشروح المذكورة فوائد نافعة،
ويوجد له مجلد كبير يصل إلى كتاب الزكاة في المكتبة الشرقية
ببنته، وحسب تقدير المصنف يقع في أربع مجلدات.^(١)

٥٨ - تحفة السامع والقارئ لختم صحيح البخاري:^(٢)

للعلامة القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣هـ.

وقد ذكره العلامة السخاوي في الضوء اللامع^(٣) ولم نعرف عن
ماذا يبحث فيه ولعله في بيان طريقة ختم البخاري.

٥٩ - شرح صحيح البخاري:^(٤)

للإمام رضى الدين حسن بن محمد الصّغاني الحنفي صاحب
المشارك^(٥) المتوفى سنة ٦٥٠هـ.^(٦)

= القطعة يأتي بشرحها.

(١) ذكر له بروكلمان نسخة أخرى في رامبور، ولكن أسقطها سزكين.

(٢) كشف الظنون ١/٣٧١، الحطة ٢٢٣.

(٣) الضوء اللامع ٢/١٠٤.

(٤) كشف الظنون ١/٣٧١، الحطة ٢٢٣، الإعلام ٢/٢٣٢، ولم يذكره بروكلمان ولا
سزكين.

(٥) يعنى كتاب «مشارك الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية» مطبوع عدة
طباعات. وهو غير «مشارك الأنوار على صحاح الأخبار» للقاضي عياض وهو أيضاً
مطبوع. وللصغاني أيضاً «أسامى شيوخ البخاري» طبع مؤخراً مصوراً من النسخة
الخطية الموجودة في تركيا. نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

(٦) له ترجمة في: معجم الأدباء ٩/١٨٩، بغية الوعاة ١/٥١٩، شذرات الذهب
١١٣/٥.

وهو شرح موجز في مجلد واحد فقط. ومن تأليفاته أيضاً كتاب الموضوعات وقد طبع في مصر.

٦٠ - الكوثر الجاري على رياض البخاري: (١)

للفاضل أحمد بن إسماعيل (بن عثمان) الكوراني المتوفى سنة ٨٩٣هـ. (٢)

وهو شرح متوسط، يرد فيه كثيراً على العلامة الكرمانى، وشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر، وضبط الأسماء التي يخشى فيها من الاشتباه، وحل الكلمات الغربية بجودة، وقبل بداية الشرح ذكر سيرة رسول الله ﷺ ومناقب المؤلف ومزايا صحيح البخاري، وقد فرغ المؤلف من تأليفه في سنة ٨٧٤هـ في جمادى الأولى (٣) وتوجد نسخته في مكتبة أيا صوفيا بالقسطنطينية. (٤)

٦١ - شرح صحيح البخاري: (٥)

للإمام عفيف الدين سعيد بن (محمد بن) مسعود الكازروني المتوفى سنة ٧٥٨هـ.

-
- (١) مقدمة القسطلاني ٣٧/١، كشف الظنون ٣٧١/١، الحطة ٢٢٣، تاريخ الأدب العربي ١٧٠/٣، تاريخ التراث العربي ١٨٦/١.
 - (٢) له ترجمة في: الضوء اللامع ٢٤١/١، وذكر من مؤلفاته «شرحاً على البخاري»، نظم العقيان للسيوطي ص ٣٨، معجم المؤلفين ١٦٦/١.
 - (٣) كشف الظنون ٣٧١/١.
 - (٤) ونسخ أخرى ذكرها سزكين (١٨٦/١).
 - (٥) كشف الظنون ٣٧١/١، الحطة ٢٢٣، معجم المؤلفين ٢٣١/٤، هدية العارفين ٣٩١/١.

أقام بمدينة شیراز وألف شرحه هناك.

٦٢ - شرح صحيح البخاري: (١)

للإمام زين الدين أبي محمد عبدالرحمن بن أبي بكر العيني الحنفي
المتوفى سنة ٨٩٣هـ. (٢)

وهو شرح يقع في ثلاث مجلدات و متن صحيح البخاري كتب
على هامشه.

٦٣ - التوضيح للأوهام الواقعة في الصحيح: (٣)

لأبي ذر أحمد بن إبراهيم (بن محمد بن خليل) ابن السبط الحلبي
المتوفى سنة ٨٨٤هـ. (٤)

وقد اختصره المؤلف من شرح الكرمانى وفتح الباري وشرح
البرماوي.

٦٤ - التوضيح لمبهمات الجامع الصحيح:

-
- (١) كشف الظنون ١/ ٣٧١، الحطة ٢٢٤.
- (٢) له ترجمة في: الضوء اللامع ٤/ ٧١، وقال: «يعرف كسلفه بابن العيني» هدية العارفين ٢/ ٢١٥، وهو غير «العيني» صاحب عمدة القارىء.
- (٣) كشف الظنون ١/ ٣٧١، الحطة ٢٢٤، تاريخ التراث ١/ ١٨٦، وله «الدر في شرح صحيح البخاري» انظر تاريخ الأدب لبروكلمان ٣/ ١٧٠ (المراجع).
- (٤) له ترجمة في: الضوء اللامع ١/ ١٩٨ وقال: أفرد مبهمات البخاري وكذا إعرابه بل جمع عليه تعليقاً لطيفاً لخصه من الكرمانى والبرماوي وشيخنا. وآخر اختصر منه، وله «التوضيح للأوهام الواقعة في الصحيح ومبهمات مسلم أيضاً (١/ ١٩٨- ١٩٩) شذرات الذهب ٧/ ٣٣٩.

له أيضًا. ويظهر موضوع بحثه من اسمه، ولم يذكر صاحب كشف
الظنون شيئًا من تفاصيله^(١).

٦٥ - شرح صحيح البخاري: (٢)

لفخر الإسلام علي بن البزدوي الحنفي المتوفى سنة ٨٩٤هـ^(٣)
وهو أيضًا شرح موجز.

٦٦ - فيض الباري في شرح غريب صحيح البخاري: (٤)

للعلامة عبدالرحيم بن عبدالرحمن العباسي المتوفى سنة ٩٦٣هـ.

وتوجد نسخته في مكتبة الجامع الشريفى للسلطان عبدالحميد
خان الأول في قسطنطينية.

(١) وكانت توجد نسخة لهذا الكتاب في مكتبة المخطوطات بدار العلوم في ألمانيا قبل
الحرب العالمية الثانية (عبدالله الرحمانى).

(٢) كشف الظنون ١/٣٧١، الحطة ٢٢٤.

(٣) هكذا كتب صاحب كشف الظنون وصاحب الحطة سنة وفاته، وأما صاحب مفتاح
السعادة ٢/٥٥، ومعجم المؤلفين ٧/١٩٢، وصاحب الأعلام ٥/١٤٨ فذكروا سنة
وفاته ٤٨٢هـ، وذكروا له كتابًا باسم «شرح الجامع الصحيح» وسلسلة نسبه هكذا:
علي بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد البزدوي
أبو الحسن فخر الإسلام، وهكذا ذكر سنة وفاته صاحب كشف الظنون حيث ذكر
كتابه المبسوط، انظر كشف الظنون ١/٣٨١ أيضًا ٢/٣٧٢ (المراجع).

(٤) تقدم ذكره برقم (٥٣). وقد تقدم هناك أيضًا أن صاحب شذرات الذهب ذكر له
شرحين أحدهما ألفه في مصر، ثم شرحا آخر مبسوطًا ألفه في الروم. والظاهر أن
هذا الأخير لم يتم. وذكر صاحب تاريخ التراث شرحه بهذا الاسم (١/١٨٩)
ونسخة أخرى بعنوان «ضوء الساري في شرح صحيح البخاري».

٦٧ - كتاب النجاح في شرح كتاب أخبار الصحاح: (١)

للإمام نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي الحنفي المتوفى
سنة ٥٣٧هـ. (٢)

ذكر المؤلف في أوله أسانيده إلى الإمام البخاري من خمسين
طريقاً. ولم يذكر صاحب كشف الظنون شيئاً غير هذا. (٣)

٦٨ - شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: (٤)

للشيخ جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك النحوي المتوفى
سنة ٦٧٢هـ. (٥)

(١) كشف الظنون ١/٣٧١، الحطة ٢٢٤، معجم المؤلفين ٣٠٦/٧.

(٢) صاحب «العقائد النسفية» من أهل NSF، سكن سمرقند. مترجم في سير أعلام
النبلاء ١٢٦/٢٠، وكتابه «القند في ذكر علماء سمرقند» مطبوع عن نسخة ناقصة من
أولها وآخرها. حققه نظر محمد الفاريابي. نشر مكتبة الكوثر، الرياض ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

له ترجمة أيضاً في: لسان الميزان ٤/٣٢٧، الفوائد البهية ١٤٩.

(٣) قال الذهبي: «له نحو من مائة مصنف». وقال السمعاني: «كان ممن أحب الحديث
وطلبه ولم يرزق فهمه». وقال أيضاً: وأما مجموعاته في الحديث فطالعت منها
الكثير وتصفحتها فرأيت فيها من الخطأ وتغيير الأسماء واسقاط بعضها شيئاً كثيراً
وأوهاماً غير محصورة، ولكن كان مرزوقاً في الجمع والتصنيف. (التحبير ١/٥٢٧
٥٢٨).

(٤) كشف الظنون ١/٢٧١، الحطة ٢٢٤، تاريخ الأدب لبروكلمان ٣/١٦٨، وقال: وله
أيضاً: التوضيح في إعراب البخاري، تاريخ التراث ١٧٨٦١ (المراجع).

(٥) له ترجمة في: الوافي بالوفيات ٣/٣٥٩، طبقات السبكي ٨/٦٧، السلوك لمعرفة
دول الملوك ٢/٨٨، شذرات الذهب ٥/٣٩٩ وغيرها.

وقد ذكر فيه شواهد للمسائل الإعرابية المشككة في صحيح البخاري التي تخالف القواعد النحوية في الظاهر، وقد طبع في إله آباد^(١)

٦٩ - فيض الباري: (٢)

للسيد العلامة عبدالأول الجُونُفُورِي، المتوفى سنة ٩٦٨ هـ. (٣)

٧٠ - نور القاري: (٤)

للشيخ نور الدين (أحمد بن محمد صالح) الأحمد آبادي المتوفى سنة ١١٥٥ هـ. (٥)

وقد ذكر هذا الشرح والذي قبله العلامة أبو الطيب النواب صديق حسن خان في كتابه القيم «إتحاف النبلاء» وأخذه من «مآثر الكرام للآزاد البلكرامي».

(١) ثم صدرت له طبعات أخرى عديدة.

(٢) إتحاف النبلاء ٣٠٢، نزهة الخواطر ٤/١٥٠، وسماه صاحب هدية العارفين «فتح الباري شرح الجامع الصحيح للبخاري» وسمى مؤلفه «عبدالأول بن ميرعلائي الحسيني الزيدفوري توفي بدھلي سنة ٩٦٨ هـ» (٤٩٣/٥) والظاهر أنهما واحد. ولم يذكره سزكين.

(٣) الشيخ العالم المحدث عبدالأول بن علي بن علاء الحسيني الجونبوري، أحد كبار الفقهاء الحنفية كان أصله من زيدبور من أعمال جونبور وانتقل أحد آبائه إلى أرض الدكن. . . . توفي بدھلي سنة ٩٦٨ هـ (نزهة الخواطر ٤/١٤٩ - ١٥٠).

(٤) إتحاف النبلاء ص ٣٢٧، وله ذكر أيضاً في: إيضاح المكنون ٢/٦٨٦، أبجد العلوم ٣/٢٤٠، نزهة الخواطر ٦/٤٠٢.

(٥) له ترجمة في هدية العارفين ١/١٧٣، وأبجد العلوم، ونزهة الخواطر، ومعجم المؤلفين ٢/١١١.

٧١ - شرح صحيح البخاري: (١)

للقاضي مجد الدين (أبي الفداء) إسماعيل بن إبراهيم البليسي (٢)
المتوفى سنة ٨٠٢ هـ. (٣)

٧٢ - شرح صحيح البخاري: (٤)

للقاضي زين الدين عبدالرحيم ابن الركن أحمد المتوفى سنة
٨٦٤ هـ.

لم يذكر صاحب الحطة شيئاً من أوصاف هذه الشروح، وكذلك
سكت عليها صاحب كشف الظنون أيضاً.

٧٣ - الفيض الجاري (٥):

لإسماعيل (بن محمد بن عبدالهادي) العجلوني المتوفى سنة

(١) كشف الظنون ٣٧١/١، هدية العارفين ٢١٥/١، الحطة ٢٢٤، معجم المؤلفين
٢٥٧/٢.

(٢) نسبة إلى بليس بكسر الباءين وسكون اللام والياء وسين مهملة. كذا ضبطه نصر
الأسكندري، قال: والعامّة تقول: بليس (بفتح الباء الثانية) (المؤلف).

(٣) وتاريخ وفاته في الأصل تبعاً لكشف الظنون وعنه الحطة «٨١٠ هـ». وما أثبتته من
مصادر ترجمته. وله ترجمة في: انباء الغمر ١٥٨/٤، الضوء اللامع ٢٨٧/٢،
حسن المحاضرة ٣٧١/١، الحطة ٢٢٤.

(٤) كشف الظنون ٢٢٠/١، الحطة ٢٢٤.

(٥) هدية العارفين ٢٢٠/١، سلك الدرر ٢٥٦/١، وفيه: وقد كتب من مسوداته مائتين
واثنين وتسعين كراسة وصل فيها إلى قول البخاري «باب مرجع النبي ﷺ من
الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم من المغازي، ولو كمل هذا
الشرح لكان من نتائج الدهر».

١١٦٢هـ^(١). تلميذ السُّنْدِي. ^(٢)

وقد بدأ تأليفه سنة ١١٤١هـ حينما كان يدرس صحيح البخاري في قبة النسر من الجامع الأموي، وبين سبب تأليفه في كتابه الفوائد الدراري في ترجمة البخاري. ^(٣)

٧٤ - شرح غريب صحيح البخاري ^(٤):

لأبي الحسن محمد بن أحمد الجَيَّانِي ^(٥) النحوي المتوفى سنة ٥٤٠هـ.

لم يذكر صاحب الحطة ولا العجلوني شيئاً عن تفاصيل هذا الشرح، وكذلك سكت عليه صاحب كشف الظنون والعلامة القسطلاني أيضاً.

٧٥ - شرح صحيح البخاري ^(٦):

للقاضي أبي بكر محمد بن عبدالله العربي المالكي الحافظ المتوفى

(١) هو صاحب كتاب «كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس» وهو مشهور ومعروف. له ترجمة أيضاً في معجم المؤلفين ٢/٢٩٢.

(٢) أبو الحسن بن عبد الهادي السندي ثم المدني ت ١١٣٦هـ. ذكره صاحب سلك الدرر في شيوخ العجلوني. وله ترجمة في معجم المؤلفين ٣/٢٤٣.

(٣) ذكر له بروكلمان ٣/١٧٤، وسزكين ١/١٩١ نسخاً مخطوطة.

(٤) كشف الظنون ١/٣٧١، هدية العارفين ٢/٨٩، الحطة ٢٢٤، معجم المؤلفين ٨/٢٤٨.

(٥) نسبة إلى جَيَّان بفتح الجيم ثم تشديد التحتية وآخره نون. مدينة (عبيدالله الرحمانى) بالأندلس (معجم البلدان ٢/١٩٥).

(٦) كشف الظنون ١/٣٧١، هدية العارفين ٢/٩٠، الحطة ٢٢٤.

سنة ٥٤٣ هـ. (١)

ولم يذكر أحد من صاحب كشف الظنون ولا صاحب الحطة شيئاً من أحوال هذا الشرح أيضاً. (٢)

٧٦ - صيانة القارىء عن الخطأ في صحيح البخاري (٣):

لأبي الحسن علي بن ناصر الدين المتوفى سنة (٩٣٩ هـ)

٧٧ - معونة القارىء (٤):

لأبي الحسن علي بن ناصر الدين محمد بن محمد المالكي المتوفى سنة (٩٣٩ هـ) (٥)

(١) سير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠، وذكره في العبر في وفيات ٥٤٦ وكذا صاحب شذرات الذهب ١٤١/٤. وقال في التذكرة (١٢٩٧/٤) أن الأول هو الصحيح، وهو صاحب كتاب «عارضة الأحوزي في شرح الترمذي» وهو مطبوع ومعروف، وطبع له مؤخراً «كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس» بتحقيق الدكتور محمد عبدالله ولد كريم، طبع دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٢ م.

(٢) أحصى محقق كتاب القبس مؤلفات ابن العربي من مختلف المصادر فذكر فيها كتاب «النيرين في شرح الصحيحين» وكتاب «شرح الصحيح». وذكر الأول منهما صاحب شجرة النور الزكية ١٣٦/١.

(٣) انظر التعليق الآتي بعده

(٤) أظن أن الشرحين لمؤلف واحد، هو أبو الحسن علي بن ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن خلف المنوفي المصري الشاذلي، توفي عام ٩٣٩ هـ، انظر الأعلام ١٦٤/٥، معجم المؤلفين ٢٣٠/٧.

وذكر الشرح الثاني بروكلمان ١٧٤/٣ بهذا الاسم، ولكنه في تاريخ التراث، بالهمزة بدل العين، انظر تاريخ التراث ٨٩/١، (المراجع).

(٥) له ترجمة في: هدية العارفين ٧٤٣/١، شجرة النور الزكية ٢٧٢/١.

وقد ذكر هذين الشرحين العلامة العجلوني في كتابه القيم
الفوائد الدراري، وعلي بن ناصر الدين هو من تلامذة الإمام
السيوطي.

٧٨ - شرح صحيح البخاري^(١):

لشهاب الدين أحمد بن رسلان المقدسي الرَّملي الشافعي
المتوفى سنة ٨٤٤هـ.^(٢)

وهذا الشرح يقع في ثلاث مجلدات.^(٣)

٧٩ - إضاءة الدراري^(٤):

للعلامة الشهاب أحمد (بن علي بن عمر بن صالح) المَينِيّ^(٥)
العثماني المتوفى سنة ١١٧٢هـ. وقد ذكر هذا الشرح ابن عابدين

(١) الضوء اللامع ١/٢٨٥، كشف الظنون ١/٣٧١، شذرات الذهب ٧/٢٤٩، البدر
الطالع ١/٥١، الحطة ٢٢٤، معجم المؤلفين ١/٢٠٤.

(٢) أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن يوسف بن علي بن أرسلان، وقد تحذف
الألف ويعرف بابن رسلان. (الضوء اللامع ١/٢٨٢) وله ترجمة أيضاً في: طبقات
المفسرين للداودي ١/٣٨، الأنس الجليل ٢/١٧٤.

(٣) ذكر السخاوي أنه «وصل فيه إلى آخر الحج، قيل في ثلاث مجلدات» وكذا ذكره
الشوكاني في البدر الطالع. (١/٥١).

(٤) سلك الدرر ١/١٣٥، وقال: «وصل فيه إلى كتاب الصلاة ولم يكمله» هدية
العارفين ١/١٧٥، معجم المؤلفين ٢/١٥.

(٥) المينيني منسوب إلى مَينين بالفتح ثم الكسر ثم ياء مثناة ونون أخرى قرية في جبل
سنير من أعمال الشام، وقيل من أعمال دمشق. (المؤلف) وانظر أيضاً الباب
(٣/٢٦٦).

(صاحب رد المحتار) في ثبته. ^(١)

٨٠ - مصباح القاري ^(٢) :

للإمام عبدالرحمن الأهدل ^(٣) اليمني المتوفى (سنة ٨٥٥ هـ).

وقد ذكر هذا الشرح والذي قبله العلامة صديق حسن خان في كتابه الحطة ^(٤).

٨١ - شرح صحيح البخاري ^(٥) :

لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني الحافظ المتوفى سنة ٥٣٥ هـ. ^(٦)

(١) توجد له نسخة في الظاهرية كما ذكر سزكين وسماء «الدراري» بدون لفظة «إضاءة» في أوله.

(٢) كشف الظنون ١/٣٧١، الحطة ٢٢٤.

(٣) قال الشوكاني في البدر الطالع ١/٢١٨: الحسين بن عبدالرحمن الحسيني العلوي الشافعي المعروف بالأهدل صنف حاشية على البخاري انتقاها من شرح الكرمانى مع زيادة سماها مفتاح القاري لجامع البخاري. المتوفى سنة ٨٥٥ هـ. (عبيدالله الرحمانى) وكذا ذكره السخاوي أيضاً: الضوء اللامع ٣/١٤٥ - ١٤٧، معجم المؤلفين ٤/١٥، ولد بالفخرية من بلاد اليمن. (المراجع).

قلت: وهناك عبدالرحمن بن سليمان بن يحيى الأهدل ت ١٢٥٠ هـ ولكن صاحب كشف الظنون توفي قبله في سنة ١٠٦٧ هـ فلا يمكن أن يكون هو المراد هنا. وقد ترجمه العلامة صديق حسن خان في أبجد العلوم ٣/١٨٨ ولم يذكر من مؤلفاته شرحاً للبخاري. والله أعلم.

(٤) الحطة ٢٢٤.

(٥) كشف الظنون ١/٣٧١، الحطة ٢٢٤، الأعلام ١/٣٢٢، معجم المؤلفين ٢/٢٩٣.

(٦) مترجم في سير أعلام النبلاء ٢٠/٨٠ وغيره.

وقد سكت المؤرخون عن بيان أوصاف هذا الشرح أيضًا.^(١)

٨٢ - ضوء الدّراري:

للعلامة غلام علي البلجرامي الأديب صاحب التصانيف المتوفى
سنة ١٢٠٠هـ.^(٢)

وهو من أول الكتاب إلى آخر كتاب الزكاة، وقد ذكر المؤلف
نفسه هذا الشرح في كتابه القيم «سبحة المرجان»^(٣) وقد ذكر
العلامة صديق حسن خان^(٤) أنه بدأ تأليف هذا الشرح بتوسع إلا
أنه لم يتم.

(١) قال الذهبي في السير: «وأملني جملة من شرح الصحيحين» (٨٤/٢٠) وفي طبقات
الشافعية للأسنوي نقلًا عن أبي موسى المدني: «وشرح صحيح البخاري وصحيح
مسلم، وكان ابنه قد شرع فمات في حياته فأتمهما» (٣٦٠/١).

وانظر أيضًا: طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٥٩٢/٢، طبقات الحفاظ
للسيوطي ٤٦٤، وطبقات المفسرين له ص ٣٨، وطبقات المفسرين للداودي
١١٤/١، شذرات الذهب ١٠٦/٤، هدية العارفين ٢١١/١.

(٢) له ترجمة في أبجد العلوم ٢٥١/٣، ووقع فيه تاريخ وفاته في ١١٩٤هـ، وفي نزهة
الخواطر كما هنا «١٢٠٠هـ» وذكر فيه هذا الشرح وقال: إلى آخر كتاب الزكاة، وقفت عليه
في خزانة السيد نور الحسن بن صديق حسن القنوجي بخط المصنف إلخ» (٢٠٩/٦).

(٣) سبحة المرجان ص ١١٢.

(٤) الحطة ص ٢٢٧، أبجد العلوم ٢٥١/٣، الأعلام ٣١٤/٥، ومما جاء في الحطة
عن مقدمة مصنفه: «لما وصلت إلى المدينة المؤسسة في أوائل ١١٥١هـ واتفق
بعونه تعالى قراءتي صحيح البخاري ومطالعة شرحه المسمى بإرشاد الساري...
هممت أن التقط منه ما يتعلق بمتن الحديث من حل المباني وتحقيق المعاني
مقتصرًا عليه عن أسماء الرجال، ثانيًا عنان القلم عن طول المقال، وأنتخب منه ما
أقرأ كل يوم وإن كان كثيرًا، وأزيد عليه من الفوائد شيئًا يسيرًا إلى إلخ».

وهذا يدل على أنه تلخيص لإرشاد الساري مع بعض الزيادات. والله أعلم.

٨٣ - ضياء الساري^(١) :

للعلامة عبدالله بن الشيخ سالم (بن محمد) البصري المالكي
المتوفى سنة ١١٣٤هـ.^(٢)

وقد ذكر هذا الشرح العلامة النواب صديق حسن خان في
الحطة (ص ٢٢٧) والعلامة العجلوني في الفوائد الدراري، وتوجد
له نسخة في مكتبة نور عثمانية في الجامع الشريف بالقسطنطينية،
وكذلك في مكتبة السلطان با يزيد بالقسطنطينية^(٣).

٨٤ - سلم القاري^(٤) :

للعلامة السيد محمد بن أحمد الأهدل اليمني المتوفى سنة
١٢٩٨هـ.^(٥)

وقد ذكره العلامة صديق حسن خان في الحطة.

٨٥ - النور الساري^(٦) :

-
- (١) الحطة ٢٢٧، إيضاح المكنون ٧٥/٢، هدية العارفين ٤٨٠/١، الأعلام ٢١٩/٤،
معجم المؤلفين ٥٦/٦.
- (٢) له ترجمة أيضاً في أبجد العلوم ١٧٧/٣ وفيه أنه قرأ صحيح البخاري في جوف
الكعبة وذكر له أعمالاً أخرى تتعلق بصحيح البخاري.
- (٣) وهو ما بين القسطلاني وفتح الباري في الحجم، ووصل إلى ثلث الكتاب.
(المؤلف) وذكر له سزكين نسختين في تركيا ليس منهما نسخة با يزيد (١/١٩٠).
- (٤) الحطة ٢٢٨، الأعلام ٢٤٤/٦، معجم المؤلفين ٢٧٣/٨ وهو «حاشية على الجامع
الصحيح للبخاري» كما ذكر ابن زبارة في نيل الوطر (٢/٢٢٥).
- (٥) له ترجمة أيضاً في: هدية العارفين ٣٨٠/٢، نيل الوطر ٢/٢٢٤.
- (٦) تاريخ الأدب لبروكلمان ١٧٦/٣، تاريخ التراث ١٩٢/١، معجم المؤلفين =

للعلامة الشيخ حسن العِدوي (الحمزاوي المالكي) المتوفى
١٣٠٣هـ.

وقد طبع في القاهرة سنة ١٢٧٩هـ في حاشية صحيح البخاري
المطبوع في عشرة مجلدات، وقد ذكره صاحب اكتفاء القنوع^(١).

٨٦ - حل صحيح البخاري:

أى النسخة القديمة الصحيحة مع حل المشكلات والحواشي
وإختلاف النسخ، وهي من خزانة كتب العلامة شمس العلماء مولانا
السيد نذير حسين المحدث الدهلوي المتوفى سنة ١٣٢٠هـ.

وهي نسخة واضحة وقديمة بخط جميل مع ذكر الاختلاف بين
النسخ وحل المشكلات والحواشي. انتهت في ثلاثين مجلدًا
ضخمًا، وإن مجرد النظر إليها يدل دلالة واضحة على قدمها،
وهي النسخة التي كان يملكها كبار الأساتذة والشيخوخ عند
تدريسهم. ولقد علق عليها وأورد كثيرًا من النكات فيها كبار
الفضلاء في مختلف العصور، ولما كانت الحواشي قد كتبت في
أيام مختلفة فلا يوجد لها ترتيب خاص، فكلُّ كتب حيثُ وجد
مكانيًا لذلك، وتوجد فيه حواشي أيضًا كتبها شيخ الكل^(٢) رحمه

= ٢٤٤/٣، الأعلام ٢١٤/٢ وقال: في خمس مجلدات.

(١) اكتفاء القنوع ١٢٦، وقال طبع في القاهرة سنة ١٢٧٩هـ على هامش البخاري في
عشرة أجزاء، وفي سنة ١٣٠٣هـ في القاهرة في أربعة أجزاء (المراجع).

(٢) لقب للإمام المحدث السيد نذير حسين الدهلوي، مجدد علوم السنة النبوية في
القارة الهندية، والوريث العلمي لأسرة ولى الله الدهلوي ولد في إحدى قرى ولاية
بيهار في سنة ١٢٢٠هـ، درس على علماء تلك الناحية ثم رحل إلى دهلي العاصمة =

الله بيده، وهكذا بعد مدة طويلة وصلت هذه النسخة إلى كمالها.

وكان شيخ الكل رحمه الله يحرص على هذه النسخة أشد الحرص، وكانت أعز عليه حتى من حياته، والحمد لله لقد تشرفت عيوني أيضاً برؤية هذه النسخة، ومجلداتها الآن بين يديّ، وكل جزء من الثلاثين جزءاً في مجلد منفصل، وتوجد في الحواشي الرموز التالية:

= العلمية والسياسية في الهند، ولازم الشيخ محمد إسحاق الدهلوي (ت ١٢٦٢هـ) رحمه الله ثلاثة عشر عاماً فلما هاجر الشيخ إلى مكة المكرمة في شوال ١٢٥٨هـ استخلف تلميذه النابغة السيد نذير حسين رحمه الله ليتولى مسند درسه من بعده وظل يدرس أكثر من ستين عاماً، ينشر علوم الكتاب والسنة ويقوم بالإفتاء والدعوة والوعظ والتذكير، حتى تخرج على يديه آلاف من طلبة العلم في القارة الهندية وغيرها.

يقول عنه تلميذه العلامة شمس الحق العظيم آبادي «وإني صحبته ولازمته قريباً من ثلاث سنين واستفقت منه فيوضاً كثيرة، ووجدته إماماً في التفسير والحديث والفقه، عاملاً بما فيها، حسن العقيدة، ملازماً لتدريس القرآن والحديث ليلاً ونهاراً، كثير الصلاة والتلاوة والتخشع والبكاء، حسن الخلق، كثير التودد لا يحسد ولا يحقد، منكسر النفس، ولم أر في زمننا من أهل العلم أكثر عبادة منه وكان يطيل الصلاة جداً ويمد ركوعها وسجودها، وكان يعظ الناس كل يوم بعد صلاة الصبح بالمسجد ويجتمع في مجلسه خلق كثير، ولو حلفت بين الركن والمقام أنني ما رأيت بعيني مثله ولا رأي هو مثل نفسه في العلم والعبادة والزهد والصبر والكرم والخلق والحلم ما حنثت، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر في معناه مثله، إلخ. (مقدمة غاية المقصود ١/ ٥٤-٥٥).

وثناء الأئمة والعلماء عليه كثير ولكن ليس هذا مجال التفصيل والتوسع في ذلك. توفي رحمه الله سنة ١٣٢٠هـ. لم يتفرغ للتصنيف والتأليف ولكن له كتاب مائع في بحث الاجتهاد والاتباع والتقليد يسمى «معيار الحق» وله مجموعة فتاوى في مجلدين بالاضافة إلى أبحاث ورسائل أخرى.

د - م - ك - تو - ت - ج - جامع الأصول - ق - ف - ع - ز - ذ
- تن - توسل - تق - هب - توصل - ن - ب - خ - أنساب - صحاح
- إكمال - استيعاب - كاشف - قاضيخان . ولكن كثيرًا من الهوامش
وضعت بدون علامة .

وهذه النسخة من مآثر السلف من حيث قدمها وصحتها وإحاطتها
للسنخ المختلفة وحلها للمشكلات والحواشي، وهي درة ثمينة لا
تقدر بثمن، ومن أساليبه في حل المشكلات أنه إذا أثرت مشكلة
كتب حلها من شروح مختلفة، وهكذا اجتمعت في حاشية واحدة
شروح مختلفة مثل فتح الباري والكرماني والقسطلاني والداؤدي
والتوشيح والتنقيح والخير الجاري وغيرها . والنسخة التي طبعت
لأول مرة في الهند بحواشي الشيخ أحمد علي^(١) : إنما هي مقتبسة
من هذه النسخة، وقد استعارها من شيخ الكل وطبع عليها
نسخته، وكانت بينهما صلات وعلاقات قديمة، وإن شرح
الداؤدي الذي قال عنه الشيخ السهارنفوري بأنه كان موجودًا في
الأصل المنقول عنه، وإليه أشير بحرف «د»، لا يُعرف له وجود
في غير هذه النسخة، ولقد زاد عليها الشيخ السهارنفوري تأويل
الأحاديث وتأييده لمذهب الحنفية فقط، وذلك أخذًا من العيني
شرح البخاري، وكتب الأصول للحنفية، ومع أن كلاً من شيخ
الكل رحمه الله والشيخ أحمد علي كانا من تلامذة الشيخ محمد
إسحاق، ولكن الشيخ أحمد علي كان إذا ورد دهلي يجلس في
مجلسه ساكنًا جاثيًا على ركبته حتى ينتهي الطلبة من دروسهم،

(١) سيأتي ذكره وذكر حاشيته على صحيح البخاري بعد قليل .

فإذا فرغ الشيخ من درسه بدأ الكلام بينهما، وكانت تجري بينهما محادثات تنم عن اخلاصهما في المودة، وفي أغلب الأحيان كان كلامهما يدور حول الفتاوى يعرضها الشيخ أحمد علي، أو في مسائل علمية أخرى، ولم يزل محافظاً على خلقه هذا طيلة حياته، وإن خير شاهد على هذا تلك الرسائل التي كان يكتبها الشيخ أحمد علي بخط يده إلى شيخ الكل، وهي محفوظة لدى الشيخ شمس الحق^(١).

٨٧ - حل صحيح البخاري:

للشيخ أحمد علي السهارنفوري تلميذ شيخ شيخنا الشيخ محمد إسحاق المحدث الدهلوي المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ.^(٢)

والنسخة الأصلية التي أُخِذَتْ عنها هذه النسخة ثمينة جداً، وهي التي كان استعارها من الشيخ العلامة السيد نذير حسين المحدث الدهلوي، وقد مرت التفاصيل عنها فيما سبق، وجزى الله الشيخ أحمد علي فقد طبع صحيح البخاري مع عناية بالغة في التصحيح وعلق عليه ونشره في جميع الهند التي ما كانت تعرف من العلوم الإسلامية غير الفقه الحنفي إلا قليلاً والفضل في ذلك القليل راجع إلى الشاه ولي الله وأسرته^(٣)، ولكنني مضطر إلى أن

(١) ويشهد على ذلك أيضاً تلامذته القدامى (المؤلف) والشيخ شمس الحق هو العلامة المحدث العظيم آبادي صاحب عون المعبود شرح سنن أبي داود، والتعليق المغني على سنن الدارقطني وغيرهما من الكتب العظيمة المشهورة. توفى رحمه الله في ١٣٢٩ هـ.

(٢) له ترجمة في نزهة الخواطر ٥٠/٧ وتاريخ وفاته فيه ١٢٩٧ هـ.

(٣) أى أنهم قاموا بنشر علوم الكتاب والسنة خارج نطاق الجمود الفقهي، فكانوا سبباً =

أقول مع الأسف إن الشيخ أحمد علي وإن كان له شرف التلمذ على بيت ولي الله، لم يستطع أن يسلم من جادة المقلدين العامة، ومن عاداتهم أنهم إذا أرادوا شرح حديث يكون هدفهم الأهم مع الأهداف الأخرى أن يُخضعوا هذا الحديث لمذهب إمامهم أو قواعده المخترعة، وهذه طريقة متبعة بينهم، فكيف كان للشيخ أحمد أن يسلم منها ولذلك جعل صحيح البخاري من أوله إلى آخره يخضع لمذهب الحنفية مستمداً ذلك من شرح العيني وغيره من كتب أصول المذهب الحنفي فتحمل تعباً كثيراً، وتجشم مشقات في تأويل النصوص، ولجأ إلى تأويلات باردة جداً. فلو كان الشيخ السهارنفوري قد اكتفى بالنسخة المنقول عنها فقط، أو زاد إليها من الدقائق الحديثية، ولم يجعل النصوص تخضع لمذهبه لرأينا اليوم جماعة كبيرة من المحدثين في الهند ولانتشر الذوق العلمي التحقيقي. وقد كتب الشيخ أحمد علي مقدمة أيضاً لهذه التعليقات، وفيها أمور مفيدة فيما يتعلق بصحيح البخاري عدا ما ذكر فيها من أصول الحديث، وهذه المقدمة مأخوذة بمعظمها من مقدمة فتح الباري ومقدمة القسطلاني، وبعض مضمونها مأخوذ من رسالة تراجم أبواب البخاري للشاه ولي الله الدهلوي أيضاً^(١).

٨٨ - تعلية على صحيح البخاري: (٢)

= في تنوير بصائر الناس وتوسيع آفاقهم وتعريفهم بعلوم الكتاب والسنة والاستفادة منها.

(١) هذه الحاشية مطبوعة في الهند مع متن صحيح البخاري.

(٢) كشف الظنون ٣٧١/١، الحطة ٢٢٤ - ٢٢٥، هدية العارفين ٨٣٩/١، معجم المؤلفين ١٥٤/٨.

للمولى لطف الله بن حسن التوقاني المقتول سنة ٩٠٠هـ،
وتتعلق هذه الحواشي بأوائل صحيح البخاري فقط. (١)

٨٩ - تعلية: (٢)

للعامة شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا المتوفى
سنة ٩٤٠هـ. (٣)

ولم نعرف شيئاً عن هذه التعليقة.

٩٠ - تعلية: (٤)

للمولى فضيل بن علي الجمالي المتوفى سنة ٩٩١هـ. (٥)

ولم يذكر صاحب كشف الظنون ولا العامة القسطلاني ولا
العامة العجلوني شيئاً عن هذه التعليقة أيضاً.

٩١ - تعلية: (٦)

(١) له ترجمة في: الكواكب السائرة ٣٠١/١، شذرات الذهب ٢٣/٨، وذكرنا تاريخ
قتله في ٩٠٤هـ.

(٢) كشف الظنون ٣٧١/١، الحطة ٢٢٥، وفي هدية العارفين «شرح الجامع الصحيح
للبخاري» ١٤١/١.

(٣) له ترجمة في: الكواكب السائرة ١٠٧/٢، شذرات الذهب ٢٣٨/٨.

(٤) كشف الظنون ٣٧٢/١، الحطة ٢٢٥.

(٥) له ترجمة في: هدية العارفين ٨٢٢/١، شذرات الذهب ٢٢٣/٨، الأعلام
١٥٣/٥، معجم المؤلفين ٧٧/٨. وكان اسمه في الأصل «فضل... الجمال»
والتصويب من مصادر ترجمته.

(٦) كشف الظنون ٣٧٢/١، شذرات الذهب ٣٥٦/٨، الحطة ٢٢٥، هدية العارفين
٤٣٤/٢ وسماه «شرح الجامع الصحيح»، مجلدات.

لمصلح الدين المصطفى بن شعبان السروري^(١) المتوفى سنة ٩٦٩هـ.

وهي حاشية كبيرة إلى نصف صحيح البخاري.

٩٢ - تعلية: (٢)

للمولى حسين (بن رستم) الكفوي المتوفى سنة ١٠١٢هـ. (٣)

ولم نعرف شيئاً من أوصاف هذه التعليقة أيضاً. وقد ذكرها العلامة الزرقاني في شرح المواهب اللدنية.

٩٣ - تعلية: (٤)

للعامة السّندي الحنفي المتوفى سنة ١١٣٨هـ. (٥)

وهو مطبوع في حاشية صحيح البخاري في طبعة مصر. (٦)

(١) نسبة إلى «سرور» مدينة بجهستان، (المؤلف).

(٢) كشف الظنون ١/ ٣٧٢، الحطة ٢٢٥، هدية العارفين ١/ ٣٢١، معجم المؤلفين ٤/ ٧.

(٣) تاريخ وفاته كذا في كشف الظنون والحطة، ولكن في هدية العارفين ومعجم المؤلفين ١٠١٠هـ.

(٤) قال في سلك الدرر: «له حواشي على الكتب الستة. إلا أن حاشيته على الترمذي ماتمت.» (٤/ ٨١).

(٥) نور الدين أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي. له ترجمة أيضاً في: فهرس الفهارس ١/ ١٤٨، والأعلام ٦/ ٢٥٣، ط السادسة، دار العلم للملايين، وذكر الأول منهما وفاته في سنة ١١٣٩هـ.

(٦) تاريخ التراث ١/ ١٩٨، وقال: وطبع مع مختصر تحفة الباري لذكريا الأنصاري بالقاهرة سنة ١٣٠٠هـ، وله كتاب باسم الفوائد المتعلقة بصحيح البخاري. انظر تاريخ التراث ١/ ١٨٨، ١/ ١٩٨، وقال أنه توفي ١١٣٦هـ (المراجع).

٩٤ - حل صحيح البخاري :

للمرزا حيرت الدهلوي، (المتوفى ١٨٩٩م)

والمتن الموجود فيه هو من نسخة الحافظ أحمد علي رحمه الله، ولكن التوضيحات قد أُخذت في الغالب من القسطلاني وفتح الباري، وهو جيد أيضًا من حيث الصحة والنظافة، ولكنه أخرج الحواشي التي كانت بين السطور، وهكذا وقع نقص في حل المشكلات.

٩٥ - عون الباري لحل أدلة البخاري^(١) :

للعامة النواب أبي الطيب صديق حسن خان بهادر المتوفى سنة ١٣٠٧هـ.^(٢)

وهذا شرح عربي على تجريد العلامة الزبيدي^(٣)، وقد شرح

(١) أبجد العلوم ٢٧٧/٣، إيضاح المكنون ١٣٠/٢، هدية العارفين ٣٨٩/٢، نزهة الخواطر ٢١٠/٨، جلاء العينين ص ٤٩.

(٢) نادرة زمانه وناطقة أوانه. بلغ ذروة المجد دينًا ودنيًا، علمًا وعملاً، غني عن البيان والتعريف، ترجم لنفسه في عدد من كتبه منها أبجد العلوم ٢٧١/٣، والتاج المكلل ص ٥٤١، والحنة ص ٤٧١ تحقيق علي حسن الحلبي، وقد ترجمه كثير من العلماء والكتاب في العالم العربي (انظر مقدمة محقق كتاب الحنة ص ٢٠) كما أفردت كتب في سيرته وذكر أعماله وجهوده. ومن بينها كتاب «السيد صديق حسن القنوجي، آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف» لأخينا وزميلنا الدكتور أختار جمال لقمان.

(٣) زين الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي المتوفى ٨٩٣هـ. وكتابه هو «التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح» مطبوع ومعروف. ترجمه السخاوي في الضوء اللامع ٢١٤/١، وسيأتي ذكره بعد قليل برقم ٩٩.

هذا التجريد أيضًا العلامة الشرقاوي، والشيخ الغزي^(١).

٩٦ - شرح تجريد الصحيح للزبيدي^(٢):

للشيخ عبدالله (بن حجازي بن إبراهيم) الشرقاوي المتوفى سنة (١٢٢٧هـ).

٩٧ - شرح تجريد الصحيح للزبيدي:

للشيخ ابن القاسم الغزي المتوفى سنة (٩٣٨ أو ٩١٨هـ).^(٣)

وقد ذكر هذا الشرح والذي قبله العلامة أبو الطيب النواب صديق حسن خان في شرحه عون الباري^(٤)، وعون الباري مطبوع على حاشية نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار.^(٥)

(١) سيأتي ذكرهما بعد قليل.

هذا وقد طبع عون الباري عدة طبعات منها طبعة إدارة الشؤون الدينية في قطر عام ١٤٠١هـ في ست مجلدات، وطبعة دار الرشيد في حلب ١٤٠٤هـ في خمس مجلدات.

(٢) هدية العارفين ٤٨٨/١، الأعلام ٢٠٦/٤، تاريخ التراث ١٩٦/١، واسمه «فتح المبدي لشرح مختصر الزبيدي» وذكر له سزكين نسختًا عدة، كما أنه طبع أكثر من مرة. تاريخ الأدب لبروكلمان ١٧٦/٣، وله اختصار للتجريد بعنوان «المختار». (المراجع).

(٣) هو محمد بن قاسم بن محمد بن محمد الشمس أبو عبدالله الغزي ثم القاهري الشافعي، ويعرف بابن القاسم وبابن الغرايلي توفي سنة ٩٣٧هـ كما قال ابن العماد: انظر شذرات الذهب ٢٢٦/٨، الضوء اللامع ٢٨٦/٨، وقال الزركلي والكحالة توفي سنة ٩١٨هـ، انظر الأعلام ٢٢٨/٧، معجم المؤلفين ١٤٧/١١. (المراجع)

(٤) عون الباري ص ٣.

(٥) انظر الحاشية (١).

٩٨ - مختصر صحيح البخاري^(١):

للإمام جمال الدين أبي العباس أحمد بن عمر (بن إبراهيم)
الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٥٦هـ.

ولم يذكر صاحب كشف الظنون شيئاً من أوصاف هذا المختصر،
ولم نعرف أوصاف شرحه أيضاً، ولا سبب اختصاره.^(٢)

٩٩ - التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح^(٣):

لزين الدين أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشَّرْجِي
الزبيدي المتوفى سنة ٨٩٣هـ.

ولقد جرّد في هذا الكتاب الأحاديث المرفوعة من أسانيدھا
وحذف المكررات وجمع الأحاديث المتفرقة، وكان كثيراً ما
يحدث لبعض الباحثين إذا لم يجدوا بعض الأحاديث في مظانها
ظنوا أن هذا الحديث ليس موجوداً في صحيح البخاري، وذلك
لأن الحديث الذي يبحث عنه قد يخرج البخاري في باب لا

(١) البداية والنهاية ٢١٣/١٣، الديباج المذهب ٢٤١/١، كشف الظنون ٣٧٢/١،

الحطة ٢٢٥، هدية العارفين ٩٦/١، الأعلام ١٧٩/١، معجم المؤلفين ٢٧/٢.

(٢) وقال في الديباج المذهب: «وله على كتاب صحيح مسلم شرح أحسن فيه وأجاد،
وسماه «المفهم». واختصر صحيح البخاري ومسلم».

وذكر له بروكلمان ١٧٦/٣، وسزكين ١٩٣/١ نسخاً مخطوطة. أما شرحه على
صحيح مسلم فقد طبع مؤخراً.

(٣) الضوء اللامع ٢١٤/١، كشف الظنون ٣٧٢/١، الحطة ٢٢٥، هدية العارفين

١٣٦/١، الأعلام ٨٧/١، معجم المؤلفين ١٥٠/١، تاريخ الأدب العربي
١٧٦/٣، تاريخ التراث العربي ١٩٥/١.

يخطر ببال الباحث، وذلك لاستنباط مسألة فقهية، وقد انتهت هذه الصعوبة من هذا المختصر. وقد طبع في القاهرة. (١)

١٠٠ - إرشاد السامع والقارئ المنتقى من صحيح البخاري (٢):

للعلامة بدر الدين حسن بن عمر بن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ. (٣)

لم نعرف شيئاً عن تفاصيل أوصاف هذا الكتاب ولكن الظاهر من تسميته أنه اختار أحاديث من صحيح البخاري، وأخذ شرحها من شروح صحيح البخاري.

١٠١ - النهاية في بدء الخير والغاية (٤):

لعبدالله بن سعد بن أبي جمرة الأزدي المتوفى سنة ٦٧٥ هـ. (٥)

-
- (١) طبع في بولاق سنة ١٢٨٧ هـ ثم صدرت له طبعات أخرى عديدة.
 - (٢) كشف الظنون ١/٣٧٢، الحطة ٢٢٥، هدية العارفين ١/٢٨٧، معجم المؤلفين ٢٦٦/٣.
 - (٣) له ترجمة أيضاً في: الدرر الكامنة ٢/٢٩، البدر الطالع ١/٢٠٥، شذرات الذهب ٢٦٢/٦.
 - (٤) كشف الظنون ١/٥٥١ (مصورة دار الفكر) الحطة ص ٣٣٦، طبعة علي الحلبي ولم يذكر اسمها. هدية العارفين ١/٤٦٢، شجرة النور الزكية ص ١٩٩، الأعلام ٤/٢٢١، معجم المؤلفين ٦/٥٧، تاريخ الأدب العربي ٣/١٧٥، تاريخ التراث العربي ١/١٩٣، مع بعض الاختلاف في تسمية الكتاب. وفي كشف الظنون أنه نحو ثلاثمائة حديث، وكذا في الحطة.
 - (٥) وتاريخ وفاته هكذا في هدية العارفين ومعجم المؤلفين أيضاً ولكن في البداية والنهاية ١٣/٣٤٦، في وفيات ٦٩٥ هـ وكذا في الأعلام. وعند بروكلمان وسزكين ٦٩٩ هـ وهو كذلك في شجرة النور الزكية ص ١٩٩.

وهذا أيضًا اختصار لصحيح البخاري، وقد علق عليه العلامة محمد الشَّوَّانِي المتوفى سنة ١٢٣٣هـ^(١)، وقد طبع هذا المختصر مع التعليقات في القاهرة سنة ١٣٠٤هـ.

قال صاحب اكتفاء القنوع: والمختصر هذا مع الحاشية هذه مرغوبان عند طلبة علم الحديث^(٢).

١٠٢ - شرح مختصر البخاري^(٣):

للعلامة أحمد بن العلامة الشيخ أحمد (بن محمد) الشَّجَاعِي المتوفى (سنة ١١٩٧هـ)^(٤)

١٠٣ - بهجة النفوس (وتحليها ومعرفة ما عليها ولها)^(٥):

لعبدالله بن سعد بن أبي جَمْرَةَ الأزدي المتوفى (سنة ٦٧٥هـ).^(٦)

(١) محمد بن علي الأزهرى الشَّوَّانِي، نسبة إلى شنوان من قرى المنوفية بمصر. «له حاشية على مختصر البخاري لابن أبي جمرة في الحديث». معجم المؤلفين ٦٣/١١.

(٢) اكتفاء القنوع ص ١٢٦، والمراد من المختصر «مختصر ابن أبي جمرة» وذكر سزكين نسخًا عدة لهذا المختصر. وقد طبع مرات.

(٣) هدية العارفين ١/١٧٩، معجم المؤلفين ١/١٥٤، وسماه «النور الساري على متن مختصر البخاري لابن أبي جمرة» وكذا في تاريخ التراث العربي ١/١٩٥.

(٤) الشَّجَاعِي نسبة إلى الشَّجَاعِيَّة من غربية مصر.

(٥) كشف الظنون ١/٥٥١ (مصورة دار الفكر) الحطة ص ٣٣٧ تحقيق علي الحلبي، هدية العارفين ١/٤٦، تاريخ الأدب العربي ٣/١٧٥، تاريخ التراث العربي ١/١٩٣، واسمه في الكشف والحطة: بهجة النفوس وغايتها بمعرفة مالها وما عليها.

(٦) تقدم ذكره وذكر الاختلاف في تاريخ وفاته قبل قليل.

وهذا شرح «للنهاية في بدء الخير والغاية» المذكور آنفاً.
وأوله: «الحمد لله الذي فتق رتق ظلمات جهالات القلوب» وقد
شرحه صاحب الاختصار بنفسه، وتوجد نسخته في مكتبة ولي
الدين السلطان بايزيد بالجامع الشريف في القسطنطينية^(١)

١٠٤ - حاشية صحيح البخاري: (٢)

لأبي العباس السندي أحمد زروق شارح الحكم^(٣).

قال العلامة العجلوني: إنها حاشية لحل صحيح البخاري.

١٠٥ - شرح صحيح البخاري^(٤):

-
- (١) له نسخ أخرى ذكرها بروكلمان وسزكين. وهو مطبوع.
وحول هذا الكتاب ألف مؤلفه نفسه كتابين آخرين هما: «مقتضى وضعه جمع
النهاية إلخ» و«المراعي الدالة على فضل مختصر البخاري المسمى بهجة إلخ» تاريخ
التراث العربي ١٩٣/١ - ١٩٤.
- (٢) هدية العارفين ١٣٦/١، وسماه «تعليق على البخاري في ضبط الألفاظ».
- (٣) هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الشهاب البُرُسي المغربي الفاسي المالكي
ويعرف بزُرُوق - بفتح المعجمة ثم مهملة مشددة بعدها واو ثم قاف - . (الضوء
اللامع ٢٢٢/١) وفي شذرات الذهب «البرنسي» وقال: غلب عليه التصوف فكتب
على الحكم نيفاً وثلاثين شرحاً. توفى سنة ٨٩٩هـ (شذرات الذهب ٣٦٣/٧)
شجرة النور الزكية ص ٢٦٧ وفيها أيضاً «البرنسي» فلعل كلمة «السندي» في أصلنا
محرفة منها. والله أعلم.
- (٤) تاريخ التراث ١٨٢/١، تاريخ الأدب لبروكلمان ١٦٩/٣ سماه «الكوكب الساري في
شرح صحيح البخاري» وله كتاب آخر باسم «المجتبى في معرفة أسماء من ذكرهم
البخاري بالأنساب والألقاب والكنى» انظر تاريخ التراث ٢٠١/١. وذكر السخاوي
له شرحاً آخر باسم «التلويح إلى معرفة الجامع الصحيح» في خمس مجلدات. انظر
الضوء اللامع ١١٠/٧، وقال: ابن العماد: جمع شرحاً على البخاري في ست =

للعلامة الكفيري محمد بن أحمد (بن موسى) المتوفى سنة (٨٣١هـ).

وقد ذكر العلامة الكفيري في مقدمة كتابه أنه أخذ هذا الشرح من مقاصد التنقيح لسعيد ابن مسعود الكازروني.^(١)

١٠٦ - شرح صحيح البخاري:

للعلامة عبد الباقي المتوفى سنة (١٠٧١هـ)^(٢)

وحسبما قال العلامة العجلوني: إنه شرح لجزء كبير من صحيح البخاري.^(٣)

١٠٧ - شرح صحيح البخاري:

للعلامة السيد إبراهيم الشهير بابن حمزة نقيب أشرف دمشق المتوفى سنة (؟)

ذكر العلامة العجلوني: أنه رأى هذا الشرح بنفسه إلى أثناء

= مجلدات. شذرات الذهب ١٩٦/٧ (المراجع) وذكر له في هدية العارفين (١٨٦/٢) الشرحين معاً.

(١) قال في الشذرات: كان قد لخص شرح ابن الملقن وشرح الكرمانى ثم جمع بينهما، (١٩٦/٧).

(٢) هو عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلبي الأزهرى الدمشقي كما في معجم المؤلفين ٧٢/٥، والأعلام ٤٥/٤. وله شرح الجامع الصحيح للبخاري ولم يكمل. (المراجع) وله ترجمة أيضاً في خلاصة الأثر ٢٨٣/٢، والسحب الوابلة ٤٣٩/٢.

(٣) ذكره أيضاً صاحب هدية العارفين ٤٩٧/١.

كتاب الصلاة، ويكتب في أول كل باب الخطبة أى الحمد والصلاة.

١٠٨ - شرح صحيح البخاري:

للشيخ علي الشامي الحديدي المتوفى سنة (٩)

قال العلامة صديق حسن خان: وهو شرح جزء واحد من أول الكتاب. وقد قابلت الشيخ عليًا في سنة ١٢٨٥هـ، وقدمت إليه رسالة «الحطة» هدية^(١).

الشروح الفارسية والأردية والتراجم وغيرها^(٢)

١٠٩ - تيسير القارىء^(٣):

للعلامة نور الحق بن الشيخ عبدالحق الدهلوي المتوفى (سنة ١٠٧٣هـ).^(٤)

(١) اتحاف النبلاء ٥٦.

(٢) ذكر المصنف رحمه الله تحت هذا العنوان كتبًا متنوعة ألقت عن صحيح البخاري ومنها الشروح والتعليقات التي ألقت بغير اللغة العربية وكذلك ما يتعلق بثلاثيات البخاري ورجال البخاري وأطرافه وغير ذلك.

(٣) الحطة ٢٢٧، هدية العارفين ٤٩٩/٢، تاريخ التراث ١٩٠/١، تاريخ الأدب لبروكلمان ١٧٤/٣، وذكر سزكين أنه طبع في لكتاوا بالهند ١٣٠٥هـ في خمس مجلدات.

(٤) له ترجمة في أبجد العلوم ٢٢٩/٣، نزهة الخواطر ٤٥٨/٥، وذكر أن شرحه للبخاري في ست مجلدات كبار.

وحينما بدأ الشيخ عبدالحق شرحه للمشكاة بالفارسية بدأ ولده
في شرح البخاري باللغة الفارسية.

١١٠ - شرح ثلاثيات البخاري^(١):

للملا علي بن محمد سلطان القاريء الهروي ثم المكي
المتوفى سنة (١٠١٤هـ).

وقد ذكره المؤرخ أحمد المحبي في تاريخه «خلاصة الأثر في
أعيان القرن الحادي عشر»^(٢).

١١١ - شرح فارسي^(٣):

لشيخ الإسلام حفيد الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي^(٤).

(١) تاريخ الأدب العربي ١٧٨/٣، تاريخ التراث العربي ١٩٧/١. وسماه صاحب هدية
العارفين «تعليقات القاري على ثلاثيات البخاري» (٧٥٢/١). وذكر له كتاباً آخر
بعنوان «إعراب القاري على أول باب البخاري».

(٢) خلاصة الأثر ١٨٥/٣، وله ترجمة أيضاً في لطف السمر وقطف الثمر ٥٧٨/٢،
البدر الطالع ٤٤٥/١ التاج المكلل ص ٣٩٨، الفوائد البهية ص ٨ (التعليقات
السنية).

(٣) تاريخ الأدب العربي ١٧٤/٣.

(٤) قال في نزهة الخواطر: «شيخ الإسلام بن فخر الدين بن محب الله بن نورالله بن نور
الحق بن الشيخ المحدث عبدالحق البخاري الدهلوي... له شرح بسيط على
صحيح البخاري بالفارسي في ستة مجلدات. (١١٩/٦). وهذا المجلد خاص بأهل
القرن الثاني عشر).

وعلى هذا فيبينه وبين الشيخ عبدالحق الدهلوي أربع وسائط، خلافاً للمتبادر من
كلام المصنف رحمه الله.

أما بروكلمان فقد صرح نقلاً عن «حدائق الحنفية ٤٦٨» بأنه ابن صاحب تيسير =

وهو مختصر من تيسير القارىء المذكور آنفًا، وكأنها ترجمة تفسيرية وتوجد بعض التوضيحات بين حين وآخر مع فوائد أخرى.

١١٢ - منح الباري:

للملا حسن صديقي بنجابي المعروف بعلامة دراز بشاوري المتوفى سنة (١٢٦٠هـ).

وهذا أيضًا شرحٌ فارسيٌّ مفيد وليس ضخيمًا جدًا يقارب شرح شيخ الإسلام في الحجم^(١).

١١٣ - فضل الباري:

ترجمة أردية لصحيح البخاري، ولكنها ليست ترجمة محضة بل أشبه بشرح مطول. وقد طبع ونشر في لاهور.

١١٤ - ترجمة صحيح البخاري:

للمرزا حيرت الدهلوي المتوفى سنة (١٨٩٩م).

= القارىء وأن أكثر شرحه مقتبس من التيسير لأبيه، وقد طبع في هامش التيسير المطبوع في لکنؤ (تاريخ الأدب العربي ٣/١٧٤).

وأما سزكين فقد نسبته إلى «محمد شيخ الإسلام بن عبدالصمد الدهلوي المتوفى في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري» (تاريخ التراث ١/١٩١).
(١) وقد طبعت الشروح ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٣، وكذلك تراجم الأبواب للشاه ولي الله الدهلوي ورجال البخاري في لکنؤ بأمر من نواب (حاكم) ولاية تونك. (المؤلف).

والترجمة واضحة وأضيفت إليها توضيحات بين القوسين بين حين وآخر، ولمزيد من التوضيح أضيفت تعليقات وملاحظات، وطبع فهرسه الطويل في ١٤٤ صفحة مستقلاً عن ترجمة المتن.

١١٥ - تيسير الباري:

للشيخ وحيد الزمان الملقب بنواب وقار نوازجنك بهادر المتوفى سنة (١٣٣٨هـ).

وهي ترجمة مفسرة وطبعت مع صحيح البخاري، وقد كتب المصنف في أولها مقدمة بين فيها سلسلة سنده إلى الإمام البخاري من عشرة طرق، وتوجد حواشي وتوضيحات أيضاً في بعض المواضع وقد طبع طبعاً أنيقاً رائعاً.

١١٦ - ترجمة صحيح البخاري باللغة الإنجليزية^(١):

(١) وقد طبع جزآن من صحيح البخاري أيضاً باللغة الإنجليزية مع تنبيهات وحواشي مختصرة بقلم العلامة محمد أسد الألماني الذي دخل في الإسلام حديثاً، وقد أعربت الجرائد والمجلات الموقرة المحلية عن آراء طيبة نحو هذه الترجمة، عجل الله إكمالها. (عبيد الله الرحمانى).

وكذلك ترجمه الدكتور محمد محسن خان بالإنجليزية وهو مطبوع. ونشر ليفى بروفنسال صحيح البخاري بالزنكوغراف عن نسخة كتبت في مرسية ٤٩٢ مع ترجمة فرنسية في باريس ١٩٢٨م وما بعدها، وترجمه هوداس ومارسية إلى الفرنسية ١٩٠٣ - ١٩١٤م كما يأتي ذكره برقم ١٣٢، وترجم راينفريد قسماً منه إلى الفرنسية، وترجم بليتيه كتباً أخرى من صحيح البخاري مثل كتاب البيوع والسلام والخيار، وترجم باسكيه وتكرلى كتاب الموارث مع تعليقات وشروح، وترجم جيوم كتاب القدر إلى الإنجليزية مع ملاحظات وتعليقات (انظر تاريخ الأدب لبروكلمان ١٦٦/٣ - ١٦٧)، وترجم أحمد نعيم المجلدين، الأول والثاني، من التجريد الصريح إلى =

وقد ترجمه «كريزن» أحد الأوربيين وقد طبعت في سنة ١٢٩٦هـ. في مدينة «بلك» في أوربا وكملت في عشرة مجلدات. (١)

١١٧ - مُعَلِّمُ الْقَارِئِ شرح ثلاثيات البخاري (٢):

للشيخ رضى الدين أبي الخير عبدالمجيد خان تونكى (٣).

وقد طبع في مطبع مفيد عام بآكره في ١٣٨ صفحة في سنة (١٢٦١هـ).

١١٨ - الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة (٤):

للإمام عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري اليماني المتوفى سنة (٨٩٣هـ).

وقد كتب العلامة عماد الدين مقدمة له أيضًا وأحصى أولاً أسماء الصحابة الذين أخرجوا أحاديثهم أصحابا الصحيحين وقد ثبتت لهم الرواية أو الرؤية، ثم ذكر من اتفق عليهم الشيخان،

= اللغة التركية، استنبول ١٩٢٨م، وأكمل الترجمة كامل ميراس في ١٩٣٩م وما بعدها. انظر تاريخ التراث ١/١٩٥ (المراجع).

(١) انظر دائرة المعارف البريطانية (المؤلف).

(٢) تاريخ التراث ١/١٩٨، تاريخ الأدب لبروكلمان ٣/١٧٨.

(٣) هو ختن النواب وزير الدولة بهادر (المؤلف).

(٤) الضوء اللامع ١٠/٢٢٤، كشف الظنون ١/٩٣٧ طبعة دار الفكر، البدر الطالع

٢/٣٢٧، التاج المكلل ص ٤٧٣، هدية العارفين ٢/٥٢٩، معجم المؤلفين

١٣/١٨٧، تاريخ التراث العربي ١/٢٠٢.

ثم ذكر أفراد البخاري، ثم أفراد مسلم.

١١٩ - الإفهام بما وقع في البخاري من الإبهام^(١):

لجلال الدين عبدالرحمن بن عمر (بن رسلان) البُلُقيني^(٢)
المتوفى سنة (٨٢٤هـ).

وقد فرغ من تأليفه، في شهر صفر سنة ٨٢٢هـ، وتوجد
نسخته في مكتبة ولي الدين سلطان بايزيد بالجامع الشريف في
القسطنطينية، وكذلك في مكتبة أياصوفيا بالقسطنطينية.^(٣)

١٢٠ - أسماء رجال صحيح البخاري^(٤):

للإمام أبي نصر أحمد بن محمد بن الحسين الكلاباذي المتوفى
سنة (٣٩٨هـ).^(٥)

(١) الضوء اللامع ١٠٩/٤ وفيه تفصيل عن منهج هذا الكتاب ومصادره، لحظ اللاحاظ لابن فهد ص ٢٨٣، كشف الظنون ٣٧٢/١، الحطة ٢٢٦، هدية العارفين ٥٢٩/١، تاريخ الأدب العربي ١٦٩/٣، تاريخ التراث العربي ١٨٢/١.

(٢) نسبة إلى بُلُقينة بالضم وكسر القاف وياء ساكنة ونون، قرية من حوف مصر من كورة «بنا» يقال لها: البوب أيضاً. (عبيدالله الرحمانى).

(٣) لم يذكر سزكين نسخة بايزيد. ولكنه أضاف نسختين أخريين.

(٤) سماه الذهبي نقلاً عن السلفي: «الإرشاد في معرفة رجال البخاري» تذكرة الحفاظ ١٠٢٧/٣، سير أعلام النبلاء ٩٥/١٧. وسماه البغدادي في إيضاح المكنون «الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد» (١٧٢٤/٢) وكذا في هدية العارفين ٦٩/١ وزاد في الاسم: «الذين أخرج لهم البخاري في جامعه».

وانظر أيضاً: كشف الظنون ٣٧٢/١، شذرات الذهب ١٥١/٣، الحطة ٢٢٦، تاريخ الأدب العربي ١٧٧/٣، تاريخ التراث العربي ٢٠٠/١، معجم المؤلفين ٩٥/٢.

(٥) ينظر لترجمته ومصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء ٩٤/١٧، وقال: كلاباذ محله من بخارى.

وقد ذكره صاحب كشف الظنون ولكن لم يذكر تفاصيله. ^(١)

١٢١ - كتاب التعديل والتجريح لرجال البخاري ^(٢):

للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي المتوفى سنة (٤٧٤هـ). ^(٣)

ويظهر موضوع بحثه من تسميته، ولم يذكر صاحب كشف الظنون شيئاً من تفاصيل أحواله. ^(٤)

(١) وقد طبع هذا الكتاب مؤخراً باسم «رجال صحيح البخاري» نشرته دار المعرفة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م في مجلدين بتحقيق عبدالله الليثي كما كتب على ظهر الغلاف. ولكن جاء اسمه في نهاية مقدمة التحقيق «محمد عيد محمد» فلا أدري هما واحد أم اثنان.

ويحتوي الكتاب على ١٥٢٥ ترجمة حسب ترقيم المحقق. ويذكر المصنف فيه اسم الراوي وبعض شيوخه وبعض الرواة عنه وتاريخ وفاته وبعض الأحيان يذكر الباب الذي أخرج فيه البخاري روايته. والكتاب مرتب على حروف الهجاء بدأ بمن اسمه أحمد ثم من بعدهم حسب الترتيب الهجائي.

(٢) كشف الظنون ١/٣٧٢، شذرات الذهب ٣/٣٤٥، الحطة ٢٢٦، هدية العارفين ١/٣٩٧، الأعلام ٣/١٧٦، تاريخ التراث العربي ١/٢٠٠.

(٣) ينظر لترجمته ومصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٨/٥٣٥. والباجي نسبة إلى «باجة» بليدة بقرب اشبيلية بالأندلس، وتقع الآن في البرتغال.

(٤) طبع كتاب الباجي باسم «التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح» في ثلاث مجلدات، بتحقيق الدكتور أبي لبابة حسين. نشرته دار اللواء في الرياض، ط أولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

وقد بدأ المؤلف كتابه بمقدمة ذكر فيها منهجه في الكتاب وأسانيده إلى من ذكر أقوالهم في الجرح والتعديل بعدها ترجمة موجزة للإمام البخاري ثم ذكر تراجم الرواة على ترتيب حروف الهجاء، ويضم الكتاب ١٧٣٣ ترجمة حسب ترقيم المحقق، ولكن يبدو أن بعض الأرقام مكررة فقد يذكر المصنف الراوي المعروف =

١٢٢ - المنهل الجاري^(١):

للشيخ قطب الدين محمد بن محمد الخضيرى الدمشقي الشافعي
المتوفى سنة (٨٩٤هـ).

وهو مأخوذ من فتح الباري على صورة سؤال وجواب.

١٢٣ - رفع الالتباس^(٢):

للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي المتوفى
سنة (١٣٢٩هـ). مصنف غاية المقصود شرح سنن أبي داود
وغيره.^(٣)

وكان بعض الناس قد طبع رسالة باللغة العربية مع صحيح
البخاري طبع «المطبع المصطفائي»، وهذه الرسالة مأخوذة من
المباحث التي أوردها العيني في شرحه في الرد على البخاري في
اعتراضاته على من يسميهم «بعض الناس». وقد سُميت هذه
الرسالة بـ«دفع الوسواس عن بعض الناس» فردّ العلامة أبو الطيب
على هذه الرسالة باسم «رفع الالتباس» ولم يذكر فيها اسمه من

= بالكنية في باب الكنى ثم يذكر أنه تقدم بالأسماء فيضع له المحقق رقمًا في الكنية
وقد سبق له رقم آخر في الأسماء.

(١) الضوء اللامع ٩/١٢٠، كشف الظنون ١/٣٧٢، الحطة ٢٢٦، هدية العارفين
٢/٢١٥. واسمه الكامل «المنهل الجاري المجرد من فتح الباري شرح الجامع
الصحيح للبخاري».

(٢) واسمه الكامل: رفع الالتباس عن «بعض الناس».

(٣) له ترجمة في نزهة الخواطر ٨/١٩٤، ولأخيها محمد عزيز شمس كتاب خاص في
حياته وخدماته سماه «المحدث شمس الحق العظيم آبادي. حياته وخدماته».

باب الإخلاص. وتشمل هذه الرسالة على أبحاثٍ وتحقيقات
جديرة بالنظر والقراءة. وقد بين فيها بتحقيق عجيب أوهام العلامة
العيني التي يعتمد عليها في تخطئة اعتراضات البخاري^(١). وقد
طبعت في سنة ١٣٠٩هـ في دهلي^(٢).

١٢٤ - غاية المرام في رجال البخاري (إلى سيد النام)^(٣):

للشيخ محمد بن داود بن محمد البازلي الكردي الحموي
الشافعي المتوفى سنة (٩٢٥هـ).

وهو كتاب في مجلد كبير. أوله: «أحمد لله الذي رفع منار
الحق» وقد قال المؤلف الفاضل: إنه تجول في البلاد المختلفة
في سبيل طلب العلم، وبعد التكميل ألف هذا الكتاب على
ترتيب حروف الهجاء، وتوجد نسخته في مكتبة نور عثمانية
بالجامع الشريف في القسطنطينية^(٤).

(١) وقد رد على العيني كثير من الناس غير الشيخ العلامة أبي الطيب. وبينوا أن
البخاري هو المصيب في انتقاداته. (المؤلف)

(٢) ثم صدرت له طبعات أخرى منها طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر،
باعثناء الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري رحمه الله، مع كتاب آخر وكتب على
الغلاف خطأ «تأليف الشيخ محمد حسين الدهلوي».

ومنها طبعة إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية في بنارس بالهند عام
١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.

(٣) الكواكب السائرة ٤٧/١، شذرات الذهب ١٣٨/٨، هدية العارفين ٢٢٨/٢،
الأعلام ٣٥٥/٦، معجم المؤلفين ٢٩٨/٩، تاريخ التراث ٢٠١/١.

(٤) وذكر له سزكين نسخاً أخرى ٢٠١/١.

١٢٥ - در الدراري في شرح رُبَاعِيَّات البخاري^(١):

للعلامة أحمد بن محمد الشامي الشافعي المتوفى سنة (؟).

وقد جمع فيه أحاديث البخاري التي تصل إلى رسول الله ﷺ بأربعة وسائط فقط. واستخرج شرحها من التنقيح للزركشي وشرح الكرمانى، وأضاف إليه فوائد من عنده يبدأها بلفظ «قلت».

١٢٦ - المعلم في ما رواه البخاري على شرط مسلم^(٢):

لأبي العباس ابن الرُّومِية أحمد بن محمد الأشبيلي النَّبَّاتي المتوفى سنة (٦٣٧هـ).^(٣)

-
- (١) كشف الظنون ٥٣٣/١ و٧٤٧/١ و٨٣٢ طبعة دار الفكر).
- (٢) هدية العارفين ٩٣/١، وسماء الذهبي في السير (٥٨/٢٣) وتذكرة الحفاظ (١٤٢٦/٤): «المعلم بما زاد البخاري على مسلم» ونحوه في التاج المكلل ص ٣٢٣، الأعلام (٢١٨/١)، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، معجم المؤلفين ١٥٩/٢ وسماء في الإحاطة في أخبار غرناطة (٢١٢/١) «رَجَالَةُ الْمُعَلِّمِ بِزَوَائِدِ الْبُخَارِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ».
- وله أيضًا «نظم الدراري فيما تفرد به مسلم على البخاري» كما في الإحاطة والأعلام وغيرهما.
- (٣) ويعرف «بالعشَّاب» و«بابن الروميَّة» و«النَّبَّاتي». كان محدثًا حافظًا فقيهاً شاعراً وبالإضافة إلى ذلك كان عارفاً بالعُشْب والنَّبات. وذكره ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ١٣٣/٣، قال لسان الدين ابن الخطيب: «كان سنياً ظاهري المذهب مُنْجِيّاً على أهل الرأي شديد التعصب لأبي محمد... ابن حزم إلخ» (الإحاطة ٢٠٩/١) وله أيضًا اختصار كامل ابن عدي، والحافل في تذييل الكامل.

ويظهر موضوعه من اسمه، ولم يذكر صاحب كشف الظنون شيئاً من تفاصيله.

١٢٧ - شرح ثلاثيات البخاري^(١):

لمحمد شاه بن الحاج حسن المتوفي سنة (٩٣٩هـ).

وهو شرح الأحاديث التي رواها البخاري بثلاث وسائط فقط بينه وبين النبي ﷺ. ويبلغ عددها ٢٢ (اثنين وعشرين) حديثاً، وأغلبها يرويها البخاري عن مكّي بن إبراهيم. وهو في الطبقة الأولى من شيوخه، ويروي عن التابعين. كما روى بعضها عن أبي نعيم، وخلاد بن يحيى، وعلي بن عياش وغيرهم. وقد شرح محمد شاه هذه الأحاديث شرحاً لطيفاً.

وقد ألفت شروح أخرى للثلاثيات أيضاً^(٢).

١٢٨ - رجال الصحيحين^(٣):

(١) الكواكب السائرة ٣/٢، كشف الظنون ٥٢٢/١ طبعة دار الفكر، شذرات الذهب ٢٣٤/٨، هدية العارفين ٢/٢٣٤، تاريخ التراث العربي ١/١٩٨.

(٢) وقد طبعت الثلاثيات مع شروحها بالعربية وكذلك مع ترجمتها مستقلة عن صحيح البخاري (المؤلف) وقد ذكر سزكين تسعة شروح لثلاثيات البخاري مما يوجد مخطوطاً أو مطبوعاً. وسيذكر المصنف رحمه الله بعضاً منها فيما بعد.

(٣) مؤلفه هو الإمام المعروف باللالكائي صاحب الكتاب الشهير «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة». وهو مطبوع بتحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان في خمس مجلدات. وكتابه في أسماء رجال الصحيحين، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمته فقال: صنف... وكتاباً في معرفة أسماء الصحيحين» (٧٠/١٤).

وورد ذكره أيضاً في: تذكرة الحفاظ ٣/١٠٨٣، كشف الظنون ٥٣٤/١، =

لأبي القاسم هبة الله بن حسن الطبري المتوفى (سنة ٤١٨ هـ).

وقد بين فيه أحوال رجال صحيح البخاري وصحيح مسلم أيضًا.

١٢٩ - الفوائد المتقاة المخرجة على الصحيحين^(١):

تخريج أبي عبدالله الحميدي المتوفى سنة () .^(٢)

وهو من أصول سماعات الشيخ أبي بكر أحمد بن بدران
الحلواني البغدادي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ.

١٣٠ - كشف مُشكل حديث الصَّحيحين^(٣):

لأبي الفرج (عبدالرحمن بن علي بن محمد) ابن الجوزي
المتوفى سنة (٥٩٧ هـ).

فرغ من تأليفه سنة ٥٧٦ هـ وقد اختصره بعض أهل العلم
أيضًا، وذكر سبب ذلك أن المؤلف الفاضل كان قد ذكر فيه شيئًا

= شذرات الذهب ٣/٢١١، هدية العارفين ٢/٥٠٤، الأعلام ٩/٥٧.

(١) كشف الظنون ٢/٢١٠ (٢/١٣٠٢ طبعة دار الفكر).

(٢) لعله محمد بن فتوح بن عبدالله بن فتوح بن حميد الأزدي الحميدي الأندلسي
الميورقي أبو عبدالله، ولد بالأندلس قبل ٤٣٠ هـ، واستوطن بغداد، وروى عن
الخطيب البغدادي وتوفى ببغداد سنة ٤٨٨ هـ. وله: الجمع بين الصحيحين للبخاري
ومسلم كما يأتي برقم ١٤٤، وتفسير غريب ما في الصحيحين، انظر تاريخ التراث
١/٢٠٢-٢٠٣، معجم المؤلفين ١١/١٢١-١٢٢، الأعلام ٧/٢١٨، ٢١٩، كشف
الظنون ١/٤٠٠-٤٠١، شذرات الذهب ٣/٣٩١ (المراجع).

(٣) كشف الظنون ٢/٣٢١-٣٢٢ (٢/١٤٩٥، طبعة دار الفكر) هدية العارفين ٢/٥٢٢،
تاريخ التراث ١/٢٠٣. وقد طبع مؤخرًا.

من الأحاديث غير المشكّلة. كما ذكر الأحاديث المشكّلة، ولم يقدم لها حلولاً شافية، ولذلك اختصره، بحيث إذا ذكر حديث صحابي واحد يذكر كل الأحاديث المروية عن طريق ذلك الصحابي، وأنه يذكر أولاً الأحاديث التي اتفق عليها الشيخان^(١) ثم ما تفرد به البخاري، ثم ما تفرد به مسلم، وقد فرغ من اختصاره سنة ٧٤٦هـ^(٢).

١٣١ - تقييد المُهْمَل وتمييز المُشْكَل^(٣):

لأبي علي الحسين بن محمد الغساني الجيّاني الحافظ المتوفى سنة (٤٩٨هـ)^(٤).

وقد ضبط في هذا الكتاب أسماء الرواة الذين يقع فيهم اللبس والاشتباه من رجال البخاري ومسلم، وهو في جزئين^(٥).

(١) لقد اهتم كثير من المؤلفين والشارحين بصحيح البخاري ومسلم معاً (المؤلف).

(٢) ولا بن الجوزي: أحاديث التعليق أيضاً، وفي هذا الكتاب محاولة لإثبات رواية الأحاديث التي ذكرها البخاري دون اسناد، انظر تاريخ التراث ٢٠٠/١ (المراجع).

(٣) قال ابن بشكوال في الصلة ١/١٤٣، وعنه الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٩/١٥٠ «جمع كتاباً في رجال الصحيحين سماه «تقييد المُهْمَل وتمييز المُشْكَل» وهو كتاب حسن مفيد أخذته الناس عنه».

وانظر أيضاً: بغية الملتبس للضبي ص ٢٦٥، وفيات الأعيان ٢/١٨٠، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٣٣، الديباج المذهب ١/٣٣٣، كشف الظنون ١/٣٢١، هدية العارفين ١/٣١١، الأعلام ٢/٢٧٩، معجم المؤلفين ٤/٤٤، تاريخ الأدب العربي ٣/١٨٥، تاريخ التراث العربي ١/٢٠٢، ٢١٩.

(٤) وفي كشف الظنون: أنه توفي سنة ٤٢٧هـ. والحال أنها سنة ولادته. (المراجع)

(٥) توجد للكتاب نسخ عدة في مكتبات العالم. وهو يشتمل على عدة أنواع. وحسبما =

١٣٢ - ترجمة صحيح البخاري إلى اللغة الفرنسية^(١) :

اوهورداس ودبليو ماركوئيس .

وقد تمت في خمس مجلدات مع الحواشي والفهارس للمحتويات والكلمات حسب حروف الهجاء، والمجلد الأول يحتوي على ٦٨٢ صفحة.^(٢)

١٣٣ - أطراف الصحيحين :

وقد جمع ورتب أطراف البخاري ومسلم أكثر من عالم ومؤلف عدا ما أُلّف في أطراف الكتب الستة^(٣) . ومنهم :

= جاء في صفحة العنوان من نسخة مكتبة الجامع بصنعاء: النوع الأول يذكر فيه الأسماء المتفقة في الخط والمختلفة في المعنى . ثم النوع الثاني: المتفقة في الخط والمعنى من الأسماء أيضًا . ثم الثالث: المتفقة في اللفظ والمعنى من الكنى، ثم ذكر الأوهام الواقعة في البخاري ثم الأوهام الواقعة في كتاب مسلم، ثم ذكر من روى عنه البخاري فلم ينسبه، ثم الألقاب .

وقد تم طبع الكتاب كاملاً بفضل الله عام ١٤٢١هـ، نشرته دار عالم الفوائد بمكة المكرمة .

(١) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٦٦/٣ وذكر انها طبعت في باريس بين ١٩٠٣-١٩١٤م .

(٢) كان المؤلف ذكر بعده أن «سعره بلغ ثمانية عشر شلنًا عدا أجرة البريد» وكان ذلك مبلغًا كبيرًا في ذلك الوقت . وحذفته من الترجمة لعدم حاجة القارئ إليه في الوقت الحاضر .

(٣) والغاية الأساسية لمؤلفي الأطراف: هي ضبط أسانيد الأحاديث، فكل كتاب ألفوا =

(١) الشيخ الحافظ الإمام أبو مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي المتوفى سنة (٤٠٠هـ) (١).

(٢) أبو محمد خلف بن محمد بن علي بن حمدون الواسطي المتوفى سنة (٤٠١هـ) (٢).

وقد ذكرهما الحافظ أبو القاسم بن عساكر في أول كتابه الإشراف،

= أطرافه فقد ضبطوا أسانيد ورواته، وذكروا أن هذا المتن أخرجه فلان بسند كذا، وفلان بسند كذا، فإن وقع خطأ أو وهم بسقوط راوٍ أو زيادته فيعلم ذلك من كتب الأطراف بسهولة، ولذلك يكتب مؤلفو الأطراف المتون بالتبعية، لأنه لا يمكن ضبط الأسانيد بدون ذلك. (المؤلف).
وقوله: بالتبعية أى تبعاً للأسانيد.

(١) وقيل ٤٠١هـ. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٦/١٧٢، سير أعلام النبلاء ١٧/٢٢٧ وغيرها.

- قال الخطيب: «كان له عناية بصحيح البخاري ومسلم، وعمل تعلية أطراف الكتابين» ووصفه الذهبي: مصنف كتاب «أطراف الصحيحين».

وانظر أيضاً: شذرات الذهب ٣/١٥٨، كشف الظنون ١/١١٧، هدية العارفين ٧/١ وذكر له أيضاً «الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم» معجم المؤلفين ١٠١/١.

والجزء الرابع من أطرافه مازال موجوداً في دار الكتب الظاهرية بدمشق (مقدمة تحقيق إتحاف المهرة ١/٣٦).

(٢) قال الذهبي: جَوَّد تصنيف أطراف الصحيحين وأفاد ونبّه، وهو أقل أوهاماً من أطراف أبي مسعود الدمشقي. (التذكرة ٣/١٠٦٨).

وانظر أيضاً: سير أعلام النبلاء ١٧/٢٦٠، كشف الظنون ١/١١٧، الأعلام ٣٦٠/٢، معجم المؤلفين ١٠٧/٤.

ولأطرافه نسخة في دار الكتب المصرية وأخرى في الظاهرية كما ذكر سزكين ٣٦٦/١.

وقال: وكان كتاب خلف أحسنهما ترتيباً ورسمًا وأقلهما خطأ
ووهماً، كفياً فيه من أراد تعلمه^(١).

(٣) أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني المتوفى سنة
(٥١٧هـ)^(٢).

(٤) الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢هـ)^(٣).

١٣٤ - مصابيح الإسلام من حديث خير الأنام:

(١) كشف الظنون ١/١١٧.

(٢) هكذا كتب صاحب كشف الظنون ١/١١٧، هدية العارفين ١/٧٤-٧٥، وقد وجدنا
أن أبا نعيم الأصفهاني اثنان، أحدهما: أحمد بن عبدالله أبو نعيم الأصفهاني
صاحب حلية الأولياء المتوفى سنة ٤٣٠هـ. وله «المستخرج على الصحيحين»، وقد
ذكره صاحب تاريخ التراث في ١/٢١٨، وانظر أيضاً: معجم المؤلفين ١/٢٨٢،
الأعلام ١/١٥٠، تذكرة الحفاظ ٤/١٠٩٢، شذرات الذهب ٣/٢٤٥.

والثاني: عبدالله بن الحسن بن أحمد بن الحسن أبو نعيم الأصبهاني الحدّاد المتوفى
سنة ٥١٧هـ. ومن آثاره: أطراف الصحيحين، الجامع بين الصحيحين، انظر له
تاريخ التراث ١/٢٠٣، ٢٢١، معجم المؤلفين ٦/٢٣٨، شذرات الذهب ٤/٥٦،
تذكرة الحفاظ ٤/١٢٦٥. (المراجع).

قلت: ومما يدل على خطأ التسمية في كشف الظنون أنه ذكر تاريخ وفاته في
٥١٧هـ وهو تاريخ وفاة أبي نعيم ابن الحداد وليس صاحب الحلية.

وقال الذهبي في ترجمة أبي نعيم الأصبهاني ابن الحداد: «جمع أطراف
الصحيحين وانتشرت عنه واستحسنها الفضلاء» سير اعلام النبلاء ١٩/٤٨٧.

(٣) كشف الظنون ١/١١٧، الرسالة المستطرفة ١٦٨، وقال السيوطي «وأطراف
الصحيحين على الأبواب والمسانيد» نظم العقيان ص ٤٧، وقال عنه البقاعي
والسخاوي: عجيب الوضع، وانظر: ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ص
٤١٨.

للعلامة فقير الله المتوفى سنة ()

وهو انتخاب جيد لصحيح البخاري، مرتب على الأبواب
الفقهية، وهو هدية نادرة لأولئك الذين يحاولون العمل
بالأحاديث الصحيحة، وقد رتب المؤلف على ترتيب المشكاة
بأمر مدار المهام محمد أمين خان، وقد قال المؤلف بنفسه:

«انتخبته انتخاباً جامعاً لأحاديثه المسندة مع بعض التعليقات
حاذفاً للأسانيد والمكررات، مرتباً على ترتيب المشكاة كتباً
وأبواباً مع زيادة ونقصان يسير».

وتوجد نسخته في المكتبة الشرقية ببته.

١٣٥ - غنية القاري: (١)

للعلامة النواب صديق حسن خان المتوفى سنة (١٣٠٧هـ).

وهي ترجمة ثلاثيات البخاري باللغة الأردية، وهو كتاب
لطيف جداً.

١٣٦ - فضل الباري شرح ثلاثيات البخاري:

للعلامة أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي المتوفى سنة
(١٣٢٩هـ).

(١) سماه مصنفه في كتابه أبجد العلوم «غنية القاري بترجمة ثلاثيات البخاري» ٢٧٨/٣. وكذا في ايضاح المكنون ١٥٠/٢ وقيل فيه: «بغية القاري في ثلاثيات البخاري» كما جاء في كتاب: السيد صديق حسن القنوجي للدكتور اختر جمال لقمان ص ٩٠.

وهذا شرح غير كامل ، عجل الله إكماله^(١).

١٣٧ - شرح ثلاثيات البخاري^(٢):

للعلامة أحمد بن (أحمد بن محمد) العجمي (الوفائي)
المتوفى سنة (١٠٨٦هـ).

وتوجد نسخته في مكتبة علي باشا غازي سلطان محمود خان
ثاني في القسطنطينية.

١٣٨ - غريب حديث البخاري^(٣):

لأبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي^(٤) المتوفى سنة (٢٢٤هـ).

-
- (١) والأسف أن العلامة لم يكمله في حياته (عبيدالله الرحمانى).
- (٢) هدية العارفين ١/١٦٢، تاريخ التراث ١/١٩٧، تاريخ الأدب لبروكلمان ٣/١٧٨، معجم المؤلفين ١/١٥٢ (المراجع).
- وذكر سزكين أنه طُبع طبع حجر في دهلي سنة ١٢٩٨هـ مع ترجمة هندوستانية بين السطور وشرح. تاريخ التراث ١/١٩٨.
- (٣) هكذا في الأصل، ولعل المصنف رحمه الله وجده هكذا في فهرس المكتبة المذكورة فنقله منه. ومؤلفه أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي، ولد بهراة سنة ١٥٤هـ أو سنة ١٥٧هـ. قدم مكة حاجًا، وسكن بها، ومات بها في المحرم سنة ٢٢٤هـ. ودفن في دور جعفر. وله كتاب «غريب الحديث» وقد طبع بدائرة المعارف بحيدر آباد في أربع مجلدات وكمل طبعه في ١٣٨٦هـ. ولكنه توفي قبل البخاري بمدة. فالظاهر أن الصواب هنا «أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي» وهو العلامة اللغوي المعروف المتوفى سنة ٤٠١هـ وله كتاب مشهور باسم «الغريبين» جمع فيه بين غريبي القرآن والحديث.
- انظر لترجمته: سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٤٦. ونسخ كتابه تاريخ الأدب العربي ٢/ ٢٧١-٢٧٢.
- (٤) نسبته المعروفة الهروي، وأما الجمحي فهو محمد بن سلام الجمحي أبو عبدالله =

وتوجد نسخته أيضًا في المكتبة المذكورة آنفًا.

١٣٩ - الجمع بين الصحيحين^(١):

لأبي محمد عبدالحق بن عبدالرحمن الأزدي الأشبيلي ابن
الخرّاط المتوفى سنة (٥٨٢هـ).

وتوجد نسخته في مكتبة نور عثمانية بالجامع الشريف في
القسطنطينية^(٢).

١٤٠ - كتاب الجمع بين رجال الصحيحين^(٣):

للعامة المقدسي^(٤) المتوفى سنة (٥٠٧هـ).

= مولى قدامة بن مظعون، توفى سنة ٢٣١هـ، وقيل سنة ٢٣٢هـ، انظر تاريخ الأدب
١٥٢/٢ - ١٥٣. (المراجع).

(١) كشف الظنون ١/٤٠٠، شذرات الذهب ٤/٢٧١، هدية العارفين ١/٢٠٣، ٢٢١
(المراجع) وقال الذهبي: وعمل «الجمع بين الصحيحين» بلا اسناد على ترتيب
مسلم، وأتقنه وجوّده (سير أعلام النبلاء ٢١/١٩٩) وتاريخ وفاته فيه وفي الشذرات
٥٨١هـ. وقد طبع كتابه «الجمع بين الصحيحين» مؤخرًا. وله أيضًا: «مختصر
صحيح البخاري» ذكره بروكلمان ٣/١٧٥، وسزكين ١/١٩٢.

(٢) وقد ألف في الجمع بين الصحيحين غير واحد كأبي محمد حسين بن مسعود البغوي
المتوفى سنة ٥١٦هـ، وأبي بكر محمد بن عبدالله بن محمد الجوزقي النيسابوري
المتوفى سنة ٣٨٨هـ، وأبي محمد إسماعيل بن أحمد بن الفرات السرخسي الهروي
المتوفى سنة ٦٤٢هـ، وأبي بكر أحمد بن محمد البرقاني المتوفى سنة ٤٢٥هـ،
وأبي مسعود إبراهيم بن عبيد الدمشقي المتوفى سنة ٤٠٠هـ، انظر كشف الظنون
١/٦٠٠ (المؤلف).

(٣) تاريخ التراث ١/٢٠٢، ٢١٩، تاريخ الأدب ٣/١٥٨.

(٤) هو محمد بن طاهر بن عمر المقدسي القيسراني، كما ذكر في تاريخ التراث، =

وقد طبع في مطبعة دائرة المعارف بحيدر آباد. وموضوعه واضح من اسمه.

١٤١ - قرّة العين في ضبط أسماء رجال الصحيحين^(١):

للعلامة (عبدالغني بن أحمد) البحراني الشافعي المتوفى سنة.... (كان حيًا في ١١٧٤هـ) وقد طبع في حيدر آباد، وموضوعه واضح من اسمه.

١٤٢ - الجمع بين الصحيحين:

للعلامة الحُميدي محمد بن أبي نصر الأندلسي القرطبي المتوفى سنة (٤٨٨هـ).^(٢)

وقد ذكره صاحب المشكاة في مقدمة المشكاة وهو كتاب مشهور.^(٣)

= وبروكلمان، معجم المؤلفين ٩٨/١٠، الأعلام ٤١/٧، شذرات الذهب ١٨/٣. (المراجع).

(١) تاريخ التراث ٢٠٢/١، ٢٢٠، تاريخ الأدب ١٨٥/٣، معجم المؤلفين ٢٧٠/٥. (المراجع) طبع ١٣٢٣هـ كما ذكره بروكلمان.

(٢) كشف الظنون ٤٠٠/١، تاريخ التراث ٢٠٣/١، ٢٢١. (المراجع)، وقد طبع مؤخرًا في أربع مجلدات بتحقيق الدكتور علي حسين البواب، نشر دار ابن حزم، بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م. ويشمل ٣٥٧٤ حديثًا حسب ترقيم المحقق.

(٣) وقد طبعت محاضرات الشيخ أنور شاه الكشميري الديوبندي في سنة ١٣٥٧هـ على صحيح البخاري مع الحاشية في أربع مجلدات، وسميت المحاضرات باسم «فيض الباري» وسميت الحاشية بـ«البدر الساري» وأضيفت مقدمة في أول الكتاب، وقد أطنب في الأول إلى العبادات والمعاملات، وأطال بما لا طائل تحته، ثم بعد ذلك إلى الأخير إيجاز كامل، بل كالصفر. وقد تفوه المحاضر المذكور في شدة العاطفة =

= والحماس فسمى علماء أهل الحديث بـ«بعض السفهاء» ووصف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله بأنه كان بليدًا قليل العلم، فإلى الله المشتكى. (عبيد الله الرحمانى).

١٤٣- مفتاح صحيح البخاري:

قال العلامة أحمد محمد شاكر [المتوفى ١٣٧٧هـ] في شرح جامع الترمذي طبعة مصر سنة ١٣٥٦هـ في المقدمة ٦٠/١.

«ومنذ بضع عشرات من السنين صنع محمد الشريف بن مصطفى التوقادي من علماء الآستانه كتابين هما: مفتاح صحيح البخاري، ومفتاح صحيح مسلم، فرغ من تأليفهما سنة ١٣١٢هـ، وطبعا في الآستانه سنة ١٣١٣هـ. رتب أحاديث كل واحد منهما على الحروف باعتبار أوائل اللفظ النبوي الكريم، وأشار إلى موضع كل حديث في مفتاح البخاري بالأبواب والكتب بأرقام الأجزاء والصفحات لمتن البخاري وشروحه لابن حجر والعيني والقسطلاني، وفي مفتاح مسلم كذلك لمتن مسلم وشرحه للنووي - انتهى».

١٤٤- نبراس الساري في أطراف البخاري:

وموضوعه كمفتاح صحيح البخاري، ورتب مصنفه الشيخ عبدالعزيز خطيب كجر انواله [المتوفى سنة ١٣٨٧هـ] رحمه الله، أطراف أحاديث صحيح البخاري، ثم ذكر موضع كل حديث بالأبواب مختصرًا أو مطولًا، وذكر صفحات فتح الباري وعمدة القاري أيضًا، وهذا الكتاب أنفع من الأول، وقد نسخه المؤلف بنفسه للطبعة الحجرية.

٤٥- إنعام المنعم الباري بشرح ثلاثيات البخاري:

وكان مؤلفه المرحوم الشيخ عبدالصبور بن الشيخ عبدالنور الملتاني رحمه الله، (المتوفى ١٣٤٩هـ) قد جمع هذا الشرح أيام دراسته أخذًا من فتح الباري والقسطلاني والداؤدي والسندي وغيرها لهذه الثلاثيات من البخاري، وقد طبع في مصر سنة ١٣٥٨هـ.

(وأعادت الجامعة السلفية ببنارس في الهند طبعه سنة ١٤٠٠هـ.).

وصنف أحمد بن محمد بن منصور الأسكندري المالكي ناصر الدين أبو العباس =

١٤٦ - المستدرک علی الصحيحین

ألف الحاکم أبو عبدالله محمد بن عبدالله المتوفى سنة ٤٠٥هـ مستدرکاً علی صحيحی البخاری ومسلم، وكان يريد جمع الأحادیث التي هي علی شرط الشيخین ولم یخرجاها، ولذلك تراه یقول بعد إخراج الحديث: هذا علی شرط الشيخین ولم یخرجاه، أو علی شرط البخاری ولم یخرجه، أو علی شرط مسلم ولم یخرجه.

وبغض النظر عن أن الحاکم معروف بالتساهل، وقد قيل في حقه: «واسع الخطو في شرط الصحيح، متساهل في القضاء به»^(١) ولكن ما حکم به الشاه ولی الله الدهلوي في هذا الصدد كاف وشاف^(٢). فقد قال:

= ابن المنیر المتوفى سنة ٦٨٣هـ «مناسبات علی البخاری». وعمل محمد بن أبي بكر ابن إبراهيم البهاء المشهدي المتوفى سنة ٨٨٩هـ، شرحاً علی البخاری ملتقطاً من شروح في مجلدين. وألف أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحموي المتوفى سنة ٨٤٢هـ «افتتاح القاري لصحيح البخاري». وصنف صالح بن عمر بن رسلان البلقيني المتوفى سنة ٨٦٨هـ تفسيراً وشرحاً علی البخاری كما في البدر الطالع. وللإمام الشاطبي صاحب الاعتصام والموافقات تأليف شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاری اسمه «كتاب المجالس» فيه من الفوائد والتحقيقات ما لا یعلمه إلا الله، کذا کُتِبَ بابا التکروري ثم التنبكي. ولصحيح البخاری شروح أخرى لم نتعرض لها رومًا للاختصار (عبيدالله الرحمانی).

[وهناك نحو (٩٦) مؤلفاً وبحثاً يتناول صحيح البخاری ومؤلفه بالبحث والشرح من النواحي المختلفة، أوردها الأستاذ فؤاد سزکين في تاريخ التراث العربي ١٧٤/١ - ٢٠٣]. (المراجع).

(١) مقدمة ابن الصلاح ١٨.

(٢) وقد ألف الحافظ الذهبي تلخيصاً لمستدرک الحاکم ونقداً له، وكذلك انتقده العلامة ابن الملقن والحافظ السيوطي في حاشية سماها «توضيح المدرک في صحيح المستدرک» =

«وقد استدرك الحاكم عليهما أحاديث هي على شرطهما ولم يذكرها، وقد تتبع ما استدركه، فوجدته قد أصاب من وجه، ولم يصب من وجه، وذلك لأنه وجد أحاديث مروية عن رجال الشيخين بشرطهما في الصحة والاتصال، فاتجه استدراكه عليهما من هذا الوجه ولكن الشيخين لا يذکران إلا حديثاً قد تناظر فيه مشايخهما، وأجمعوا على القول به والتصحيح له، كما أشار مسلم حيث قال:

«لم أذكر هاهنا إلا ما أجمعوا عليه».

وجل ما تفرد به المستدرک كالموكأ عليه المخفي مكانه في زمن مشايخهما، وإن اشتهر أمره من بعد، أو ما اختلف المحدثون في رجاله، فالشيخان كأساتذتهما كانا يعتنيان بالبحث عن نصوص الأحاديث في الوصل والانقطاع وغير ذلك حتى يتضح الحال، والحاكم يعتمد في الأكثر على قواعد مخرجة من صنائعهم كقوله: زيادة الثقات مقبولة، وإذا اختلف الناس في الوصل والإرسال والوقف والرفع وغير ذلك، فالذي حفظ الزيادة حجة على من لم يحفظ، والحق أنه كثيراً ما يدخل الخلل في الحفاظ من قبل الموقوف ووصل المنقطع لا سيما عند رغبتهم في المتصل المرفوع

= كشف الظنون ٢/٤٢٧ (المؤلف).

قلت: وتلخيص المستدرک للذهبي مطبوع في حاشية المستدرک نفسه كما أن كتاب ابن الملقن أيضاً طبع مؤخراً باسم «مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک أبي عبد الله الحاكم» في ثمانى مجلدات بتحقيق عبدالله بن حمد اللحيان وسعد بن عبدالله آل حميد، نشر دار العاصمة بالرياض. ط أولى عام ١٤١٥هـ.

وتنويهم به، فالشيخان لا يقولان بكثير مما يقوله الحاكم، والله أعلم»^(١).

هذا هو الحكم الذي حكم به الشاه ولي الله الدهلوي، ونترك ما كُتب في شروح الألفية وكتب المصطلح في ما يتعلق بمستدرك الحاكم، وقد ذكر صاحب كشف الظنون أحكام العلامة البلقيني وغيره من المحدثين يتبين منها أن مستدرك الحاكم أدنى مما ذكر، ولا مقارنة بينه وبين الصحيحين.

وقد ألف بعد الحاكم، أبو ذر الهروي المالكي المتوفى سنة ٤٣٤هـ^(٢) مستدركاً على الصحيحين، والغالب أن حاله لا يكون أحسن من مستدرك الحاكم، ولكننا لم نطلع على حكم صريح في ذلك.^(٣)

وقد التزم أناس آخرون بجمع الأحاديث الصحيحة بعد الإمامين البخاري ومسلم واشتهر من مؤلفاتهم «صحيح ابن خزيمة»^(٤) وصحيح

(١) حجة الله البالغة للشاه ولي الله الدهلوي ١/ ٢٨٢- ٢٨٣.

(٢) أبو ذر عبد بن أحمد الهروي المالكي، يروي صحيح البخاري عن الثلاثة: المستملي، والحموي، والكشميهني.

(٣) قال الذهبي: له مستدرك لطيف في مجلد على الصحيحين علقت منه. يدل على معرفته (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٥٩).

وانظر أيضاً: كشف الظنون ٢/ ١٦٧٢ طبعة دار الفكر، هدية العارفين ١/ ٤٣٧.

(٤) توجد نسخة صحيح ابن خزيمة في مكتبة ألمانيا، وهذه هي النسخة التي كانت في مكتبة الحافظ ابن حجر. وقد وصل فهرس هذه المكتبة بواسطة أحد رؤساء التجار العرب، وبعد الاطلاع على هذا الفهرس يتبين أن كتباً نادرة من كتب التفسير والحديث بخطوط مؤلفيها أو تلاميذهم توجد في مكتبة ألمانيا. فيا لله! هذه خزائن المسلمين وقعت تحت أبدي النصارى، وهم يعرفون قدرها، والله يؤيد الدين =

ابن حبان^(١)، وصحيح أبي عوانه^(٢) وإن الأحاديث التي تفرد بها هؤلاء مما ليس في الصحيحين وإن كانت أحسن حالاً من مستدرک الحاكم

= بالرجل الكافر. (المؤلف).

[قد طبع ما وُجد من هذا الكتاب بتحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي في أربعة أجزاء من مطبعة المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٠هـ] (المراجع). وصل إلى أواخر أبواب المناسك تقريباً.

(١) توجد نسخة صحيح ابن حبان في الهند. فيوجد في مكتبة الشيخ عبدالحى اللكنوي نسخة العلامة حميد مفتي الحنابلة، ولكنها ناقصة، وتوجد نسخة منها في مكتبة العلامة أبي الطيب العظيم آبادي أيضاً. (المؤلف).

وقد جمع الإمام نور الدين الهيثمي زوائد ابن حبان على الصحيحين في كتاب سماه «موارد الظمان بزوائد ابن حبان» طبع قديماً بتحقيق الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة رحمه الله في مجلد واحد. ثم طبع بتحقيق الأستاذ حسين سليم أسد الدارني في تسع مجلدات نشر دار الثقافة العربية في بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. كما طبع «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان في تسعة أجزاء أيضاً بتحقيق كمال يوسف الحوت. نشر دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ثم طبع الإحسان أيضاً في ثمانية عشر مجلداً بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤط ومساعدته. نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة في ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) توجد نسخة قديمة من صحيح أبي عوانة بخط عربي في مكتبة العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق وعليها قراءات وسماعات وبلاغات سجلها حفاظ أكابر بأيديهم مثل الحافظ الذهبي وأقرانه. (المؤلف).

والحمد لله لقد طبع هذا الكتاب المبارك في دائرة المعارف بحيدرآباد. (عبدالله الرحمانى).

[وقد طبع منه خمسة أجزاء من مطبعة دائرة المعارف بحيدر آباد سنة ١٣٨٦هـ بتحقيق وتعليق الأستاذ عبدالحميد شيخ الجامعة النظامية بحيدر آباد والسيد حبيب الله القادري]. (المراجع) وكان الجزء الثالث منه مفقوداً ثم طبع هذا الجزء لوحده. نشر مكتبة السنة في القاهرة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ولكن الكتاب مازال ناقصاً من أوله وآخره ويحتاج إلى تحقيقه ونشره من جديد.

ولكن مع ذلك لم تبلغ مرتبة أحاديث الصحيحين. (١)

* * *

(١) تنبيه: لقد بذل المؤلف رحمه الله جهدًا عظيمًا ومشكورًا في تتبع وإحصاء ما كُتب عن الإمام البخاري وصحيحه من شروح وتعليقات ومختصرات وتراجم وغيرها مما وصل إليه علمه آنذاك. وكان ذلك قبل سنة ١٣٢٩هـ أى قبل أكثر من تسعين عامًا من الآن. فذكر رحمه الله ١٤٣ كتابًا وأضاف إليها نجله في الحاشية ثلاثة كتب أخرى فبلغت ١٤٦ كتابًا.

أما الآن فقد طبع الكثير من كتب التاريخ والتراجم وفهارس المكتبات الموجودة في مختلف أنحاء العالم مما لم يكن متيسرًا في عصر المؤلف رحمه الله. فمن الممكن إضافة مثل ذلك بل أكثر منه إلى هذه القائمة. وقد ألف الأستاذ محمد عصام عرار الحسيني كتاب «إتحاف القارئ بمعرفة جهود وأعمال العلماء على صحيح البخاري» فذكر فيه ٣٧٥ كتابًا مما ألف حول صحيح البخاري، وبعد التتبع والاستقراء يمكن إضافة الكثير إلى هذه القائمة أيضًا. ومن المعلوم أن الدراسات والأبحاث عن الإمام البخاري وصحيحه مستمرة وما كتب ويكتب عنهما في مختلف لغات العالم من شروح وتعليقات ومختصرات وتراجم وغيرها أمر يفوق الحصر والإحصاء. وهذا دليل على عناية واهتمام الأمة الإسلامية بأصح الكتب بعد كتاب الله ومؤلفه وما رزقه الله من القبول والذكر الحسن مما لم يحصل لكتاب سواه - بعد كتاب الله تعالى - في تاريخ الأمة الإسلامية.

وما أصدق ما قاله الشاه ولي الله الدهلوي عن صحيح البخاري: «لعمري إنه نال من الشهرة والقبول درجة لا يُرام فوقها» (حجة الله البالغة ١/ ٣٤١، طبعة دار المعرفة) جعله الله صدقة جارية لمؤلفه إلى يوم الدين وحشرنا معه تحت لواء سيد المرسلين ﷺ مع آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم من الصديقين والشهداء والصالحين وسائر المؤمنين. آمين.